Wasit University Repository

Wasit University Repository

repository.uowasit.edu.iq

النساء المردفات عند العرب قبل البعثة حتى نهاية العصر الأمويّ (132 هـ/749م)

Women's Role in Pre-Islamic Arabia until the End of the Umayyad Era (132 AH/749 CE)

عناد, اجوان سعيد مطشر

إشراف: أ.د سوسن فاضل كاظم الدريساوي

جامعة واسط — 2026

https://repository.uowasit.edu.iq/handle/123456789/291

حُمِّل هذا الملف من مستودع جامعة واسط

Downloaded from the Wasit University Repository — repository.uowasit.edu.iq

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة واسط
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

النساء المردفات عند العرب قبل البعثة حتى نهاية العصر الأمويّ (١٣٢ هـ/٧٤٩م).

اطروحة دكتوراه

مقدمة من الطالبة

اجوان سعيد مطشر عناد

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة واسط

كجزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الإسلامي

بأشراف

أ . د سوسن فاضل كاظم الدريساوي

١٤٤٨هـ ٢٠٢٦م



﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الأنفال ، آية ٩.

إقرار المشرف

أشهد أنّ هذه الأُطروحة الموسومة (**النّساء المردفات عند العرب قبل البعثة حتى نهاية العصر الأمويّ ١٣٢هـ/٧٤٩م**) لطالبة الدكتوراه (**اجوان سعيد مطشر**) قد جرت بإشرافي في قسم التاريخ كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة واسط ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلاميّ .

قسم الدراسات العليا
كلية التربية للعلوم الإنسانية

التوقيع :

الاسم : ا.د. سرى نجل كاظم

التاريخ : ٧/٧/ ٢٠٢٦م.

توصية رئيس القسم :

بناءً على التوصيات المتوفرة أرشح هذه الأطروحة للمناقشة .

التوقيع :

الاسم :

التاريخ : ٧/٧/ ٢٠٢٦ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إقرار المقوم اللغوي

أشهد أن هذه الاطروحة الموسومة(النساء المرتدات عند العرب قبل البعثة حتى نهاية العصر الأموي ١٣٢هـ/٧٤٩م) قد جرت مراجعتها من الناحية اللغوية وأصبحت سليمة ومؤهلة للمناقشة قدر تعلق الأمر بسلامة الأسلوب وصحة التعبير.

التوقيع :

الاسم : أ.د. غازي مطشر حمزة

التاريخ ١٢/٨/٢٠٢٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اقرار لجنة مناقشة

نشهد نحن اعضاء لجنة المناقشة أننا اطلعنا على أطروحة الطالبة (اجوان سعيد مطشر عناد العابدي) الموسومة (النساء المردفات عند العرب قبل البعثة حتى نهاية العصر الأموي (١٣٢هـ/٧٤٩م)) ، وقد ناقشنا الطالبة بمحتوياتها وكل ما يتعلق بها بتاريخ ٢٠٢٦/٩/٢٨، ووجدنا أنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي وبتقدير (جيد جدا).

الاسم: أ.د حيدر مزهر عسكر
رئيساً
التاريخ: ١٩ / ١٠ /٢٠٢٦

الاسم: أ.د صبيح نوري خلف
عضواً
التاريخ: / /٢٠٢٦

الاسم: أ.د ظافر اكرم قدوري
عضواً
التاريخ: / /٢٠٢٦

الاسم: أ.د احمد محمد جودي
عضواً
التاريخ: ١٧ / ١٠ /٢٠٢٦

الاسم: أ.م.د صباح حسن فلاح
عضواً
التاريخ: ١٩/ ١٠ /٢٠٢٦

الاسم: أ.د سوسن فاضل كاظم
عضواً ومشرفاً
التاريخ: ٦ / ١٠ /٢٠٢٦

صادق مجلس كلية التربية /جامعة واسط على قرار لجنة المناقشة

التوقيع: أ.د محمود حمود عراك

الاسم : أ.د محمود حمود عراك

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة واسط

التاريخ: ٢٦ /١٠/ ٢٠٢٦

إقرار الخبير العلمي

أشـهد أن هـذه الأطروحـة الموسـومة **(النسـاء المردفـات عنـد العـرب قبـل البعثـة حتـى نهايــة العصــر الأمــويّ ١٣٢هــ/٧٤٩م)** لطالبــة الــدكتوراه **(اجــوان ســعيد مطشــر عنــاد)** قـد جـرت مراجعتهـا وأصـبحت مؤهلــة للمناقشــة قـدر تعلـق الأمـر بالسـلامة العلميّة والفكريّة.

التوقيع :

الاسم :

التاريخ : / /٢٠٢٦م.

الإهداء

إلى أبي الذي علمني أنّ قيمة الإنسان فيما يتركه من أثر طيب ، فكان أثره في نفسي أكبر من أنْ تمحوه السنون .

إلى أُمي ، التي كانت تدعو لي أكثر مما كنت أحلم لنفسي ، فبقيت دعواها زادً يرافقني حتّى بعد رحيلها .

إلى أخي ، الذي اختطفه الغياب مبكرً ، تاركً في القلب فراغً لا يملؤه إلاّ الدعاء والذكرى .

إليكم جميعًا أُهدي هذا العمل ، لا لأنّه يفي بشيء من حقكم ، فحّقكم أعظم من أن يحيط به إهداء أو تعبر عنه كلمات ، بل لأنّه ثمرة من الثمار التي نمت في تربة محبتكم ، وسقيت بما غرستموه في نفسي من قيم الصبر والإصرار والأمل .

في هذه اللحظة التي يكتمل فيها هذا الجهد ، كان من أجمل الأمنيات أن تكونوا هنا ، لكنكم حاضرون في كُلّ نجاح حققته ، وفي كل خطوة أوصلتني إلى هذه الغاية .

رحمكم الله رحمة تليق بصفاء قلوبكم ، وجعل هذا العمل نورً يصل إليكم ، كما كان نور محبتكم لا يزال يصل إليَ .

إلى ارواحكم أُهدي ما بين دفتي هذه الأطروحة ومعه كُلّ الامتنان والوفاء والاشتياق .

شكر وتقدير

بعد حمد الله جلَّ عُلاه الذي لا تحصى ولا تنتهي فضائل نعمه ، فأنّني أحمد الله العليّ أنْ أتَّم فضله وأنعمَ عليَّ من نعم الصبر والمثابرة .

في البدء لابُدَّ لي أن أتقدم بوافر الشكر والامتنان إلى مشرفتي الفاضلة الأستاذة الدكتورة (سوسن فاضل كاظم) لقبولها الإشراف على أطروحتي والتي لم تآل جهدً في تزويدي بسعة علمها وتوجيهاتها السديدة وملاحظاتها العلمية القيمة وتفانيها وحرصها على إتمام هذه الدراسة وإخراجها على أتمَّ وجه فجزاها الله خير الجزاء.

وأتوجه أيضاً بالشكر الجزيل لرئيس قسم التأريخ الاستاذ الدكتور محمد حسين السويطيّ المحترم ، ولجميع أساتذة قسم التاريخ الذين تتلمذت على أيديهم في دراستي البكالوريوس والماجستير وصولاً إلى مرحلة الدكتوراه ، وأخصُّ بالذكر منهم، أ. د عطا سلمان جاسم ، أ. د فاضل جابر ضاحي ، أ. د رياض عبد الحسين ، أ. د عقيل عبد الله ياسين ، أ. د حيدر مزهر عسكر ، أ. د أحمد محمد جودي ، أ. م . د شمخي يابر ، أ. د سوسن فاضل كاظم ، أ. د أسراء مهدي .

ويدعوني واجب العرفان بالجميل أن أتقدَّم بجزيل الشكر وعظيم الإمتنان إلى الأستاذ الدكتور عمار نصار لما أبداه من دعم و مساعدة ، فلم يبخل علينا بعلم ومؤازرة وفقه الله لخدمة طلاب العلم .

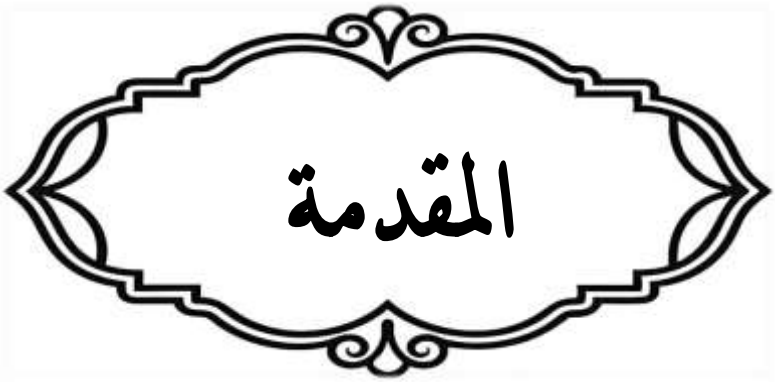
ولا يفوتني أن أتقدَّم بوافر الشكر والتقدير إلى مكتبة العتبة الحُسينّية ومكتبة علوم القرآن لما ابدتاه من توفير المصادر والمراجع التي أفادتني في إتمام هذه الأطروحة.

ولابد لي أن أتقدم بوافر الشكر والامتنان لعائلتي الكريمة ، وإلى كُلّ مَنْ ساعدني وأخذ بيدي ومكنني من إتمام هذه الأطروحة ، وفق الله الجميع وسدد خطاهم.

الباحثة

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة وتحليل المصادر	١-١٨
التمهيد: مفهوم المرأة في بنية أفكار الشرائع السابقة للإسلام	١٩-٤٠
الفصل الأول: التعريف بالنساء المردفات والأسباب العامة لأرداف المرأة الأزواج	٤١-٨٣
المبحث الاول : مفهوم المردفات لغةً واصطلاحاً	٤٢-٤٥
المبحث الثاني : الأسباب العامة لأرداف المرأة الأزواج	٤٦-٨٣
الفصل الثاني: الدور السياسي للنساء المردفات	٨٤-١٣٥
المبحث الأول : دور المرأة المردفة في تعزيز التحالفات السياسية	٨٥-١٠٢
المبحث الثاني : دور النساء المردفات في البيعة	١٠٣-١٣٥
الفصل الثالث: الأثر الديني والعسكري للنساء المردفات	١٣٦-١٨٢
المبحث الأول: دور النساء في الدعوة إلى الإسلام	١٣٧-١٥٨
المبحث الثاني: الأثر الجهادي والعسكري للنساء المردفات	١٥٩-١٨٢
الفصل الرابع: الحياة الاجتماعية والعلمية للنساء المردفات	١٨٣-٢٤٩
المبحث الأول : الأبعاد الاجتماعية للنساء المردفات	١٨٤-٢٢٢
المبحث الثاني: الأبعاد العلمية للنساء المردفات	٢٢٣-٢٣٣
المبحث الثالث: نظرة المجتمع العربي الإسلامي إلى النساء المردفات.	٢٣٤-٢٤٩
الخاتمة	٢٥٠-٢٥٥
الملاحق	٢٥٦-٢٦٥
قائمة المصادر والمراجع	٢٦٧-٢٩٢
Abstract	A-B


المقدمة

المقدمة

ونطاق البحث وتحليل المصادر والمراجع

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[١]، والحمد لله رب العالمين على ما أعان ووفق وسدد ، وله الشكر والثناء الحسن الجميل ، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد (ﷺ) المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الغر الميامين وأصحابه ومن سار على نهجهم وأتبع هداهم الى يوم الدين .

أما بعد...

تُعدُّ دراسة المجتمعات الإنسانيّة عبر التاريخ من أصعب الدراسات الاجتماعيّة ، ذلك إن لكل مجتمع نظام اجتماعيٌّ خاصٌّ به ، ولكن من الممكن دراسة تلك المجتمعات على أساس الدين وخاصة الديانات السماوية ، على اعتبار أن الشرائع السماويّة بعثت لجميع البشر، فمن خلال المقارنة بين الأديان يمكن التوصل إلى مكانة المرأة في كُلّ دين ، وأن لم تختلف أحوال المرأة في جميع الديانات السابقة للإسلام فيما عدا الدين الإسلامي الذي ظل ثابتاً في أنصاف المرأة وتكريمها ، والسبب في ذلك يعود إلى إنّ الفكر الإنساني حرف النصوص الدينية بما يخدم أهوائه وعاداته وتقاليده . وعلى هذا الأساس تُعّد الدراسات الاجتماعية من الدراسات المهمة كونها تمثل الأساس الذي تقوم عليه أغلب الدراسات الاخرى ، وما نراه في المجالات الاخرى ماهي إلاّ انعكاساً لطبيعة تلك المجتمعات ، بكل ما حوته تلك المجتمعات في بنيتها الاجتماعية وخلفياتها الدينية والفكرية والحضارية ، لذلك تَعّد دراسة (النّساء المردفات عند العرب قبل البعثة حتى نهاية العصر الأمويّ(١٣٢هـ/٧٤٩م) من الموضوعات المهمة في التاريخ الإسلامي بوصفها الوسيلة التي تعبر عن المستوى الاجتماعي الذي وصلت إليه المرأة عند العرب قبل الإسلام وبعده من خلال دراسة الأثر الذي أحدثه الإسلام في الحياة الاجتماعية آنذاك.

---

[١] سورة التوبة، آية ١٠٥.

وتأتي أهمية الدراسة كونها تمثل جانب تاريخي مهم يمكن من خلاله دراسة أسباب ونتائج حدوث هذه الظاهرة وبشكل متفاوت عبر المدد التاريخية والتي يتم البحث فيها عن الكثير من الاحداث التاريخية المعاصرة لتلك الحقب ، مما يفتح الأفاق لدراسة وابتكار عنوانات ومواضيع جديدة لدراسة التاريخ الإسلاميّ

وفي التاريخ الاجتماعي للمرأة العربيّة كان بإمكانها أن تتزوج عدّة ازواج واحداً بعد الآخر فتسمى (مردفة) ، فكانت المرأة في عصر قبل الاسلام لا تتحرج من الأرداف إذا طلقت أو توفي زوجها مادامت ترغب بالزواج ، أما في العصر الإسلامي فقد استمرت هذه العادة بشكلها الطبيعيّ ، إذ إنّ ما ورد من حالات حول تعدد الأزواج تباعاً للمرأة كان أمراً مقبولًا في ذلك الزمان إذ كان الرجال يقبلونه وكذلك النساء ، إلا أن التشريع الإسلامي شذب بعض الأمور التي تخص نظام الزواج فبعد أن تعددت أشكال الزواج عند عرب الجاهلية ما بين زواج المقت والرهط والاستبضاع والسفاح والبغي وغيرها ، نجد إن التشريع الإسلامي نظم الزواج وحصره بالزواج الشرعي الذي يتم بمهر وعقد.

أن دراسة المواضيع الاجتماعية في القرن الأول الهجري ذات فائدة نافعة وذلك لأن هذا القرن تم فيه تشكيل وتكوين الأمة الإسلامية ، إذ جعلت موطن ركزت الدراسة على منطقة الحجاز لأنها أرض النشأة الأولى لقيام الإسلام وموطن الدعوة ، فقد كان الحجاز بؤرة الإسلام الأولى والتي منها انطلقت الدعوة ليكون الصورة الناصعة الشاملة لحياة بني البشر .

كما أن دراسة الجوانب الاجتماعية يسلط الضوء على حياة الناس وأسلوب حياتهم المعيشي وتقدم لنا صورة حيّة على ساد هذا المجتمع من عادات وتقاليد وقيم ، فجاءت هذه الدراسة لتوضح أنّ أخبار النساء المردفات تمثل مادة تاريخية واجتماعية مهمة لدراسة الأسرة ودور المرأة في التاريخ الإسلامي ، لتكشف فيها طبيعة العلاقات الاجتماعيّة ومكانة المرأة في مختلف العصور التاريخية ، اعتماداً على أساس أنّ أي مجتمع من المجتمعات لا يمكن أن يقوم على أكتاف الرجال فقط ، بل كان لا بُدَّ من المشاركة الفاعلة للمرأة .

وتنبع فرضية الدراسة من التساؤلات الرئيسية التي تحاول الباحثة الإجابة عنها ، والتي تتعلق بالدوافع السياسة و الاقتصادية والاجتماعية التي تقف وراء زواج المرأة المتعاقب ، وما أوجه الاستمرار والتغير في ضوء التحولات التي شهدها المجتمع العربي بعد البعثة النبوية ، وما هي انعكاسات اردف الأزواج على حياة المرأة والأسرة والمجتمع ، ولاسيما انعكاسات الزواج المتعاقب في الاستقرار الاجتماعي للمرأة ، وكيف ينظر العرف الاجتماعي الى المرأة التي تتزوج أكثر من زوج على التوالي ؟ فجاءت هذه الدراسة لتقدم نتائج مرضية فيما يخص دراسة النساء المردفات وما اشتملت عليه من أعراف وعادات وتقاليد تخصّ الاسرة وتكوينها ، وما كان للإسلام من أثر كبير في جلاء الكثير من تلك الاعراف والعادات والتقاليد ، وذلك بما استضفاه عليه من روحه ، وذلك من خلال تتبع سبيل المقارنة بين اعراف وعادات العرب قبل الإسلام وبعده وفق خطوات منهج البحث العلمي التاريخي ، وخاصة وإن فئة النساء المردفات مثلت أشراف العرب في الجاهلية والإسلام ، لذلك ارتأينا تسليط الضوء على هذه الفئة من النسوة في المجتمع العربي قبل الإسلام وفي التاريخ الإسلامي.

وتجيب الدراسة عن الكثير من غوامض الحياة الاجتماعية وخاصّة في الصدر الأول من الإسلام الذي مثل ذروة التحولات الجذرية التي أحدثها الإسلام في المجتمع العربّي ، كما ركزت الدراسة على دور المرأة في تربية ابنائها ، ثُمّ الدور الذي تميزت به في نشر الدين الإسلامي وتعاليمه ، إلى جانب القيمة التحليلية للدراسة ، إذ يمكن ربط تاريخ النساء المردفات بالواقع المعاصر من خلال فهم الواقع الاجتماعي للمرأة المردفة إذ يساعد في اعادة تقييم مفهوم تعدد الازواج تباعاً للمرأة ، لاسيما وأن اغلب الدراسات المعاصرة تنظر إلى الزواج الثاني أو الثالث نظرة سلبية أو حساسة اجتماعياً ، بينما يظهر التاريخ أن ارداف المرأة للأزواج كان وسيلة لاستقرار المرأة والأسرة والمجتمع ، وهذا ما يسهم في تصحيح بعض الصور النمطية في المجتمع العربي ، مما يفتح مجالاً لفهم كيفية تعامل المجتمعات الحديثة مع الحالات نفسها من حيث الدعم الاجتماعي والنفسي والاقتصادي للمرأة .

و مما حَفَّزَ الباحثة على اختيار موضوع الدراسة هو اقتراح مشرفي بدراسة الماجستير الاستاذ القدير الدكتور عطا سلمان العقابيّ ، كما كان لتشجيع مشرفة البحث الأُستاذة الدكتورة سوسن كاظم الدريساويّ أثر واضح في اتمام مشروع الدراسة على أتمَّ وجه وقبول إن شاء الله ، ذلك إن هذه الدراسة لم تكن سهلة ولم يكن طريقها معبداً أمامي ، فكان علي أن أجمع كُل شاردة وواردة عن النساء المردفات من جميع مصادر التراث الإسلامي وخاصة كتب الأنساب والتراجم والطبقات.

ولعل مما دفع الباحثة إلى اختيار دراسة هذا الموضوع هو افتقار المكتبة التاريخيّة لمثل هكذا نوع من الدراسات الاجتماعيّة وهو محاولة بسيطة من الباحثة للولوج في موضوع كبير الاهمية في المجتمع العربيّ والإسلامي ماضيًا وحاضًرا ، إضافة إلى أن جميع الدراسات التي تناولت المرأة في التاريخ الإسلامي جاءت بصورة عامة اكتفت بعرض حياة المرأة عرضاً مفصلاً للحياة الاجتماعية قبل الإسلام وبعده في إطار من المقارنة ، وعلى الرغم من امتداد جذور ظاهرة أرداف المرأة لعدّة أزواج الى حقب زمنية موغلة في القدم والتي تطورت وأخذت منحىً آخر عبر مرور الزمن ، إلا أنني لم أجد دراسة اكاديمية مستقلة وشاملة تخصّ تلك الظاهرة التي كانت منتشرة بكثرة في المجتمع العربي ، إذ إنّ معظم الدراسات التي تناولت حياة العرب الاجتماعية اكتفت بعرض هذا الموضوع بشكل مختصر وبسيط لم تقدم فيها عرضاً مفصلاً عن تلك الظاهرة تخص النساء المردفات سوى ما وجدته في إحدى أطاريح جامعة الموصل ، بعنوان فرعي (النساء المردفات) لأحد فصول أطروحة الدكتوراه المعنونة (الزواج والطلاق في صدر الإسلام / دراسة تاريخية في الأبعاد الإجتماعية والاقتصادية والسياسية (الحجاز أنموذجا) للباحث يوسف سليمان جبر طروانة) ، وكذلك ما وجدته في كتاب (الحياة الاجتماعية في صدر الإسلام) للباحث محمد ضيف بطانية أشار فيه إلى النساء المردفات المثلثات والمخمسات ، إذ قام الباحث بطانية بإحصاء أعدادهن في كتب التراجم والطبقات .

ومما دفعَ الباحثة إلى اختيار هذا الموضوع ضمن مُدّة الدراسة ما قبل المبعث وعصر الرسالة والعصر الراشديّ والأمويّ إطاراً تاريخياً للدراسة المقارنة ، هو ما اتسمت به تلك الحقب الزمنية من تحولات جذرية في حياة العرب الاجتماعية ، ذلك أنّ هذه الدراسة ستساعد على توضيح أثر العادات والتقاليد العربية الخاصة بالزواج التي كانت سائدة عند العرب قبل الإسلام وموقف الإسلام منها بالإقرار ، أو الإلغاء ، أو التعديل.

أن مدة الدراسة التي اتخذتها الباحثة إطاراً زمنيا للبحث تشمل المدة التي سبقت الإسلام ما يقارب المئة عام أو أكثر ، وهي مُدّة يمكن الاطمئنان إلى صحة أغلب المعلومات فيها التي تعود إليها ، فالشعر مثلاً كان يعود إلى هذه المدة التي وصفها الجاحظ (ت :٢٥٥ هـ/٨٦٨م) قائلا : " **فإذا استظهرنا الشعر، وجدنا له- إلى أن جاء الله بالإسلام- خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام**" [١].

أما القسم الثاني من مدة الدراسة ، فتخص فترة عصر التاريخ الإسلامي الذي يمثل عصر الرسالة والراشدي والأموي ، والتي شهدت تغيرات جذرية في جميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والحضارية ، وبما أن الظواهر الاجتماعية سمة من سمات تلك العصور، لا سيما وأن الإنسان يشكل جزءاً فاعلاً فيها ، تستفزه وتثيره لتخرج كل ما لديه من طاقات إنسانية ، فيجد نفسه بحاجة ماسة إلى فهم طبيعة حركة المجتمع فهماً يستوعب البنية الدينية العقائدية والاجتماعية الى جانب فهم تطوره التاريخي .

ونظمت الدراسة بأربع فصول وشمل كل فصل عدد من المباحث حسب موضوع الفصل ، سبقت بتمهيد تناول الجذور التاريخية لظاهرة النساء المردفات عند الشعوب والامم الاخرى، وتناول الفصل الأول التعريف بالنساء المردفات لغةً واصطلاحًا، والأسباب العامة لأرداف المرأة الأزواج ، والتي شملت الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية .

وفي الفصل الثاني تم الاطلاع على أثر النساء المردفات على الحياة السياسية فقد شاركت المرأة في أخذ البيعة للنبي محمد (ﷺ) ، وكذلك ما قامت به المرأة من أدوار هامة في أخذ

---

[١] الحيوان ، ج١/ ص٥٣.

البيعة في العهد الراشدي والأموي لاسيما في العهد الأموي إذ نجد بروز دورها بشكل قوي ومؤثر.

وتناول الفصل الثالث دور النساء الجهادي في الدعوة الى الإسلام من خلال مشاركتها الفعالة في نشر الدين الإسلامي منذ الدعوة الإسلامية ، إذ سجل حضوراً فعالاً للمرأة في هجرة المسلمين إلى الحبشة فضلاً عن الهجرة إلى المدينة المنورة ، إلى جانب مشاركة المرأة المردفة في غزوات رسول الله (ﷺ) ، وكذلك مشاركتها الفعلية جنبًا إلى جنب الرجال في ساحات القتال وما قامت به من أدوار هامة ساعدت على تحقيق النصر لأغلب حروب التحرير الإسلامية .

أما الفصل الرابع والأخير فجاء موضحاً الحياة الاجتماعية والعلمية للنسوة المردفات من خلال توضيح الابعاد الاجتماعية لأدوار النساء المردفات في المجتمع الإسلامي من خلال توضيح بعض معايير اختيار الزوج بالنسبة للزوجة ، كأخذ رأي المرأة في اختيار الزوج ، وكذلك كفاءة النسب وما كان له من أثر فعال في استمرار بعض الزيجات أو في انفصالها ، كما تناول الفصل الرابع في أحد مباحثه الأبعاد العلمية والثقافية للمرأة المردفة ، وختم الفصل الرابع بمبحث وضح نظرة المجتمع العربي الإسلامي إلى زواج النساء المردفات ،وذلك من خلال توضيح رأي العامة في زواج المرأة لأكثر من مرة تباعاً .

وختمت الأطروحة بنتائج حاولت الباحثة من خلالها القاء نظرة تقويمية عن ظاهرة النساء المردفات عند العرب قبل الإسلام وحتى نهاية العصر الأموي من خلال ربط الاحداث التاريخية مع بعضها البعض سعيًا في الوصول إلى نتائج مرضية.

من المعلوم أن لكل باحث منهجه الذي يسلكه في طريق البحث ليبين معالم الدراسة ، وبشكل عام لم تستخدم الباحثة منهج واحد بل تنوعت تلك المناهج ما بين الوصفي والاستقرائي والتحليلي وفق ما اقتضت إليه متطلبات الدراسة ، فقد حرصت وأنا أبحث عن موضوع الدراسة أن اتبع المنهج الوصفي لوصف ظاهرة النساء المردفات وصفاً دقيقاً منظماً من خلال تحديد أسبابها ومسبباتها وعلاقتها بالحوادث التاريخية ، وذلك من خلال جمع

المعلومات المتعلقة بموضوع الدراسة لوصف أغلب حوادث التاريخ الإسلامي من خلال تتبع الروايات التاريخية ونقل بعض النصوص التاريخية ، إذ ندرس من خلاله واقع المرأة المردفة اعتماداً على المصادر الأصلية والمراجع المختلفة .

وتم اتباع المنهج التحليلي لتحليل تلك المعلومات وتفسيرها ومقارنتها مع غيرها لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف من خلال ربط الأحداث التاريخية موضوع الدراسة مع بعضها البعض ، وصولاً الى القاعدة التي تساعد في فهم ظاهرة زواج المرأة اردافاً من حيث دراسة سلبيات وإيجابيات زواج المرأة تباعاً ، فكان المنهج التحليلي سبيلنا إلى إيضاح العوامل المختلفة التي عززت مكانة المرأة المردفة عند العرب ، معتمدة في ذلك على التنويه إلى نماذج من النساء المردفات وفي مختلف المجالات السياسة والعسكرية والاجتماعية والعلمية.

ويهدف المنهج المقارن إلى بيان أوجه التشابه والاختلاف بين الروايات والنصوص في تناولها لأخبار النساء المردفات ، لتحليل أسباب الاختلافات بينها ، وللكشف عن الميول الفكرية أو الدينية والمذهبية التي قد تؤثر في صياغة ونقل تلك الأخبار.

ومما واجهنا في ثنايا خطوات البحث عن موضوع الدراسة ، اختلاف وتضارب الروايات التاريخية من المصادر الأولية فيما يخص زواج الكثير من النساء المردفات ، زيادة على أن مادة الدراسة ارتبطت ببعض العلوم الأخرى كعلم النفس والتربية وعلم الاجتماع ، مما اقتضت الدراسة الرجوع الى هذه المراجع للاطلاع عليها والإفادة منها في دعم الآراء من هذه العلوم ، زيادة على تنوع المعلومات الواردة في فصول الدراسة فضلا عن امتدادها الزمني ، كل ذلك أدى الى تنوعت المصادر التي تم استخدامها في استقصاء المعلومات ، وقد جاء في مقدمة تلك المصادر :

أولاً : كتب التفاسير والأحاديث النبوية الشريفة

لا يمكن لأي باحث أكاديمي الاستغناء عن مصادر التشريع الإسلامي، كونها تعد المصادر الأساسية التي تمثل القاعدة التي يعتمد عليها التشريع الإسلامي ذات الصلة المباشرة بأحداث التاريخ الإسلامي ، وهذا ما وجدناه في ثنايا الدراسة ، إذ كان للأسباب

الدينية أثراً واضح في أرداف المرأة للأزواج وخاصة في فترة صدر الإسلام ، فتم الاستشهاد بآيات القرآن الكريم ، وأحاديث رسول الله (ﷺ) ، بالإضافة إلى كتب التفاسير التي توضح معاني القرآن المجيد وبيان مناسبة النزول لكل آية من آياته وبالتحديد فيما يختص موضوع الدراسة ، في الوقت الذي استفدت من كتب الحديث في تخريج العديد من الأحاديث النبوية الشريفة ، وتحديد موقف الشرع الإسلامي من بعض القضايا الاجتماعية فيما يخص الدراسة فقد شكلت بالنسبة لموضوع الدراسة أرضية صلبة . وقد أفدت من كتب التفسير في تفسير العديد من الآيات القرآنية وبيان أسباب نزولها التي وردت في الرسالة ولا سيما الآيات التي توضح حالات الزواج والمهور والطلاق وغيرها من القضايا الاجتماعية ، كجامع البيان في تفسير القرآن للطبري (ت:٣١٠هـ/ ٩٢٢م) ، وأسباب النزول للنيسابوري (ت:٤٦٨ هـ/ ١٠٧٥م) ، ومعالم التنزيل في التفسير والتأويل للبغوي (ت: ٥١٠هـ/١١١٦م) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت: ٦٧١هـ/١٢٧٢م)، ومختصر تفسير الميزان للطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ /١٩٨١م) وغيرها من كتب التفاسير الأخرى .

وفي الوقت نفسه استفدت من كتب الحديث والسنن في تخريج العديد من الأحاديث النبوية وتحديد موقف الشرع الإسلامي من بعض القضايا الاجتماعية بصورة خاصة ، ومنها كتب الصحيحين البخاري (ت:٢٥٦هـ/٨٦٩م) ، ومسلم (ت :٢٦١هـ/ ٨٧٤ م) ، و سنن الدارمي (ت:٢٥٥ هـ /٨٣٩م) ، وسنن ابن ماجه (ت :٢٧٥هـ / ٨٨٨ م) ، وسنن أبي داود (ت:٢٧٥هـ /٨٨٨م) ، وكتاب بحار الأنوار للمجلسي (ت:١١١١هـ/١٧٥٣م) وغيرها من كتب الحديث الأخرى.

ثانياً: كتب التاريخ العام

تعد كتب التاريخ العام من المصادر الأولية التي لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة التاريخ الإسلامي ، وتحققت الفائدة من مجموعة كتب التاريخ العامة بما قدمته من معلومات في الجانب السياسي عن حقبة الدراسة إذ تضمنت أخباراً عن الخلافة وولاية العهد وبعض أخبار الفتوح والمعارك العسكرية وما يتعلق بالتحالفات السياسية والمناصب المهمة وغير ذلك مما

اتاح الفرصة لمتابعة أخبار النساء وأدوارهن في مجمل تلك الأحداث السياسية البارزة ، فقد قدمت هذه المصادر معلومات مفيدة عن النساء المردفات وأزواجهن وأبنائهن وإن كانت متفرقة ، فقد وردت بشكل عام ، إذ نجد أن هذه المصادر التاريخية لم تفرد المعلومات في المجالات الاجتماعية ، ولكن هذه المعلومات أو الأخبار إن وجدت عند مؤرخ أو أخر ، فإنها توجد بشكل مبعثر ومتباين من حيث الأهمية والغزارة أو الندرة ، وفي ثنايا تلك المؤلفات ، كتاب تاريخ اليعقوبي لليعقوبي(ت:٢٩٢هـ/٩٠٤م) الذي تناول فيه الأحداث التاريخية ذات الصلة والعلاقة بشخصيات الأطروحة ، إذ قدم معلومات وافية عن الجانب السياسي في ايضاح الأدوار التي لعبتها بعض نساء وتأثيرهن في مجريات الأحداث السياسية البارزة .

ويعد كتاب (تاريخ الرسل والملوك) لمؤلفه الطبري (ت :٣١٠هـ/٩٢٢م) من كتب التاريخ الهامة التي لا يمكن الاستغناء عنها في أغلب دراسات التاريخ الإسلامي ، إذ نجد فيه طرقاً متعددة للروايات ، ومما أفاد الباحثة منه على وجه الخصوص ما كتبه عن سيرة الرسول(ﷺ) فذكر الطبري في تاريخه ولاسيما في الجزء الثاني والثالث أخبار زوجات الرسول (ﷺ) ضمن أخبار السيرة النبوية ، خاصة وأن أكثر زوجات النبي(ﷺ) كن من النساء المردفات ، إذ فصل الطبري أسباب زواجه (ﷺ) بأمهات المؤمنين ، كما ذكر علاقته (ﷺ) مع كل واحدة منهن ، فقد أورد الطبري سراريّ رسول الله (ﷺ) ، كما تطرق إلى ذكر الكثير من أخبار زوجات الخلفاء الراشدين وأولادهم ، فضلاً عن المعلومات الدينية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والعلمية التي وجدت بصورة متناثرة ومبعثرة بين طيات السنين التي رتبها الطبري بشكل حولي . ومن الكتب الأخرى المهمة ، كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودي (ت :٣٤٦ هـ / ١٠٥٤ م) ، وكتاب (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم)لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م) ، وكتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير (ت٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م) ، وكذلك كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) وغيرها من الكتب الأخرى.

ثالثاً : كتب الطبقات والتراجم

تعتبر كتب الطبقات والتراجم مرجعاً أساسياً في دراسة واقع حياة المرأة في العصور الإسلامية عموماً ، وقد كانت لكتب الطبقات أهمية كبرى في إمداد الدراسة بمعلومات وافية عن شخصيات الدراسة التي اعتمدت عليها الاطروحة بشكل كبير جدًا ، إذ تعد كتب التراجم في مقدمة المصادر التي اتصفت بالأهمية والفائدة لدراستنا ، ذلك إن كتب التراجم والطبقات بمختلف أنواعها احتوت بعضها على تراجم لبعض النساء المردفات المعنيات بالدراسة ، في الوقت الذي انفردت به بعض كتب التراجم الاخرى بأجزاء خاصة بتراجم النساء وهذا ما سهل من مهمة الوقوف على أخبار المردفات وتشخيص أدوراهن واسهاماتهن في شتى المجالات ، زيادة على احتواء كتب التراجم بصورة عامة على معلومات قيمة عن اخبار النساء المردفات المتناثرة في ثنايا تراجم الرجال ، ومن أبرز كتب الطبقات ، كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (ت :٢٣٠هـ/٩٤١م) ، وبما أن ابن سعد هو تلميذ الواقدي وكاتبه ، فقد عني ابن سعد بالتنظيم بموارده ، إذ زودنا تبعاً لذلك بمعلومات وافية قيمة ، ذات فائدة عن كثير من الرجال والنساء في القرن الأول الهجري ، موضحاً فيه ترجمة الكثير من النساء المشهورات في فترة صدر الإسلام ، ومنهن أزواج رسول الله (ﷺ) وكما هو معلوم إن اكثر زوجات النبي (ﷺ) كن من المردفات ، كما أورد ابن سعد اسماء الكثير من نساء العرب المسلمات المهاجرات ، ومما استفدت منه كثيراً في أخذ تفاصيل حياة النسوة المردفات من حيث ذكر أزواجهن ، إلى جانب مشاركتهن في مبايعة الرسول (ﷺ) ، إذ افرد فصلاً للنساء المبايعات من قريش ومن غير قريش أيضاً، فضلاً عن مشاركة المردفات في المعارك سواء كانت مع النبي محمد(ﷺ) أو مع المسلمين مشاركةً في الفتوحات العربية الإسلامية . ومن المصادر التي قدمت لنا معلومات مفيدة عن موضوع الدراسة تاريخ خليفة بن الخياط (ت: ٢٤٠هـ/٩٥١م) ، وهو الذي وصف كتابه قائلاً : " **قَالَ خَلِيفَة بن خياط هَذَا كتاب التَّارِيخ وبالتاريخ عرف النَّاس أَمر حجهم وصومهم وانقضاء عدد نسائهم** " [١] .

---

[١] تاريخ خليفة ، ص٤٩.

إنّ لكتب التراجم أهمية لا تقل عن أهمية كتب الطبقات ، إذ أمدت الباحثة بمعلومات غزيرة ومفيدة عن النساء المردفات ، فكانت هذه المعلومات ذات فوائد كبيرة ، أمدت الدراسة بمعلومات عن اعلام الرجال والنساء في الحقبة الزمنية لموضوع الدراسة ، إذ قدمت عن الحياة الاجتماعية صوراً متنوعة لم ترد في كتب التاريخ العام ، وتلك المعلومات التي وردت في كتب التراجم أعانت الباحثة على إيضاح الكثير من المعلومات الغامضة ، كما ساهمت في نقد وتحليل أكثر الروايات التاريخية ، ومن أبرز هذه الكتب التي استفدت منها ، كتب التراجم التي تخص الصحابة ، وفي مقدمتها كتاب (الاستيعاب في معرفة الأصحاب)لأبن عبد البر (ت :٤٦٣هـ/١٠٧٠م) الذي رتبه وفق نظام حروف المعجم ، فقد وردت فيه تراجم مفصلة أحياناً عن النساء المردفات ، وأخبار وافية عن البارزات منهم ، ومما أفاد الدراسة كتاب (أسد الغابة في معرفة الصحابة) لأبن الأثير(ت :٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الذي ترجم فيه الشخصيات حسب حروف المعجم أيضاً ، فقد افرد الجزء السابع للنساء الصحابيات والمهاجرات والمجهولات أيضاً إذ أعطى ترجمة واضحة وجيدة عن الكثير من النساء ذات الصلة بالدراسة .

ويعد كتاب (الإصابة في تميز الصحابة) لابن حجر العسقلاني (ت :٨٢١ هـ/١٤١٨م) من الكتب القيمة إذ شهد لابن حجر بسعة العلم والحفظ والذكاء والأمانة والثقة ، فجاء ترتيبه للتراجم وفق نظام الترتيب على حروف المعجم ، فأورد ابن حجر معلومات وافية عن الصحابة ، فيما خصص الجزء الثامن والأخير للنساء والكنى .

ومن كتب التراجم الأخرى ، كتاب (تهذيب الكمال في أسماء الرجال) للمزي (ت :٧٤٢هـ/١٣٤١م) إذ عد أبو الحجاج المزي خاتمة الحفاظ فقد فاق من تقدم ومن تأخر. وكذا (اكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال) لمغلطاي (ت : ٧٦٢هـ/١٣٦٠م) الذي جاء تكملة لكتاب التهذيب السابق ، إذ ترجم فيه لعدد كبير من الشخصيات البارزة والمهمة والتي لعبت أدواراً مهمة في التاريخ الإسلامي ، أما فيما يخص النساء فقد أفرد الجزء الأخير من كتابه للكنى والنساء .

رابعاً : كتب الأنساب

تحققت الفائدة من كتب الأنساب بصورة خاصة ، إذ انتفعت الأطروحة منها بشكل كبير خدم الكثير من شخصيات الدراسة ،فنتيجة لكثرة الأسماء والأنساب المزيفة الواردة في أكثر مصادر التاريخ الإسلامي ، اعتمدنا على كتب الأنساب بصورة خاصة لتحديد أنساب بعض نساء المردفات ، للوقوف على حالات الخلط والتشابه في الأسماء الواردة في هذا الجانب ، فكان لا بد من تأكيد صحة نسب أكثر النساء المردفات أو أزواجهن أو أبنائهن ، مما دفع إلى الكشف عن كثير من حالات التزيف والدس في عدد من حالات الزواج التي نقلتها مصادر التراث الإسلامي ، ومن أهم كتب الأنساب المعتمدة كتاب جمهرة أنساب العرب لابن الكلبي(ت : ٢٠٤هـ/٨١٩م) ، كما تم الانتفاع من كتاب (نسب قريش) لمصعب الزبيري(ت : ٢٣٦هـ/٨٥٠م) ، وهو أحد المصادر المتخصصة في الأنساب والتي اعتمدت عليها الباحثة ، إذ تحدث الزبيري عن الأنساب لبعض شخصيات من بطون قريش مع التركيز على زوجاتهم و أولادهم ، فمن المعلومات التي أفادت الاطروحة ، تعدد الزوجات لبعض رجالات قريش قبل الإسلام ، وكذا ذكر فيه تعدد الأزواج لبعض النساء أمثال هند بنت عتبة ،وضباعة بنت عامر بن قرط، وأم قتال بنت عبد ، وغيرهن . وكذلك بالنسبة لكتاب جمهرة نسب قريش واخبارها للزبير بن بكار (ت : ٢٥٦هـ/٨٦٩م) ، وهو من المصادر المهمة في التحقق من الأنساب والأسماء المختلطة والتداخل في المعلومات .

خامساً : كتب النوادر والتاريخ الاجتماعي

تعد كتب النوادر أو الرسائل من الكتب القيمة التي اغنت هذه الدراسة ، ومن هذه الكتب كتاب المردفات من قريش للمدائني(ت : ٢٢٥هـ/٨٣٩م) بتحقيق عبد السلام محمد هارون ويعد هذا الكتاب من نوادر المخطوطات ، فجاء هذا الكتاب بشكل ست رسائل كانت الرسالة الرابعة (النساء المردفات من قريش) ، فهذه الرسالة النفيسة الطريفة والفريدة في موضوعها ، جاءت بموضوع حيوي اجتماعي تم فيه الكشف عن كثير من غوامض الحياة الاجتماعية في صدر الإسلام الأول ، رواها علي بن محمد بن عبيد الكوفي عن عبد الله بن محمد عن

أحمد بن الحارث عن المدائني الذي يعد أحد رجالات التأليف في العصر العباسي ، وحين ننظر إلى موضوع رسالة المدائني نجد أنه تناول النساء القرشيات اللواتي اردفن زوجاً بعد أخر فلم يكتفين بزوج واحد لظروف متباينة ساقت ذلك اليهن ، لذلك يعد هذا الكتاب وثيقة تاريخية واجتماعية تسلط الضوء على جوانب من الحياة الاجتماعية والزواج والأنساب عند نساء قريش في الصدر الأول من الإسلام ، وكلمة المردفات هي الكلمة تقابل كلمة المتزوجات ، وهي نفسها الكلمة التي تنطبق على موضوع الدراسة.

ومن كتب التاريخ الاجتماعي ، كتاب المحبر لابن حبيب (ت : ٢٤٥هـ/٩٥٦م) ، الذي اعتمدت الدراسة عليه في أخذ المعلومات الهامة والرئيسية ذات الصلة المباشرة بموضوع الدراسة عن النساء المردفات ، فلا يستغني عنه أي باحث يأمل في الوصول الى معلومات جيدة ، إذ أورد الكثير من الأخبار الشخصية للنساء ، فقد أفرد ابن حبيب في المحبر فصلاً ذكر فيه أسماء من تزوجت ثلاثة أزواج فصاعدا ، أي أنه درس النساء المردفات (المثلثات ، و ذوات الأربع أزواج ، والمخمسات... الخ) ، فأغنت معلوماته في هذا الكتاب الموضوع والباحثة بمعلومات قيمة لم يجدها عند غيرة ، ومن المواضيع التي انفرد بها ابن حبيب دون سواه ذكره اسماء النساء الوفيات أو اللواتي لم تتزوج بعد فقد زوجها ، وكذلك ذكر اسماء النسوة الاشراف اللواتي كانت احداهن إذا تزوجت أصبح أمر زواجها بيدها إن شاءت ابقته وأن شاءت تركته ، سواء كان قبل الإسلام أم بعده ، كما تطرق ابن حبيب إلى سنن العرب قبل الإسلام والتي أبقى الإسلام بعضها وأسقط البعض الآخر، ويذكر من هذه السنن وأد البنات ، و الطلاق عند عرب ما قبل الإسلام، ، كما تعرض إلى أمور تخص الدراسة بشكل مباشر منها المحرمات في عصر الجاهلية كنكاح الضيزن أو ما يسمى وراثة النساء والتي كانت أحد أسباب المرأة لعدة أزواج ، وذكر بعض الأسماء في هذا الشأن ، كما نقل لنا كيف كان العرب يجمعون بين الأختين ، فضلاً عن تطرقه إلى أسماء النساء المبايعات لرسول الله (ﷺ) من بني هاشم ومن بقية القبائل العربية من الأنصار وبصورة عامة من نساء المهاجرين والأنصار.

أما كتابه الثاني (المنمق في اخبار قريش) فقد أورد ابن حبيب فيه العديد من المصاهرات التي كانت بين قريش والقبائل العربية ، فضلاً عن ما وجدت فيه من المعلومات الاجتماعية فيما يخص النساء المردفات وأزواجهن وأبنائهن.

ومن كتب المهمة الأخرى كتاب المعارف لابن قتيبة الدينوري (ت : ٢٧٦هـ/٨٨٩م) وهو من الكتب التي تحمل طابع العصر الّذي عاش فيه المؤلف ، وهو الميل نحو التأليف الجامع لمختلف الموضوعات ، ثم الاستطراد في كل موضوع ، والسبب في ذلك يعود بدون أدنى شك في اتساع النقل إلى العربية ، فقد ترجمت الكثير من الكتب في ذلك العصر، والتي لاشك كان لها أثرها في ظهور مناهج جديدة في التأليف ، كان منها هذا المنهج الجامع الّذي انتهجه ابن قتيبة كما انتهجه غيره من مؤلفي عصره ، كالجاحظ (ت : ٢٥٥هـ/٨٦٨م) ، وابن عبد ربه (ت : ٣٢٨هـ/٩٣٩م)، أما ما جاء في كتاب ابن قتيبة الآخر (الإمامة والسياسة) فقد استوجبت رواياته أخذ الحذر والتأني لكشف الخلط والالتباس فيما يخص بعض الزيجات كما في قصة زواج الإمام الحسين (عليه السلام) من أرينب وغيرها من الزيجات الواردة في ثنايا الأطروحة.

سادساً : كتب الأدب واللغة

ومن الكتب التي خدمت الدراسة بشكل دقيق كتب الأدب والشعر والرسائل ، ومنها (كتاب بلاغات النساء) لابن طيفور(ت :٢٨٠هـ/٩٩٠م) الذي يكاد يكون الكتاب الفريد في الموضوع ، فهذا الكتاب إن لم يكن من أقدم الكتب التي تناولت أدب المرأة وبلاغتها ، فهو من أوائل الكتب التي عنيت بهذا الجانب وتعود أهميته كونه يمثل مصدر مهماً من مصادر دراسة أدب المرأة وبلاغتها في الجاهلية وصدر الإسلام ، إذ أورد هذا الكتاب معلومات لا يستهان بها من أخبار النساء ، فألقى الضوء على البعض من نشاطاتها الفكرية والأدبية في عصر الجاهلية وصدر الإسلام ، فتكلم عن طرائق كلام النساء وأخبار ذوات الرأي منهن ونوادرهن ، مع ذكر شيئاً من أشعارهن وخطبهن وما أنمازن به من فصاحة وبلاغة عن

كثير من الرجال ، فلأبن طيفور يعود الفضل في جمع تلك المجموعة القيمة من بلاغات النساء ونوادرهن واشعارهن وغير ذلك مما يتعلق بهن . كما كان لكتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني (ت :٣٥٦هـ/٩٦٦م) أهمية خاصة لكثرة ما ورد فيه من معلومات عن النساء في الجانب الاجتماعي بشكل خاص والسياسي بشكل عام ، فقد أمد الأطروحة بمعلومات توضيحية لأغلب الحوادث التاريخية من خلال استشهاده بالأبيات الشعرية التي أفادت دراستي في معرفة أدوار النساء المردفات ولاسيما في فترة قبل الاسلام كون اعتماد هذه الفترة على الأشعار في نقل الأخبار التاريخية ، ولا يمكن اغفال دور كتاب الأغاني في فترة العصر الإسلامي أيضاً ، فقد وضح الأدوار التي لعبتها النساء من خلال قصائدهن الشعرية التي وردت في الكتاب.

وتحققت الفائدة من المعاجم اللغوية التي رفدت الدراسة بتوضيح بعض المصطلحات اللغوية الغير مفهومة التي وردت في مختلف فصول الأطروحة , ومن أبرزها ، كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٠هـ/٧٨٦م) ، وكتاب مختار الصحاح للرازي (ت:٦٦٦ هـ/١٢٦٧م) ، وكتاب (لسان العرب) لابن منظور(ت : ٧١١هـ/١٣١١م)، وكتاب (تاج العروس) للزبيدي (ت : ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م).

سابعاً : كتب الفتوح والجغرافية التاريخية

ساهمت كتب السير والمغازي والفتوح في كشف النقاب عن الأدوار السياسية والعسكرية لمعظم أخبار النساء المردفات ومشاركتهن الفاعلة في المعارك والفتوحات الإسلامية ، وتمثل ذلك بالمشاركة الفعلية والمباشرة في خوض القتال أم في رفع الروح المعنوية وتشجيع الرجال على القتال ومداواة الجرحى ، ومن هذه الكتب كتب السير والمغازي لابن إسحاق (ت١٥١هـ/ ٧٦٨ م) ، وكتابي المغازي وفتوح الشام للواقدي (ت٢٠٧ هـ /٨٢٢ م) ، وكتاب السيرة النبوية لابن هشام (ت ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) ، ومن كتب الفتوح الأخرى ، كتاب(فتوح البلدان) للبلاذري (٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، وكذلك كتاب (الفتوح) لابن أعثم الكوفي(ت : ٣٢٠هـ/٩٣٢م) ، ولعل كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي(ت:٦٢٦هـ/١٢٢٨م) من

أشهر كتب الجغرافية التي أفادت الدراسة في تعيين الأماكن والمواضع المختلفة التي وردت في ثنايا الأطروحة .

ثامناً: المراجع الحديثة

خدمت المراجع الحديثة الدراسة بالوجه الذي لا يمكن الاستغناء عنه ، ويأتي في مقدمة تلك المراجع ، كتاب (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) لجواد علي الذي يعد موسوعة وافية عن حياة العرب قبل الإسلام ، إذ فصل فيه الباحث جواد علي حياة العرب قبل الإسلام بأدق المعلومات إذ ذكر كل واردة وشاردة عن حياة العرب في عصر قبل الإسلام . وتحققت الفائدة من كتاب (التنشئة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام) للدكتور شاكر مجيد كاظم الذي يعد دراسة موسعة وشاملة عن الحياة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام ، وكذا كتاب كما تم الاستفادة من كتاب الحياة الاجتماعية في صدر الإسلام لمحمد ضيف بطانية الذي تطرق إلى أعداد النساء المردفات في كتب التراجم والطبقات ، كما أشار إلى النساء المثلثات والمخمسات من النساء المردفات .

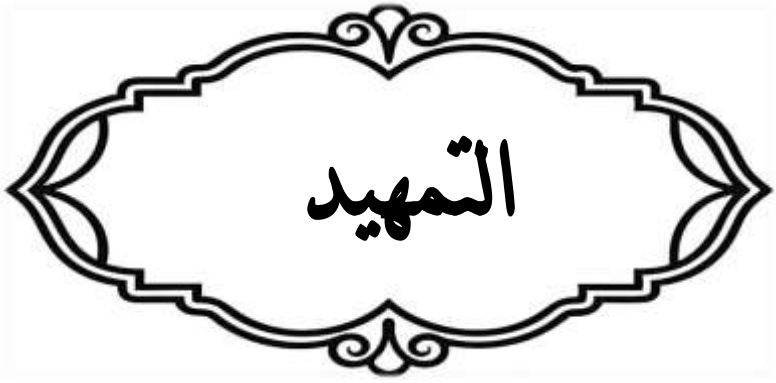
وقد افادت الدراسة أطروحة الدكتوراه (الزواج والطلاق في صدر الإسلام دراسة تاريخية في الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية –الحجاز انموذجًا) للباحث يوسف سلمان جبر الطروانة ، فقد اشارت الأطروحة إلى النساء المردفات ، وفيها فصل الباحث النساء المردفات إلى المثلثات والمخمسات .

واخيرا وليس أخراً فأن هذه الدراسة المتواضعة أردت أن أوضح فيها تأثير ظاهرة النساء المردفات على المجتمع العربي كونها تخص الماضي والحاضر ، وادعو الله العلي القدير أن اكون قد وفقت في اعداد هذه الدراسة ، كما أرجو العذر من أي نقص أو تقصير فالكمال لله وحده ، وعذري في ذلك حسن نيتي ، ذلك لأن المتصفح لكتاب أبصر بمواضع الخلل من تأليفه ،فأن كنت قد وفقت إلى تحقيق تلك الغاية فذلك الفضل من الله تعالى ، ذلك لأن الإنسان كما نقل عن العماد الأصفهاني قوله : " **لا يكتب كتابا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك**

هذا لكان أجمل وهذا من اعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر" [١] ، وفي الختام أسال الله أن يقبل هذا العمل المتواضع بقبول حسن وأن يوفقنا ويوفق الجميع لما فيه الخير والسداد فهو ولي التوفيق.

الباحثة

[١] ابن أبي الدنيا ، الصمت وآداب اللسان ، ص٢٦.


التمهيد

التمهيد

مفهوم المرأة في بنية أفكار الشرائع السابقة للإسلام

أولاً : مكانة المرأة عند اليهود

لقد خلق الله الزوجين الذكر والأنثى في قصة الحياة الانسانية وجعل كل واحد منهما سندًا للآخر، ولم يجعل لأحدهما مكانة دون الآخر، بل شرع العقائد والتعاليم الدينية التي تساوى بين الرجل والمرأة في التكليف بها والجزاء عليها ، إلّا أنّ توزيع الاختصاصات بين الرجل والمرأة اختلفت من دين لآخر انطلاقًا من طابع الذكورة والأنوثة ووفقاً لطبيعة المجتمعات ، مع التطبيق الدقيق والعادل لكلا الطرفين وعلى أن لا تقلل من المكانة الإنسانية لأي منهما [١] . إلّا أنّ تحريف النصوص الدينية بالنسبة للديانات السابقة للإسلام كان له الأثر الفعال في تغير مكانة المرأة التي أنزلها الله بها ، ومثال ذلك تعاليم الديانة اليهودّية ، فالمتتبع للموروثات الدينية اليهودية يجد إنها قد حطت من قدر المرأة وبشكل كبير، فقد حملت الديانة اليهودية المحرفة المرأة غواية آدم (عليه السلام) وإخراجه من الجنة ، واعتبرت المرأة مصدر الخطيئة والاثم ، فقد ورد في التوراة أن حواء هي التي اغوت آدم بأن يأكل من الشجرة ، جاء في سفر التكوين " **أن الحية أغوت حواء بالأكل من الشجرة ، فأخذت من ثمرها واكلت واعطت رجلها أيضاً معها فأكل،...،ثم سأل الرب آدم : هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها، قال آدم: هذه المرأة التي جعلتها معي ، هي التي أعطتني من الشجرة فأكلت منها**" [٢] ، فأصبحت قصة الخطيئة الأولى إرث ثقافي للاستخفاف بالمرأة والتسلط والعدوان عليها بدعوى التضحية لتخليص البشرية من إثم الخطيئة الأولى ، وقد ظلت البشرية تتوارث قصة آدم وحواء كأسطورة تاريخية سُخّرت لتأكيد الإرث الثقافي في الاستخفاف بالمرأة إلى أن جاء القرآن الكريم ورفع الخطيئة عن حواء وحملها الى آدم ، قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ**

---

[١] جمعة ، النظم الاجتماعية والسياسية ، ص١٥.

[٢] الكتاب المقدس ، الاصحاح السادس ، ص٩٨.

عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [١] ، إذ جاء في تفسير الطبري لهذه الآية ، أن آدم قال: " **يا رب ، خطيئتي التي أخطأتها، أشيء كتبته علي قبل أن تخلقني ، أو شيء ابتدعتُهُ من قبل نفسي؟ قال: بلى، شيء كتبته عليك قبل أن أخلقك. قال : فكما كتبته عليّ فاغفره لي. قال: فهو قول الله:﴿ فتلقَّى آدم من ربه كلمات﴾** [٢]، وهذا يثبت إن المسؤولية تقع على آدم(عليه السلام) لأنه نبي وعليه تقع مسؤولية القيادة والتوجيه ، ولو أن حواء أكلت من تلك الشجرة لوجب على آدم أن يمنعها ويرشدها لأنه زوجها، ولأنه نبي سمع خطاب الله له بالمنع فأصبح مكلفاً بذلك، قال تعالى : ﴿ **فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾** [٣] ، ويظهر للعيان أن لا دليل أعظم من قول الله تعالى ، فهو الفصل في بيان الحقائق . كما صنفت المرأة في العهد القديم بأنها مصدر الشر: " **درت انا وقلبي ولأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلاً ولا عرف الشر أنه جهالة ، والحماقة إنها جنون ، فوجدت أمر من الموت المرأة التي هي شباك ، وقلبها اشراك ، ويداها قيود**" [٤]، ويؤكد التناقض الذي احتوته التوراة على أن صدورها كان من بشر يخطئ ويصيب ، فلو أنها صدرت عن الله عز وجل لما وجدنا فيها هذه التناقضات والاشكاليات ، قال تعالى:﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾** [٥].

وحسب شريعة الديانة اليهودية فأن المرأة لا ترث مادام في الأُسرة رجال ، بل هي نفسها كانت تورث ضمن تركة الميراث عند وفاة زوجها ولأخوة المتوفي الحق في الزواج بأرملة أخيه[٦] ، حيث جاء في التوراة ما نصه" **لها بواجب أخي الزوج . والبكر الذي تلده يقوم**

---

[١] سورة طه ، آية١٢٢.

[٢] تفسير الطبري، ج١ /ص٥٤٤.

[٣] سورة طه ، آية ١١٧.

[٤] الكتاب المقدس ، العهد القديم ، سفر الجامعة ، ص٩٨.

[٥] سورة النساء ، آية ،٨٢.

[٦] ويسمى زواج امرأة الأخ (الزواج بالميراث) أو(البيوم)، وهو اذا توفى الزوج ولم يكن قد انجب ولداً وجب على زوجة أخيه أن تتزوج من أحد أخوة زوجها لكي ينجب منها ولداً يحمل اسم الزوج المتوفي ويرثه في تركته، وقد كان هذا النوع من الزواج موجوداً لدى الأمم السامية القديمة . ينظر، ويستر مارك ، تاريخ الزواج ، ص١٧.

باسم أخيه الميت لئلا يمحى اسمها من إسرائيل ، وإن لم يرض الرجل أن يأخذ امرأة أخيه تصعد امرأة أخيه إلى الباب إلى الشيوخ وتقول قد أبى أخو زوجي أن يقيم لأخيه اسما في إسرائيل. لم يشأ أن يقوم لي بواجب أخي الزوج . فيدعوه شيوخ مدينته ويتكلمون معه فإن أصر وقال لا أرضى أن اتخذها ، تتقدم امرأة أخيه إليه أمام أعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق في وجهه وتصرح وتقول هكذا يفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه٠ فيدعى اسمه في إسرائيل بيت مخلوع النعل " [١] ، بمعنى أن الزوج إذا توفى ولم يكن له ولد ، لا يحق لزوجته الزواج من شخص أجنبي ، وإنما يتزوجها أخو زوجها ، لكي يولد له ولد يحمل أسم الزوج المتوفى ، لكي لا يمحو اسمه من اليهودية .

أما في حالة عدم تزوج أحد اخوته منها ، فلها الحق في العودة الى بيت ابيها والزواج مرة أخرى[٢] ، وفي ذلك قال (لوبون) : " **لقد كان لليهود قانون فريد من نوعه ولا نقاش فيه بالنسبة للمرأة ، فكان على المرأة ان تتزوج من أخ زوجها إذا توفى زوجها سواء كان ذلك عن طيب خاطر أو قسراً او كراهية** " [٣] ، بمعنى أن المرأة حسب الموروث اليهودي تعتبر قاصرة وتابعة للرجل في جميع مراحل حياتها فالبنت تتبع ابيها وبعد زواجها تتبع زوجها وبعد ترملها تخضع لوصي من عائلة زوجها وفي كثير من الاحيان كان ابنها الكبير وصي عليها [٤] ، بمعنى إن المرأة حسب الشرائع اليهودية تخضع لنظام الأبوة على نحو ما عرفه قدماء العبريين، إذ يمثل الأب رأس الهرم في الاسرة فهو الشخص الوحيد الذي له الحق في التصرف بأبنته او زوجته او من يعيش بكنفه كيف يشاء [٥] .

---

[١] ينظر، العهد القديم ، باب التثنية ، الفقرات (٥-١٠)، ص ٣١٨.

[٢] ينظر ،العهد القديم ، سفر التكوين ؛الاصحاح ٣٨، ص٦٤؛ سفر راعوث ، الاصحاح الرابع ،٤٢٠.

[٣] اليهود في الحضارات الأولى ، ص٣٧.

[٤] خوري ، المرأة في الكتاب المقدس من حواء الى مريم ، ص٣٩.

[٥] كيال ، المرأة عبر التاريخ ، ص٤٨.

ثانياً: مكانة المرأة عند المسيحية

يمكن القول أن الديانة المسيحية الحقة منحت المرأة الصالحة تقديراً عالياً على اعتبار أن السيدة مريم العذراء والدة السيد المسيح(عليه السلام) مثلت صورة المرأة في المسيحية فكانت مثالاً لطهارة الروح والجسد، كما أن السيد المسيح(عليه السلام) اعطى للمرأة حقوقها الاجتماعية والإنسانية [١] ، فالديانة المسيحية تعتبر حواء جزء من آدم ، وتصور علاقتهما على إنها علاقة عطاء متكامل ، ولم تنكر الديانة المسيحية مختلف حقوق المرأة ، والدليل على ذلك إن الاناجيل المختلفة توضح الدور الذي كانت تقوم به المرأة في الدعوة المسيحية ، حيث كانت النساء الأشجع والأقوى من بين تلاميذ السيد المسيح (عليه السلام) سواء المتزوجات أو غير المتزوجات[٢] ، إلا أن المسيحية المحرفة قد حطت من قيمة المرأة وسلبت منها كافة حقوقها ، حيث اعتبرت المرأة مخلوقاً من الدرجة الثانية ، على اعتبار أنها خلقت من أجله ، كما جاء في رسالة القديس بولس إلى أهل (افاسس) بقوله : " **أيها النساء أخضعن لرجالكن كما للرب ، لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة، وهو مخلص الجسد. ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن في كل شيء**" [٣]، وهذا يعني أن رجال الكنيسة قد أوجبوا على المرأة الخضوع للرجل خضوع الذل لدرجة أنهم حتموا على المرأة أن تخضع للرجل كما تخضع للرب ، فقد غالى رجال الدين المسيحي في إهدار قيمة المرأة وامتهان كرامتها، إذ صورت الشريعة المسيحية المحرفة المرأة بصورة مشوهة عن حقيقتها التي خلقها الله تعالى ، جاء في رسالة القديس بولس إلى تيموثاوس ما نصه " **ولكن لست آذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل بل تكون في سكوت . لأن آدم جبل أولا ثم حواء . وآدم لم يغو لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي . ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إن**

---

[١] عثمان ، المرأة العربية عبر التاريخ ، ص٣٩ ؛ كيال ، المرأة عبر التاريخ ، ص٤٩.

[٢] فهمي ، المشاركة الاجتماعية والسياسية للمرأة ، ص٣٢.

[٣] الكتاب المقدس ،العهد الجديد ، الاصحاح الخامس ، الفقرة (٢٣-٢٥)،ص٣١٢.

ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل" [١] ، بمعنى أن رجال المسيحية حاولوا تجميد عقل المرأة وذلك بحرمانها من العلم والتعلم ، لكي تصبح أداة مسيرة يحيط بها الضلال والتخلف ، واعتبر رجال الكنيسة المرأة أصل الشرّ يجب لعنها بسبب الغواية ، وذهبوا لأكثر من ذلك بأن جعلوا جسمها من عمل الشيطان ، وزعموا أن الشيطان مولع بالظهور على صورة أنثى ، إذ وصفت المرأة بأنها " **باب الشيطان ، وسلاح ابليس للفتنة والغواية ، وإن جسمها من عمل الشيطان ، وان الشيطان مولع بالظهور في شكل انثى**" [٢] ، ولم يكتف رجال الكنيسة بما اطلقوه حول المرأة من شائعات ومساوئ ، بل أخذوا يحثون اتباعهم على العزوبية وعدم الزواج زاعمين بذلك ارضاءً الرب ، اعتقاداً منهم أن ذلك أقرب للتقوى من ارتباط الرجل بهذه الخطيئة ، لأن بقاء الرجل دون زواج يعني الابتعاد عن الشيطان ، لأنّهم قرنوا صورة المرأة بالشيطان فقبحوا الأنسان بالزواج الذي أحله الله لبني البشر لديمونة النسل [٣].

وجاءت قوانين المسيحية في الطلاق صارمة جداً ، ذلك لأنها شبهت الطلاق بالزنا ، كما جاء في إنجيل (مرقس) : " **فقال لهم من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها . وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني**" [٤]، وهذا يدل على أن الشريعة المسيحة المحرفة نقصت من شأن المرأة وسلبت كرامتها في الأسرة ، وهذا ما سيؤثر سلبًا على قوة الرابط الأسري ، على اعتبار أن طلاق المرأة في الشريعة المسيحية قد شبه بالزنا ، وفي المقابل نجد أنّ الشريعة المسيحية قد غضت النظر عن مسألة الزنا ، كما ورد في إنجيل متي" **ثم حضر أيضا إلى الهيكل في الصبح وجاء إليه جميع الشعب فجلس يعلمهم. وقدم إليه الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت في زنا . ولما أقاموها في الوسط قالوا له يا معلم هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل . وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم**

---

[١] الكتاب المقدس ، العهد الجديد ،الاصحاح الخامس ، الفقرة (١٣-١٥)، ص٣٣٨.

[٢] شومان ، المرأة منذ العصر الحجري ، ص٢٢.

[٣] الزركاني ، الأسرة المسلمة ، ص٦٦.

[٤] الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، إنجيل مرقس ، الإصحاح العاشر ، الفقرة (١٢-١٣)، ص٧٤.

. فماذا تقول أنت . قالوا هذا ليجربوه لكي يكون لهم ما يشتكون به عليه .وأما يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب بأصبعه على الأرض . ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر. ثم انحنى أيضا إلى أسفل وكان يكتب على الأرض. وأما هم فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تبكتهم خرجوا واحدا فواحدا مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين . وبقي يسوع وحده والمرأة واقفة في الوسط . فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحدا سوى المرأة قال لها يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليك . أما دانك أحد . فقالت لا أحد يا سيد. فقال لها يسوع ولا أنا أدينك. اذهبي ولا تخطئي أيضا" [١] ، وهنا ينبغي القول أن رجال المسيحية أحلوا وحرموا بما يوافق اهواءهم وميولهم، فقد تعاطفوا مع العاهرات ، فأقاموا لهن الملاجئ ، ووزعوا على الفقيرات منهن الصدقات التي كانت تتلقاها الكنيسة من العاشقات التائبات [٢]، وهنا لابد من القول أن رجال المسيحية لم يفهموا روح التعاليم التي جاء بها السيد المسيح (عليه السلام) بالشكل الصحيح ، ومنها المتعلقة بالمرأة ، فقد لجأوا الى تقديم الأفكار والرؤى اليهودية، ولكن بثوب المسيحية ، وإلا فكيف يعقل من نبي أو رسول جاء بشريعة سماوية ذم فيها المرأة ، وبخاصة السيد المسيح الذي ولد بدون أب ، فأمه التي أنجبته وتكفلت تربيته ورعايته ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى:﴿ **وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا**﴾ [٣] .

ثالثاً : أثر نظام الزواج على المرأة عند العرب قبل الإسلام

يعرف الزواج بأنه علاقة رابطة بين ذكر وانثى ، يتعاونان اجتماعياً من أجل أن تثمر علاقتهما عن إنجاب واحد أو أكثر من الأبناء ، وتتصف بمسكن مشترك واقتصاد وإنتاج مشترك [٤] ، قد تطول او تقصر وغالباً ما تدوم اطول عند عملية الانجاب وبعد ولادة النسل

---

[١] الكتاب المقدس ، العهد الجديد ،، الاصحاح الثامن ، الفقرة (٣-١١)، ص١٦١.

[٢] ول ديورات ، قصة الحضارة ، ج١٦، ص١٧٩-١٨١.

[٣] سورة مريم ، آية ٣٢.

[٤] الهاشمي ، نظام العائلة البابلي في العهد البابلي القديم، ص٣٠.

، فهي بذلك علاقة تشكل وحدة اجتماعية واضحة المعاني[١] ، فالزواج مؤسسة أقرت اجتماعيًا بين شخصين ينتميان إلى جنسين مختلفين ، وتكاد تكون العلاقة الثابتة التي تعترف بها مختلف الثقافات ، طالما أنه يستبعد العلاقات التي لا يقرها الدين ، أو العرف ، أو القانون ، بمعنى إن الزواج هو المؤسسة الاجتماعية التي تعترف بها الشرائع والعادات والتقاليد بمختلف أنواعها ، أو هو أحد المعايير الاجتماعية التي تحدد العلاقة بين رجل وامرأة ، يفرض بموجبه الالتزامات والحقوق والواجبات المتبادلة لأطراف العلاقة من جهة ، والأبناء الذين تنجبهم المرأة من جهة أخرى ، من أجل ديمومة حياة الأسرة وضمان إدائها لمهامها في المجتمع [٢]. ويرجع تاريخ نشوء العائلة وتطورها عبر التاريخ إلى ثلاثة أشكال ، هي تعدد الزوجات ، وتعدد الأزواج ، والعائلة الواحدة أي نظام أشتراك رجل واحد مع امرأة واحدة الذي اعتبر أساس قيام العائلة [٣] ، لذلك قيل إن الزواج كان منذ بداية العمران وقتياً وغير مقيد بمعنى ان المرأة لم تكن تختلط مع الرجل برباط شرعي متين ، بل كانت المرأة تختلط بزيد وعمر من القبيلة نفسها مما ينتج عن هذا الاختلاط الزواج المشترك[٤].

ومن القائلين بزواج الاشتراك، وشيوعه في الجماعات البدائية القديمة،(باخوفن ، ما كلنان، مورجان ، لبوك ، كوهار، بوست ، ولكن ، ربرتسن سمث)، وفي رأيهم أنّ الأُسرة في طور تكوينها قد مَّرتْ بمرحلة زواج المشاركة ثُمّ ارتقت إلى نظامي تعدّد الزوجات ، أو زواج الواحدة [٥]. ويرى (وستر مارك) : " **إن زواج الانسان البدائي كان ذا صبغة مختلفة فنحن مازلنا نجد زواج الواحدة هو النوع العادي من الزواج حتى في احط انواع الجمعيات**

---

[١] (ROBERTSON SMITH KINSHIP AND MARRAGE IN EARLY ARABIA p١٦٦) ؛ ويستر مارك ،موسوعة تاريخ الزواج، ص٦٨-٦٩.

[٢] وستر مارك ، موسوعة تاريخ الزواج ، ص٦٩ ؛ ترمانيني ، الزواج ، ص٢٥ ؛ كيال ، المرأة عبر التاريخ ، ص١١.

[٣] الهاشمي ، نظام العائلة في العهد البابلي القديم ، ص٣٣-٣٤.

[٤] ومن التسميات التي اطلقت على زواج المشاركة (زواج المشاركة الأخوي) اي نظام تعدد الأزواج وهو أن يشترك عدة إخوة في الزواج من امرأة واحدة ،ومن التسميات الاخرى (زواج المشاركة غيرا لأخوي)، وهو أن تقترن امرأة واحدة بعدد من الرجال. للمزيد ينظر ،جمعة ، النظم السياسية والاجتماعية ، ص١٦-١٧.

[٥] جمعة ، الحياة الاجتماعية والسياسية ، ص١٧.

البشرية " [١] . وقد اجمع علماء الاجتماع المحدثون على أن نظام زواج المشاركة أو تعدد الأزواج لا يمثل بأي حال مرحلة اجتماعية عامة مرت على الإنسان في مراحل تطوره ، بل يمكن عده ظاهرة معينة وصورة خاصة من صور المجتمع التي تظهر تحت ظروف خاصة وبين اعداد قليلة من الجماعات البشرية [٢].

ويعتقد (مايكل مان) إن نظام الأُمومة نشأ عن ظاهرة تعدد الأزواج التي كانت في بادئ الأمر ظاهرة غير مقيدة [٣] ، ذلك إن أصل النظام الأُمومي هو عدم معرفة أصل الولد ، وذلك نتج عن عدم تمسك الهيئة الاجتماعية القديمة قبل معرفتها للزواج الشرعي[٤] ، ووفقاً لذلك المعتقد فأن نظام الأُمومة كان سائداً عند سائر الأمم قبل ظهور نظام الزواج الفردي ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هل عرف العرب نظام الأَمومة ؟ وهل أن زواج الاشتراك كان معروفاً عند العرب ؟ ويقصد بنظام الأَمومة ، هو أحد تلك الأنواع التي مرت عبر التاريخ من يوم ظهرت العائلة بمعناها الحالي ، ويقصد بها القرابة من طرف الأم ، بمعنى إن الولد ينسب إلى أُمه[٥] ، وفي الغالب في المجتمعات التي تأثرت بالمرأة فسادت الأم فيها ولم تتسلط [٦].

وقد سادت أسرة الأُمومة في مجتمع الجاهلية قبل ظهور أُسرة الأبوة ، حيث كانت المرأة محور الحياة الاجتماعية ، فكان اليها ينتسب الأولاد ، والدليل على ذلك مسميات بعض القبائل العربية ، بأسماء لأمهات دون الآباء ، ومن أمثال ذلك بنو خندف وبنو باهلة ، ولكن بعد تطور نظام الأسرة ساد نظام الأبوة وصار الأب رَبّ الأُسرة [٧] . ولا ريب أن نقول : إن

---

[١] جمعة ، النظم الاجتماعية والسياسية ، ص١٥.

[٢] جمعة ، النظم الاجتماعية والسياسية ، ص١٥.

[٣] ويلكن ، الأمومة عند العرب ، ص١٤.

[٤] ويلكن، الأمومة عند العرب ، ص١٤.

[٥] العلان ، المرأة قبل الإسلام المرأة بعده ، ص٧٣-٧٤.

[٦] وليكن ، الامومة عند العرب ، ص١١.

[٧] الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي، ص١٩٠؛ برو، تاريخ العرب القديم ، ص٢٩٦.

نظام الأُمومة كان سائداً حينما كان زواج الاشتراك شائعاً وموجوداً عند سائر الأمم ، وعليه فلابد من تقصي آثار العرب في الجاهلية لنرى هل أنّ زواج الاشتراك كان معروفاً عند العرب أم لا ؟ وقد أصطلح علماء الاجتماع على تسمية نظام زواج المشاركة بعدة أسماء منها :

أولاً : زواج المشاركة الأخوي أو نظام تعدد الأزواج التبني وهو أن يشترك عدة أخوة في الزواج من امرأة واحدة ويسمّى باسم (fraternl polyandry).

ثانياً : زواج المشاركة الغير الأخوي وهو أن تقترن المرأة الواحدة بعدد مختلف من الرجال ويسمى(nai polyandry)[١] ، ومن أوائل القائلين بشيوع بنظام زواج المشاركة في الجماعات البدائية القديمة (باخوفن ، ماك لنان ، ليوك ، مورجان ، كوهار ، بوست ، ولكن) ، أما (سمث) فيعد من أشد المؤكدين على وجود نظام زواج المشاركة عند العرب والأُمم السامية ، حيث أكد سمث بشكل كبير إنّ زواج المشاركة كان سائد عند العرب , وأنّه القاعدة الأساس التي نتج عنها الانتساب إلى الأُم ، وعند البحث عن انظمة الزواج عند العرب يتضح لنا أنه لا علاقة بين نظام زواج المشاركة وبين نظام الأمومة ، وفي الصدد نفسه وضح وستر مارك إن القول: " **بان نظام الأُمومة وحده هو النظام الذي كان شائعاً عند العرب القدماء إنما هو محض حدس وتخمين**" [٢] ، إلا أنه لا نستطيع أن ننكر إن زواج المشاركة والانتساب إلى الأم كان غير سائد بشكل عام بين الأمم السامية وقدماء العرب، وهذا ما أكده (سمث) ، ومن الأدلة التي استدل بها سمث على أن نظام زواج المشاركة كان سائداً عند العرب وسائر الساميين.

١-ماذكره السائح اليوناني (سترابون) في معجمه الجغرافيّ من أن العرب عرفوا نظام زواج المشاركة حيث نقل عن أمر الزواج عند العرب ما نصه : " **لجميع ذوي القربى أرض واحدة**

---

[١] جمعة ، النظم الاجتماعية والسياسية، ص١٦-١٧.

[٢] جمعة ، النظم الاجتماعية والسياسية ،ص١٦-١٧ ؛ وستر مارك ، موسوعة تاريخ الزواج ، ص.٩٩

مشتركة واكبرهم هو رئيسهم وهم جميعاً يشتركون في زوجة واحدة والذي يأتي أولاً يخلو بها أولاً فإذا دخل اليها ترك عصاه بالباب فمن عادتهم أن يحمل كل امرئ منهم عصا أما الليل فتقضيه مع الأكبر ومن ثم فكلهم أخ للآخر وهم يأتون أمهاتهم والزناة يعاقبون بالقتل وهم الذين يتزوجون من غير قبيلتهم " [١] ، وقد اقتبس الكثير من الباحثين هذا النص كثيراً للدلالة على وجود هذا النوع من نظام زواج ودليلهم أنهم وجدوا على النقوش اليمنية ما يدلل على شيوع نظام زواج المشاركة بين السبأيين[٢] ، ونحن لا نوافق سترابو الرأي في فرض عموم زواج المشاركة عند عرب الجنوب فهو قول مردود لا تؤيده النصوص التاريخية ، كما إن معرفة (سترابو) بأحوال العرب علمًا ناقصاً ذلك لأنه مؤرخ حملة عسكرية (حملة اليوس جاليو)[٣] ، ومن المؤكَّد أنّه قوبل بمقاومة شديدة من العرب ، بالإضافة إلى أن حملته فشلت ولم تدم المدة الكافية للاطلاع على أحوال العرب الاجتماعية بصورة دقيقة [٤] ، كما أن سترابو جمع معلوماته من قصص التجار والمغامرين في جزيرة العرب ومن ثم اكمل عليه ممن سبقه من كتاب الإغريق ليدمجه في كتابه الجغرافّي[٥].

٢-نظام المؤاخاة والمشاركة والجوار، وقد كان هذا النظام كان شائعاً في الحياة الساميّة منذ أقدم العصور، إذ أصبح كُلّ عضو في هذا النظام أخاً لُكل عضو آخر فيه وإن لم يكن يمت له بصلة قرابة ، وقد استمر نظام المشاركة الى ما بعد ظهور الإسلام ، وقد كان دليل (سمث) هو ما أورده البخاري عن نظام المؤاخاة الذي اقامه رسول الله (ﷺ) بين المهاجرين

---

[١] (ROBERTSON SMITH KINSHIP AND MARRAGE IN EARLY ARABIA(P١٤ ؛ وليكن الأمومة عند العرب، ص١٥.

[٢] جمعة ، النظم الاجتماعية والسياسية ، ص٢٢.

[٣] وهي الحملة الرومانية التي قادها اليوس جاليوس بأمر من الامبراطور البيزنطي في عام ٢٤ق. م ، وتكاد تكون المعلومات عن هذه الحملة معدمة سوى ما ذكره سترابو ، فقد كان مشاركاً وصديقاً لقائد الحملة . ينظر، الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي، ص٩٤.

[٤] الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص٩٤.

[٥] جمعة ، النظم الاجتماعية والسياسية ، ص٣٠.

والانصار، إذ استشهد بقصة مؤاخاة الرسول (ﷺ) بين سعد بن الربيع [١] وعبد الرحمن بن عوف الذي قاسمه أمواله وكذلك اعطاه أحدى زوجاته ، فكان ذلك دليل سمث القاطع على وجود زواج المشاركة الأخوي[٢] ، وعند البحث عن تلك الحادثة نجد أن سعد عرض على عبد الرحمن أن يطلق أحدى زوجاته وبعد انقضاء عدتها يمكن لعبد الرحمن أن يتزوجها ، لكن عبد الرحمن رفض ذلك، وقال له : " **بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني عَلَى السوق** "، فأتجه إلى السوق وعمل بالتجارة حتى رزقه الله المال ، ثم تزوج امرأة من الأنصار تدعى (أم إياس بنت أبي الحيسر) [٣] [٤].

٣-والدليل الثالث الذي اعتمده (سمث) هو ما رواه البخاري في حديث عائشة[٥] زوج الرسول (ﷺ) عن زواج العرب في الجاهلية ، حيث ذكرت: " **إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء ، فنكاح منها نكاح الناس اليوم...**" [٦]. ومن هذه الانكحة نوعان نستطيع أنّ نعتبرهما من بقية زواج المشاركة أو نظام تعدد الأزواج الذي كان يُمارس عند بعض القبائل البدائية كنكاح الرهط ، ونكاح الاستبضاع [٧]. وعند الرجوع إلى الزواج عند العرب نرى إنّ العرب لم تول الزواج الشرعي الأهمية ، ذلك إن الزواج عند العرب كان من بقايا دين إبراهيم

---

[١] سعد بن الربيع بن عمرو بن مالك بن امرؤ القيس ، من بني الحارث الخزرجي ، كان كاتبًا في الجاهلية ، شهد بيعة العقبة الأولى والثانية ، وهو أحد النقباء الاثني عشر من الأنصار، وعند هجرة المسلمين إلى المدينة أخى رسول الله (ﷺ) بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ، شهد معركة بدر وقتل في أحد . ينظر ، ابن هشام ، سيرة ابن هشام ،ج١/ص ٤٥٨؛ ابن سعد ، طبقات ابن سعد،ج٣/ص٤٩٥؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ،ج٢/ص٨٤٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة،ج١/ص ٤٦٧؛ ابن حجر ،الإصابة ،ج٣/ص٤٩.

[٢] ROBERTSON SMITH KINSHIP AND MARRAGE IN EARLY ARABIA P١٦٦.

[٣] أم إياس بنت أبي الحيسر ، والحيسر هو أنس بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، الأوسي ، أمّها أم شريك بنت خالد بن خنيس ،كانت أم أياس زوجة لأبا سعد بن طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار بن قصي (ﷺ) . للمزيد ينظر، ابن سعد،الطبقات،ج٨/ص٢٤٣؛ابن حجر ،الإصابة،ج٤/ص٣٥٨.

[٤] البخاري ،صحيح البخاري،ج٣/ص٥٢؛ ابن سعد ، طبقات ابن سعد،ج٣/ص٩٣ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة،ج٢/ص٤٣٢؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب،ص١٣١؛ ابن حجر ، الإصابة ،ج٨/ص٣٥٨؛ الذهبي ، سير ،ج١/ص٥٩٠.

[٥] أشارت بعض المصادر التاريخية ، إن أبي بكر أعطى وعدًا لمطعم ب بن عدي ،بتزويج ابنته عائشة لأبنه جبير، ولكن عندما تقدم رسول الله (ﷺ) لخطبتها طلب أبو بكر مهلة لإنهاء ذلك الارتباط ،الذي انتهى بالانفصال ،ثم تزوجها رسول الله (ﷺ) .ينظر، ابن سعد ،الطبقات ،ج١/ص٥٨؛ الطبراني،المعجم الكبير،ج٢٣/ص٢٦؛ ابن عبد البر ،الاستيعاب ،ج٤/ص١٨٨١؛ابن الجوزي ،المنتظم،ج٥/ص٣٠٢؛

[٦] البخاري ، صحيح البخاري ،ج٧/ص١٥.

[٧] جمعة، النظم الاجتماعية والسياسية، ص٢٢.

(عليه السلام) ، ولكن لم يستمر على دين الحنيفية ، حيث انحرف في بعضه عنها [١] ، وهذا ما أكده الباحث جواد علي بقوله : " **ويظهر من دراسة كل ما ورد في كتب أهل الأخبار وفي كتب التفسير والحديث عن الزواج والطلاق عند الجاهليين أن أهل الجاهلية لم يكونوا يسيرون على سنّة واحدة في عرف الزواج والطلاق، ولكن كانوا يسيرون على أعراف مختلفة اختلفت باختلاف الأماكن وباختلاف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية واتصالها بالخارج . وقد وردت إلينا مسميات بعض تلك الأنواع ، كالخدن ، والمتعة ، والبدل ، والشغار، والبعولة ، وزواج ذوات الرايات وغير ذلك مما ورد وصفه وشرحه ، ولكنه لم ينعت باسم معين. وأنواع الزواج هذه ، ليست خاصة بالجاهليين ، وإنما هي معروفة عند غيرهم أيضًا، ولا سيما عند الشعوب السامية، وهي مراحل مر بها جميع البشر**" [٢]، فقد تعددت انكحة العرب بين زواج بعولة ، واستبضاع ، ورهط ، وبدل ، وشغار وغيره...، وقد أقر الدين الإسلامي (زواج البعولة) وسماه بالزواج الشرعي والغى ما عداه من انكحة قبل البعثة والتي عدها من الفواحش وحرمها على الأمة الإسلامية [٣]، فجاء في حديث السيدة عائشة زوج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن انواع الزواج عند العرب ما نصه : " **أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء : فنكاح منها نكاح الناس اليوم : يخطب الرجل الى الرجل وليته او ابنته ، فيصدقها ثم ينكحها ، ونكاح آخر : كان الرجل يقول لأمرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي الى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها ولا يمسها ابدا ، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع . ونكاح آخر، يجتمع الرهط ما دون العشرة ، فيدخلون على المرأة ، كلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعت ، مر عليها ليال بعد ان تضع حملها ، أرسلت اليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع ، حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمي**

---

[١] ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث ، ص ١٧٦؛ بطانية ، الحياة الاجتماعية في صدر الاسلام ، ص٩.

[٢] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج٨ /ص٢٨٠.

[٣] عبد المعطي ، الزواج عند العرب ، ص١٦.

من أحبت باسمه فيلحق باسمه ولدها ، لا يستطيع ان يمتنع به الرجل ، ونكاح الرابع : يجتمع الناس الكثير ، فيدخلون على المرأة ، لا تمتنع ممن جاءها ، وهن البغايا ، وهن البغايا ، كن ينصبن على ابوابهن رايات تكون علماً ، فمن أرادهن دخل عليهن ، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ، ودعوا لهم القافة ، ثم الحقوا ولدها بالذي يرون ، ودعي ابنه ، لا يمتنع من ذلك فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق ، هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم " [١] ، وقد أجمل حديث السيدة عائشة أربعة انواع من الزواج عند العرب وهي كالاتي :

١-نكاح البعولة [٢] : وقد كان هذا النوع من الزواج موجوداً عند العرب قبل بعثة الرسول (ﷺ) بدليل قول عائشة (نكاح الناس اليوم) [٣]، وقد أقره الدين الإسلامي فأصبح الزواج الشرعي للمسلمين وهو ان يخطب الرجل الى الرجل وليه أو أبنته فيصدقها ثم ينكحها، بمعنى انه ينشأ على أساس الخطبة والمهر والعقد بالإيجاب أو القبول [٤] .

١-نكاح الاستبضاع : أحد أنواع الانكحة التي عرفها العرب قبل الإسلام وعلى أساسه كان الرجل يقول لأمرأته أذهبي فاستبضعي من فلان كأن يكون سيدًا في قومه أو أكابرهم في الشجاعة والكرم وغيرها ، وكان العرب يفعلون ذلك رغبة منهم في نجابة الولد أي أن يكون الولد مشابهاً للرجل الذي استبضع منه [٥] ، الجدير بالذكر أن هذا النوع من الزواج عند العرب لم يكن يمارسه كل العرب ، بل كان يمارس من قبل قليل المروءة ، وكانت المرأة تفعل ذلك على غير رغبة منها بل كان ذلك على الأغلب بأمر من زوجها حرصًا منه على نجابة الولد ، ذلك إن الولد ضمن هذا النوع من الزواج ينسب إلى الزوج

---

[١] البخاري، صحيح البخاري ، ج٧/ ص١٥؛ ابي داود ، سنن ابي داود ، ج٢/ ص٢٨١.

[٢] البعل ، بعول ، بعولة ، والجمع بعال ، وتعني الزوج ، وسمي زوج المرأة بعلاً لأنه سيدها ومالكها قال تعالى:﴿ **وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ**﴾، سورة البقرة، آية ٢٢٨؛ ابن منظور، لسان العرب ج١١/ص٥٨.

[٣] البخاري ، صحيح البخاري ،ج٧/ص١٥.

[٤] الترمانيني ، الزواج ، ص٤٩.

[٥] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج٩/ ص١٣٨ ؛ محمود ، العرب قبل الاسلام، ص٢٧٩.

الشرعي لا إلى الرجل الذي من صلبه ، ومن المرجح أنّ تعود جذور هذا النوع من الزواج إلى زواج المشاركة الأخوي الذي كان منتشراً عند قدماء العرب عندما كان اعضاء العشيرة يعتبرون أنفسهم إخوة بغض النظر عن رابطة تلك العلاقة سواء أكانت بالدم أم بالحلف والجوار[١].

٢-نكاح الرهط [٢] : وهو أن يجتمع ما دون العشرة رجال على امرأة واحدة فإذا حملت قامت باستدعائهم ، وعند ولادتها تنسب المولود لمن تشاء منهم ودون أن يمتنع عن إلحاقه بنسبه ، وكان المولود يسمى (المقسمة) وقيل إن المرأة كانت تفعل ذلك في حال كان المولود ذكر ، ولا تفعل ذلك في حال كان المولود أنثى ، وذلك لكراهية العرب للأنثى ، وقد حرم الإسلام هذا النوع من الزواج ، وذلك لأنّه يتسبب في ضياع نسب المولود مما يسبب الإحراجات الاجتماعية المتعلقة بالنسب ، إلى جانب حدوث مشاكل تتعلق بالميراث ، ويضاف إلى ذلك وقوع المرأة ضحيةً للعرف الاجتماعي[٣] ، ويبدو أنّ العامل الاقتصادي كان السبب الرئيسي في لجوء العرب لمثل هكذا نوع من الزواج ، ومن المحتمل جداً أنّ هذا الزواج قد نشأ عند بعض القبائل التي كانت تمارس عادة وأد البنات [٤] ، بسبب قلة أعداد الإناث مقابل أعداد الذكور، ومما يدلل على ذلك هو أن الرجل إذا ما أصبح ميسور الحال قام بشراء زوجة وأستقل بها من دون الآخرين[٥].

---

[١] جمعة ، النظم الاجتماعية والسياسية ، ص٢٤.

[٢] الرهط ، ما دون العشرة من الرجال، كما جاء في قوله تعالى :﴿ **وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ** ﴾ .سورة النمل، آية٤٨؛ فخر الدين الطريحي ، معجم مجمع البحرين ، ص٥٣٧ ؛ الأصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، ص٣٦٧.

[٣] محمود ، العرب قبل الإسلام، ص٢٧٩-٢٨٠.

[٤] الوأد ، وتعني لغةً الثقل ، وتطلق هذه الكلمة على البنت التي تدفن وهي حية ، لأنها كانت تثقل بالتراب ، أما لفظة الوأد ، اصطلاحاً فتعني قتل المولود ذكر أم أنثى ، سواء قُتل بالدفن أو بإحدى الوسائل التي كان يستخدمها العرب في الجاهلية . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣/ ص٧٥ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٩ / ص ٢٤٦.

[٥] ترمانيني ، الزواج ، ص٢٢.

٣-نكاح صاحبات الرايات : وهذا النوع من النكاح كان قائماً على أساس الدخول الى المرأة ، حيث كانت لا تمتنع ممن جاءها ، وهن البغايا اللواتي كن ينصبن على أبوابهن رايات حمراء تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن ، وتفاوض معهن على أجورهن ، وكان لبعضهن راية منصوبة في أسواق العرب [١] ، ولهن نسل كثير معروف ، ذلك لأنه كانت إذا ما حملت أحداهن ووضعت ، اجتمعوا من أجل إلحاق المولود بنسب أحدهم يحدده لهم القافة [٢] ، وقد حرم الدين الإسلامي هذا النوع من الزواج وعده أحد أنواع الزنا [٣].

٤-ومن الأدلة التي أستشهد بها (سمث) على نظام الأمومة عند العرب ، إشارة القرآن الكريم إلى الزواج بالميراث الذي كان شائعاً بشكل كبير جداً عند العرب قبل ظهور الدعوة الإسلامية في الحجاز، لقوله تعالى :﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [٤] ذلك أنّ العرب كانوا يُكرهون نساءهم على الزواج بالميراث من زوجة الأخ أو زوجة الأب [٥]، إذ كانت تعتبر المرأة جزء من تركة الرجل المتوفى ، وكان يسمى هذا النوع من الزواج بنكاح (الضيزن)[٦]، أو(نكاح المقت) ، وقد سمي بنكاح المقت لأن العرب كانت تمقته إذ كان العرب في جاهليتهم يتزوجون نساء آبائهم ، فكانت المرأة إذا توفى زوجها وكان له ولد كان على أحد الأبناء أن يتزوجها ، ولاسيما الأبن الأكبر أذ كانوا يرون أنّ أكبرهم أحق من غيره في الزواج من

---

[١] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج٩/ص١٣٩.

[٢] القافة ، جمع قائف ، وهو الشخص الذي يعرف الآثار، والذي كان يشتهر عند العرب بفراسته في معرفة النسب ،أو الشبه بين الولد والمولد من خلال معرفته بالآثار الخفية. ينظر، ابن منظور، لسان العرب ، ج٩، ص٢٩٣.

[٣] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج٩/ ص١٣٩.

[٤] سورة النساء ،آية ٢٢.

[٥] الطبري ،تفسير الطبري، ج٨/ص١٣٢.

[٦] الضيزن ، الشريك في المرأة ، وهو الذي يزاحم أبيه في أمرأته ، أو الذي يتزوج زوجة أبيه إذا طلقها أو مات عنها ، وقد اطلقت تسمية الضيزن على الرجل الذي يُخلف أو يتزوج أرملة أبيه. ينظر ، ابن منظور ، لسان العرب ،ج١٣/ ص ٢٥٤؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٣٥/ ص٣٢٨ ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج١٠/ ص ٢٠١.

زوجة أبيه ، وقد كان عليه أنّ يطرح ثوبه عليها إن كانت له رغبة في الزواج منها [١]، أما في حال لم تكن لديه رغبة في ذلك يحق لأحد أخوته أنّ يتزوج منها [٢]، والأدهى من ذلك كان يحق لهم أنّ يعضلوها [٣] أي يمنعوها من الزواج إلى يوم وفاتها [٤] ، ويعد نكاح الضيزن أبشع ما كان يفعله العرب ، وفي ذلك قال ابن حبيب : " **وكانت العرب تزوج نساء آبائها، وهو أشنع ما كانوا يفعلون**" [٥]، ويرى الباحث محمود عرفة ، أنّ زواج المقت كان من أنواع الزواج غير الشائع عند العرب ، بدليل تسميته بزواج المقت لأنه كان ممقوتاً عند الأغلبية [٦].

٥-ومن مظاهر نظام الأُمومة عند العرب التي نادى بها (سمث) هو معرفة العرب للعبادة الطوطمية [٧] ، حيث يرى أنّ العرب في عصر قديم كانوا ينتسبون إلى الحيوان أو النبات التي كانوا يعبدونها ، وكان من نظم الطوطمية أن يتبع الولد طوطم أمه لا طوطم أبيه على طريقة نظام الزواج عند القبائل الطوطمية المتوحشة في أمريكا وأستراليا وأفريقيا [٨] ، إلا أن توارث الطوطم كان يجري من طرف الأم أو من طرف الأب ، أذ

---

[١] الجدير بالذكر إن عادة طرح الثوب على أرملة المتوفى كانت عادة سامية ، وقد وردت في كتاب التوراة(العهد القديم). ينظر، الكتاب المقدس، العهد القديم، الإصحاح ٣٨/ رقم١٥.

[٢] ابن حبيب ، المحبر، أ٣٢٥-٣٢٦.

[٣] العضل ، ويعني المنع ، عضل الرجل ايمه منعها من الزواج . الفراهيدي، العين ،ج١/ص٢٧٨ ؛ الجوهري ، الصحاح،ج٥/ص ١٧٦٧ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، غريب القرآن ، ص٨٨.

[٤] محمود ، تاريخ العرب ،ص٢٧٨-٢٧٩.

[٥] المحبر، ص٣٢٥.

[٦] العرب قبل الإسلام، ص ٢٧٨-٢٧٩.

[٧] الطوطمية ، كلمة طوطمية (totemism) لفظة اخذت من كلمة(ototemom) وهي أحدى كلمات القبائل البدائية كقبائل هنود أمريكا وغيرها التي منها اشتقت كلمة (totem) الذي منه أخذ مصطلح الطوطمية ، وهي عبادة عرفتها قبائل شبه الجزيرة العربية والتي كانت تعتقد بعبادة الحيوان أو النبات أو الكواكب أو الأرواح وحتى الأشخاص . للمزيد ينظر ، علي ، المفصل في تاريخ العرب ،ج١١/ص١٨؛ فرويد ، الطوطم والتابو ، ص٢٤؛ مسير، الطوطمية في ديانة القبائل القديمة ، ص٢٠٣.

[٨] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج١١/ص١٨؛ فرويد ، الطوطم والتابو، ص٢٤-٢٧.

يعتبر الانتماء إلى الطوطم هو الأساس في جميع الالتزامات الاجتماعية ، فهو من جهة يغلب على الأنتماء القبلي ، ومن جهة أخرى يتغلب على رابطة الدم[١].

٦-ومن المظاهر الأُخرى التي يعتقد (سمث) إنها تدلل على وجود زواج المشاركة عند العرب ، إنّ كلمة (كنة) تعني باللغة العربية امرأة الأخ أو الأبن أو زوجة الرجل نفسه ، وكذلك تعني كلمة كنة في العبرية الزوجة أو زوجة الأبن ، أما معناها في الآرامية فتعني (العروس أو زوجة الأخ) ، وعلى هذا الأساس يرى سمث أن تفسير كلمة كنة بهذه المعاني المختلفة لا يمكن تفسيره إلا أنها أثر من بقايا أزمنة ماضية كانت فيه زوجة الرجل هي نفسها زوجة الأبن أو الأخ [٢]، من خلال كل ما سبق يتضح جلياً إن نظام الأمومة الذي ارتبط ارتباطاً مباشراً بزواج المشاركة قد عرفه العرب كأحد اشكال الأنظمة الاجتماعية التي تطورت مع تطور السامية البدائية على أنه لا يمكننا الحكم عليه بالكلية أو العموم على العرب القدماء ، إذ ليس لدينا ما يكفي من الأدلة القاطعة على أنّ عرب الجزيرة العربية مارسوا زواج المشاركة بشكل واسع وإن عرفوا نظام الأُمومة ، وخاصة إذا علمنا أنّ تاريخ العرب الجاهلي يشوبه الكثير من الغموض ، وإذا سلمنا بأن زواج المشاركة أو تعدد الأزواج كان معروفاً عند القبائل العربية التي كانت تمارس عادة وأد البنات حيث يقل عدد الإناث ، فأننا نجيب على ذلك أن عادة وأد البنات لم تكن عامة عند جميع القبائل العربية ، بل كانت مقتصرة على بعض القبائل العربية [٣] . ويضاف إلى ذلك كله إن الحالات التي وجدت عند بعض القبائل العربية في الجزيرة العربية كانت حالات استثنائية شاذة على قاعدة نظام الزواج الفردي في الجماعات الإنسانية البدائية ، وعلى هذا المبدأ لا يمكن إثبات إنّ زواج المشاركة كان نظامًا عامًا شائعًا عند جميع العرب ، ولكن يمكن تفسيرها على إنّها بقايا من نظام اجتماعي كان متفشياً بين القدماء

---

[١] فرويد، الطوطم والتابو ، ص٢٤.

[٢] جمعة ، النظم الاجتماعية والسياسية المرأة ، ص٢٥.

[٣] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج٩/ ص٩٢.

الساميين في عصور ما قبل التاريخ ، خاصة إذا علمنا أنّ زواج المشاركة الأخوي أو الزواج بالميراث كما أطلق عليه كان معروفاً عند الأمم القديمة بأشكال مختلفة تختلف بحسب عادات كل أمة ، مثل بابل واشور، ويظهر إنّ الكنعانيين عرفوا هذا النظام وقد نقله الإسرائيليين منهم بعد أن استقروا في فلسطين أو أنهم عدلوا عليه بحسب ظروفهم [١]. ومن المحتمل أن العرب في الجاهلية أخذوه من اليهود الذين تعايشوا معهم في أرض الجزيرة ، بدليل إن عادة طرح الثوب على أرملة المتوفى لإثبات حقه في ميراثها التي كان يمارسها العرب هي عادة عرفتها الأمم السامية [٢] ، وكان يمارسها الاسرائيليين كما ورد ذلك ذكرها في سفر التكوين : " **فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمنة . لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهي لم تعط له زوجة. فنظرها يهوذا وحسبها زانية. لأنها كانت قد غطت وجهها. فمال إليها على الطريق وقال هاتي أدخل عليك. لأنه لم يعلم أنها كنته** " [٣] ، كما ورد ذكرها في سفر راعوث عندما سألت يوعز أن يبسط عليها ثوبه إثباتاً لاستحواذه عليها بحق الميراث [٤]. ومن المحتمل أيضاً أنّ العرب اقتبسوه من الفرس الذين حكموا جزيرة العرب ، إذ ورد إقرار زرادشت زواج المشاركة ، كما ورد في كتابه الأوستا : " **أنه إذا مات الزوج ولم يكن له ولد . فإذا كانت له زوجة زوجوها من هو أقرب إليه ، ونصف الاولاد الذين تلدهم أرملته من زوجها الى الجديد ينسبون الى الزوج المتوفي، والزوجة نفسها تتبعه في الآخرة بوصفها زوجة خادمة** " [٥] . وعلى كل حال يمكن القول إن العرب عرفوا نظام زواج المشاركة عن طريق المخالطة أو المجاورة مع بقية الأديان والأمم والحضارات المختلفة ، إذ إن الكثير من العادات والتقاليد تتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل

---

[١] جمعة ، النظم الاجتماعية والسياسية ، ص٦٧.

[٢] محمود ، العرب قبل الإسلام ، ص٢٨٠.

[٣] الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين، الاصحاح٣٨، الفقرة (١٤-١٥)، ص٦٤.

[٤] ينظر، الكتاب المقدس ،العهد القديم ، سفر راعوث ، الاصحاح الرابع / ص٤٢٠.

[٥] وسترمارك ، موسوعة تاريخ الزواج ، ص١٧.

عبر مراحل التاريخ المختلفة ، لا سيما وقد أجمع علماء الاجتماع المحدثون على أن نظام زواج المشاركة أو تعدد الازواج لا يمثل بأي حال مرحلة اجتماعية عامة مرت على الانسان في مراحل تطوره ، بل يمكن عده ظاهرة معينة وصورة خاصة من صور المجتمع التي تظهر تحت ظروف خاصة وبين اعداد قليلة من الجماعات البشرية [١] ، وعليه يمكن اعتبار إن زواج الرهط وزواج الاستبضاع الذي مارسه العرب الجاهلية في الجزيرة العربية كبقية من بقايا زواج المشاركة الذي عرفته المجتمعات الإنسانية البدائية ، ذلك أن العرب في الجاهلية عرفوا أنماط مختلفة من الزواج اختلفت باختلاف الأماكن والاحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وهذا ما أقره الباحث في تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي بقوله : " **يظهر من دراسة كل ما ورد في كتب أهل الأخبار وفي كتب التفسير والحديث عن الزواج والطلاق عند الجاهليين أن أهل الجاهلية لم يكونوا يسيرون على سنّة واحدة في عرف الزواج والطلاق، ولكن كانوا يسيرون على أعراف مختلفة اختلفت باختلاف الأماكن وباختلاف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية واتصالها بالخارج . وقد وردت إلينا مسميات بعض تلك الأنواع مثل الخدن، ، البدل " "الشغار و البعولة وزواج ذوات الرايات وغير ذلك مما ورد وصفه وشرحه ، ولكنه لم ينعت باسم معين وأنواع الزواج هذه ، ليست خاصة بالجاهليين ، وإنما هي معروفة عند غيرهم أيضًا ، ولا سيما عند الشعوب السامية ، وهي مراحل مر بها جميع البشر**"[٢] ، بمعنى أن أساس العلاقات الأسرية والاجتماعية في المجتمع الجاهلي ، كانت تقوم على الأساطير والأوهام والخرافات تيمناً بالمجتمعات السابقة . ويمكن القول أنه من خلال تتبع المصادر التاريخية الخاصة بفترة عصر ما قبل الإسلام ، يتضح جلياً إن الكثير من الأحداث التاريخية اكتنفها اللغط الغموض ، مما جعل تاريخ العرب الجاهلي يتعرض للخلط والتزيف في الكثير من الوقائع التاريخية ، لاسيما تاريخ العرب الاجتماعي، ومن

---

[١] جمعة ، النظم الاجتماعية والسياسية ، ص١٥.

[٢] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٨/ ص٢٢٠.

أبرز تلك الوقائع هو القول بشيوع زواج المشاركة أو تعدد الأزواج عند العرب القدماء ، على اعتبار أن زواج الرهط و الاستبضاع والضيزن مثل صور زواج المشاركة الذي عرفته المجتمعات القديمة ومنها الأمم السامية.

تجلى لنا من كل ما سبق إنّ النظام الأسري الذي كان سائداً عند عرب قبل الإسلام هو نظام الأبوة ، أي أن السلطة والسيادة كانت بيد الرجل ، ولم تكن المرأة العربية بالحالة التي تحسد عليها ، إذ امتهنت المرأة وظلمت في المجتمع العربي قبل الإسلام ، نتيجة لطبيعة بيئة العرب المحاربة التي لا يحكم فيها إلا القوي ، لذلك سلبوها حقها في الميراث ، بل جعلوها كالصبي لا تستطيع رد الاعتداء عند الإغارة على القبيلة ، إلا أنه بالرغم من ذلك كله ، فقد وجد هناك الكثير من الأشخاص الذين انتسبوا إلى أمهاتهم ، ومنهم عنزة بن الأخرس[١] ، كما وجد هناك بعض من الأسر العربية من كانت تسمى باسم أمهاتهم ، مثل اسرة (الأشهب بن ثور) [٢] المنسوب إلى أمه (رميلة) [٣] التي كانت من سبايا العرب ، و (الخفاف بن ندبة) [٤] الذي كانت أمه من سبايا العرب كذلك [٥] ، بل

---

[١] لم نعثر له على ترجمة.

[٢] الخفاف بن ثور بن أبي حارثة بن عبد المنذر وقيل بن عبد المدان التميمي ، من الشعراء المنسوبين الى امهاتهم ، ولد في الجاهلية وأسلم ، أحد الشعراء النجديين ، هجاه الفرزدق وضعف عن مجاراته ، عاش الى زمن الأمويين ، فقيل أنه وفد على الوليد بن عبد الملك . ينظر ، المرزباني ، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، ص١٠١؛ البغدادي ، خزانة الأدب ، ج٦/ص٣٠ ؛ الزركلي ،الأعلام ، ج١/ص٣٣٠.

[٣] وهي أمةٌ لخالد بن مالك بن ربيعي بن سلمى بن جندل ، أحدى سبايا العرب ، اشتراها ثور ابن أبي حارِثة ، فولدت له رباب ، وحجناء ، والأشهب ، وسويط ، وقد كانوا أَشد أخوةٍ لسانا ويداً وقوة للجانب فكثرت أَموالهم في الإِسلام ، كان أبوهم ثورٌ قد باع رميلة فِي الجاهلِية. ينظر ، البغدادي ، خزانة الأدب ، ج٦/ص٣٠-٣١.

[٤] الخفاف بن عمير وقيل عمرو بن الشّريد بن رياح بن يقظة بن عصيّة بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة من بني سليم ، كنيته أبا خرشة ، و هو أحد أغربة العرب ، أمه ندبة كانت جارية لوالده ، لذلك كان يعرف بالخفاف ندبة ، وكان من الفرسان المشهورين من بني سليم ، وأشتهر بشعره الذي كان يرد به على كل من ينتقص منه ، و أشتهر بشعر الفروسية الذي وصف به حروبه ، أسلم فشهد يوم الفتح وكان معه لواء بني سليم ، شهد حنين والطائف ، وثبت على إسلامه في أيام الردة زمن الخليفة أبي بكر الصديق ، وبقي إلى زمن عمر. ينظر ، السهيلي ،الروض الآنف ،ج٣/ص١٥؛ أبي الخطاب ، جمهرة أشعار العرب ، ص١٥؛ الأصمعي ، الأصمعيات ، ص٢١ ؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ، ج٢/ص -٤٥٠-٤٥١؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٢/ص٢٨٢.

[٥] ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص٣٢٥.

إن هناك بعض القبائل العربية كانت تسمى بأسماء أمهاتها مثل قبيلة (باهلة) نسبة إلى أمهم باهلة بنت ضب بن سعد العشيرة ، وقبيلة بجلة ، وكذلك(بنو عدوية) و (بنو طهية) [١] ، كما نسبت قبائل الأوس والخزرج الى أمهم قيلة فسموا (بني قيلة) [٢] .

[١] الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص٩١.

[٢] المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص١٧٤.

الفصل الأول

التعريف بالنساء المردفات وأسباب ظاهرة المردفات

المبحث الاول

مفهوم المردفات لغةً واصطلاحاً

أولاً : معنى المردفات لغةً

المردفات لغةً : ردف يردف فهو ردف ، والمفعول مردوف [١] ، والجمع الردافى على غير قياس [٢] ، وتأتي كلمة ردف واردف بمعنى واحد ، " **انشد إذا الجوزاء اردفت الثريا** " [٣].

قال ابن منظور: " **ما تبع الشيء ، وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه ، وإذا تتابع شيء خلف شيء ، فهو الترادف** " [٤] ، فأرداف الشيء التوالى أو التتابع [٥].

وارداف الشخص تبعه وجاء بعده ، وهذا ما أشار إليه الزبيدي بقوله : " **الردف ايضاً : تبعة الأمر، يقال : هذا أمر ليس له ردف ، اي ليس له تبعة** "[٦] .

أما الفراهيدي فقد وضح المعنى أكثر بقوله : " **ويقال : جاء القوم ردافى أي بعضهم يتبع بعضا. ورديفك : الذي تردفه خلفك ، ويرتدفك ، ويردفه غيرك . ونزل بالقوم أمر قد ردف لهم أمر أعظم منه . والرداف هو موضع مركب الردف ،... وأرداف النجوم ك تواليها أي ترادفها . والترادف : كناية عن فعل قبيح وذلك أنه عمل أحدهما عمل إثم ردفه الآخر**" [٧]، فكلمة الردف أو الرديف تأتي بمعنى واحد وهو التابع [٨].

---

[١] عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج٢ /ص٨٨٠.

[٢] ابن منظور، لسان العرب،ج٩/ ص١١٤؛ الأزهري، تهذيب اللغة ، ج١٤/ص٦٨؛ عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة،ج٢/ص٨٨٠.

[٣] ابن الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج١٤ /ص٦٨؛ الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص٣٥٠.

[٤] لسان العرب ، ج٩ / ص١١٤.

[٥] عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة،ج٢/ص٨٨٠.

[٦] تاج العروس ، ج٢٣/ ص٣٢٨.

[٧] الفراهيدي ، العين ،ج٨/ ص٢٤.

[٨] الفراهيدي ، العين ، ج٨ /ص٢٤؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص١١٤؛ الجوهري ، الصحاح تاج اللغة ، ج٤ /ص١٣٦٤.

كما تأتي كلمة اردف بمعنى أركبه خلفه ، ركب أحدهما خلف الآخر، واردف الخيل اردفه بخيل أخرى ، اردفته وتعني حملته على ردف الفرس ، والرادف مركب الفرس[١] ، قال الجوهري (ت:٣٩٣هـ/١٠٠٢م) : " **ردف ، الردف : المرتدف ، وهو الذي يركب خلف الراكب. وأردفته أنا ، إذا أركبته معك، وذلك الموضع الذى يركبه رداف**" [٢].

وقد وردت كلمة (الردف) في بعض آيات القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى : ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ [٣] قيل يقصد بالمردفين المتقدمين للعسكر يلقون في قلوب العدو الرعب ، أي أردف كل إنسان ملكًا ، وجاء واحد فأردفه آخر، فالمردف المتقدم والرادف المتأخر[٤] . وقال الله تعالى :﴿**تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ** ﴾ [٥] بمعنى أردف الشيء بالشيء أتبعه به ، أو اردفه بآخر اعظم منه [٦] .

وقوله تعالى :﴿ **قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ** ﴾[٧] ، بمعنى التتابع واللحوق والدنو[٨] ، وبذلك يكون معنى ردف الشخص تبعه أي جاء بعده .

ثانياً : معنى المردفات اصطلاحًا

اما معنى المردفات اصطلاحاً ، فهو لا يخرج عن المعنى اللغوي كثيراً ، فكما أوضحنا إن كلمة الردف قد جاءت بألفاظ مختلفة ولكنها متقاربة المعاني ، وفي ذلك قال الجوهري : " **والردافة : الاسم من إرداف الملوك في الجاهلية . والردافة : أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه ، فإذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس ، وإذا غز الملك قعد الردف في موضعه وكان خليفته على الناس حتى ينصرف ، وإذا عادت كتيبة الملك أخذ الردف**

---

[١] الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ،ج٤/ ص٣٤٩.

[٢] الصحاح تاج اللغة، ج٤/ص١٣٦٤.

[٣] سورة الأنفال ، آية ٩.

[٤] الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص٣٤٩.

[٥] سورة النازعات ، آية ٧.

[٦] الجوهري ، الصحاح تاج اللغة ، ج٤ / ص١٣٦٤.

[٧] سورة النمل ، آية ٧٢.

[٨]الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢٠ / ص١٤ ؛ الرازي ، تفسير الرازي ، ج٦/ ص٣٨٥؛ الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ج١٥/ص٣٣٠ .

المرباع . وكانت الرادفة في الجاهلية لبني يربوع [١] **، لأنه لم يكن في العرب أحد أكثر عارة على ملوك الحيرة من بني يربوع ، فصالحوهم على ان جعلوا لهم الردافة ويكفوا عن أهل العراق الغارة . قال جرير وهو من بني يربوع : ربعنا ورادفنا الملوك فظلوا وطاب الاحاليب الثمام المنزعا وطاب ، جمع وطب اللبن** "[٢]. وعليه أن كلمة الرديف تعني الشخص الذي يتبعه شخص آخر ، وترادف القوم تتابعوا ، وترادف الملوك بمعنى الذين يخلفونهم في القيام بأمور المملكة ، ورديف الملك الوزير وهم بمنزلة الوزراء في الإسلام [٣]. وبما إن كلمة الردف تعني حمل الآخر على الدابة ، وكلمة الرديف تعني الشخص الذي تحمله خلفك ، فقد كانت من عادة الرجال عند العرب أن تردف النساء خلفها ، تكريماً وتعظيماً لمكانة المرأة ، فقد كان الرجل يردف المرأة خلفه في ترحاله وقتاله ، إذ روي عن رسول الله (ﷺ) أنه ارداف بعض نساء أهله ، إذ ورد أنّ رسول الله(ﷺ) أردف خلفه على راحلته إلى المدينة زوجته صفية بنت حيي بنت أخطب [٤].

كما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: " **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طلحة التمس لنا غلاما من غلمانكم يخدمني قال فخرج ابو طلحة يردفني وراءه فكنت اخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما نزل فكنت اسمعه يكثر ان يقول اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال فلم أزل أخدمه حتى اقبلنا من خيبر واقبل بصفية بنت حيي قد جازها فكنت أراه يحوي وراءه بعباءة أو بكساء ثم يردفها وراءه...**" [٥]

---

[١] للاستزادة عن ردافة بني يربوع ينظر ، علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،ج٥ ، ص٢٢٦-٢٢٧.

[٢] الصحاح ، ج ٤/ ص١٣٦٣.

(٣) الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج١٤ ، ص٦٨-٦٩.

[٤] صفية بنت حيي بن احطب من سادة بني النظير، كانت زوجة كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق من زعماء بني النضير قتل في خيبر سنة (٧هـ/٦٢٨م) ، فاعتقها رسول الله (ﷺ) وتزوجها وجعل عتقها مهرها. ينظر، البيهقي ، دلائل النبوة ، ج٤ ، ص٢٢٧، ابن كثير، السيرة النبوية ، ج٣/ص٣٦٣.

[٤] ابن منده ، معرفة أسامي أرداف النبي صلى الله عليه وسلم ، ص٧٠.

فقد كان العرب يعقبون نسائهم وذوات الأرحام في صفوف الحرب ، لتثبت أنفسهم وتشد عزيمتهم على القتال[١] ، كما ورد في الحديث الشريف الذي اورده البيهقي " **حدثني سليمان بن سحيم عن أمية بنت أبي الصلت عن امرأة من بنى غفار وقد سماها لي قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من بنى غفار فقلنا له يا رسول الله قد أردنا ان نخرج معك إلى وجهك هذا وهو يسير إلى خيبر فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال على بركة الله قالت فخرجنا معه وكنت جارية حديثه فأردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رحله قالت : فو الله لنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح فأناخ ونزلت عن حقيبة رحله** " [٢].

وفي حديث أخر للنبي (ﷺ) أورده البخاري ، قال : " **سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر واني لرديف أبي طلحة وهو يسير وبعض نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عثرت الناقة فقلت المرأة فنزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها أمكم فشددت الرحل وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنا أو رأى المدينة قال آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون**" [٣] .

وبما ان أصل كلمة المردف من الردف التي تطلق على الشخص التابع أو التالي الذي يأتي بعده [٤] ، فأنه يصح أن نطلق كلمة المردفة على المرأة التي تتزوج زوجاً بعد آخر فتسمى مردفة [٥] ، وبذلك تكون النساء المردفات هن النساء اللواتي يتزوجن أكثر من زوج واحداً بعد الآخر، لأسباب منها اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو غيرها من الأسباب الاخرى كما سنوضح ذلك لاحقاً .

---

[١] الحوفي ، المرأة في جاهليتها وإسلامها ، ج١ /ص٤٠.

[٢] البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٢/ ص٤٠٤.

[٣] البخاري ، صحيح البخاري ، ج٧ / ص٦٨.

[٤] الفراهيدي ، العين، ج٨ / ص٢٤ ، ابن منظور، لسان العرب ، ج٩/ ص١١٤؛ الجوهري ، الصحاح تاج اللغة ، ج٤ /ص١٣٦٤؛ عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج٢ / ص٨٨٠.

[٥] المدائني ، مقدمة كتاب المردفات من قريش ، ص ٢٠ ؛ طروانة ، الزواج والطلاق،ص١٥٦.

المبحث الثاني

الأسباب العامة لظاهرة المردفات

أولاً : الأسباب السياسية

كان العرب في الجاهلية يعيشون إما في المدن على شكل إمارات أو ممالك ويطلق عليهم أهل الحضر ، وأما في البوادي فكانوا على شكل قبائل ويطلق عليهم أهل البادية ، وكانت هناك ثمة فروق عديدة في أنظمة حكمهم السياسية ، فتاريخ الحضر السياسي يختلف عن تاريخ البادية السياسي ، ذلك أنّ عرب البادية كانوا عبارة عن عدة قبائل متحاربة ، كانت الحرب عندهم ضرورة من أجل المحافظة على الحياة ، إذ كان القوي هو الذي يستطيع أنّ يسيطر على مراعي الأغنام ومساقط الأمطار ، أما الضعيف فليس له الحق في أن يعيش وسط تلك البيئة الحياتية القاسية [١]، وبما أن نظام القبيلة كان يمثل الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية المستقلة ، فكانت كل قبيلة تمثل دولة مستقلة لا ينقصها إلا الأرض المحددة المعالم ، إذ كان يوجد في كل قبيلة شعب ينتسب إلى أصل واحد ، وللقبيلة سيادة تامة ، ولها تقاليد وعادات معينة ، يشترك جميع أفرادها في الحقوق والواجبات [٢].

والملفت للنظر، أن ظروف شبه الجزيرة العربية كانت تحتم الاختلاف بين القبائل العربية مما أدى بدوره إلى حدوث الحروب والمنازعات بين تلك القبائل ، بسبب حب السيادة والتسابق في الحصول على موارد المياه ومنابت الكلأ ، وهذا ما أدى بدوره إلى انعدام الوحدة السياسية فيما بينهم ، وإلى كثرة الحروب التي عرفت بأيام العرب ووقائعها [٣] ، فقد كان الغزو

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة، ص ١٨٠؛ علي ، العرب بين التاريخ والحضارة ، ص١٧٧.

(٢) علي ، العرب بين التاريخ والحضارة ، ص١٧٩.

(٣) وهي الحروب التي وقعت بين القبائل العربية المختلفة ، أو بين القبائل العربية وملوك اليمن ، أو بين العرب والفرس ، او بين الملوك العرب والقبائل ، وقد سميت بأيام العرب لأنهم خصوا الأيام دون الليالي في ذكر وقائع الحروب ، ذلك لأن وقائعهم كانت نهاراً ، وغالباً ما كانت تحدث في يوم واحد وتنتهي بانتهاء ذلك اليوم ، وفي حالة استمرار الحرب فإنها تواصل القتال في صباح اليوم الثاني ، وقد عرفت تلك الحروب بأسماء الأماكن التي حدثت بها ، مثل يوم شعب جبلة ، ويوم أباغ ، ويوم الهباءة ، وغيرها ما أيام العرب الأخرى ، وقد توفرت في تلك الوقائع فرص الأغارات والسلب والسبي . للمزيد ينظر البياتي ، كتاب أيام العرب قبل الإسلام ، ج١، ص٦٣-٦٧ ، مجيد ، قبيلة خولان بن عمرو ، ص١٧١؛

والإغارة بين تلك القبائل من أهم موارد الرزق عند العرب ولاسيما في أيام انقطاع الغيث وانحباس المطر[١] . كما لعبت العصبية القبلية والنجدة دوراً كبيراً في تأجيج نار الحرب عند العرب ، فقد كانت تطمع القبائل بعضها في بعض ، بل وربما تطمع القبائل القوية في القبائل الضعيفة فتغزوها من أجل الحصول على ما عندها من أموال وأرزاق من جهة ، ومن جهة أخرى كانت ضرورة الحماية والدفاع عن النفس تدفع القبائل الضعيفة إلى عقد تحالفات مع القبائل القوية لمقاومة أي عدوان يقع عليها[٢].

وعلى هذا الأساس كانت الحرب هي المقوم الأساسي للقبيلة ، والتي كانت تقوم لأسباب عدة، وحسب رأي ابن خلدون : " **أما غيرة ومنافسة ، وأما عدواً وأما غضب لله ولديته ، وأما غضب للملك وسعي في تمهيده ، فالأول ما يجري بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة، والثاني وهو العدوان واكثر ما يكون من الأمم الوحشية الساكنين بالقفر كالعرب والترك والتركمان والاكراد وأشباههم ، لأنهم جعلوا أرزاقهم في رماحهم ومعاشهم بأيدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه آذوه بالحرب ولا بغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة ولا ملك وإنّما همّهم ونصب أعينهم غلب النّاس على ما في أيديهم**" [٣]. إلا أن تلك الحروب لم تكن تزيد عن كونها غارات متبادلة بين تلك القبائل ، إذ لم يكن هناك جيش نظامي يقود القبيلة ، إنما كانت القوة العسكرية تقوم على أساس التعبئة الطارئة لمقابلة أي ظرف هجومي أو دفاعي[٤].

ولكل هذه الاعتبارات وغيرها كان العرب في الجاهلية يفضلون المواليد البنين على البنات ، والسبب في ذلك يعود إلى أن الولد يصبح في المستقبل محارب تعتمد عليه القبيلة في

السقال ، العرب في العصر الجاهلي ، ص٩٩-١٠٠ ؛ برو ، تاريخ العرب القديم ، ص٢٠٣ ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج١٠ / ص١٣.

[١] برو ، تاريخ العرب القديم ، ص١٩٥.

[٢] جواد علي ، المفصل ، ج ٧ / ص٣١٣-٣١٤؛ برو ، تاريخ العرب القديم ، ص١٩٥ .

[٣] تاريخ ابن خلدون ، ج١/ص٢٧١.

[٤] علي ، العرب بين التاريخ والحضارة ، ص٨٢.

الكسب وفي الدفاع عن حوزتها ، بينما تشكل البنت عبئاً ثقيلاً على أسرتها تحتاج الى حماية، وقد تجلب العار الى قبيلتها في حال تعرض القبيلة للسبي[١].

وتعد ظاهرة السبي[٢] من أبرر ما أفرزته الحياة الحربية عند العرب ، ولعل تاريخ السبي يعود الى حقب زمنية موغلة في القدم ، ومن هذا المنطلق كان العرب يفتخرون بممارسة السبي ويعدونه برهاناً على غلبتهم وانتصارهم على أعداءهم ، ذلك لأن التقاليد العربية منحت المنتصر في الحرب حق التصرف بالمغلوب كيفما شاء ووفقاً لإرادته ، فقد كانوا يخيرون المغلوبين بين أتخاذهم عبيداً لهم ، أو مفاداتهم بالمال [٣]. ولما كانت النساء تعقب الرجال في صفوف الحرب ، فقد كان من المألوف عند العرب ضم النساء الى غنائم الحرب عنوة ، وأخذهن سبايا بالقوة ، تشفياً منهم في إذلال ذويهن[٤] ، فكانت العرب تشهد نسائها الحروب ، فكانت تقيم خلف الرجال ليقاتلوا ذباً عن حرمهم ، ومخافة العار بسبي النساء [٥] ، وفي هذا المعنى قال الشاعر المرعش الكلبي :

لو كنت حراً كريماً ذا محافظة ما نمت إلا ونار الحرب تشتعل

حتى تساق نساء سوق نسوتكم بما أصابكم أو يبلغ الأجل [٦]

أما عمرو بن كلثوم فقال في معلقته :

على أثارنا بيض حسان نحاذر أن تقسم أو تهون

---

[١] برو ، تاريخ العرب القديم ، ص٢٦٩.

[٢] لابد من الإشارة الى العلاقة بين الأسر والسبي ، جاءت كلمة الأسير من الشد بالإسار ويعني القد(السير من الجلد ونحوه ، فكل أخيذ أسير وإن لم يشد بالقد ، وتطلق على المقاتل الذي يقع في الحرب وهو على قيد الحياة ، وقد يقع الأسر بغير قتال ، والسبي هو الأسر أيضًا ، ولكن في الغالب يطلق السبي على أخذ النساء و الذراري. للمزيد ينظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٢/ ص٢٥٢، جاسم ، العقيدة العسكرية ، ص٢٨٨، آدم ، الأسر والأسرى في عصر النبوة ، ص١٦.

[٣] البغدادي ، خزانة الأدب ، ج١/ ص١٢٨؛ الترمانيني ، الرق ماضيه وحاضره ، ص٣٧؛ عفيفي ، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، ج١، ص٤٠.

[٤] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج٣، ص ٣٥٣- ٣٥٤ ؛ أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ص ١٨، ص ٣١١ ، الحوفي ، المرأة العربية في الشعر الجاهلي ، ص٤٦٤.

[٥] الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، ص٢٣٢.

[٦] البحتري ، الحماسة ، ص٨٨.

يقتن جيادنا ويقلن لستم بعولتنا إذا لم تمنعونا

إذا لم نحمهن فلا بقينا لشيء بعدهن ولا حيينا [١].

فكان وقوع المرأة في الأسر خسارة لا تضاهيها خسارة بالنسبة للمغلوبين ، وأي كسب بالنسبة للغالبين ، لاسيما إذا كانت المرأة تتصف بالشرف والنعمة ، ذلك لأن الشريفة تكون أعز نفراً وأكثر حامياً و ناصراً وأكثر طلباً وأشد طمعاً [٢] ، وفي هذا المعنى ، قال زهير بن جناب :

وسبينا من تغلب كل بيضاء رقود الضحى برود الرضاب [٣]

و كذلك ما قالته جنوب في رثاء أخيها عمرو :

المخرج العاتق الحسناء مذعنة في السبي ينفح من أردانها الطيب [٤] .

فالأسيرات كن يوصفن في الشعر الجاهلي في الغالب بالشرف والنعم وشدة التعلق بالأزواج وغير ذلك فيما يدلل على رفعة منزلتهن الاجتماعية [٥] ، إذ كانت النساء تبذل كل ما تستطيع من جهد وحيلة من أجل الخلاص من السبي حتى لوكان ثمن خلاصها الموت ، و روي أنّ فاطمة بنت الخرشب [٦] أنه لما أسرها حمل بن بدر[٧] رمت بنفسها من الهودج فماتت [٨] ، كما إن المرأة الشريفة كانت إذا أحست بأنها سوف تقع في الأسر فأنها تقوم

---

[١] الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، ص ٢٣٣؛ أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج٤ / ص٢٧٠.

[٢] الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص٢٥٤.

[٣] أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج١٩ / ص ١٧.

[٤] البغدادي ، خزانة الأدب ، ج١٠، ص ٣٩١.

[٥] الهاشمي ، المرأة العربية في الشعر الجاهلي ، ص٢٥٤.

[٦] فاطمة بنت الخرشب الأنمارية ، من بني غطفان ، كانت من النساء المنجبات في الجاهلية ، ضرب بها المثل (أنجب من فاطمة ، كانت زوجة لزياد بن سفيان العبسي ، ولدت له أربعة أبناء وهم ، الربيع الكامل ، وعمارة الوهاب ، وقيس الحفاظ ، وأنس الفوارس . ينظر، ابن حبيب ، المحبر، ص٣٩٨ ؛ الميداني ، مجمع الأمثال ،ج٢/ ص ٣٤٩ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٥/ ص١٣٠.

[٧] أحد سادات وفرسان العرب في قبيلة ذبيان الغطفانية ، وهو شقيق حذيفة بن بدر ، ارتبط اسمه بحرب داحس والغبراء من أيام العرب الطويلة قبل الإسلام، إذ قتل على يد زعيم من عبس (قيس بن زهير العبسي) ،ذلك بعد أن قتل حمل (مالك بن زهير) أخا قيس خلال أيام الحرب.ينظر ،المفضل الضبي ،الامثال،ص٨٨؛ البلاذري ،أنساب ،ج١٣/ص١٦٨-١٦٩؛أبو سعيد الأندلسي، نشوة الطرب ،ص٥٢٩.

[٨] عفيفي ، المرأة في جاهليتها وإسلامها ، ص ج١/ ص ٤١.

بالكشف عن وجهها ، لتظهر بمظهر الأمة [١] عسى أنّ يخلصها ذلك من الأسر[٢] ، ذلك أنّ السبايا كانت تتخذ أما للبيع أو الزواج ، إذ كان العرب عند غزوهم لقومًا ما فأنهم يقومون بأسر رجالهم ، وسبي نساءهم ، ونهب أموالهم ، فيتخذون من الرجال عبيداً ومن النساء سراري ، وقد كانوا يقتسمون النساء السبايا بالسهام ، والى المعنى ذاته أشار الفرزدق في سبي نساء جرت عليهن قسمة السهام ، فقال :

خرجن حريريات وأبدين مجلداً وجالت عليهن المكتبة الصفر[٣].

ذلك إن المرأة سواء كانت متزوجة أم غير متزوجة ، إذا سبيت كان بإمكان سابيها أن يتزوجها ، وبدون خطبة ومهر ، وليس لها الحق في ان تأبى عليه ذلك ، ذلك لأنها مملوكة وليس لها خيار[٤] ، ويشير الباحث جواد علي الى إن العرب في الجاهلية كانوا لا يعترفون بشرعية الزواج إلا إذا كان بمهر ، وإن لم يكن بمهر عد ذلك بغياً وسفاحاً ، يستثنون من ذلك زواج السبايا [٥] ، كما إن مهر المرأة عن العرب قبل الإسلام يمثل شرف للمرأة على إنها حرة محصنة لها الحق بالتمتع بكامل الحقوق [٦] ، وقد عرف العرب نتيجة لذلك زواج

---

[١] الأمة وجمعها الإماء ، ، هي المرأة التي تكون مملوكة لسيدها على العكس من المرأة الحرة ،وبمرور الوقت أصبح يطلق على كل أمة جارية حنى وأن كانت عجوزاً ، وبذلك أصبح المدلول اللغوي لتلك اللفظتين (أمة وجارية) واحد، وهذا ما اكده الفيومي بقوله: " وَمِنْهُ قِيلَ لِلْأَمَةِ جَارِيَةٌ عَلَى التَّشْبِيهِ لِجَرْيِهَا مُسْتَسْخَرَةً فِي أَشْغَالِ مَوَالِيهَا وَالْأَصْلُ فِيهَا الشَّابَّةُ لِخِفَّتِهَا ثُمَّ تَوَسَّعُوا حَتَّى سَمَّوْا كُلَّ أَمَةٍ جَارِيَةً وَإِنْ كَانَتْ عَجُوزًا لَا تَقْدِرُ عَلَى السَّعْيِ تَسْمِيَةً بِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ ". ومما تجدر الإشارة إليه هو أن لفظة الاماء قد وردت في القرآن الكريم ستة عشر مرة ، وتكاد تجمع أغلب التفاسير على إن المقصود بملك اليمين هي الإماء والجواري وخاصة منهن سبايا الحروب . للمزيد ينظر، الطبري، تفسير الطبري، ج؛ الفيومي، المصباح المنير، ج١/ص٩٧؛علوان، طرق الحصول على الجواري،ص٣٨٨-٣٨٩.

[٢] الهاشمي ، المرأة العربية في الشعر الجاهلي ، ص٢٥٤.

[٣] القالي ، الأمالي ، ص١٢٦

[٤] ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٤٠ ؛ كحالة ، الزواج عند العرب ، ص١٥٨؛ جمعة ، النظم الاجتماعية والسياسية في شبه الجزيرة العربية ، ص٣١.

[٥] المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٤ / ص ٥٦٧.

[٦] كاظم ، التنشئة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام ، ص٥٦-٥٧.

السبي ، وهذه الظاهرة تدل على قلة عدد النساء ، وهذا ما يؤيده غلاء المهور عندهم ، بالإضافة الى معرفة العرب زواج الرهط [١].

ومن الملاحظ كثرة زواج السبي عند العرب من أهل الوبر والحضر ، والسبب في انتشار هذا النوع من الزواج عند العرب هو كثرة الحروب والمنازعات وأيام العرب قبل الإسلام ، وقد كان العرب يطلقون على المرأة التي تؤخذ سبية النزيعة لأنها انتزعت من أهلها وانفصلت عنهم ، وكان أولادها يسمون (أولاد النزيعة) أو (أولاد السبية) [٢] .

وقد روي إنّ عمرو بن العاص كان يعير بأبن السبية ، فقد كانت أُمه سلمى بنت حرملة والتي كانت تلقب بالنابغة ، قد أخذت سبية من بني عنزة ، وبيعت في سوق عكاظ ، فقام الفاكه بن المغيرة بشرائها ، ومن ثم باعها الى عبد الله بن جدعان الذي كان نخاساً ، فاشتراها منه العاص بن وائل وتزوجها فولدت له عمرو[٣] ، ويفهم من هذا ، إنّ سبي النساء كان عارًا ومذلةً لأسرة السبية وقبيلتها ، ذلك لأن السبية كانت تؤخذ كزوجة أو تباع في سوق النخاسين ، وفي هذا المعنى قال عمرو بن كلثوم في معلقته :

على أثارنا بيض حسان نحاذر أن تقسم أو تهون
يقتن جيادنا ويقلن لستم بعولتنا إذا لم تمنعونا
إذا لم نحمهن فلا بقينا لشيء بعدهن ولا حيينا [٤].

وعندما أسر الهذليين أم عمرو زوجة خذام الخزاعي في يوم النجار، وهو اليوم الذي غزا فيه معقل بن خويلد الهذلي نساء من قومها ، فأراد معقل بيعها في سوق الرقيق ، إلا أنها غضبت وهددته قائلةً :

ألامت سليم في السياق وأفحشت وأفرط في السوق العنيف أسارها
لعل فتاة منهم أن يسوقها فوارس منا وهي باد شوارها

---

[١] الهاشمي ، المرأة العربية في الشعر الجاهلي ، ص ٢٥٤-٢٥٥.

[٢] أبو هلال العسكري ، جمرة الامثال ، ج٢/ ص٨ ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٥/ ص٥٢٥ ؛ جمعة ، النظم الاجتماعية والسياسية ، ص٣٣.

[٣] المفضل الضبي ، أمثال العرب ، ص١٢ ؛ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص١٥٣.

[٤] أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ج ٤/ ص٢٧٠.

فرد معقل على قولها غير عابئ ، وقال :

أرى أم عمرو في السياق تغضب وهان علينا رغمها وصفارها
وكم من فتاة قبلها سقت عنوة منعمة والرزق باد حرارها
فأن يأتنا يا أم عمرو خيولكم تلاق لنا حرباً شديداً لسعارها
وفتيان صدق من هذيل أعزة مساعير حرب ليس يخشى فرارها [١].

وذلك لأن استرجاع الأسيرة بطريقة الشراء يدل على ضعف القبيلة لذاك كان يعيرون به [٢]. وقد ذكرت المصادر التاريخية العديد من النسوة اللواتي تزوجن عن طريق السبي ، كخولة بنت نوفل الأسدية التي تزوجها النمر بن تولب [٣] ، بعدما سباها أخيه الحارث عند إغارته على بني أسد ، ثم وهبها الى أخيه النمر، ولكنها لم تقبله ، فقام بحبسها حتى استقرت وولدت له أولادها ، إلا أنها ظلت تحن لأهلها حتى عادت معهم عند زيارتهم لها ، فمضت ولم تعد اليه ، فقال فيها أشعار كثيرة [٤] ، وروي أن سلمى بنت شعواء الهلالية [٥] ، سباها عروة بن الورد العبسي[٦] عند إغارته على بني هلال بن عامر بن صعصعة ، فتزوجها

---

[١] أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني، ج١٢/ ص٣٤٧.

[٢] الهاشمي ، المرأة العربية في الشعر الجاهلي ، ص٢٥٩.

[٣] النمر بن تولب بن زهير بن اقيش بن عبد كعب ، من بني عكل بن عبد مناة ، من الشعراء المخضرمين ، أشتهر بجوده ، ولقب بالكيس لحسن شعره ، هاجر الى البصرة ، كما هاجر الى الكوفة أيام الخليفة عمر بن الخطاب ، وقد عمرا كثيراً ، قيل أنه عمر مائتي سنة . ينظر ، ابن قتيبة ،الشعر والشعراء ،ج١/ ص ٢٩٩؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج٣/ ص ٢٩٧؛ ابن حجر، الإصابة ، ج٦/ ص٣٧٠-٢٧٢.

[٤] ابن حجر ، الإصابة ،ج٦/ص٣٧٠-٣٧٢.

[٥] سلمى زوجة عروة بن الورد ، من بني كنانة ، كانت تكنى أم وهب ، أغار عليها عروة بن الورد فأعتقها وتزوجها وولدت له ولد ، وقد مكثت عنده بضعة عشرة سنة ثم طلقها ، فتزوجت من رجل أخر لم تذكر المصادر التاريخية اسمه ، ذكر ابن طيفور أنه طلب منها أن تثني عليه كما أثنت على زوجها السابق عروة بن الورد. ينظر ، ابن طيفور ،بلاغات النساء، ص ٨٩؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ،ج٣/ص٢٨؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٤/ ص،٢٢٧.

[٦] عروة بن الورد بن عمرو بن زيد بن عبد الله العبسي من بني غطفان ، من شعراء الجاهلية وفرسانها ، لقب (عروة الصعاليك) لأنه كان يجمع الصعاليك بأمره في قيامهم بغزواتهم ، شرح ديوانه ابن السكيت .ينظر ،البلاذري، أنساب الأشراف،ج١٠/ص٣٣٠؛ أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني، ج٣/ص ٢٧ ؛ الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص١٠٣؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٤، ص٢٢٧.

ومكت عنده فترة من الزمن حتى عادت مع أهلها عندما استزاروها [١] ، وأيضاً ريحانة بنت معد يكرب الزبيدي أخت عمرو بن معد يكرب ، أُم دريد بن الصمة [٢] ، التي سباها والده ثم تزوجها فولدت له أولادها [٣].

وقد كانت للعرب كانت معارك قائمة مع الروم ، وقد تقع النساء الروم بالأسر فتسبى ، والجدير بالملاحظة هو ما كانت تمتاز به تلكم النساء السبايا بالجمال ، لذلك كان رجال العرب يتصارعون في الحصول عليهن وخاصةً عندما يعرضن للبيع في الحروب أو في الأسواق ، كما حدث مع سمية [٤] التي وقعت أسيرة بيد اليشكري بن كلدة في أحد حروب أيام العرب ، والتي قد وهبها اليشكري للحارث بن كلدة ، فتزوجها وولدت له نافع ونفيع ، ومن ثم وهبها لزوجته صفية الثقفية والتي زوجتها عبدًا روميًا لها فولدت له زياد فأعتقته صفية [٥].

وكثيراً ما كانت تثار حروب طويلة وشديدة لاسترجاع الأسيرات ، لأن السكوت على أسر النساء يعد مجلبة لعار كبير للقبيلة ، وإذا باءت المحاولات الحربية والسلمية بالفشل

---

[١] أبو الفرج الأصفهاني ،الأغاني ، ج ٣/ ص٢١-٢٢.

[٢] دريد بن الصمة بن بكر بن علقمة بن خزاعة بن غزية ابن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وقيل دريد بن الصمة بن الحارث بن بكر بن جلهمت ابن خزاعي بن عريف بن جشم بن معاوية بن بكر أبو قرة الجشمي ، والصمة لقب والده (معاوية بن الحارث) ، وجاء في معنى كلمة (دريد) أنها تحقير لكلمة (دردر) ، فيقال رجل أدرد وامرأة درداء وهو الذي كبر حتى سقطت أسنانه فصار يعض على دردره ومنه أبو الدرداء ، أما كلمة (الصمة) فتعني الشجاع ، ، كان دريد بن الصمة قائد بني جشم وفارسهم ، فكان شجاعاً مظفّرا غزا ما يقارب المئة غزوة ما أخفق في واحدة منها ، وأدرك الإسلام إلا أنه لم يسلم ، خرج مع قومه في يوم حنين مؤيداً للمشركين ، ولكنه لم يحارب المسلمين ، وإنّما أخرجه قومه ليأخذوا رأيه في الحرب ، فخالفه مالك بن عوف ومنعهم من قبول مشورته ، قتله ربيعة بن رفيع السلمي المعروف بابن الدغنّة في غزوة حنين (سنة٨هـ/٦٢٨م) مع فريق المشركين . للمزيد ينظر، ابن جني الموصلي، المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة ، ص١٥٠؛ ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب،ج١/ص١٨١؛ الأصفهاني ، الأغاني ،ج١٠/ ص ٢٤٣؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق ، ،ج١٧/ص ٢٣١؛ ابن حجر، الإصابة،ج٨/ص٢٥٤؛ الزركلي،الإعلام،ج٢/ص٣٣٩.

[٣] أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج١٠ ، ص٢٤٣

[٤] من أهل زند رود من كسكر ، كان أسمها في أهلها أمنج ، سرقها أبو عبد الله بن الكواء اليشكري في أحدى الحروب ، فسماها سمية ، وعندما مرض وتم شفاءه على يد الحارث بن كلدة الثقفي فوهب ابن الكواء سمية للحارث . ينظر ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٤ /ص٢٢٧.

[٥] ابن حجر، الإصابة ، ج ٨/ ص١٩٩.

لاسترجاع الاسيرة ، فليس من سبيل الى استرجاعها الا بالفداء الذي لم نعرف مقداره [١] ، عدا ما ذكر عن رسول الله (ﷺ) من أنه رد على هوازن سباياهم ، فقال (ﷺ) : " **أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل انسان ست فرائض[٢] من أول سبي أصيبه ، فردوا الى الناس ابناءهم ونساؤهم** " [٣].

وكانت القاعدة الثابتة عند القبائل العربية في الحروب هي المعاملة بالمثل ، لذلك كانوا يحسنون معاملة الأسيرات حرصاً منهم على أن يحسن الى أسيراتهم ، وعندما أتهم الخفاف بن ندبة العباس بن مرداس بأنه يهين سبايا العرب ، رد العباس على الخفاف قائلاً : " **أما استهانتي بسبايا العرب فأني أحذر القوم في نسائهم بفعالهم في نساءنا...**" [٤].

ولما كان الأسر شائعاً لدى العرب ، وكانت قاعدة المعاملة بالمثل متبعة ، لهذا كانت الأسيرة تعامل معاملة حسنة من قبل سابيها ، فكان لا يسمح الفارس لنفسه أن يقوم بنزع قلائدها أو حليها وإن كان حاد الطباع ، ناهيك عن حياتها التي كانت لا تتعرض للخطر ، وفي المقابل نجد أن الاسرى الرجال كانوا يلاقون حتفهم في الأسر [٥].

وبدافع المعاملة بالمثل كان العرب يمنون بأطلاق سراح الأسيرات مراعاةً لقرابة [٦] ، أو مصاهرة ، أو جوار[٧] ، أو رغبةً في الحمد والثناء والفضل والإحسان ، التي تعد من أهم مفاخر العرب التي تغنوا بها [٨] ، والجدير بالذكر أن بعض القبائل كانت لا تؤسر نساؤها ، فقد كان أهل مكة آمنين من الغزو والأسر ، فلم تسبى قريشية قط.

---

(١) الهاشمي ، المرأة العربية في الشعر الجاهلي ، ص٢٥٦.

(٢) الفرض ، مصدر كل شيء يفرض على الأنسان فيتوجب بقدر معلوم ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧/ ص٢٠٣.

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ /ص٤٨٩-٤٩٠.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج١٨/ ص٣١١.

(٥) الهاشمي ، المرأة العربية في الشعر الجاهلي ، ص٢٥٩.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج١/ ص٣٧١.

(٧) أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج٢١/ ص٩٤-٩٥.

(٨) الأغاني ، ج ٩/ ص ١٨.

أما في حال أنه لم يتم فداء الأسيرة ، أو لم يمن عليها بأخلاء سبيلها ، تكون السبية في ملكية أسرها غنيمة لسابيها فتصبح أمة إن شاء يستخدمها أو يبيعها ، وفي الكثير يتزوجها ، فان تزوجها فلا يحق له بيعها ، وأن شاء فيمكن له أن يطلق سراحها ، وفي حال لم يتزوجها فيجوز له أن يبيعها في سوق النخاسين ، قد يكون لغرض معالجة ندرة النساء في القبائل الضعيفة ، أو القبائل التي انتشر فيها الوأد بشكل كبير[١] .

الواضح إن الزواج من السبية كان مرغوباً به عند العرب ، فقد كان العرب يكرمون السبية ، ويتفاخرون بحسن معاملتهن ، ذلك لأن زواج السبية لم يكن يقصد به إذلال المرأة السبية ، بل كان يراد منه اذلال القبيلة الخاسرة في الحرب ، لأنه يعد ضرباً من الفروسية ، ويضاف الى ذلك أن زواج من السبية كان يتم بدون مهر ، فضلاً عن نجابة أولاد السبية لأنه يعد زواج الغرائب[٢]، وهو ما يقابل مصطلح (الزواج الخارجي) في علم الانثروبولوجيا الاجتماعية ، حيث سعى العرب الى تحري الصفات الخلقية والجسمية المرغوبة في أبنائهم ، اعتماداً على خبرتهم في شؤون الوراثة التي أرشدتهم إلى أن زواج القرابة ينتج نسلاً ضاويًا (الضعيف الهزيل)[٣] ، وذلك بسبب تقارب نسب أبويه ، ولغاية انجاب أولاد أقوياء فضل العربي الزواج من الغرباء كرماء النسب ، ويطلق على هذا النظام من الزواج عند العرب بزواج الأباعد [٤] اي الزواج من خارج المجموعة التي ينتسب اليها الرجل [٥] .

إن فكرة الزواج من الغرائب والرغبة في اكتساب الصفات الجسمية والعقلية المرغوبة في المجتمع العربي ، قد أوضحه رسول الله (ﷺ) في حديثه الشريف : " **اغتربوا لا تضووا** " [٦] ، فالذي يولد من بنت غريبة لم يولد ضعيفاً ضامراً ، وهذا ما أشار اليه الخليفة عمر بن

---

[١] الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ،ص٢٦٠، ٢٧٩.

[٢] جواد علي ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٤/ ص٤٣.

[٣] الفراهيدي ، العين ، ج٧/ص٧٣ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ /ص٦٣٩ ؛ كاظم ، التنشئة الاجتماعية ، ص٧٢.

[٤] غرب وتغرب ويعني البعد والتغرب ، قالت العرب نكح في الغرائب .الزمخشري ، أسس البلاغة ،ج١، ص٥٨٩؛ ابن منظور ،لسان العرب ،ج/،ص٦٤٠؛ الزبيدي ، تاج العروس ،ج٣/ ص٤٧٤.

[٥] كاظم ، التنشئة الاجتماعية عند العرب ، ص٧٢-٧٣.

[٦] الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث ، ج٢، ص٣٥٠؛ ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ،ج/،ص٢٨.

الخطاب عندما سئل عن سبب قصور قامات قريش ؟ فقيل له أن ذلك نتيجة زواجهم ببنات أعمامهم ، فقال: " **صدقتم اغتربوا فتزوجوا في البعداء فأنجبوا**" [١] ، وهذا ما أكده الجاحظ عندما أشار إلى أسباب ولادة الطفل الضعيف بقوله : " **فليس العجب من ذكرهم الولد الضوي إذا ترددت الأولاد في القرابات** " [٢].

ولا نبعد الغايات السياسية من وراء زواج الغرائب من خارج القبيلة ، وذلك لإمكانية توفير الأحلاف والانتماءات إلى مجموعة قبلية كبيرة لتحتمي بها من أعداءها ، لاسيما إذا كانت القبيلة تتمتع بالقوة وكثرة أعداد رجالها ، وفي بعض الأحيان نجد إنّ هناك بعض القبائل قليلة العدد أصلاً ، فتدفع الضرورة هذه القبائل إلى الزواج من الغرائب حرصاً منهم على زيادة اعدادها ، ويضاف الى ذلك إن الزواج من الغرائب يساعد على التقليل من حدوث المشاجرات بين ابناء القبيلة الواحدة [٣] ، وهذا ما كان واضحاً في وصية عمرو بن كلثوم التغلبي[٤] لأبنائه، إذ قال لهم :" **ولا تتزوجوا في حكيم فأنه يؤدي الى قبيح البغض**" [٥].

ويبدو أنه من المرجح إن ظاهرة السبي تعد أحد الأسباب الرئيسية التي أدت الى حدوث ظاهرة وأد البنات عند العرب قبل الإسلام ، إذ تعد عادة وأد البنات التي تدفن فيها الأنثى في التراب وهي حية ، من أبرز مظاهر الظلم والجور البدني الذي لحق بالمرأة قبل الإسلام. فقد كانت تؤد البنت مخافة السبي والعار الذي يلحق بالقبيلة من جراء أخذ النساء سبايا عند إغارة القبائل بعضها على البعض الآخر. وقد رجح بعض الإخباريين أن تاريخ وأد البنات عند العرب يعود الى قبيلة تميم ، إذ اعتبرت أول قبيلة مارست ظاهرة الوأد ، فقد ورد إن

---

(١) عفيفي ، المرأة في جاهليتها وإسلامها ، ج١ / ص ٥٦.

(٢) الجاحظ ، البرصان ، ص٢٤.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج١١/ص٥٣.

(٤)عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب، من بني تغلب، كنيته أبو الأسود، كان شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، ولد في بلاد ربيعة شمالي جزيرة العرب ، وتجول فيها وفي الشام والعراق ونجد، ساد قومه تغلب وهو فتى، كان من فتاك العرب الشجعان ، فهو الّذي قتل الملك عمرو بن هند، عمر طويلاً وقد مات في الجزيرة الفراتية .الثعالبي، ثمار القلوب ، ص١٣٠؛ الزركلي ،الاعلام،ج٥/ص٨٤.

(٥) كاظم ، التنشئة الاجتماعية عند العرب ، ص٧٧-٧٨.

قبيلة تميم امتنعت عن دفع الإتاوة إلى ملك الحيرة النعمان بن المنذر، فقام المنذر بتيسير جيوشه الى قبيلة تميم فغزاها وسبى نساؤها ، وقد وقعت أحدى بنات قيس بن عاصم المنقري[١]، أسيرة لدى النعمان بن المنذر، وعندما جاءت وفود بني تميم الى النعمان وكلموه عن الذراري ، أعطى النعمان الخيار الى النساء فأن اختارت زوجها ردت اليه [٢] ، فاختلفت النساء في ذلك ، وكانت من بينهن ابنة لقيس بن عاصم [٣] ، التي رفضت العودة الى أهلها ، واختارت سابيها وفضلته على قومها، فغضب لذلك قيس ونذر بأن يوأد كل بنت تولد له ، فقيل أنه وأد ثمانية من البنات ، وقد أصبحت سنة من بعده يستنها كل من تولد له بنت خشيةً من العار والفضيحة الذي يلحق بالرجال من جراء سبي النساء [٤] ، وفي المعنى نفسه قال الشاعر:

لما رأوا راية النعمان مقبلةً قالوا ألا ليت أدنى دارنا عدن
يا ليت أم تميم لم تكن عرفت مراً وكانت كمن أودى به الزمن
إن تقتلونا فأعيار مجدعة أو تنعموا فقديماً منكم المنن [٥]

وهناك من يرجح الروايات التي تجعل قبيلة ربيعة أول القبائل العربية التي مارست عادة وأد البنات في الجاهلية ، وذلك أن زعيمها قد سبيت له أبنة ، ولما أراد والدها إرجاعها رفضت العودة لأبيها واختارت البقاء مع سابيها ، حينها غضب والدها ، وسن عادة وأد البنات ، ثم

---

[١] قيس بن عاصم بن سنان بن منقر، التميمي ، أحد أمراء العرب الموصوفين بالحلم والشجاعة ، اشتهر وساد في الجاهلية ، وهو ممن حرم شرب الخمر على نفسه في الجاهلية ، فكان من سادات قومه في الجاهلية وبعد الإسلام ، حيث أنه وفد مع قومه بني تميم الى رسول الله (ﷺ) في عام الوفود (٩هـ /٦٣٠م)، قال عنه رسول الله (ﷺ) : " **هذا سيد أهل الوبر** " ، جعله رسول الله (ﷺ) على صدقات قومه ، نزل البصرة في أواخر أيام حياته ، وتوفى فيها سنة(٤٧هـ/٦٦٧م) . ينظر، ابن سعد ، طبقات ، ابن سعد ، ج٧/ ص ٢٦؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨/ ص٣١-٣٢ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٥/ص٣٦٧؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٥/ ص٢٠٦.

[٢] الألوسي ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ج٣ /ص٤٢-٤٣.

[٣] ابن منظور ، لسان العرب، ج٢/ ص٤٤٢- ٤٤٣؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٢٦/ ص٤٠٦.

[٤] جواد علي ، المفصل ، ج٨/ ص١٧٦.

[٥] المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٢/ص٦٤.

شاعت بين غيرهم من القبائل العربية [١]، وعلى الرغم من انتشار ظاهرة وأد البنات عند العرب قبل الإسلام إلا أنه لم يكن يمارسها كل العرب ، وربما كثرت هذه الحالة في بعض القبائل العربية كقبيلة تيم وأسد وقيس وهذيل وبكر بن وائل لقول رسول الله (ﷺ) : " **اللهم أشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف**" [٢] ، ولو كان العرب جميعهم يمارسوه لما وصلت إلينا أخبار عن نساء عظيمات كان لهن دوراً مميزاً في المجتمع العربي ، ولا كان العرب قد نهضوا بالدعوة الإسلامية بهذا العدد ، ولا نتفق مع ما ذهبت اليه تلك الروايات بخصوص أول من مارس عادة وأد البنات قبل الإسلام ، لأنه قد عرف عند مختلف المجتمعات الإنسانية [٣].

وعلى الرغم من تعدد أساليب ووسائل ظاهرة وأد البنات إلا إنها لم تخرج عن فكرة واحدة وهي دفن الأنثى حية في التراب حتى تخمد أنفاسها ، لذلك كان العرب يطلقون تسمية (الصهر) على القبر كناية عن زواجهن القبر، فقد قال العرب : (نعم الصهر القبر) ، وفي هذا الصدد قال الشاعر :

سميتها إذ ولدت تموت والقبر صهر ضامن زميت [٤].

وقد اورد الثعلبي الطريقة التي كان يئد فيها العرب بناتهم حيث قال :" وكان الرجل من العرب إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحيها ألبسها جبّة من صوف أو شعر ترعى الإبل والغنم في البادية وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسية قال أبوها لأمها طيّبيها وزيّنيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فإذا بلغ بها البئر قال لها : " **انظري إلى هذا البئر فيدفعها من خلفها في البئر لم يهيل على رأسها التراب حتى يستوي البئر بالأرض**" [٥].

---

[١] الألوسي ، بلوغ الأرب ، ج٣ / ص٤٢.

[٢] المبرد ، الكامل في اللغة ،ج٢/ ص٦٣.

[٣] كاظم ، التنشئة الاجتماعية عند العرب ، ص١٢٩.

[٤] الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٢/ص ٣٦٧ .

[٥] الثعلبي ، تفسير الثعلبي ، ج١٠ ،/ص١٣٩.

وكان الآباء يلجؤون الى الأماكن البعيدة عن مساكنهم ، لربما حتى لا تدنس رفاتهن بيوتهم ، وفي بعض الأحيان يختار الآباء الجبال لدفن المؤدة ، ويعد جبل أبي دلامة [١] من أشهر أماكن الوأد في الجزيرة العربية ، حيث كانت قريش تئد فيه بناتها قبل الإسلام ، والى المعنى نفسه أشار الشاعر حسان بن ثابت[٢] ، وقال :

ومؤدة مقرورة في معاوز بآمتها مرسومة لم توسد [٣].

والجدير بالذكر إن عادة وأد البنات لم تكن مقتصرة على الآباء ، بل أنه في بعض الأحيان كانت تشارك المرأة بعملية وأد البنات تحت ضغط التهديد بالطلاق من قبل زوجها ، لذلك كانت المرأة تتولى مهمة دفن الأنثى بيدها ، وذلك حينما كانت تشعر بقرب ولادتها ، كانت تحفر حفرة فتمخضت على رأسها فإذا ولدت أنثى رمتها في الحفرة ، وأن ولدت ولداً حبسته[٤].

أما عن الأسباب التي أدت الى وقوع ظاهرة الوأد ، فهناك العديد من الأسباب ، ولكن يبدو إن السبب المباشر لعادة وأد البنات هو حمية و خوف العرب من عار الفضيحة عند السبي، فقد روي أن قيس بن عاصم عندما وفد الى رسول الله (ﷺ) فسأله بعض الأنصار عن المؤدات التي وأدهن من بناته ، فأخبرهم أنه ما ولدت له بنت قط إلا وقد وأدها ، ومن ثم أقبل يحدث رسول الله (ﷺ) فقال له : " **كنت أخاف سوء الأحدوثة والفضيحة في البنات**"[٥].

---

[١] جبل أبي دلامة : جبل مطل على الحجون بمكة ، والأدلم من الرجال الطويل الأسود ومن الجبال الصخر الاسود الطويل ، وأبو دلامة اسم شاعر. ياقوت الحموي ، معجم البلدان / ج٢، ص٤٥٩.

[٢]حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أمه الفريعة بنت خالد بن خنيس بن لوذان بن عبد ود، لذلك يدعى ب(ابن الفريعة) ، كنيته أبو الوليد، وكان يكنى أيضاً أبو الحسام لمناضلته عن رسول الله(ﷺ) ، وهو أحد الشعراء المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام، كان من سكان المدينة ، واشتهرت مدائحه في ملوك الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام ، وبعد الإسلام أصبح شاعر النبي محمد (ﷺ)،وقد وفد على عمرو بن الحارث بن أبي شمر، ووفد على جبلة بن الأيهم، ووفد على معاوية حين بويع بالخلافة سنة(٤٠هـ/٦٦٠م) ، وتوفى في خلافة معاوية، وعمره عشرين ومئة سنة. ينظر، أبو نعيم، معرفة الصحابة ،ج٢/ص٨٤٥؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق،ج ٦/ص٢٨٩-٢٩٠؛ابن حجر ،الإصابة ،ج٢/ص٥٥.

[٣] الفراهيدي ، العين ، ج٨ /ص٤٢٥ .

[٤] الطبري ، تفسير الطبري ، ج١٢/ ص ١٥٤ ؛ جواد علي ، المفصل ، ج٩/ ص٨٨-٨٩.

[٥] مهنا ، أخبار النساء في كتاب الأغاني ، ص٤٦.

وعليه يمكن ارجاع الوأد الى خوف العرب من الأسر وما يتبعه من عار ، وذلك لأن النساء كانت تؤسر أكثر من الرجال ، لأنها أضعف من الرجال في الدفاع عن أنفسهن ، فكثيراً ما كان أمر الدفاع عنهن يشكل عبئاً ثقيلاً على الرجال ، كما أن اطلاق سراح الأسيرة لم يكن يسيراً في كل حين ، فقد لا يكون عند أهلها المال الكافي الذي يفتدونها به ، وفي الوقت نفسه فقد يعجزون عن استردادها بالقوة ، لهذا كانت أغلب الأسيرات ترسل الى سوق النحاسين ليتم بيعها وشرائها هناك [١] ، فكان من الطبيعي أنّ من تباع في سوق النحاسين يصيب أهلها العار الذي لم يأتي بعده عار [٢]. لهذا الاعتبار يمكننا أنّ نعد سبي النساء من أهم الأسباب الرئيسية لظاهرة وأد البنات عند العرب .

وهناك أسباب أخرى لظاهرة الوأد ، هو مرض المولودة ، فقد كان العرب يتشاءمون من وجود مرض أو نقص في بناتهم ، فقد اورد الحلبي والسهيلي ، إن بعض العرب كانت تئد نوع من الإناث ، كأن تكون شيماء ، أو كسحاء ، أو زرقاء ، أو برشاء ، أو غيرها من أمثال تلك الصفات التي كان يتشاءم منها العرب [٣] ، وقد ذكر الإخباريين قصة زهرة بنت سودة الكاهنة عمة وهب والد السيدة آمنة بنت وهب والدة رسول الله (ﷺ) فقد ولدت زهرة شيماء زرقاء فنجت من محاولة أبيها لوأدها [٤]. إلا ان الجدير بالملاحظة ان العرب بصورة عامة كانت تقتل كل من يولد مريضاً ، او من يولد بعاهة جسمية بحيث يكون عالة كبيرة على أهله مدى الحياة ، والذكور والإناث سواء في قتل ذوي العاهات [٥].

وأيد القرآن الكريم العامل الاقتصادي ، فقال عز وجل: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا** ﴾ [٦] ، فبين القرآن الكريم إن سبب قتل الأولاد هو الإملاق أي الفقر [٧] ، إذ كانوا يدفنون البنات أحياء خوف الفقر [٨].

---

(١) الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص٢٢٦.

(٢) وليكن ، الأمومة عند العرب ، ص٤٢.

(٣) السيرة الحلبية ، ج١ /ص٦٨؛ الروض الانف ، ج ٢/ص ٢١٣

(٤) الحلبي ، السيرة الحلبية ،ج١/ ص٦٨.

(٥) وليكن ، الأمومة عند العرب ، ص٥٠؛ الهاشمي ، المرأة العربية في الشعر الجاهلي ، ص٢٢٨.

(٦) سورة الإسراء ، آية ٣١ . .

ونلاحظ أن زعماء القبائل وسادة العرب في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام كانوا يرفضون عادة وأد البنات ، ومنهم عبد المطلب جد الرسول (ﷺ) الذي كان من حكماء قريش[١] ، وزيد بن نفيل بن عمرو القرشي [٢]. وكذلك صعصعة بن ناجية بن عقال التميمي [٣] جد الشاعر الفرزدق[٤] ، وفي ذلك قال الفررزدق مفتخراً :

ومنا الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يؤاد [٥].

وقد عد ذلك من مفاخر القوم عند العرب ، إذ ورد إن صعصعة بن ناجية جاء لرسول الله (ﷺ)، وقال له : " **يا رسول الله انى عملت أعمالا في الجاهلية فهل لي فيها من أجر**" ، قال: " **وما عملت** "، قلت: " **ضلت ناقتان لي عشراوان فخرجت ابغيهما على جمل لي فرفع لي بيتان في فضاء من الأرض فقصدت قصدهما فوجدت في أحدهما شيخا كبيرا فبينما هو يخاطبني وأخاطبه إذ نادته امرأة قد ولدت قال وما ولدت قالت جارية قال فادفنيها فقلت**

---

(٧) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢/ ص٤٤٢-٤٤٣؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٢٦/ ص٤٠٦.

(٨) الواحدي ، التفسير الوسيط ، ج٢/ص٣٣٦.

(١) ابن حبيب ، المحبر، ص١٣٢ ؛ الألوسي ، بلوغ الآرب ، ج٣،/ص٣٢٣ ؛ كاظم ، التنشئة الاجتماعية ، ص١٢٩.

(٢) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح القرشي ، أحد الحكماء في الجاهلية ، وكان ممن كره عبادة الأوثان ، فكان على دين النبي إبراهيم عليه السلام ، رحل إلى الشام باحثاً عن عبادة أهل الشام، فلم تستميله اليهودية ولا النصرانية فعاد إلى مكة فعبد الله على دين إبراهيم. وجاهر في عداء الأوثان، لذلك أُخرج من مكة فانصرف إلى حراء ، فأرسل إليه عمه الخطاب رجالاً يمنعوه من دخول مكة ، فكان يدخلها سراً ، وقد رأى النبي (ﷺ) وتوفي قبل أن يبعث رسول الله (ﷺ). ينظر، ابن هشام ، السيرة النبوية، ج١ / ص٢٢٤-٢٢٧ ؛ الزبيري ، نسب قريش ، ص ٣٦٤ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج٣ ، ص ٢٩٠ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج ٣، ص٣٠.

(٣) صعصعة بن ناجية بن عقال بن سفيان من بني مجاشع التميمي ، كان من أشراف بني تميم ، جد الشاعر الفرزدق ، كان يفدي المؤدات في الجاهلية . للمزيد ينظر، ابن الأثير، أسد الغابة ، ج٣، ص٢١؛ ابن حجر ، الاصابة في معرفة الصحابة ، ج ٥/ص١٤٢.

(٤) أبو فراس ، همام بن غالب بن صعصعة بن ناحية التميمي ،البصري ، أشعر أهل زمانه مع جرير والأخطل النصراني، لقب بالفرزدق، لجهامة وجهه وغلظه ، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: "لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس"، فكان يشبه بزهير بن أبي سلمى من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، كان الفرزدق شريفا في قومه، يحمي من يستجير بقبر أبيه ، فكان لا ينشد بين يدي الخلفاء والأمراء إلا قاعدًا، وعندما أراد سليمان بن عبد الملك أن يقيمه ثارت طائفة من تميم، فأذن له بالجلوس، توفى في سنة (١١٠هـ/٧٢٨م). ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء،ج١/ص٨١؛الذهبي،سير،ج٤/ص٥٩٠؛الزركلي،الاعلام،ج٨/ص٩٣-٩٤.

(٥) الشريف المرتضي ، الأمالي ، ج٤/ص١٩١.

أنا أشتري منك روحها لا تقتلها فاشتريتها بناقتي وولديهما والبعير الذي تحتي وظهر الإسلام وقد أحييت ثلاثمائة وستين موؤده أشتري كل واحدة منهن بناقتين عشراءين وجمل فهل لي من أجر"، فقال رسول الله (ﷺ) " **هذا باب من البر لك أجره إذ من الله عليك بالإسلام**" [١].

وبعد مجيء الإسلام اشتدت معارك المسلمين مع أعدائهم ، حيث اقتضت طبيعة الدعوة المحمدية أن يواجه رسول الله (ﷺ) مقاومة شديدة من قبل المشركين واعداء الإسلام ، مما أدى إلى حدوث حروب ومعارك كثيرة ، وإذا ما حدث السبي في الإسلام ، فهو نتيجة طبيعية لتلك الحروب ، التي تخلف اعداد كبيرة من النساء والذراري الذين يتم حجزهم لحين النظر في أمرهم، وقد يستفاد منهم في تبادلهم مع أسرى المسلمين ، كما فعل رسول الله (ﷺ) في تفاديه لامرأة سبية من المشركين بمجموعة أسرى من المسلمين ، فقد كان من المرؤة والدين عند العرب المسلمين الإحسان الى أسراهم ، وحفظهم والايفاء بحقهم [٢] ، ويحث الله جل وعلا في كتابه الكريم على ذلك بقوله :﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾ [٣] ، كما جاء في الحديث النبوي الشريف " **استوصوا بالأسارى خيراً** " [٤] ، وقيل في المثل العربي " **إن لذة العفو أعذب من لذة التشفي ، وأقبح أفعال المقتدر الانتقام** " [٥]، كما أن ضبط النفس عند تجاوز الانتقام يعد جهاداً آخر ولكل هذه الاعتبارات تعامل العرب المسلمين مع الأسارى كأنهم في ضيافة وليسوا في أسر، فقد أوصى رسول الله (ﷺ) بإرخاء وثاق أسرى بدر في الليل[٦] ، وقد وزعوا بين المسلمين ووصوا بهم خيرًا ، فأنزلوهم معهم في ديارهم ، وأثروهم عليهم في طعامهم ، وروي عن أم سلمة إنّه لما اتي منزلها خالد بن هشام بن المغيرة وأمية ابن أبي حذيفة ، ذهبت إلى رسول الله (ﷺ) في بيت عائشة فقالت

---

[١] ابن الأثير ، أسد الغابة ،ج٣،/ص٢١.

[٢] جاسم ، العقيدة العسكرية ، ص ٣٠٥.

[٣] سورة الانسان ، آية ٨.

[٤] الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٦/ ص٨٦.

[٥] المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤/ ص٥٣.

[٦] جاسم ، العقيدة العسكرية ، ص٣٠٣.

له : " **أن بني عمي طلبوا ان يدخل بهم علي فأضيفهم ، وأدهن رؤوسهم ، وألم من شعثهم ، ولم أحب أن أفعل ذلك حتى أستأمرك** " ، فقال لها رسول الله (ﷺ) : " **لست أكره شيئاً من ذلك فافعلي من ذلك ما بدا لك**"[١]. وكان رسول الله (ﷺ) يضع السبايا من النساء والاطفال في حظائر يستظلون بها من حرارة الشمس ، وكان يأمر المسلمين بشراء ثياب لهم ليكسوهم ، كما فعل مع سبايا هوازن[٢].

وبما أن السبي كان قاعدة موروثة عن نظم سابقة للإسلام قضت ببيع السبايا من الرجال والنساء في الأسواق ، لذلك عندما جاء الإسلام وجدها ضمن ما وجد من سنن وعادات قديمة معروفة عند العرب ، فنظمها وضبط اصولها وحصرها في نطاق ضيق إلى أن انقرضت بمرور الزمن ، وعلى الرغم من أن الإسلام قد أقر الأسر والرق ، ولكنه غير أسبابه وطرقه تغييراً جذرياً ، فقدم الدين الإسلامي فضيلة المن على الفداء ، وفتح باب العتق بأوسع طرقه ، إذ جعل تحرير الرقبة على كثير من المخالفات الدينية ، كما جعل فك الرقبة من مصارف الزكاة ، وفرض تحرير الرقبة على كثير من المخالفات الدينية ، كما شرع الدين الإسلامي أسلوب المكاتبة بين الأمة ومالكها حتى تتمكن من التحرر ، بالإضافة الى أنه وجه الأنظار إلى الزواج من الإماء المؤمنات ، واعتبر الأمة المؤمنة خير من الحرة المشركة ، وبخاصة لمن لم تكن لديهم قدرة على الزواج من الحرائر، ومع ذلك فقد أقر الدين الإسلامي حقوقًا للأمة ومنها المهر [٣] ، ويضاف الى ذلك جعل الإسلام سبايا الحرب ملك يمين ، فأصبحت الأسيرة في ظل الإسلام لاتباع ولا تفتدى بمالها حين ظهور حملها ، وعند ولادتها فأن ولدها يكون حراً وله الحق في أن يرث أباه [٤].

---

[١] الواقدي ، المغازي ،ج١/ ص١١٨-١١٩.

[٢] الواقدي ، المغازي ،ج٢/ ص٩٤٤.

[٣] الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص ٢٦١.

[٤] محمود ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص ٢٨.

روي عن أبي سعيد الخدري أنه قال : " **أصبنا سبايا يوم أوطاس** [١] **لهن أزواج ، فكرهنا أن نقع عليهن فسألنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤) ﴾** [٢] ، قال: فاستحللناهن [٣] .

وقد مضت سنة رسول الله (ﷺ) أن يعتق النساء السبايا ويتزوج بهن ، كما فعل مع جويرية بنت الحارث العربية ، وصفية بنت حيي اليهودية ، فجويرية بنت الحارث التي كان أسمها برة وقد سماها رسول الله (ﷺ) جويرية من سبايا بني المصطلق في غزوة المريسيع [٤] وقتل فيها زوجها صفوان بن مالك بن جذيمة [٥] ، فوقعت أسيرة في سهم ثابت بن قيس الانصاري أو لابن عم له ، فكاتبها على خلاصها بتسع اواق[٦] ، فجاءت لرسول الله (ﷺ) تستعينه في كتابتها ، فقال لها : " **أُؤدي عنك كتابتك واتزوجك ، قالت : نعم يا رسول الله**" ،

---

[١] أوطاس ، من وطست الشيء وطسا إذا كددته وأثرت فيه ، والوطيس هو التنور، وقيل الوطيس نقرة في حجر يوقد تحتها النار ، وأوطاس ، واد في ديار هوازن ، وقد اطلقت كلمة أوطاس على غزوة حنين لأنها سميت باسم الموضع التي حدثت فيه الموقعة ، وفي هذه الغزوة قال رسول الله (ﷺ) : " **الأن حمي الوطيس فلم يسبق لرسول الله (ﷺ) أنه قالها،** فسميت لذلك بغزوة أوطاس . ينظر، السلامي ، الروض الآنف ، ج٧/ ص٢٧٤-٢٧٥ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج /ص٢٨١.

[٢] سورة النساء ، آية٢٤.

[٣] الطبري ، تفسير الطبري ، ج١/ص١٥٢-١٥٣.

[٤] غزوة بني المصطلق ، أو غزوة المريسيع ، التي حدثت في شعبان في السنة الخامسة للهجرة ، وكان سبب هذه الغزوة هو أنه لما بلغ رسول الله (ﷺ) أن رئيس بني المصطلق الحارث بن أبي ضرار يريد ان يسير في قومه ومن معه من العرب لمحاربة المسلمين ، فخرج لهم رسول الله (ﷺ) حتى لقيهم قرب عين ماء يسمى المريسيع لذلك سميت بغزوة المريسيع. ينظر ، ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، ج٥ / ص ٢٩٠.

[٥] مالك بن صفوان، وقيل صفوان بن مالك، وقيل مسافع بن صفوان، بن أبي سرح بن مالك بن جذيمة ، كان زوجاً لجويرية بن الحارث قبل أن تسبى ويتزوجها رسول الله (ﷺ) ، حيث قتل في غزوة بني المصطلق او المريسيع، ولم تولد له . ينظر ابن سعد ، طبقات ابن سعد ، ج٨ ، ص١١٦؛الطبري، تاريخ الطبري،ج٣/ص١٦٥؛ ابو نصر البخاري ، رجال صحيح البخاري ، ج٢/ص ٨٤٢ .

[٦] اواق وزن من الاوزان يختلف مقداره من بلد الى آخر ، والاوقية أربعون درهماً . ينظر ، البغوي ، معالم التنزيل ، ج ٤/ ص٣٦٠؛ عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج١/ ص.١٣٩

فتزوجها رسول الله (ﷺ) [١]، وكان ذلك في السنة الخامسة للهجرة [٢] ، وقد مثل زواج رسول الله (ﷺ) من جويرية بنت الحارث حكم التشريع الإسلامي ومساواته بين الأسيرات وبين الحرائر، فقد رسخ في أذهان الناس درساً فيما يخص معاملة الإماء وعدم الاستهانة والازدراء بهن ، إذ كانت قبل الإسلام تتخذ للبيع أو للخدمة ، وتحرم من العتق ، ويتم شراءها بالمال [٣].

أما صفية [٤] بنت حيي بن أخطب النضرية التي كانت مما أفاء الله على رسوله يوم فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة فاعتقها رسول الله (ﷺ) وتزوجها وكان مهرها عتقها ، و قد كانت صفية زوجة لسلام بن مشكم [٥] ، ومن بعده كانت زوجة لكنانة بن أبي الحقيق [٦] ، الذي قتله المسلمون في خيبر[٧] . والحال نفسه مع ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة ، من بني النضير أيضاً ، كانت متزوجة رجلاً يدعى الحكم من بني النضير، سبيت فأسلمت فأعتقها النبي محمد(ﷺ) وتزوجها [٨].

---

[١] ابن سعد ، طبقات ابن سعد ، ج٢/ ص٤٩.

[٢] ابن هشام ، السيرة النبوية،ج٢/ص٢٩٤-٢٩٦؛ ابن سعد،الطبقات،ج٨/ص٩٢؛ الطبري، تاريخ الطبري،ج٢/ص٦٠٤، ،ج٣/ص١٦٥؛ ابو نصر البخاري ، رجال صحيح البخاري ، ج٢/ص ٨٤٢ .

[٣] عبد الحميد ، زوجات النبي، ص٥٦.

[٤] اسمها حبيبة وسميت صفية لأن رسول الله (ﷺ) اصطفاها لنفسه .الزبير بن بكار ، المنتخب من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ص٤٩

[٥] سلام بن مشكم القرضي كان الزوج الأول للسيدة صفية بن حيي زوجة رسول الله (ﷺ) ، ولم تنجب منه أولاداً . ينظر ، ابن سعد ، طبقات ابن سعد ، ج٨ ، ص٩٨؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج٣/ص١٦٦؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤/ ص١٨٧١؛ ابن حجر ، الاصابة ، ج٨ ، ص٢١٠.

[٦] كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري ، من شعراء اليهود ، الزوج الثاني لصفية بنت حيي زوجة رسول الله (ﷺ) ، ولم تنجب منه أولادًا ، قتل يوم خيبر سنة (٦هـ/٦٢٧م) فسبيت زوجته صفية . ينظر ابن سعد ، الطبقات ،ج٨/ص٩٨؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٣/ص١٦٦؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ،ج٤/ص١٨٧١.

[٧] ابن سعد ، الطبقات ، ج٨ / ص١٢٠؛ أبو نعيم ، معجم الصحابة ، ج٦/ ص٣٢٣١ ؛ الذهبي، سير ، ج٢/ص٢٣١

[٨] الزبير بن بكار ، المنتخب من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ص٤٧؛ ابن سعد ، الطبقات، ج٨/ص١٠٦.

ثانياً : الأسباب الاقتصادية

شكلت المناكح عند العرب في الجاهلية ظاهرة سلبية لاقت المرأة بسببها الأضرار والمظالم التي لا تليق بمكانتها الاجتماعية ، إذ حرمت المرأة العربية في الجاهلية من حقوقها الزوجية، فقد حرمت من المهر والصداق في الكثير من أنواع الانكحة التي عرفها عرب الجاهلية قبل الإسلام ، ومنها زواج الضيزن ، والشغار، والبدل ، والاستبضاع ، والرهط ، والمضامدة [١].

ويعد الزواج بالميراث وهو زواج الأبن الأكبر من زوجة أبيه بعد وفاته ، من أبرز أنواع الانكحة التي اكرهت المرأة على ممارستها في الجاهلي ، حيث يعد نظام الإرث عند العرب في الجاهلية من الأنظمة التي كرست الظلم وعدم المساواة بين افراد الاسرة الواحدة ، فلم يكن العرب يراعون درجة القرابة في الميراث ، بل كانوا يراعون صفات أخرى الى جانبها كالذكورة والشجاعة والقدرة على القتال وركوب الخيل والدفاع عن حمى القبيلة ، فمن كان عاجزاً عن الذود عن قبيلته عد عالة على قبيلته كالشيوخ والنساء والصبية ، وعلى الرغم من أن حرمان المرأة الأرث لم تكن عادة سارية عند جميع القبائل العربية ، إلا إنّ هذه العادة كانت شائعة بين اغلب القبائل العربية ، حيث لم يكن للمرأة في العصر الجاهلي حق في ميراث الرجل ، سواء كانت بنتاً أو زوجة أو أماً أو أختاً ، وذلك لأنه لا يورث إلا من كان يحمل السلاح و يركب الخيل ، ويدافع عن القبيلة [٢] .

وفي ذلك روي ابن حجر قصة أم كجة ، وكان زوجها أوس بن ثابت الأنصاري الذي توفى وله ثلاث بنات ، فجاءت أم كجة الى رسول الله (ﷺ) فقالت :" **يا رسول الله توفي أوس بن ثابت ، وترك مالا حسنا ، فجاء ابنا عمه قتادة وعرفطة ، فأخذا المال ولم يعطيا بناته شيئا، وهن في حجري لا يطعمن ولا يسقين ، وليس في يدي ما يسعهن** " ، فقال رسول الله

---

[١] جواد علي ، المفصل ،ج١٠،/ص٢٠٢-٢٠٥.

[٢] ابن حبيب ، المحبر، ص٣٤٢؛ المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ج٢ /ص ٦٤؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٣ / ص١٢٠ ؛ جواد علي ، المفصل ، ج١٠ /ص٢٣٤.

(ﷺ): " **ارجعي إلى بيتك حتى أنظر ما يحدث الله فيهن**" [١] ، ولما استدعاهم رسول الله (ﷺ) قالوا : " **يا رسول الله ولدها لا تركب فرسا ولا تحمل كلا ولا تنكأ عدوا** " ، حينها طلب رسول الله (ﷺ) منهم أن يمهلوه حتى ينزل حكم الله ، فنزلت آية المواريث [٢] ، وفيها قال تعالى: ﴿**لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا** ﴾ [٣] فأعطى رسول الله المرأة الثمن والبنات الثلثين [٤] ، يفهم من قصة أم كجة التي حرمت هي وبناتها من الإرث أنّ حرمان المرأة من الميراث لم يكن عاماً عند الجميع ، فلو كان سنة عامة في المجتمع لما شكت إلى رسول الله (ﷺ) ظلامتها حالها كحال بقية النساء ، ولا سبب يدعو للشكوى والتوجه الى رسول الله (ﷺ) أذ أن من المفترض أن تكون اعتادت على ذلك حالها كحال بقية النساء.

وهذا يدل على أنّ حرمان بعض النساء والصغار من الإرث كان أمراً شائعاً عند العرب في الجاهلية ، بل كان يسير وفق نمط حياتهم الاجتماعية والاقتصادية ، وذلك لأن المرأة والصغار من الذكور لا يمكن الاستفادة منهم وفق منظورهم آنذاك ، ذلك لأن الغارات كانت تعد من أهم طرق للحصول على المال ، وهذا ما لا يقوى عليه إلا الرجال القادرون على القتال ، فكان من البديهي في رأيهم أن يؤول المال إلى من عمل على كسبه ، ولم يفطن العرب في جاهليتهم أن المال لله تعالى يجعله حيث يشاء ، وأنّ النساء والصغار أولى بالمال من غيرهم ، وهذا ما أكده ابن العربي بقوله : " **وكان هذا من الجاهلية تصرفا بجهل عظيم فإن الورثة الصغار الضعاف كانوا أحق بالمال من القوي فعكسوا الحكم وأبطلوا الحكمة فضلوا بأهوائهم وأخطأوا في آرائه** " [٥].

---

[١] ابن حبيب ، المحبر، ص٢٢٤-٢٢٥.

[٢] ابن حجر ، العجاب في بيان الأسباب ، ج٢ /ص ٨٣٤.

[٣] سورة النساء ، آية ٧.

[٤] ابن حبيب ، المحبر، ص٣٢٥.

[٥] أحكام القرآن ، ج١ / ص٤٢٦.

ولم يكتف العرب بعدم توريثهم للمرأة فحسب ، بل كانوا يعدون المرأة من جملة تركة الرجل المتوفي ، حيث إن المرأة كانت تورث ضمن التركة ، فقد كان من عادات العرب عند وفاة الرجل أن يقوم ابن المتوفي أو أقرب عصبته بإلقاء ثوبه على زوجة أبيه التي هي ليست بأم له ، وبذلك يصبح أحق بها من نفسها ومن أوليائها ، وأن شاء الزواج منها فيكون بغير صداق جديد ، فتبقى على الصداق الذي اصدقها المتوفي سواء أكان بالرضى أو بالإكراه ، وفي ذلك امتهان لكرامة المرأة وعواطفها ، إضافة الى الغبن الذي كان يلحق بالمرأة على المستوى المادي ، وذلك بإجبارها على الزواج من رجل آخر وبدون مهر جديد ، فقد كان يحق للأبن البكر للمتوفى أن يزوج أرملة أبيه من غيره ، وله أن يأخذ صداقها من غير أن يعطيها شيئاً منه في حالة لم يشأ الزواج منها [١] ، وقد أطلقت تسمية الضيزن [٢] على الشخص الذي يورث زوجة ، وكان يحق للضيزن أن يبقي أرملة أبيه في بيته دون أنّ يتزوجها أو يزوجها من غيره ، إلا إذا افتدت نفسها بصداقها ، أو توفيت ، وهذا ما يسمى العضل لذلك اطلقت تسمية (العضل) على هذا النوع من الزواج كما ذكرنا سابقًا.

وكانت العرب تسمي الولد الذي يولد من زواج الرجل من امرأة أبيه المتوفى (مقتي) وذلك لأن زوجة الأب تشبه الأم ، فمن المؤكد ان هذا النوع من النكاح كان ممقوتاً وقبيحاً لا يمارس من قبل جميع العرب ، وقد حرمه الدين الإسلامي وعده فاحشة واعتبره أمراً ممقوتاً لنكاح المحارم فيه [٣]، فمنعه صراحةً في قوله تعالى :﴿ **وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾ [٤] ، فكان بمقتضى هذا الزواج يتم توريث الأبن الاكبر للمتوفى ، وله حق التصرف في أرملة أبيه باعتبارها ميراثاً للأبناء

---

[١] ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٢٥ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١/ ص٤٦٠.

[٢] ابن حبيب ، المحبر، ص٣٢٥ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ،ج١٣/ ص ٢٥٤ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٣٥/ ص٣٢٨ ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج١٠/ ص ٢٠١.

[٣] الرازي ، تفسير الرازي ، ج١٠ /ص٢٢.

[٤] سورة النساء ، آية ٢٢ .

من آبائهم [١]. وقد وردت العديد من مسميات الذين مارسوا هكذا النوع من الزواج عند عرب الجاهلية ، ومنهم الحارث بن سامة بن لؤي [٢] الذي تزوج زوجة أبيه بعد وفاته ناجية بنت جرم القضاعية التي ولدت منه عبد البيت ، وقد ترك ابنائها اسم أبيهم و تسموا باسم أمهم بني ناجية بسبب زواج المقت [٣] .

ومنهم منظور بن زبان بن سيار[٤] الذي تزوج أرملة أبيه مليكة بنت خارجة بن سنان بن هرم فولدت منه هاشم وعبد الجبار وخولة [٥]، وقد بقيت معه إلى زمن خلافة عمر بن الخطاب الذي فرق بينهما [٦]، وروي ابن حجر أن الخليفة أبا بكر الصّديق طلبهما إلى أن وجدهما بالبحرين، فأقدمهما المدينة ، وفرّق بينهما، وأن عمر أراد قتل منظور، فحلف بالله أنه ما علم أنّ الله حرّم ذلك[٧]. وقد قال منظور بعدما فرق الإسلام بينه وبين مليكة :

ألا ؛ لا أبالي اليوم ما صنع الدهر إذا ذهبت منى مليكة والخمر[٨]

ونقل ابن حبيب أيضاً أن تميم بن أبَى ابن مقبل تزوج دهماء أرملة أبيه ، وعندما فرق الإسلام بينهما قال تميم :

هل عاشق نال من دهماء حاجته في الجاهلية قبل الدين مرجوم [٩].

---

[١] الطبري ، تفسير الطبري ، ج٨ ، ص١٠٦؛ ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير،ج١ / ص ٣٨٥ ؛ ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٢ / ص٢١٠.

[٢] لم نعثر له على ترجمة .

[٣] الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٤٠/ص٤٠.

[٤] منظور بن زبان بن سيار بن منظور الفزاري ، كان في عسكر هشام بن عبد الملك يوم مات أخوه مسلمة ،حكي عن هشام والوليد بن يزيد ، روى عنه ابنه مضرس بن منظور. ابن عساكر ، تاريخ دمشق ،ج٦٠/ص٣٦١.

[٥] تزوجت خولة بنت منظور الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) ، ثم تزوجت عبد الله بن الزبير بن العوام. ابن حبيب ، المحبر، ص٣٢٦؛ ابن سعد ،الطبقات ،ج٥/ص٣١٩.

[٦] البخاري، التاريخ الكبير، ج٨/ص ٢٦؛ ابن حبيب ، المحبر، ص٣٢٦؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ،ج٦٠/ص٣٦١؛ ابن حجر، الإصابة ،ج٦/ص١٧٤.

[٧] الإصابة ، ج٦/ص١٧٤.

[٨] المحبر، ص٣٢٦.

[٩] ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٢٦.

أما محصن بن أبي قيس بن الأسلت فقد ألقى ثوبه على أرملة أبيه كبيشة بنت معن من بني خطمة فورث نكاحها ، إلا أنه تركها ، فجاءت الى رسول الله (ﷺ) تخبره بأمرها ، فقالت له : " **تركني لا ينفق علي ولا يخلي سبيلي فألحق بأهلي**" ، فرد عليها رسول الله (ﷺ) ، وقال لها: " **ارجعي إلى بيتك فان يحدث الله في شأنك شيئا أعلمتك** " ، فأنزل الله جل وعز:﴿ **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلفً**﴾[١] ، فبعد نزول الحكم الشرعي أمر رسول الله (ﷺ) محصن بن أبي قيس أن يخلي سبيل أرملة أبيه [٢] . وقد جاءت الكثير من النسوة الى رسول الله (ﷺ) وهن يشكون زواجهن بالميراث ، فقد ورث نكاحهن غير أبناء أزواجهن ، إذ كانوا يرثون نكاح النساء كما يرثون المال ، وفي ذلك أنزل الله عز وجل قوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾[٣].

وكانت من دوافع زواج الميراث أنجاب عقب للشخص للمتوفى ، إلا أن هذا السبب الظاهري لم يكن المقصود من هذا الزواج ، وفي الحقيقة يعد هذا الزواج مورد اقتصادي يمكن استغلاله والاستفادة منه وذلك بالإبقاء على زوجة المتوفى ، وهي بذلك تورث كما تورث ما سواها من تركة يجب العناية بها والمحافظة عليها كما كان يفعل بسائر أموال الرجل [٤].

وقد يرجع سبب زواج المرأة من الأخوة تباعًا في الأسرة الواحدة إلى وراثة المرأة ، إذ كانوا يعتبرون المرأة ملكاً للعائلة الواحدة تنتقل من زوج لآخر بدافع المحافظة على أموال العائلة من الضياع ، ومجمل القول أنّ هذه النظرة المتدنية لحقوق المرأة عند العرب قبل الإسلام والمعتمدة على التسلط والحرمان من حقوقها المالية كالإرث والمهر هي التي أفرزت ظاهرة

---

[١] سورة النساء ، آية ٢٢.

[٢] ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٢٧.

[٣] سورة النساء، آية ٩.

[٤] القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١/ ص٤٦٠ ؛ جمعة ، النظم الاجتماعية والسياسية ، ص٦٤.

زواج المرأة بأكثر من رجل ، ففي كثير من الأحيان كانت تجبر المرأة على الزواج من زوج أخر على اعتبار أنها تورث كسائر تركة الرجل [١] .

وقد نقلت لنا المصادر التاريخية الكثير من النساء اللواتي تزوجن بأكثر من زوج وكانوا أخوة ، فقد ورد إنّ أسماء بنت مخربة تزوجها هشام بن المغيرة ، فولدت له أبا جهل والحارث، وبعد وفاته تزوجها أخيه أبو ربيعة بن المغيرة ، فولدت له عياش وعبد الله وأم حجير [٢].

كانت أنّ هند بنت عتبة زوجة الفاكه بن المغيرة [٣] ، وقيل إنها تزوجت أخيه حفص بن المغيرة[٤] [٥] ، ومن ثم تزوجت معاوية بن أبي سفيان [٦] ، وكانت أم قتال بنت عبد بن الحارث تزوجت عمرو بن أمية ثم أخيه حرب بن أمية [٧] ، وكذلك تزوجت أم سلمة بنت عبد الرحمن ثلاثة أخوة من الخلفاء الأمويين ، وهم الوليد وسليمان وهشام أبناء عبد الملك بن مروان [٨].

وقد عرف العرب قبل الإسلام زواج المضامدة [٩] ، وهو أن يكون للمرأة أكثر من خليل ، تضامدهم ، وبالخصوص في أيام القحط والمجاعة ، وعلى الأرجح كانت المرأة تضامد

---

[١] القلقشندي ، صبح الأعشى، ج١/ص٤٦٠.

[٢] ابن سعد ، الطبقات ، ج ٨ ، ص٢٣٢.

[٣] الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومين ، أحد فصحاء العرب القدماء في الجاهلية ، عده ابن حبيب من أشراف العميان في قريش ، كان نديماً لأبي عبد الرحمن ، عوف بن عبد عوف الزهري ، عم خالد بن الوليد ، قتل بالغميصاء .للمزيد ينظر ، المحبر، ص ٢٩٧؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٥/ ص١٣٣ .

[٤] حفص بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي ، اختلف في اسمه وقيل أن أسمه ابو حفص ، وقيل أحمد بن حفص ، وقد سمي أحمد ، تزوج هند بنت عتبة فولدت له أبانا . للمزيد ، ينظر ابن سعد طبقات ابن سعد ، ج٨ /ص١٨٧، ابن منده ، معرفة الصحابة ، ص٤٤٦.

[٥] ابن حبيب ، المحبر، ص٤٣٧؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٢، ص٤٤٧.

[٦] المدائني ، المردفات ، ص٢٥.

[٧] ابن حبيب ، المحبر ، ص٤٥٠.

[٨] ابن حبيب ، المحبر ، ص٤٤٧-٤٤٨.

[٩] المضامدة ، وتعني ان تخال المرأة ذات زوج رجل او رجلين . ابن منظور ، لسان العرب ،ج٣ /ص٢٦٥-٢٦٦.

الغني من الرجال ، فإذا ما كسبت المال والطعام عادت إلى زوجها [١]، وهذا يعني أنّ المرأة كانت تمارس هذا النوع من النكاح لأسباب اقتصادية بحتة ، وفي هذا المعنى قال الشاعر ابو ذؤيب الهذلي معاتباً زوجته التي كانت ترغب في مضامدة خالد بن زهير:

تريدين كيما تضمديني وخالداً وهل يجمع السيفان ويحك في غمد [٢] ،

ونقلاً عن أبي عمرو ، قال مدرك :

لا يخلص الدهر خليل كثيرا ذات الضماد او يزور القبرا

أني رأيت الضمد شيئاً نكراً [٣].

وربما تختار المرأة رجلاً واحد تضامده لوجاهته في قومه ، كما في قصة أسماء المرية أحدى النساء الجميلات التي كانت تضامد هشام بن حرملة ، وعندما لقيها معاوية بن عمرو بن الحارث في سوق عكاظ طلب منها أن تضامده فرفضت ، وقالت له : أما علمت أني عند سيد العرب هاشم بن حرملة ، فقال لها : " **أما والله لا قارعنه عنك ، فكانت بينه وبين هاشم بن حرملة عداوة انتهت بمقتل معاوية** " [٤] .

أما نكاح صاحبات الرايات الحمر فيعد من أبرز الممارسات الممتهنة التي كانت المرأة تمارسها مرغمةً ، فكانت تلك الظاهرة رذيلة يعير بها من كان يعود بنسبه لذوات الرايات ، كما في رواية البلاذري في أن عقيل بن أبي طالب دخل على معاوية في صفين ، فسأله أي جداتكم فِي الجاهلية شر؟ فقال : حمامة ، وحمامة جدة أبي سفيان ، وهي من ذوات الرايات فِي الجاهلية ، فقال معاوية لعقيل : " **ما أبين الشبق** " [٥] **فِي رجالكم يابني هاشم ؟!! قال: لكنه في نسائكم أبين!!!** " [٦].

---

[١] ابن حبيب ، المحبر، ص٣٤٠.

[٢] ابن حجر ، الإصابة ج٢/،ص٢٩٧؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ /ص٢٦٦.

[٣] ابن منظور، لسان العرب ، ج٣/ ص ٢٦٦.

[٤] أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج١٥/ص٢٦٠.

[٥] شدة الغلمة وطلب النكاح، وقد يكون في غير الإنسان. الفراهيدي، العين، ج٥/ص٤٦؛ ابن منظور ، لسان العرب،ج١٠/ص١٧١.

[٦] أنساب الأشراف،ج٢/ص٧٢.

إلا أن العرب في الجاهلية لم يكونوا يرون في ذلك ضيراً مادامت تمارسه الجواري والإماء بدوافع الكسب والتجارة ، ومن الواضح إن الرقيق في مكة و المدينة و الطائف كانوا يرغمون الجواري والإماء على ممارسته ، من أجل فرض ضريبة على كسبهن في كل وقت ، ويمكن اعتبارها مهنة خضعت لتنظيم وترتيب خاص حتى عرفت بالمساعاة [١] ، فقد كان العرب قبل الإسلام يقيمون لهن في الأسواق الكبرى مثل سوق عكاظ , وسوق ذي مجاز ، وسوق دومة الجندل ، بيوتات خاصة أو خيم مصنوعة من الشعر . وقد ذكر ابن حبيب أنه كان لبني كلب في الجاهلية بيوت شعر فيها قن كثير يكرهونهن على البغاء [٢] ، وكانت ترفع فوق تلك الخيم الرايات الحمراء للتدليل عليهن ، لذلك اطلقت عليهن تسمية ذوات الرايات الحمر[٣]، وكانت اذا ما حملت احدى ذوات الرايات ووضعت ذكراً ألحق بأقرب الرجال شبهاً بالمولود ولم يحق له الامتناع عن قبوله ، وكانت تدعى المقسمة [٤]، أما اذا ولدت أحداهن أنثى ففي الغالب تكون الإناث من حصة املاك البواغي المتاجرين بهن ، حيث كانوا يجنون أرباح كثيرة من تجارتهن ، وخاصةً اذا كانت الأمة جميلة ، فقد أصبح عبد الله بن جدعان من أثرياء مكة في الجاهلية بسبب تجارته بالإماء [٥].

وفي كثير من الأحيان كان العوز والقحط يدفع بالرجل الى بيع المرأة والمتاجرة بها ، ومن الشواهد التاريخية على عملية بيع وشراء النساء ، هو ما ذكر من أنّ قيس بن زهير بن جذيمة العبسي قد عارض ضعن الربيع بن زياد العبسي ، وأخذ بزمام أمه فاطمة بنت الخرشب ، كما أخذ زمام زوجته ، عندها قالت أم الربيع : " **ما تريد يا قيس** ، **فأجاب قائلاً: " أذهب بكن الى مكة فأبيعكن بها بسبب درعي** " ، وكان الربيع قد أخذ درع قيس ولم يرجعها له [٦]، مما يؤكد على أن المرأة عند العرب قبل الإسلام كانت تعامل كالسلعة تباع

---

(١) ابن زكريا ، الصاحبي في فقه اللغة العربية ، ص٢٠٤.

(٢) ابن حبيب ، المحبر، ص٣٤٠.

(٣) ابو سعيد الأندلسي ، نشوة الطرب ، ص٧٩١.

(٤) ابن حبيب ، المحبر، ص٣٤٠.

(٥) ابن حبيب ، المحبر،ص٣٤٠؛ ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص٥٧٦.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج١/ص٥٦٧.

وتشترى عند الحاجة ، وهذا ما أكدته سلامة بنت معقل [١] التي قالت : " **قدم بي عمي في الجاهلية فباعني الى الحباب بن عمرو ، فولدت له عبد الرحمن بن الحباب ، ثم توفي ، فقالت امرأته : والله تباعين في دينه ، فأتيت رسول الله (ﷺ) وشكوت له ذلك ، فقال : من ولي الحباب ؟ قيل أخوه أبو اليسر بن عمرو ، فبعث إليه ، وقال : اعتقوها فإذا سمعتم برقيق قدم علي ، فأتوني أعوضكم منها ، قالت : فأعتقوني ، وقدم على رسول الله (ﷺ) رقيق فعوضهم مني غلاماً**" [٢] .

ثالثاً : الأسباب الاجتماعية

كانت تقاليد الزواج في المجتمع العربي تدل على مكانة المرأة الاجتماعية ، فلم يكن تعدد الزوجات عيباً كبيراً في ذلك المجتمع ، كما لم يكن لزواج المرأة من عدة أزواج على التوالي غريباً ، فمن النساء من تزوجت ثلاثة أو أربعة أو خمسة على التوالي [٣] وتعد الأسباب الاجتماعية من أهم الأسباب التي تدفع بالمرأة إلى الزواج بأكثر من زوج تباعاً ، ومن هذه الأسباب هو وفاة الزوج ، حيث تذكر المصادر التاريخية العديد من النساء اللواتي تزوجن بعد وفاة أزواجهن لأسباب مختلفة ، منها لتعويض المرأة عن فقدان زوجها ، كما في زواج النبي محمد (ﷺ) من سودة بنت زمعة بن قيس العامرية التي تزوجها رسول الله بعد وفاة السيدة خديجة عليها السلام في السنة العاشرة من البعثة [٤] ، وكانت متزوجة قبل رسول الله السكران بن عمرو[٥] ، الذي هاجرت معه إلى الحبشة فتحملت المصاعب والمشاق في سبيل

---

[١] سلامة بنت معقل القيسية ، وقيل الخزاعية بالولاء من خارجة قيس ، وقيل الأنصارية، روت عن رسول الله (ﷺ)، فروى حديثها محمد بن إسحاق ، عن خطاب بن صالح، عن أُمِّه عنها ، كما روى لها أبو داود. للمزيد ينظر، عبد البر ،الاستيعاب،ج٤/ص١٨٦١؛.المزي،تهذيب الكمال،ج٣٥/ص٢٠٥؛ ابن حجر ،الإصابة،ج٨/ص١٨٢.

[٢] أبي داود ، سنن أبي داود ، ج٦، ص٨٧

[٣] الخربوطلي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص١٣٣

[٤] الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٢/ ص٢٦٧.

[٥] السكران بن عمرو بن عبد شمس القرشي ، كان من أوائل المسلمين الذين هاجروا إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية ومعه زوجته سودة بنت زمعة ، وتوفي عند عودته الى مكة قبل هجرة رسول الله (ﷺ) الى المدينة ، وقيل أنه رجع الى الحبشة وتنصر فيها فتوفي هناك . ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤ /ص ١٥٤؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج ٣/ ص١١٣؛ ابن حجر ، الاصابة ، ج٢، ص ٦٨٥-٦٨٦.

الإسلام ، إذ اغضبت بتلك الهجرة أهلها وأقاربها ، ولعل موقفها من الهجرة وتضحيتها بكل غالي ونفيس في سبيل الفرار بدينها وعقيدتها ، وفراقها للأهل والأرض في الهجرة إلى الحبشة مع زوجها السكران كان سببا قوياً وراء إكرامها والرفق بها حيث إنّها لما عادت إلى مكة وتوفى زوجها أصبحت وحيدة ، فكافأها رسول الله (ﷺ) على جهادها في سبيل الله ، وكرمها بزواجه منها ، حتى إنّها بقيت عنده زهاء الثلاث سنوات أو أكثر لا تنازعها زوجة أخرى حتى تزوج من عائشة بنت أبي بكر[١] ، وعندما هم رسول الله بطلاقها قالت له : " **لا تطلقني وانت في حل من شأني ، فإنما أود أن احشر في زمرة أزواجك** " [٢].

ومن أهم الأسباب التي تدفع المرأة الى الزواج مرة اخرى بعد وفاة زوجها ، هي إعالة الأبناء وتوفير معيشتهم و تربيتهم وفق التنشئة الصحيحة ، وأمثلة ذلك كثيرة منها ، زواج رسول الله (ﷺ) من هند بنت أمية المخزومي ، أم سلمة التي كانت زوجة لعبد الله بن عبد الأسد أبو سلمة [٣]، روي عن أم سلمة أن أبا سلمة جاء يومًا إلى أم سلمة وقال لها : " **لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ، حديثا أحب إلي من كذا وكذا ، سمعته ، يقول : لا يصاب أحد بمصيبة فيسترجع عند ذلك ويقول : اللهم عندك أحتسب مصيبتي هذه ، اللهم اخلفني فيها خيرا منها إلا أعطاه الله عز وجل ، قالت أم سلمة : " فلما أصبت بأبي سلمة قلت : اللهم عندك أحتسب مصيبتي ، ولم تطب نفسي أن أقول : " اللهم اخلفني فيها خيرا منها ثم قلت : من خير من أبي سلمة ؟ أليس ؟ ثم قلت : ذلك** " ، فما ضنت أنّ الله يخلفها بخير من أبي سلمى ، حتى انقضت عدتها فأرسل اليها أبو بكر وعمر بن الخطاب لخطبتها فرفضتهما ، وعندما أرسل لها رسول الله (ﷺ) رحبت برسول الله (ﷺ) [٤] ، فتزوجها رسول

---

(١) الذهبي ، سير ، ج / ص٢٦٧؛الجميلي ، نساء النبي صلى الله عليه واله وسلم ، ص٣٧.

(٢) الفاسي ، العقد الثمين ، ج٦، ص٤٠٠.

(٣) عبد الأسد بن هلال بن عبد الله ، المخزومي ، أخو رسول الله (ﷺ) من الرضاعة ، وابن عمته برة بنت عبد المطلب ، كان مشهور بكنيته أبو سلمة اكثر من أسمه ، من السابقين في دخول الإسلام ، فهو أول من هاجر إلى أرض الحبشة ، وأول من هاجر الى المدينة ، شهد بدراً ، وتوفى في المدينة سنة (٤هـ/٦٢٥م) .للمزيد ينظر ، ابن سعد ، الطبقات ، ج٨ / ص٨٧ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ج ٤/ ص١٣١-١٣٢؛ الذهبي ، سير ،ج٣ / ص٤٠٧-٤٠٨.

(٤) المجلسي ، بحار الأنوار، ج٢٠ ، ص١٨٠.

الله (ﷺ) ليعوضها عن فقد زوجها ، فضلاً عن العطف على أولادها ، حيث كان لأم سلمة أربعة أولاد وهم ، عمر ، وسلمة ، وزينب ، ودرة ، وكان أكبرهم عمر الذي رباه رسول الله (ﷺ) ، إذ روي أن رسول الله (ﷺ) دعاه ذات يوم وعلمه آداب أكل الطعام ، فقال له : " **يا بني ، ادن ، وسم الله ، وكل بيمينك وكل مما يليك** " [١] ، فحفظ ذلك عمر، وتعلم الكثير من أفعال وأقوال رسول الله (ﷺ) ، فقد حدث وروي عن رسول الله (ﷺ) وعن أمه أيضاً [٢]،يلاحظ إنّ لرسول الله (ﷺ) الأثر البالغ والواضح في تربية أبناء زوجاته التربية السليمة وفق قيم الأخلاق الصحيحة ومبادئ الدين الإسلامي القويم ، والجدير بالذكر أن عمارة بنت الحمزة [٣] كانت زوجة لعمر بن أبي سلمة ، فروي أن رسول الله (ﷺ) زوج سلمة بن أبي سلمة من أبنة الحمزة (عمارة والأصح امامة) ، ولكن بعد وفاة سلمة تزوجها أخيه عمر [٤].

وكانت إمها سلمى بنت عميس الخثعمية من النساء المردفات أيضاً، إذ كانت زوجةً للحمزة بن عبد المطلب ، و بعد استشهاده في معركة أُحد في السنة الثالثة للهجرة تزوجت سلمى من شداد بن الهاد الليثي [٥] الذي تولى رعاية أبنتها المارة الذكر. وكان السبب ذاته في زواج

---

[١] الذهبي ، سير ، ج٤/ ص٢٤.

[٢] الذهبي ، سير ، ج٤/ ص٢٤.

[٣] عمارة وقيل أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب ،امها سلمى بنت عميس الخثعمية، اختلف في اسمها ، فقيل أن عمارة هو رجل وأمه خولة بنت قيس النجارية، والمرجح أن عمارة هي بنت ، ولعل أُمامة هي نفسها عمارة ، وما يثبت ذلك هو أن عمارة هي نفسها التي أخرجها الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من مكة في عمرة القضاء ، فأراد أخذها إليه كل من الإمام علي (عليه السلام) ، وزيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، فقضى بها رسول الله(ﷺ) لجعفر بن أبي طالب من أجل أن خالتها أسماء بِنْت عميس كانت عنده ،على اعتبار عدم جواز الجمع بين ابن الأخت والعمة، كما أن إمامة هي نفسها التي زوجها رسول الله (ﷺ) لسلمة أبن أم سلمة ومن ثم أخيه عمر بن أم سلمة ، فضلاً عن أن حمزة بن عبد المطلب لم يكن له عقب .الزبيري، نسب قريش،ص ٣٣٨؛ ابن سعد ،الطبقات،ج٨/ص٤٨،ص١٥٨؛ البلاذري، أنساب الأشراف،ج٤/ص٢٨٣،الحاكم النيسابوري، المستدرك،ج٤/ص٧٤؛ ابن عبد البر ،الاستيعاب ،ج٤/ص ١٨٦١؛ ابن حجر ،الإصابة ،ج٨/ص١٨٥.

[٤] مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٣٣٨ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف،ج٤/ص٢٨٣.

(٥) شدّاد بن الهاد واسم الهاد(أسامة بن عمرو)، وقيل اسم شداد(أسامة) واسم الهادي (عمرو) بن عبد الله بن جابر بن الكناني الليثي ،حليف بني هاشم، وإنما قيل له الهاد لأنه كان يوقد النّار ليلا للأضياف ولمن لمن سلك طريقًا ليهديهم ،ولدت له سلمى (عبد الله) شهد شداد معركة الخندق بعد أن هاجر من مكة ، فسكن المدينة، ومن ثم تحوّل إلى الكوفة،

أختها أسماء بنت عميس من أبي بكر الصديق بعد استشهاد زوجها جعفر بن أبي طالب في معركة مِؤتة سنة (٨هـ/٦٢٩م) [١] ، فولدت منه محمد بن أبي بكر ، وبعد وفاته تزوجت الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) [٢] الذي تولى رعاية أبنها محمد بن أبي بكر [٣] ، ذلك أن أعراف المجتمع العربي كانت تميل بشدة إلى الزواج بأرملة الأخ المتوفى أو الصاحب والباعث من ذلك هو رعاية أبناء الشخص المتوفى[٤].

ومن النساء اللواتي تزوجن بعد وفاة أزواجهن، سلمى بنت حفصة التي تزوجت من سعد بن أبي وقاص[٥] ، بعد استشهاد زوجها المثنى بن حارثة الشيباني [٦] أثر إصابته في يوم

ولـه روايـة عن النبـيّ (ﷺ) وعـن ابـن مسـعود، روى عنـه ابنـه عبـد الله. أبـو نعـيم، معرفـة الصـحابة،ج٣/ص ١٤٥٧؛ ابـن حجر،الإصابة،ج٣/ص٢٦٢.

[١] غزوة مؤتة ، من معارك المسلمين ضد الروم ، حدثت في أرض البلقاء بالشام سنة ٨هـ ، سلم فيها رسول الله (ﷺ) قيادة جيوش المسلمين لزيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة ، وقد استشهد هؤلاء القادة الثلاثة الذين اختارهم رسول الله (ﷺ) . ينظر، الواقدي ، المغازي ، ج٢ / ص٧٦٩ ؛ ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، ج٢/ ص٣٧٣-٣٧٩ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج٤/ ص٢٤١-٢٤٨.

[٢] ابن حبيب ، المحبر، ص١٠٧؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ،ج٤/ ص١٧٨٤.

[٣] محمد بن أبي بكر الصديق ، أمه أسماء بنت عميس ،تولى تربيته الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعدما تزوج أمه أسماء الخثعمية ، لذلك شارك الإمام علي (عليه السلام) في معاركه ، إذ كان على الرجالة في معركة الجمل ،كما شهد معه معركة صفين ، ولاه الإمام علي (عليه السلام) ولاية مصر حتى قتله فيها معاوية بن حديج سنة(٣٨ هـ /٦٥٨م). ينظر ابن عبد البر، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١٣٦٦.

[٤]عبد الكريم ، شدو الربابة ، ج٢/ ص٣٧٣ .

[٥] سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد زهرة بن عبد مناف الزهري من أوائل المسلمين ، جعله الخليفة عمر أحد الستة من أهل الشورى ، وتولى قيادة جيوش المسلمين ضد الفرس في معركة القادسية ، ولاه الخليفة عمر الكوفة بعد أن أمره بأنشائها عام (١٧هـ/٦٣٨م) ، كذلك ولاه الخليفة عثمان بن عفان ولاية الكوفة أيضاً بعد عزل المغيرة بن شعبة ، توفي سنة(٥٥هـ/٦٧٤م)، وقيل سنة (٥٦هـ/٦٧٥م) في قصره في العقيق وحمل الى المدينة ، فصلى عليه مروان بن الحكم . ينظر البستي ، مشاهير علماء الأمصار ، ص٢٦ ؛ الذهبي ، سير ، ج١/ ص٩٣-١٢٤.

[٦] المثنى بن حارثة بن بحتر الشيباني ، قدم الى رسول الله (ﷺ) وأسلم سنة (٩ هـ/٦٣٠م) ، وقيل (١٠هـ/٦٣١م) ، كان شجاعاً شهماً ، حسن الرأي والمشورة ، أرسله الخليفة ابو بكر الصديق في أول خلافته إلى العراق لتحريره من الفرس ، وحين ولي الخليفة عمر بن الخطاب أرسل اليه مدد من الجيوش بقيادة أبا عبيد بن مسعود ومعه سعد بن أبي وقاص ، وبعد استشهاده تولى المثنى قيادة جيوش المسلمين ضد الفرس حتى استشهاده سنة (١٣هـ/٦٣٤م) أثر أصابته بيوم الجسر. ينظر، ابن اعثم الكوفي ، الفتوح، ص١٣٨؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٣/ ص٤٤٤- ٤٤٦؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤/ ص١٤٥٦.

الجسر سنة(١٣هـ/٦٣٤م) [١]. ومنهن عاتكة بنت زيد بن عمرو زوجة عبد الله بن أبي بكر، التي وصفت بأنها شاعرة حسناء جميلة ، فولع بها زوجها عبد الله وشغلته عن مغازيه ، فأمره والده الخليفة ابو بكر بطلاقها ، ثم راجعها ، وبعد وفاته رثته قائلةً :

رزئت بخير الناس بعد نبيهم وبعد أبي بكر وما كانَ قصرا

فآليت لا تنفك عيني حزينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فلله عينا من رأى مثله فتى أكر وأحمى فى الهياج وأصبرا

إذا شرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا [٢].

وقد اعطاها زوجها الأول أرضاً على أنّ لا تتزوج بعد وفاته [٣] ، وقيل بأنه أعطاها مالاً ، لذلك أرسل إليها أبن عمها الخليفة عمر بن الخطاب قائلاً : " **أن قد حرمت ما أحل الله لك، فردي إلى أهله المال الذي أخذته**" [٤] ، فتزوجها عمر بن الخطاب سنة (١٢هـ/٦٢٣م)[٥].

وبعد وفاة عمر بن الخطاب ، رثته عاتكة قائلةً :

منع الرقاد فعاد عيني عائد مما تضمن قلبي المعمود

قد كان يسهرني حذارك مرة فاليوم حق لعيني التسهيد

أبكي أمير المؤمنين ودونه للزائرين صفائح وصعيد[٦]

ثم تزوجت عاتكة الزبير بن العوام ، وبعد ان قتل في معركة الجمل [٧] ، رثته وقالت :

---

(١) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ؛ ابن حجر، الإصابة ، ج٨ / ص١٨٣.

(٢) ابن عبد البر ، الاستيعاب، ج ٤/ ص١٨٧٨.

(٣) ابن سعد ، الطبقات ، ج٨ / ص ٢٠٨؛ الفاسي ، العقد الثمين ، ج٦/ ص٤١٩.

(٤) ابن حجر ، الاصابة ، ج٨ / ص٢٢٨.

(٥) ابن عبد البر، الاستيعاب ،ج٤/ ص١٨٧٨؛ ابن حجر،الاصابة،ج٨/ص٢٨٨.

(٦) ابن عبد البر، الاستيعاب ، ج٤ / ص١٨٧٨.

(٧) معركة الجمل ، وهي المعركة التي حدثت في إحدى نواحي البصرة ، بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان ، حيث خرجت السيدة عائشة للمطالبة بدم الخليفة ومعها طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ضد الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، انتهت بمقتل طلحة والزبير وانسحاب السيدة عائشة ، وقد سميت بمعركة الجمل لأنّ السيدة عائشة ركبت على هودج جمل كان يسمى عسكر في المعركة ، وكان ذلك في سنة (٣٦هـ/٦٥٦م) . ينظر، ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٨١-١٨٧، الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٤، ص٤٥٥-٥٣٩، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٧/ ص٢٢٩-٢٣٣.

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشًا رعش الجنان ولا اليد

كم غمرة قد خاضها لم يثنه عنها طرادك يَا بْن فقع القردد

ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله ممن مضى ممن يروح ويغتدي

والله ربك إن قتلت لمسلمًا حلت عليك عقوبة المتعمد [١].

ويعد الطلاق أحد الأسباب الجوهرية التي تدفع بالمرأة إلى الزواج مرة أخرى ، وأمثلة ذلك كثيرة ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، فاطمة بنت قيس التي كانت ذات جمال وعقل [٢] ، وصفت بأنها امرأة نجود [٣] [٤] ، تزوجها عمرو بن حفصة بن المغيرة ، وبعد أن طلقها عمرو خطبها معاوية بن أبي سفيان ، والجهم بن حذيفة بن غانم العدوي نصحها رسول الله(ﷺ) بالزواج من إسامة بن زيد فتم ذلك الزواج [٥] .

ويعد سوء خلق المرأة أحد الأسباب التي تؤدي إلى طلاق المرأة وتعدد أزواجها ، كما طلاق تماضر بنت الأصبغ بن عمرو التي طلقت لمرتين بسبب سوء خلقها ، على الرغم من جمالها حتى قيل أنها لما تزوج عبد الرحمن بن عوف [٦]، وقدم بها إلى المدينة رغب

---

[١] ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ / ص١٨٧٩.

[٢] ابن حجر، الإصابة ، ج٨ / ص٢٧٦؛ المزي ، تهذب الكمال ، ج ٣٥/ ص٢٦٤.

[٣] النجود ، وتعني (المرأة العاقلة النبيلة) . الزبيدي ، تاج العروس ،ج٩/ ص٢٠٧؛ الفاسي ، العقد الثمين ، ج٦/ ص ٤٣٥.

[٤] المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣٥، ص٢٦٤.

[٥] عامر أو عبيد أو عبيدة بن حذيفة بن غانم ابن عامر بن عبد الله القرشي العدوي ، اختلف في أسمه فأشتهر بكنيته (ابو الجهم)، أسلم يوم الفتح ، كان من مشايخ قريش ومن معمريها ، حيث شارك في بناء الكعبة مرتين مرة في الجاهلية ومرة في عهد الزبير، قيل أنه توفي في أواخر ايام خلافة معاوية بن أبي سفيان ، إلا أن مشاركته في بناء الكعبة أيام الزبير بن العوام يدل على أن وفاته تأخرت الى أواخر عهد الزبير. ينظر، ابن عبد البر ، الاستيعاب،ج٢/ ص٧٨٩ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٣/ ص١١٧؛ ابن حجر ، الاصابة ، ج٧ / ص٦٠-٦٢.

[٦] عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف القرشي الزهري ، كان أسمه في الجاهلية عبد عمرو ، وقيل عبد الكعبة فسماه رسول الله (ﷺ) عبد الرحمن ، شهد مع رسول الله غزواته ، أرسله رسول الله (ﷺ) في سرية سنة (٦ هـ/٦٢٧م) الى دومة الجندل لبني كلب الذين كانوا على دين النصرانية ، فأسلم قائدهم الأصبغ بن ثعلبة الكلبي ، وتزوج من ابنته تماضر، وصالح من لم يدخل الإسلام على دفع الجزية ، وهو أحد الستة أهل الشورى ، توفي سنة(٣١ هـ /٦٥١م), قيل سنة (٣٢

القريشيون في جمالها فأخذوا يسألونها أن ترشدهم إلى الزواج من بنات أخوتها وأخواتها ، فهي أول كلبية تتزوج قرشي ، ويمكن أن نعتبر زواجها زواجاً سياسيًا ، وذلك لأن عبد الرحمن بن عوف تزوجها بعدما أرسله رسول الله (ﷺ) إلى بني كلب في دومة الجندل [١] لدعوتهم إلى الإسلام وقد كانوا على دين المسيحية ، فلما أسلم رئيسهم الأصبغ بن عمرو[٢] طلب منه ان يزوجه ابنته ، فزوجه ابنته تماضر فولدت له أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وقد سألت زوجها عبد الرحمن بن عوف أنّ يطلقها وهو على فراش المرض ، فطلقها ووصى بعدم توريثها من تركته ، ولما توفى عبد الرحمن ، شكت قضيتها إلى الخليفة عثمان بن عفان فورثها وأعطاها ربع التركة ، ومن ثم تزوجت الزبير بن العوام ، وكان زواجها منه لمدة سبعة أيام ، لذلك كانت تقول للنساء : " **إذا تزوجت أحداكن فلا يغرنكن السبع بعد ما صنع بي الزبير**" [٣].

وتعد الأسباب الدينية من أهم الأسباب التي تؤدي بالمرأة إلى أن تصبح مردفة لزوجين أو أكثر وخاصة في فترة صدر الإسلام وتغير الكثير من المبادئ والأعراف الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع العربي قبل الإسلام ، فجاءت الشريعة الإسلامية بتعاليم غيرت الكثير من المفاهيم الخاطئة التي كانت سائدة في المجتمع العربي ، ومنها ما جاء في سورة الممتحنة ، فبعد نزول قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ من أَزْواجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ فَآتُوا**

هـ /٦٥٢م)، وعمره خمسة وسبعون سنة في المدينة . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢/ ص ٦٨ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٢ / ص ٨٤٤-٨٥٠.

[١] دومة الجندل ، حصن وقرى بين الشام قرب جبل طي ، قيل أنها سميت بدومة الجندل نسية الى ولد النبي أسماعيل (عليه السلام) دوم أو دومان ، وقيل دوماء ، فلما كثر ولد إسماعيل بتهامة خرج دوماء بن إسماعيل حتى نزل موضع دومة وبنى به حصنا فقيل دوماء ونسب الحصن إليه ، وقيل انها سميت بدومة الجندل لأن حصنها بني من حجر الجندل ، وهي على سبع مراحل من دمشق تبعد عن المدينة خمس عشرة ليلة ، وقيل ثلاثة عشرة ليلة . البلاذري ، معجم البلدان ، ج٢/ ص ٤٨٧، المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص٢١٥.

[٢] الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب ، كان شاعر وسيد دومة الجندل ، كان على دين النصرانية فأسلم على يد عبد الرحمن بن عوف في حياة النبي(ﷺ) ، وتزوج عبد الرحمن بن عوف ابنته فولدت له سلمة وبه كان يكنى . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢/ ص ٦٨ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٢ / ص ٨٤٤-٨٥٠؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق ، ج٦٩/ص٧٩ ؛ ابن حج، الإصابة ،ج١/ص٣٤٦-٣٤٧.

[٣] ابن سعد ، طبقات ابن سعدج٨/ ص٢٣٢.

الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْواجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾[١] ، وقد ذكر لنا ابن حبيب أسماء ستة من النسوة اللواتي لحقن بالمشركين فأمر رسول الله (ﷺ) بتطليقهن واعطائهن مهورهن من الغنائم[٢] وهن ، أم الحكم بنت أبي سفيان زوجة عياض بن غنم بن شداد [٣]، هند بنت عمرة بنت عبد العزي بن نضلة زوجة عمرو بن عبد عمرو ذي الشماليين الخزاعي[٤]، بروع بنت عتبة بن ربيعة زوجة شماس بن عثمان المخزومي[٥] ، وهند بنت أبي جهل زوجة هشام بن العاص بن وائل السهمي[٦] ، كما طلق الخليفة عمر بن الخطاب امرأتين كانتا له على الشرك في الجاهلية بعد نزول آية الممتحنة ، وهما أم كلثوم بنت عمرو بن جزول الخزاعية، التي رفضت الهجرة مع زوجها فتركها وهاجر[٧] ، وتزوجها بعد طلاقها أبو جهم بن حذافة بن غانم [٨] [٩] ، أما قريبة بنت أبي أمية المخزومي أخت أم

---

[١] سورة الممتحنة ، آية ١١.

[٢] المحبر، ص٤٣٢-٤٣٣.

[٣] عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد ، يكنى بأبو سعيد الفهري ، شهد مع رسول الله (ﷺ) بدر، وأحد ، والخندق ، وشهد فتوح الشام والجزيرة استخلفه أبو عبيدة الجراح بعد وفاته ، فولاه الخليفة عمر بن الخطاب على الشام ، توفى سنة (٢٠هـ/٦٤٠م) . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٢٧٩-٢٨٠، البستي ، مشاهير علماء الامصار ، ص٨٧ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤٧ / ص٢٦٥ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ج٤ / ص ٦٢٩.

[٤] عمرو بن أبي عمرو بن نضلة بن عامر بن الحارث بن غسان حليف بني زهرة ، يقال له ذو الشماليين ، استشهد في معركة بدر الكبرى . الماردِيني ، الجوهر الثمين ، ج٢/ ص ٣٦٧ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ج ٤/ ص٥٤٤.

[٥] شماس بن عثمان بن الشريد بن هرمي المخزومي ، اسمه عثمان ولقب بشماس لوضاءته ، كانت أمه ام حبيب بنت سعيد بن يربوع من المهاجرات الاوائل ، هاجر الهجرة الثانية الى أرض الحبشة ، شهد غزوة بدر الكبرى ، واستشهد في معركة أحد . ابن سعد ، طبقات ابن سعد ، ج٣ /ص٣٤٥ ؛ البغوي ، معجم الصحابة ،ج٣/ ص٣٣١؛ ابو نعيم ، معرفة الصحابة ، ج ٣/ ص١٤٨٩.

[٦] هشام بن العاص بن وائل السهمي ، اخو عمرو بن العاص ،كان يكنى أبا العاص فكناه رسول الله (ﷺ) ابا مطيع ، أسلم وهاجر الى الحبشة في الهجرة الثانية للمسلمين ، وبعد ان عاد من الحبشة وسمع بهجرة رسول الله (ﷺ) الى المدينة أراد اللحاق برسول الله (ﷺ) ، إلا أن أباه وقومه منعوه من ذلك ، حتى تمت له الهجرة الى المدينة الى ما بعد واقعة الخندق، بعثه ابو بكر الصديق رسولاً الى الروم ، واستشهد في معركة اجنادين وقيل في موقعة اليرموك في الشام .ينظر ، البستي ، مشاهير علماء الامصار، ص٥٨ ؛ أبو نعيم ، معرفة الصحابة ، ج ٥ / ص ٢٧٤٠؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٧٤ / ص ١٢؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٨ / ص ٨٦.

[٧] ابن حبيب ، المحبر، ص٤٣٢.

[٨] ابو جهم بن غانم بن عامر ابن كعب القرشي ، العدوي، اختلف في أسمه قيل ان اسمه عامر وقيل عبيد ، كان من مشايخ قريش، وعالماً بالنسب فهو أحد الاربعة الذين كانت قريش تأخذ منهم علم النسب ، أسلم يوم الفتح ، ويعد من

سلمى زوج الرسول الزوجة الثانية التي طلقها عمر بن الخطاب ، فقد تزوجت بعد طلاقها معاوية بن أبي سفيان وهو على الشرك[١] ، وذكر ابن حبيب أنّ أبو سفيان قال لأبنه : " **أتتزوج ظعينة عمر؟ أنزل عن ثقله** " فطلقها [٢]، ومن بعده تزوجت عبد الرحمن بن أبي بكر[٣] ، فأنجبت له عبد الله وأم حكيم وحفصة ، وكانت بارعةً في الجمال ، وفي أحدى الأيام قالت له : " **أما والله لقد حذرتك، قال: فأمرك بيدك، فقالت: لا أختار على ابن الصديق أحدا**"، فأقام عليها فلم يكن يطلقها [٤].

ومن الحالات الخاصة التي أدت الى تعدد أزواج النساء ، هي حالة واحدة حدثت في صدر الإسلام لأبطال عادة تحريم الزواج بنساء أولاد التبني ، وتمثلت تلك الحالة في زواج رسول الله (ﷺ) من ابنة عمته زينب بنت جحش ، بعدما كانت زينب متزوجة من زيد بن حارثة الذي كان يتبناه رسول الله (ﷺ) ، وكان يدعى زيد ابن محمد [٥] ، وقد كان لزواج زيد من زينب بنت جحش شأن عظيم عند العرب ففي هذا الزواج تساوى الحر والعبد ، حتى أن زينب نفسها حين خطبها النبي (ﷺ) لزيد رفضت ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**﴾ [٦] .

المعمرين في قريش ، إذ شهد بناء الكعبة مرتين مرة في الجاهلية ومرة في عهد ابن الزبير ، توفي في آخر خلافة معاوية . ابن سعد ، طبقات ابن سعد ، ج٦/ ص٨ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج ٤/ص ١٦٦٣-١٦٦٤.

[٩] ابن حبيب ، المحبر، ص٤٣٣؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٨ / ص٤٦٤.

[١] الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢/ ص٦٤٠.

[٢] المحبر، ص٤٤٩.

[٣] عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة كنيته أبا عبد الله ، وقيل كنيته أبا محمد ، وأم عبد الرحمن أم رومان بنت الحارث الكنانية ، فهو شقيق عائشة. وشهد عبد الرحمن بدرا وأحدا مع قومه كافرا ، ثم أسلم قبل يوم الفتح ، وشهد معركة الجمل مع أخته عائشة ، أما أخوه محمد فكان مع الامام علي (عليه السلام) ، توفي سنة(٥٣ هـ /٦٧٢م) بمكة ، وقيل سنة (٥٥هـ /٦٧٤م) . ينظر ، ابن عبد البر ،الاستيعاب ،ج٢،/ص٨٢٤- ٨٢٩ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢/ ص ٥٢٠-٥٢١ .

[٤] الطبري ، تاريخ الطبري،ج٢/ص ٦٤٠.

[٥] الاستيعاب ، ج٢/ ص٥٤٥ ؛ ابن حجر، الاصابة ،ج٢/ ص٤٩٦.

[٦] سورة الأحزاب ، آية ٣٦.

فجعلت زينب أمر زواجها بيد رسول الله (ﷺ) ، فزوجها لزيد إلا أنها وبالرغم من كل ذلك شعرت بعظم شأن نسبها وحسبها ، فأخذ زيد يشكوها الى رسول الله (ﷺ) وطلب منه أن يأذن له بطلاقها ، فطلقها ، ولما انقضت عدتها اتاه الوحي جبرئيل يأمره بالزواج من زينب بنت جحش[١]، بقوله عز وجل :﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا** ﴾ [٢].

فتزوجها رسول الله (ﷺ) وكان يريد بهذا الزواج أن يحقق تشريع إسلامي يزيل به عرف اجتماعي وتقليداً كان سائدًا عند العرب قبل الإسلام ، وهو تحريم زواج زوجة المتبنى من المتبني ، كما كان هدف رسول الله (ﷺ) من هذا الزواج إزالة الفوارق الطبقية بين الناس ، فقد كان رسول الله (ﷺ) حريصاً على كسر العصبية القبلية بالمساواة بين الناس مهما اختلفت أنسابهم ، يضاف إلى ذلك أن زواج رسول الله (ﷺ) من زينب بعد طلاقها من زيد رد اعتبار لأبنة عمته زينب ، فهي من السابقات لدخول الإسلام ، وقد يقول قائل من يتزوجها بعد أن زهد بها زيد وهو من الموالي ، فلكل إنسان كرامته التي لا يمكن إزالتها [٣] ، فقد أصبحت بزواجها من رسول الله (ﷺ) أم المؤمنين حيث وضعت الشريعة الإسلامية نساء النبي (ﷺ) في دائرة الأمومة ، فكانت كل امرأة تزوجها رسول الله (ﷺ) حملت لقب (أم المؤمنين)[٤] .

---

[١] الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢٠ / ص٢٧٠ –٢٧١.

[٢] سورة الأحزاب ، آية ٣٧.

[٣] الطراونة ، الزواج والطلاق في صدر الإسلام ، ص.١٤١

[٤] أيوب ، زوجات النبي (ﷺ) ، ص.٢٩.



الدور السياسي للنساء المردفات

المبحث الأول

دور المرأة المردفة في تعزيز التحالفات السياسية

أولاً : أثر المصاهرات عند العرب قبل الإسلام .

كانت القبائل العربية متداخلة فيما بينها بصيغة تحالفات وتكتلات قبلية ، تربطهم رابطة النسب أو الجوار، كما لم تكن بينهما حدود فاصلة بل كانت حدودهم مفتوحة إذ لا يوجد بينهم أي عارض طبيعي ، وعادةً ما يكون التحالف بين قبيلة ضعيفة وأخرى أقوى منها ، لتضمن سلامتها وحمايتها ، وفي مكة قامت الأحلاف المختلفة إلى جانب التضامن القبلي المبني على أساس المصالح التجارية [١]، وقد ينتج عن هذا التحالف ارتباط القبائل العربية برابطة النسب والمصاهرة والتي لها أثرها السياسي الكبير على كلا الطرفين ، ومن أبرز تلك الزيجات ، زواج كلاب [٢] بن مرة الجد الخامس لرسول الله (ﷺ) من فاطمة بنت سعد بن سيل على أثر حلف قبيلتها مع قبيلة قريش ، وقد نتج عن هذا الزواج ولدين وهما زهرة [٣] ، وقصي، وبعد وفاة كلاب بن مرة تزوجت فاطمة من ربيعة بن حرام القضاعي [٤] الذي أخذها إلى بلاد الشام حيث تسكن قبيلته ، وقد أخذت معها ولدها قصي الذي كان صغير

---

[١] ابن خلدون ،المقدمة،ص١٨٠؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،ج٧/ص ٢٨٦؛ الكعبي ، عصر النبوة ، ص٤٣.

[٢] كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، وكان يكنى (أبا زهرة) ، وقيل أن اسم زهرة (المغيرة) ، لذلك كان كلاب يكنى (أبا المغيرة) ، وأمه فاطمة بنت سعد بن سيل من الجدرة من الأزد . ينظر الزبير بن بكار، نسب قريش، ص١٤؛ الكلبي، جمهرة انساب العرب ، ص٣، ص١٤-١٥؛ البلاذري ، أنساب الأشراف، ج١/ص٤٧؛ ابن سعد، الطبقات ،ج١/ص٥٢.

[٣] زهرة بن كلاب بن مرة من العدنانية ، أمه فاطمة بنت سعد بن سيل ، وهو الأبن الأكبر لكلاب بن مرة ، وببعد زواج أمه من ربيعة بن حرام القضاعي ، بقي زهرة مع قوم أبيه، أما أخيه قصي فبقي مع أمه ذلك لان قصي كان صغير جداً على العكس من زهرة الذي كان كبيراً في العمر. الزبير بن بكار ، نسب قريش، ص١٤؛ الكلبي ، نسب معد واليمن الكبير ،ج٢/ص٧١٦؛ المبرد ، نسب عدنان وقحطان، ص٣؛ الطبري ، تاريخ الطبري،ج٢/ص٢٥٤-٢٥٥ ؛ القلقشندي ، نهاية الآرب في معرفة أنساب العرب، ص٢٧٥.

[٤] ربيعة بن حرام بن ضنة من بني عذرة القضاعي ، تزوج من فاطمة بنت سعد بن سيل، فولدت له رزاح ، وحنا، وهم أخوة زهرة وقصي لأمهم فاطمة بنت سعد . ينظر، ابن الزبير بن بكار ، نسب قريش، ص١٤؛ الكلبي ، نسب معد واليمن ،ج٢/ص٧١٦؛ الكلبي، نسب معد واليمن،ج٢/ص ٧١٦؛ المبرد، نسب عدنان وقحطان، ص٣؛ الطبري ، تاريخ الطبري،ج٢/ص٢٥٤-٢٥٥.

العمر ولهذا السبب سمي (قصي) ، ذلك أن أسمه كان (زيداً) ، أما أبنها الكبير زهرة فقد بقي مع قومه في مكة ، وهذا ما أكده ابن سعد بقوله : " **فَوَلَدَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ سَعْدٍ لِكِلابِ بْنِ مُرَّةَ زُهْرَةَ بْنَ كِلابٍ. ثُمَّ مَكَثَتْ دَهْرًا. ثُمَّ وَلَدَتْ قُصَيًّا فَسُمِّيَ زَيْدًا** "[١] ، مما يدلل على فارق العمر بين قصي وأخيه زهرة ، حتى قيل أن ولادة قصي كانت بعد ما تقدم بكلاب العمر وذهب بصره ، لذلك نجد أن قصي قد عاش في كنف زوج أمه منذ نعومة أظافره حتى أنه أُلحق بنسبه لدرجة أن قصي نفسه لا يعلم بنسبه الحقيقي ، وروي أنه في أحد الأيام اختلف قصي مع أحد أبناء بني قضاعة ، وعندما أشتد النزاع بينهما نفى القضاعي نسب قصي لأبيه ، حينها أتى أمه وسألها عن أبيه قائلاً: " **من أبي؟ فقالت : ربيعة أبوك ، فقال: لو كنت ابنه ما نفيت ، قالت : فأبوك والله خير منه وأكرم ، أبوك كلاب بن مرة من أهل الحرم** " [٢] ، وعلى أثر ذلك قرر قصي الرجوع إلى أهله في مكة ، فأشارت عليه أمه بأن يذهب إلى مكة مع الحجيج ، فسافر مع حجيج قضاعة قاصدًا قريش ، وعندما ألتقى بأخيه زهرة قال له قصي:" **أنا أخوك ، فقال زهرة : ادن مني! فلمسه وقال : أعرف والله الصوت والشبه** " [٣].

يتضح لنا من قصة قصي بن كلاب أن لزواج المرأة مرة أخرى يعود بالإيجاب على الفرد ، ذلك أن المرأة التي تفقد زوجها وتتزوج من بعده تضمن كفالة أبناءها من قبل زوجها الآخر، إذ يتحمل معيشته وتربيته ، فيصبح كأنه أحد أفراد الأسرة الجديدة وبدون منازع له ، على الرغم من أنه لا ينتمي إلى الأسرة الجديدة بالنسب ، ولربما يلحق بنسب زوج أمه حفاظًا على مشاعره ، كما في قصة قصي بن كلاب الذي عاش بين أخوته من أمه ، فكان لكل ذلك أثره الفعال في تكوين شخصية قصي ، فقد عاش متفوقًا في أعماله ومراكزه ، ومن المعروف أن مكة لم تكن تعرف السيادة قبل مجيء قصي ، إذ يعود الفضل لقصي في

---

[١] الطبقات، ج١/ص٥٥.

[٢] ابن حبيب ، المنمق في أخبار قريش ،ص٣١.

[٣] ابن حبيب ، المنمق في أخبار قريش ،ص٣١.

تأسيس (دار الندوة)[١] ، كما كان له دوراً في تشجيع الناس على بناء البيوت حول مكة ، حيث أنزل قصي من قريش منازلهم في مكة، ، فأنزل قريش بطائح مكة وظواهرها إلى أن استقرت بقريش الدار، بعد تمكن قصي من القضاء على زعامة قبيلة خزاعة [٢] ، وفي ذلك قال الشاعر:

قُصَيٌّ لَعَمْرِي كَانَ يُدَعَّى مُجَمِّعًا بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فِهْرِ[٣].

ويذلك يكون قصي شغل المناصب الرفيعة ، مثل زعامة دار الندوة التي مثلت حكومة مكة آنذاك ، وسدانة الكعبة والرفادة والسقاية ، فأصبح بذلك رئيساً لتلك الديار دون منازع ، وقد وصفه ابن هشام قائلاً: " **فكان أمره في قومه من قريش في حياته ، ومن بعد موته ، كالدين المتبع لا يعمل بغيره** " [٤] ، يفهم من قصة قصي بن كلاب أن للبيئة أثر كبير في تنشئة الطفل، كون الطفل" **عندما يولد تكون ذاته غير متكونة فهي تتكون بصورة تدريجية ، نتيجة للتفاعل بينها وبين ذوات اشخاص آخرين** " [٥] ، فعلى الرغم من نجابة قصي ، إلا أنه كان متأثرًا بزعامة أخويه من أمه (رزاحًا وحنا) اللذان كانا سيدا قضاعة وخاصةً رزاح الذي كانت قضاعة قد اجتمعت على تسيده [٦].

---

[١] دار الندوة ،وتعني الندوة الاجتماع للمشورة والرأي ، وسميت الندوة لأنهم كانوا ينتدون فيها للخير والشر، وهو مجلس شورى أسسه قصي بن كلاب في مكة وجعل بابه إلى مسجد الكعبة، فكانت قريش تقضي فيها جميع أمورها ، إذ كان لا يعقد لواء ولا نكاح إلا فيها، إذ كان يجتمع في دار الندوة رؤساء القبائل العربية لحل جميع مشكلاتهم ، وقد وصارت دار الندوة بعد بني عبد الدار ابن قصي إلى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وفي زمن معاوية باعها بمائة الف درهم ، وقد لامه معاوية على بيعها قائلاً له: " **وَقَالَ : أبعت مكرمَة آبَائِك وشرفهم ؟ فَقَالَ حَكِيم : ذهبت المكارم إِلَّا التَّقْوَى، وَالله لقد اشْتَرَيْتهَا فِي الْجَاهِلِيَّة بزق خمر، وَقد بعتها بِمِائَة ألف دِرْهَم، وأشهدكم أَن ثمنهَا فِي سَبِيل الله، فأينا المغبون؟** ". ينظر ،ابن هشام السيرة النبوية،ج١/ص١٢٥؛ السلامي،الروض الآنف،ج٢/ص٣٤؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان،ج٥/ص١٨٦؛ ابن كثير، السيرة النبوية،ج١/ص٩٧.

[٢] ابن كثير، السيرة النبوية،ج١/ص٩٧.

[٣] ابن هشام السيرة النبوية،ج١/ص١٢٦.

[٤] ابن هشام السيرة النبوية،ج١/ص١٢٥.

[٥] شرابي ، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، ص٣٣.

[٦] ابن حبيب، المحبر، ص٤٥٦.

ولا يمكن أن نغفل دور زوجة قصي بن كلاب (حبي بنت حليل بن حبشية الخزاعية) التي كان لها أثرها الواضح في حصول زوجها على السيادة والزعامة في مكة بعد تمكنه من إنهاء سيادة خزاعة ، فقد كان والد حبي (حليل بن حبشية)[١] قد تولى سدانة الكعبة ، ولكن بعدما تقدم به العمر ورأى نفسه عاجزاً عن القيام بمهامه قام بإعطاء مفاتيح الكعبة إلى أبنته حبي ، وهذا ما أشار إليه الفاكهي بقوله : " **كان حليل يفتح الْبَيْت فَإِذا اعتل أعْطى ابْنَته الْمِفْتَاح حَتَّى تفتحه فَإِذا اعتلت اعطت زَوجهَا قصيا يَفْتَحهُ وَكَانَ قصي يعْمل فِي أَخذ الْبَيْت وحيازته إِلَيْهِ وَقطع ذكر خُزَاعَة مِنْهُ** " [٢].

ومن جدات رسول الله (ﷺ) سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية التي تزوجت لمرتين ، كان زوجها الأول أحيحة بن الجلاح [٣]، الذي ولدت له عمرو[٤] ، ومعبد[٥] ، ومن بعده تزوجت

---

[١] حُليل بن حبشية بن سلول الخُزاعي ، شاعر جاهلي، ، وهو آخر خزاعي ولي البيت الحرام ، بعدما أوصى إلى ابنته (حُبّى) بمفتاح الكعبة فأعطته لزوجها (قصي بن كلاب) ، وكان لحليل من الولد (المحترش) وهم بنو غبشان الذي قيل أنه ابتاع مفتاح الكعبة من قصي بن كلاب بزق خمر، و(هلال)و(عبد نهم) ، و(عامر) ، وقد تفاخر حليل في شعره بتوارث قبيلته سدانة البيت الحرام وأنهم من قبائل الخُمس الذين كانوا يشددون على أنفسهم في دينهم وهم (قريش، خزاعة، كنانة ، وبعض من تميم ، وعامر ، وقضاعة) ، و إلى حليل يرجع نسب (كُرز بن علقمة بن هلال) الذي قفا أثر رسول الله (ﷺ) حتى انتهى إلى غار ثور. ابن سعد، الطبقات ،ج٥/ص٤٥٨؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان،ج٥/ص١٨٦؛ القلقشندي، نهاية الأرب ، ص٢٣٥؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٦/ص٩؛الزركلي ،الأعلام،ج٢/ص٢٧٠.

[٢] أخبار مكة ،ج٥/ص١٣٦.

[٣] أحيحة بن الجلاح بن الْحَرِيش بن جحجبى بن كلفة بن عَوْف بن عَمْرو الأوسي ، أبو عمرو، شاعر جاهلي، كان سيد يثرب، ومن شجعان العرب ودهاتهم ، وقد كان له حصن في يثرب سماه المستظل ، وفي ظاهرها حصن في سماه الضحيان، كما كانت له مزارع وبساتين وأموال وفيرة ، وقال البغدادي: " **كان سيد الأوس في الجاهلية وكان مرابياً كثير المال**" ، كانت سلمى بنت عمرو النجارية زوجة لأحيحة ، وقد أغفلت المصادر التاريخية عن سبب انفصال سلمى النجارية عن زوجها الأول أحيحة هل كان فراقها عنه بسبب الموت أم كان بسبب الطلاق ؟ فقد أكدت أكثر المصادر التاريخية أن سلمى النجارية تزوجت هاشم بن عبد مناف بعد احيحة ، إلا أن تلك المصادر لم توضح سبب انفصال سلمى عن احيحة ، بينما ينفرد أبو الفرج الأصفهاني برواية مفادها أن انفصال سلمى عن أحيحة كان عن طلاق وكان سبب الطلاق أن سلمى قد احتالت على زوجها لتنذر قومها عن استعداد زوجها وقومه لغزوهم لاسيما وأن احيحة كان سيد قومه ، ومن بعده أصبحت سلمى زوجة لهاشم بن عبد مناف الذي كانت وفاته نحو عام (١٠٢) قبل الهجرة . ابن سعد، الطبقات ،ج١/ص٦٤-٦٥؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١٥/ص٣٧؛ الطبري ، تاريخ الطبري،ج٢/ص٢٤٧؛ المزي ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ،ج٢١/ص ٥٤٠ ؛ البغدادي، خزانة الأدب،ج٣/ص٣٥٧-٣٥٨.

[٤] عمرو بن أُحيحة بن الجلاح بن الجريش الأنصاري ، وهو أخو عبد المطلب بن هاشم لأمه سلمى بنت عمرو النجارية ، قيل انه روي عن رسول الله (ﷺ)، إلا أن ذلك مستبعد جداً لفارق الزمن والسن بينه وبين رسول الله (ﷺ) ، ولعله يكون

هاشم بن عبد مناف الجد الثاني للنبي محمد (ﷺ) [١]، وذكر ابن سعد أن هاشم كان قد خرج في أحدى رحلاته التجارية إلى يثرب ونزل في سوق النبط [٢]، فرأى امرأة حازمة جالسة في موضع من السوق تأمر بما تشتري ويباع لها ، فقد كانت ذات شرف في قومها حتى أن أمر نكاحها كان بيدها فكانت إذا كرهت رجلاً فارقته , فعندما تقدم هاشم بن عبد مناف لخطبتها تزوجته لشرفه ، والواضح من رواية ابن سعد إنّها اشترطت عليه أن تسكن في يثرب (المدينة) لأن ابن سعد عند ذكره وليمة زواج هاشم أكد بأنها كانت في يثرب ، كما ذكر أن من حضر الوليمة رجالاً من الخزرج ، وكذلك ذكر أن أربعين شخصاً ممن رافقوا الحملة التجارية قد حضروا الوليمة أيضاً ، مما يؤكد إنّ هاشم تزوجها في يثرب ، وبما أن أمر زواجها بيدها فقد بقيت في قومها ، ومما يثبت ذلك هو أن ولادة عبد المطلب (شيبة الحمد) [٣] في يثرب ، فبعد أن أتم هاشم زواجه وأكمل رحلته التجارية التي توفى فيها ، بقي شيبة الحمد مع أمه في يثرب إلى أن أُخذ منها وهو في سن السابعة أو الثامنة من عمره ، عن طريق عمه المطلب الذي قام بجلبه إلى مكة [٤].

حفيدا لعمرو بن أحيحة كان أسمه عمرا فنسب إلى جده . ينظر، ابن سعد ،الطبقات ،ج٣/ص١١٦١؛ ابن عبد البر،الاستيعاب،ج٣/ص١١٦٢؛ مغلطاي ، الإنابة الى معرفة الصحابة،ج٢/ص٦٤؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب،ج٨/ص٣.

[٥] لم نعثر له على ترجمة .

[١] ابن سعد ، الطبقات ،ج٣/ص١١٦١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب،ج٣/ص١١٦٢؛ مغلطاي، الإنابة الى معرفة الصحابة،ج٢/ص٦٤؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب،ج٨/ص٣.

[٢] كانت في ديار يهود بني قينقاع في يثرب ، وي أنّ رسول الله(ﷺ) دخله بعد رجوعه م معركة بدر الكبرى، فنظر إليه ، فقال : " **ليس هذا لكم بسوق** " ثم رجع إلى هذا السوق ، فطاب به ، فقال : " **هذا سوقكم ، فلا ينتقص ولا يضرب عليه خراج** ".ابن أبي عاصم ، الآحاد والمثاني،ج٣/ص٤٥٤؛ المزي تهذيب ، الكمال، ج٢٠/ص٣٦٩؛ المجلسي، بحار الأنوار،ج١٧/ص٢٠٣.

[٣] يُذكر أن أسمه كان عمرو، وقيل عامر، وقد سمي بشيبة الحمد لأنه ولد وفي رأسه شيبة ، أما تسمية غيره بشيبة فكان لدوا عي التفاؤل ببلوغ سن الحكمة والرأي ، وبالنسبة الى أسمه المشهور به(عبد المطلب) ، فقد عرف شيبة بعبد المطلب ، ذلك لأنه بعد أن أتي به إلى مكة ودخلها خلف عمه المطلب قالوا :" **هذا عبد المطلب**" ، فلزمه الاسم وغلب عليه. للمزيد ، ينظر ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، ج١/ص١٣٧-١٣٨ ؛ ابن سعد ،الطبقات،ج١/ص٤٦؛ ابن قتيبة الدينوري ،المعارف ،ص٧٢؛ السلامي، الروض الآنف،ج١/ص٢٦-٢٧.

[٤] الطبقات ،ج١/ص٦٤-٦٥.

ويتفق الطبري مع ابن سعد في أن ولادة عبد المطلب كانت في يثرب وفقاً لشرط سلمى ، إلا أنه أختلف عنه في مسألة رؤية هاشم لسلمى ، إذ يشير الطبري في حديثه عن أمر زواج هاشم بن عبد مناف ، بأن هاشم كان يتردد في تجارته إلى الشام كثيراً ، وفي أحدى سفراته مر بيثرب فنزل على والد سلمى عمرو بن زيد الخزرجي[١] ، وقبل انصرافه رأى ابنته سلمى فأعجبته وخطبها ، وقد اشترط عليه أن لا تلد إلا عند أهلها ، فبعد أنّ تزوجها هاشم أخذها معه إلى مكة ، ولكن لما حملت وقربت ولادتها قام هاشم بإرجاعها إلى بيت أهلها ، تنفيذًا للعهد الذي برمه هاشم مع أبيها ، ثم مضى إلى الشام في تجارته التي توفى فيها [٢].

أما اليعقوبي فذكر أن هاشم لما أراد الخروج في تجارته إلى الشام ، حمل زوجته سلمى وأبنه عبد المطلب إلى المدينة لتكون عند أبيها وأهلها[٣] ، فحسب رواية اليعقوبي أن عبد المطلب قد ولد في مكة ثم أخذته أمه الى المدينة ، وعلى أية حال فمن المؤكد أن شيبة الحمد ولد في يثرب ، ومن ثَم تم استرجاعه الى أهله ، ويسترسل اليعقوبي في حديثه عن عبد المطلب ، إذ ذكر أن المطلب بن عبد مناف لما تولى زعامة مكة بعد أخيه هاشم ، وسمع بأن أبن أخيه هاشم قد كبر بعدما وصف له حاله من خلال رجل مر بالمدينة ، فوصف له حال ابن أخيه وهو يترامى بالسهام مع غلام ، إذ نقل للمطلب أنه رأى أحد الغلامين أصاب السهم وهو؟ فأجابه بأنه شيبة بن هاشم بن عبد المطلب [٤] ، فما كان من المطلب إلا أن قال للرجل : أغفلته ، أما والله لا أرجع الى أهلي حتى آتيه ، حينها خرج المطلب إلى المدينة ، حتى أتي بني عدي بن النجار ، ولما نظر إلى أبن أخيه قال : " **هذا أبن هاشم ؟ فقال القوم : نعم** "، وقد نصحه القوم أنّ لا يخبر أمه ، ففعل ذلك وانطلق بأبن أخيه إلى مكة ، وعندما دخل مكة والناس في مجالسهم وأسواقهم ، قاموا يرحبون بقدومه ويقولون من هذا

---

[١] لم نعثر له على ترجمة .

[٢] تاريخ الطبري،ج٢/ص٢٤٧.

[٣] الطبقات ،ج١/ص٦٤-٦٥.

[٤] تاريخ اليعقوبي ،ج١/ص٢٠٩-٢١٠.

معك ؟ فقال لهم :"**عبدي أبتعته بيثرب**" ، إلا أنه بالرغم من أخبار المطلب للناس بأمر ابن أخيه شيبة ، إلا أنّ أسم عبد المطلب بقي ملازمه له ، بل وقد محي أسم شيبة [١].

ثانياً : دور المصاهرات في نشر الدين الإسلامي .

يعد حلف بني جحش الذي كان بين قبيلة أسد [٢] وبني أمية من الأحلاف المهمة والبارزة في التاريخ الإسلامي ، حيث كان لبني أسد بن خزيمة [٣] صلة بقريش عن طريق جهة النسب إذ يلتقون معها في خزيمة بن مدركة [٤] ، فكانوا يسكنون مكة ولكن عندما استغاث بنو أسد بكنانة لم يعينوهم ، وعلى أثر ذلك خرجوا من مكة وحالفوا غطفان[٥] ، وذكر ابن الأزرقي(ت:٢٥٠هـ/٨٦٤م) في أن رئاب بن يعمر أبو جحش [٦] جاء إلى مكة وطلب حلفاً من قريش فدعاه بنو أسد بن عبد العزى لمحالفتهم ، فقيل له أتحالف أشام بطن في قريش ،

---

[١] تاريخ اليعقوبي ، ج١/ص٢٠٩-٢١٠.

[٢] تعد قبيلة بني أسد أحدى القبائل العربية المهمة التي كان لها دوراً بارزًا قبل الإسلام وبعده ، فقبيلة بني أسد من أوائل القبائل العربية التي شايعت الإمام علي ابن أبي طالب(عليه السلام) وساندته اثناء المعارك التي خاضها في خلافته واستمر تشيعهم ولذا نجد جماعة من بني أسد كانوا من ضمن الشهداء في معركة الطف في كربلاء سنة (٦١ هـ/٦٨٠م) ، ومنهم حبيب ابن مظاهر الأسدي. للمزيد ينظر ،ابن طاووس،اللهوف،ص٦٣؛ ابن شهر آشوب، مناقب أل أبي طالب ،ج٣/ص٢٥٢؛الطبرسي،اعلام الورى،ص٤٥٩.

[٣] أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس، من مضر ، جاهلي ينسب إليه بعض الأسديين ، فقد كان لأسد بن خزيمة خمسة من الأولاد وهم دودان ، وكاهل ، وعمرو ، وصعب وحلمة ، وكانت بلادهم في نجد ثم تفرقوا وتكاثروا في شمال شبه الجزيرة،. ونزلت جماعات منهم بين البصرة والكوفة، وكانت لهم فرق في جيوش الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وابنه الحسين(عليه السلام) ، والمختار الثقفي والمهلب وابنه يزيد. ينظر البلاذري ، أنساب الأشراف،ج١١/،ص١٥٣ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ،ص٤٦٥؛ابن حجر، الاصابة ،ج١ /ص٢٠٥،الاعلام،ج١، ص٢٩٧.

[٤] خزيمة بن مدركة بن إلياس، من مضر، من عدنان، كنيته أبا الأسد، وأمه عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر، وقيل هند بنت عمرو بن قيس بن عيلان ، وابناءه أسد، وأسدة (وهو رجل) ، وعبد الله ، والهون ، وهو الّذي نصب هُبَل على الكعبة، فكان يقال له (هبل خزيمة) ومن نسله الهُون و عضل وهما بطنان من مضر . ينظر، البلاذري، انساب الاشراف،ج١، ص٣٥؛ ابن الكلبي ، جمهرة النسب ، ص ٢ ؛ ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص١١، ٤٢١.

[٥] ابن حبيب،المنمق،ص٢٣٧-٢٣٨.

[٦] ذكر ابن حبيب إن سبب انسحاب بني أسد من حلف كنانة ، هو أن فضالة بن عبد مرارة الأسدي قتل هلال بن أمية الخزاعي فقامت خزاعة بقتل فضالة ثأراً لهلال ، فاستغاثت بنو أسد بكنانة فأبوا أن يعينوهم، وعلى أثر ذلك خرجت بنو أسد من حلفها مع كنانة فحالفت غطفان. المنمق ، ص٢٣٧.

لذلك نقض الحلف معهم وحالف أمية بن عبد شمس[١] ، ولكن ابن حبيب ذكر في موضع أخر أن الذي عقد هذا الحلف هو جحش بن رئاب الأسدي ، إذ قال ابن حبيب: " **لما قدم جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي مكة حالف أمية بن عبد شمس فقيل له تركت أشرف منهم وأعظم عند قريش قدرا عبد المطلب بن هاشم ، قال : أما والله ! لئن فاتني حلفه لا يفوتني صهره، فخطب أميمة بنت عبد المطلب فزوجه إياه**" [٢].

أما ما ذكره البلاذري فهو أن الذي عقد الحلف هو جحش وليس أبوه حيث قال " **وقال جحش بن رئاب : والله لا حالفت إلا قريشا، و لأدخلن مكة فلأحالفن أعز أهلها، و لأتزوجن بنت أكرمهم. وكان موسرا سيدا. فحالف حرب بن أمية، وتزوج أميمة بنت عبد المطلب. وأدخل جماعة من بنى دودان مكة، فدخلوا معه فِي الحلف. وقال ابن الأعرابي، قال بعض القرشيين من أنّ رئاب ابن يعمر حالف حربا، وقال: لأزوجن جحشا أكرم أهل مكة. فزوجه أميمة. وَكَانَ أراد أن يحالف بني أسد بن عبد العزى، فقيل له: إنهم مشائيم** "[٣] . وكان جحش سيداً موسراً ، لذلك قيل له حالفت (أمية بن عبد شمس) وتركت أشرف منهم وأعظم عند قريش (عبد المطلب بن هاشم) قال : " **إما والله لئن فأتني حلفه لا يفوتني صهره فخطب أميمه بنت عبد المطلب فزوجه إياها** " [٤] ، فولدت له عبدالله [٥] ، وعبيد

---

[١] ابن حبيب ، المنمق في أخبار قريش ، ص٢٣٧-٢٣٨.

[٢] المنمق ،ص٣٥٧.

[٣] البلاذري ،أنساب الأشراف ،ج١/،ص٤٣٤

[٤] البلاذري ، أنساب الأشراف، ج١،ص٨٨.

[٥] عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي، أمه أميمة بنت عبد المطلب ،كنيته أبو أحمد ، ومن أوائل المسلمين الذين هاجروا إلى بلاد الحبشة ، ومن ثم إلى المدينة، وهو صهر رسول الله (ﷺ) أخو زينب أم المؤمنين ، وكان من أمراء السرايا، فهو أول أمير أمره رسول الله (ﷺ) ، وكانت غنيمته أول غنيمة غنمها المسلمين وفيه وفي أصحابه نزل قوله تعالى **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾** ، عده ابن حبيب من اشراف العميان، وقد طلب من الله تعالى الشهادة فاستشهد في معركة أحد ، ودفن هو والحمزة بن عبد المطلب في قبر واحد ، وهو صهر رسول الله (ﷺ) أخو زينب بنت جحش . سورة البقرة، آية ٢١٨ ؛ المحبر ،ص٤٧ ص٧٨؛ ابو نعيم، معرفة الصحابة،ج٣، ص١٦٠٦؛ابن عبد البر، الاستيعاب ،ج٣/،ص٨٧٧ ؛ البغوي ، معجم الصحابة، ص ٥٢٤.

الله[١]، زينب زوج النبي(ﷺ) ، وحمنه بنت جحش[٢] ، وقال أبو أحمد بن جحش واصفًا هذا الحلف : **فلو حلفت بين الصفا أم أَحْمَد ومروتها يومًا لبّرت يمينها**

لنحن الألى كنابها ثُمَّ لم نزل بمكة حتَّى عاد غثا سمينها

بها خيمت غنم بن دُودان وابتنت ومنها غدت غنمٌ فخفّ قطينها

إلى الله تغدو بين مثنى وواحد ودينُ رَسُول الله بالحق دينها [٣].

وقام جحش بن رئاب بإدخال جماعة من بني دودان إلى مكة فدخلوا معه في الحلف ، ولم يفارق بني غنم بن دودان [٤] مكة فقد أقاموا فيها مع قريش حلفاءً لبني أمية[٥] ، وكانت لهم فيها علاقات وروابط قديمة ، نستنتج من كل ما سبق أن أهم ما كانت تنتجه الأحلاف التي كانت تعقدها القبائل العربية هو عنصر المصاهرة والنسب والذي لعب دورًا كبيرًا في دخول الكثير إلى الدين الإسلامي ، كما في حلف بني جحش بن رئاب مع بني أمية ، إذ بقي هذا

---

[١] عبيد الله بن جحش بن رئاب الاسدي، وهو صهر رسول الله (ﷺ) أخو زينب أم المؤمنين، وزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان ، ولدت لَهُ جارية سميت حبيبة، لذلك كنيت بِها ام حبيبة ، قيل أن عبيد الله بن جحش قد أسلم وهاجر مع زوجته أم حبيبة إلى الحبشة ومعه امرأته أم حبيبة ، إلا أنه كان متردداً لذلك تنصر، وعندما تنصر كان يقول لأصحاب رسول الله (ﷺ) حين يمر بهم وهم في أِرض الحبشة (فقحنا وصأصأتم) بمعني أبصرنا وأنتم تلتمسون إلا أنكم لم تبصروا بعد ، وبعد وفاة عبيد الله بن جحش ، زوج النجاشي رسول الله (ﷺ) من أم حبيبة. الزبيري ، نسب قريش، ص١٢٢؛ ابن هشام ، سيرة ابن هشام،ج١،ص؛٢٢٣البلاذري، أنساب الاشراف،ج١،ص ٤٣٨؛ ؛ السلامي، الروض الآنف،ج٢/ص٢٣٠.

[٢] حمنة بنت جحش الأسدية ، أخت زينب زوج رسول الله (ﷺ) ، كانت زوجة لمصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار فولدت له ولدا استشهد في معركة أحد ، ثم تزوجها طلحة بن عبيد الله التيمي صاحب رسول الله (ﷺ) فولدت له محمد الملقب بالسجاد وبه كان يكنى طلحة ، وعمران بن طلحة ، كانت من المسلمات المبايعات، شهدت معركة أحد ،فقد كانت تسقي العطشى في المعركة ، وتحمل الجرحى وتداويهم ، وصفها ابن حبيب قائلاً " **امرأة قُتل اخوها وخالها وزوجها مع رسول الله صلى الله عليه يوم احد** ". المحبر،ص٤٠٢؛ البلاذري ،أنساب الأشراف،ج١/ص٨٨؛ ابن سعد ،الطبقات،ج٨/ص،١٩١،ص ٢٤١ ؛ المزي ،تهذيب الكمال ، ج٣٥/ص١٥٧؛ ابن حجر،الإصابة،ج٨/ص٨٨.

[٣] البلاذري ،أنساب الأشراف،ج١/ص٢٦٨.

[٤] بنو غنم بن دودان فهم بطن كبير من بطون بني أسد ، وهم وجوه بني أسد واشرافهم فمن أبناء غنم بن دودان، كبير ، وعامر، ومالك ،استقروا في مكة المكرمة حيث تعايشوا وتصاهروا مع قريش وعقدوا حلفا معها. اللباحي ، أثر السيدة زينب بنت جحش، ص٤٢.

[٥] ابن سعد ،الطبقات،ج٣/ص٨٩.

الحلف قائمًا حتى بعد مجيء الإسلام ، وعلى أثر هذا الحلف دخل آل جحش في الإسلام وشاركوا في الهجرة إلى المدينة المنورة .

وظهر دور المصاهرات جلياً في دعم ومساندة الدعوة الإسلامية ، كما في زواج رسول الله محمد (ﷺ) من سؤدة بنت زمعة التي كانت زوجة لعمرو بن السكران [١] إذ كان لهذا الزواج أهمية في نشر الدعوة الإسلامية ، فكان من أثر هذا الزواج إن تآلف رسول الله (ﷺ) مع قوم زمعة من بني عبد شمس أعداء رسول الله (ﷺ) وأعداء بني هاشم ، فقد خفف رسول الله (ﷺ) بهذا الزواج من قوة عداوة قومها مع رسول الله (ﷺ) ، فقد أسلم معظم بني عبد شمس [٢].

وقد علل بعض المؤرخين زواج رسول الله (ﷺ) من أم حبيبة بنت أبي سفيان كان في السنة السابعة للهجرة ، وكان لغرض كسب ود أبي سفيان وان ذلك الزواج اسهم في تغيير موقفه اتجاه الدعوة الاسلامية ، وتأكيد ذلك في قوله تعالى : ﴿**عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [٣] ، وقد أكد عدد من المفسرين أن تلك الآية الكريمة نزلت على أثر زواج الرسول (ﷺ) من أم حبيبة ابنة أبي سفيان صخر بن حرب[٤]، إذ اسهم ذلك الزواج في تغيير موقف أبو سفيان من الدعوة الإسلامية [٥]، إلا أنّ أغلب علماء التفسير يرون أن هذه الآية قد نزلت في عموم المشركين الذين أسلموا بعد فتح مكة سنة (٨هـ/٦٢٩م) ، إذ ذكروا أن نزول قول الله تعالى :﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ**

---

[١] السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن مالك ، الزوج الأول لزمعة بنت سودة ، التي أسلمت وهاجرت هي وزوجها مع المسلمين إلى أرض الحبشة ، ثم رجع إلى مكة فتوفى بها ، فتزوج رسول الله (ﷺ) بعده زوجته سودة بنت زمعة ، وقيل أنه رجع إلى الحبشة وتنصّر بها فمات وهو على دين النصرانية . ابن سعد ،الطبقات ،ج٨/ص٤٢؛ابن عبد البر ،الاستيعاب،ج٢/ص٦٨٥-٦٥٦؛ ابن حجر،الاصابة،ج٣/ص١١٣؛ الفاسي ، العقد الثمين،ج٤/ص٢٢٩.

[٢] عبد الرحمن محمد ، زوجات النبي ، ص٦٢.

[٣] سورة الممتحنة ،آية ٧.

[٤] عبد الرحمن محمد ، زوجات النبي محمد (ﷺ) وحكمة تعددهن، ص٤٤.

[٥] الثعلبي ، تفسير الثعلبي،ج٤/ص٩٩؛ البغوي ، تفسير البغوي، ج٣/ص٨٣؛ الواحدي ، أسباب النزول ،ج١/ص٤٢٣؛ الزمخشري ، تفسير الزمخشري،ج٤/ص٥١٥؛ القرطبي، تفسير القرطبي ،ج١٨ / ص٥٧؛ السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور، ج٨ /ص١٣٠ ؛ الطباطبائي، مختصر تفسير الميزان، ص٦١٢ .

حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ﴾[١] ، فقد تشدّد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم واخوانهم بل وجميع أقربائهم من المشركين ومقاطعتهم ، فقد كان ذلك مدعاة الى التبرؤ من الكفار، ولما رأى الله تعالى منهم الجد والصبر على الوجه الشديد وطول التمني للسبب الذي كان يبيح لهم الموالاة والمواصلة ، فرحمهم الله عز وجل بوعده إياهم بتيسير ما تمنوه ، وعندما يسر لهم فتح مكة وأظفرهم أمنيتهم ، بإسلام قومهم فتمّ بينهم من المحبة و التصافي ما تمّ ، ثم بعد أن أسلم عدد من الكفار بعد فتح مكة وخالطوا المسليون كأبي سفيان مثلاً ، ساد بينهم الود والآلفة بعد البغض والنفور الذي كان قائمًا بين المسلمين والمشركين ، ذلك لأن الله عز وجل قدير على الجمع بين الأشياء المتباعدة والمتنافرة والمختلفة ، فقد آلف الله عز وجل بين القلوب بعد العداوة والقساوة بينهم ، فأصبحت مجتمعة متفقة [٢]، كما أكد الله عز وجل ممتنًا على الأنصار بقوله :﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْه﴾**[٣] .

وقد أبدى ابن كثير شكوكه بشأن نزول آية الممتحنة في أبي سفيان لأن النبي محمد (ﷺ) تزوج أم حبيبة قبل الفتح وأبو سفيان أسلم ليلة الفتح سنة (٨هـ/ ٦٢٩م) بدون خلاف ، وليس من الصحة ما قيل من أن رسول الله (ﷺ) تزوج أم حبيبة بعد الفتح ، فقد روي أن أبا سفيان قال لرسول الله (ﷺ) : " **ثلاثاً اعطينهن ، قال : نعم ، قال : تؤمرني حتى اقاتل الكفار كما كنت اقاتل المسلمين ، قال : نعم ، قال : معاوية تجعله كاتباً بين يديك ، قال : نعم ، قال : وعندي احسن العرب واجمله أم حبيبة بنت ابي سفيان ازوجكها** "[٤]، ومهما يكن من أمر فان زواج رسول الله (ﷺ) من أم حبيبة ، كان ولا بد أن احدث تأثيرًا ايجابيًا في مسار العلاقات السياسية بين رسول الله (ﷺ) والمسلمين من جهة وبين بني أمية من جهة أخرى

---

[١] سورة الممتحنة ، آية ٦.

[٢] الثعلبي ، تفسير الثعلبي،ج٤/ص٩٩؛ البغوي ، تفسير البغوي، ج٣/ص٨٣؛ الواحدي ، أسباب النزول ،ج١/ص٤٢٣؛ الزمخشري ، تفسير الزمخشري،ج٤/ص٥١٥؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٨ / ص٥٧ ؛ السيوطي ، الدر المنثور في التفسير المأثور، ج٨ /ص١٣٠ ؛ الطباطبائي ، مختصر تفسير الميزان ، ص٦١٢ .

[٣] سورة آل عمران، آية ١٠٣.

[٤] تفسير ابن كثير،ج٨/ص١١٨ .

وخاصةً بعد فتح مكة ، إذ ساهم ذلك الزواج في تقريب بعض رجالات بني أمية وتآلف قلوبهم مع المسلمين .

وكان لزواج رسول الله (ﷺ) من ميمونة بنت الحارث في أواخر السنة السابعة للهجرة بمكة في أبان عمرة القضاء أثر في تقرب الهلاليين إلى رسول الله (ﷺ) الذين آزروا النبي محمد (ﷺ) ونصروه ، بعد أنّ أدركوا في رسول الله (ﷺ) المروءة والحمية والنجدة ودخلوا في دين الله أفواجاً [١].

وكانت الحكمة من زواج رسول الله (ﷺ) من جويرية بنت الحارث ، إنّ رسول الله (ﷺ) أراد تأليف قلوب بني المصطلق مع سائر المسلمين ، فحينما أختارها رسول الله (ﷺ) زوجة له وسمع والدها بذلك قدم المدينة لفدائها ، فجاء لرسول الله (ﷺ) ، وقال له :" **إن بنتي لا يسبي مثلها ، فخل سبيلها ، فقال رسول الله (ﷺ): أرأيتإن خيّرتها أليس قد أحسنت؟"، قال : بلى ، فأتاها أبوها فذكر لها ذلك ، فقالت : " اخترت الله ورسوله** " [٢]، وعندما علم قومها بزواج جويرية قالوا : " **أصهار رسول الله يسترقون** "، فتم تحريرهم بصداقها ، حيث جعل رسول الله صداقها عتق كل مملوك من بني المصطلق ، فنتج عن هذا الزواج المبارك إسلام الحارث بن أبي ضرار، وهداية أكثر بني المصطلق إلى الإسلام ، وإيمانهم بالله ورسوله (ﷺ) بقناعة تامة بعدما رأوا العفو من رسول الله (ﷺ). وفي ذلك روي عن السيدة عائشة إنها قالت عن زواج جويرية : "**ما رأيت امرأة اعظم بركة على قومها منها** " [٣] .

أما فيما يخص مصاهرة رسول الله(ﷺ) مع اليهود ، فقد كانت الغرض من تلك المصاهرات ، هو لتأليف قلوب المسلمين مع اليهود ، كما في زواج رسول الله محمد (ﷺ) من صفية بنت حيي بن أخطب النضرية ، التي كان والدها حيي بن أخطب زعيم بني النضير وسيدهم ومن أشراف بيوتهم ، حتى أن المسلمين لما أسرت صفية وكانت من سهم دحية الكلبي ، قالوا لرسول الله (ﷺ) : " **يا رسول الله إنها سيدة بني النضير وفريضة ولا تصلح إلا لك** "

---

[١] أنساب الأشراف،ج١/ص١٣٥؛ابن حجر ، الإصابة ،ج٨/ ص٧٤؛ عبد الرحمن محمد، زوجات النبي، ص٦٢.

[٢] ابن حجر ، الإصابة ،ج٨/ ص٧٤.

[٣] الزبير بن بكار، المنتخب من كتاب أزواج النبي ،ص ٤٥؛ ابن حبان ، السيرة النبوية ، ج١/ ص٢٧٥.

[١]. وقد روي انه في ذات يوم دخل على صفية فوجدها تبكي ، وسألها عن سبب بكائها فقالت : " **بلغني ان عائشة وحفصة تنالان مني وتقولان : نحن خير من صفية نحن بنات عم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وأزواجه ، فقال لها رسول الله (ﷺ) إلا قلت لهن : كيف تكن خيراً مني ، وأبي هارون ، وعمي موسى ، وزوجي محمد صلى الله عليه وسلم**" [٢]، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[٣].

ثالثاً : أهمية المصاهرات في العصر الأموي.

ظهر دور المصاهرات بشكل واضح في العصر الأموي ، حيث نتج عن زواج رجالات الأسرة الأموية ونساءهم من بعض بيوتات قبائل العربية ، نيل العديد منهم بمكانة ميزتهم عن غيرهم ، كما حضوا بمعاملة خاصة تمثلت بتقريبهم من مجالس الخلافة وكذلك اشراكهم في المشورة السياسية والرأي والحكم ، والأهم من ذلك حصولهم على المناصب القيادية كإمارة الولايات وأعمال الدولة الأموية ، وتولي قيادة العمليات العسكرية داخل حدود بلاد الدولة الأموية وخارجها ، فضلاً عن أغدقاهم بالهبات والهدايا الثمينة ، وكان كل ذلك بفضل الدور الكبير الذي تلعبه المصاهرات في كسب الولاءات وترصين الصفوف ، فكان اسهام الأصهار في ادارة شؤون الخلافة أو تقريبهم من مجالس الحكم والمشورة السياسية اصبح من الأمور الضرورية المفروضة تحقيقاً للترابط في المصير والمصالح ، ذلك أن الاصهار يحرصون على مصالح الخلفاء واستقرار البلاد حفاظاً على نفوذهم ومكانتهم ومصالحهم المشتركة .

---

[١]عبد الحميد ، زوجات النبي ، ص٥٧.

[٢] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ،ج١٠/ ص٢٠٢-٢٠٥.

[٣] سورة الحجرات ، آية ١١.

وقد ظهر دور المصاهرات بشكل واضح جداً في تقديم الدعم السياسي لمروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ/٦٨٤-٦٨٥م)، الذي تزوج أم خالد فاختة بنت أبي هاشم بعد وفاة زوجها الخليفة يزيد بن معاوية [١]، فقد قدمت بنو كنانة أخوال مروان دعماً كبيراً له في خلافه مع معاوية بشأن ولاية العهد لأبنه يزيد بن معاوية ، مما دفع معاوية إلى إصدار أمر عزل مروان عن ولاية المدينة وتوليه سعيد بن العاص[٢] بدلاً منه في سنة (٥٦هـ/٦٧٥م) [٣] ، لذلك لجأ مروان إلى أخواله بني كنانة مع عدد من أبناء قومه شاكيًا لهم موقف معاوية منه ، فأبدى بني كنانة استعدادهم الكبير لتقديم المساعدة والسند له بقولهم : " **فقالوا نحن نبلك في يدك ، وسيفك في قرابك فمن رميته بنا أصبناه ، ومن ضربته بنا قطعناه ، الرأي رأيك ، ونحن طوع يمينك** " ، ثم توجه مع مروان برفقة قومه وأخواله لمقابلة معاوية مما دفع ذلك الأخير إلى تغيير موقفه المتشدد أزاء مروان ، وذلك بعد ان رأى موقف بني كنانة واصرارهم على مؤازرة ابن أختهم مروان ، وعليه تم إرجاع مروان لولاية المدينة ، مع تعهد معاوية في زيادة عطائه واجازة وفادته ، زيادةً على اعلاء شأنه وتعزيز مكانته ونفوذه لدرجة تصل لمقام الخليفة نفسه ، فقد وصفه معاوية على حد قوله: " **فأنت نظير أمير المؤمنين بعده ، وفي كل شدة عضده ، وإليك عهد عهده ، فقد وليتك قومك ، وأعظمنا في الخراج سهمك ، وأنا مجيز وفدك ، ومحسن رفدك ، وعلى أمير المؤمنين غناك ، والنزول عند رضاك** " [٤] .

---

[١] الطبري ، تاريخ الطبري، ج٥/ص٥٠٠؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥/ص٣٥٧.

[٢] سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو عثمان ، وقيل أبو عبد الرحمن، أمه أم كلثوم بنت عبد الله بن أبي قيس، أُحد وجوه قريش ، أدرك النبي (ﷺ) وله رواية عنه ، وقتل أبوه العاص بن سعيد في وقعة بدرٍ كافراً، قيل بأنه كان من فصحاء قريش، ولهذا استدعاه الخليفة عثمان لكتابة القرآن ، ولأنه قريبه ولاه الخليفة عثمان الكوفة ، إلا أنه كان مترفاً فاضر اهلها ، لذلك قام أهل الكوفة باستبعاده من منصبه واستبداله بأبو موسى الاشعري ، وكانت مدة ولايته خمسة سنوات الا شهراً، قدم على معاوية بعد استقرار الأمر له ، ولم يدخل معه في حروبه ، وقد ولاه معاوية على المدينة اكثر من مرة. ابن سعد، الطبقات، ج٥/ص٢١-٢٦؛ ابن عبد البر ،الاستيعاب ،ج٣/ص٩٠؛ ابن عساكر ،تاريخ دمشق،ج٢١/ص١٠٧؛ الذهبي ، سير ،ج٣/ص٤٤٤-٤٤٩.

[٣] الطبري، تاريخ الطبري،ج٥/ص٣٠٨.

[٤] ابن قتيبة الدينوري ،الإمامة والسياسة،ج١/ص١٥٢.

ولم يستغن مروان عن التحالف مع بني كلب والاستعانة بهم في مواجهة اعدائه ، فقام مروان بالتحالف مع حسان بن مالك بن بحدل الكلبي[١] صهر معاوية بن يزيد وخال خالد ابن زوجته أم هاشم [٢] ، وهذا ما أكده مالك بن هبيرة [٣] في حواره مع الحصين بن النمير[٤] :" **اسمع كلامي ، والله لئن استخلفت مروان وآل مروان ، ليحسدنّك على سوطك، وشراك نعلك، وظلّ شجرة تستظلّ بها. إنّ مروان أبو عشرة، وأخو عشرة، وعمّ عشرة ، فإن بايعتموه كنتم عبيدا لهم ، ولكن عليكم بابن أختكم خالد فأبى الناس إلّا شيخا، فاجتمعوا على مروان ، وقالوا: " مروان خليفتنا، على أن يكون الأمر بعده لخالد بن يزيد** "[٥] ، الواضح من النص أنّ الحوار الذي دار بين مالك بن هبيرة والحصين بن النمير كان يدور حول مسألة تولية الخلافة بعد تنازل معاوية الثاني عنها ، وبما أن أم خالد كانت تربطها صلة قرابة بمالك بن هبيرة ، فكان من البديهي أن يميل نحو مروان ليس حباً بمروان ، إذ

---

[١] حسان بن مالك بن بحدل ابن انيف ،الكلبي، أبو سليمان ، زعيم بني كلب ، شهد معركة صفين سنة(٣٧هـ/٦٥٧م). مع معاوية ، إذ كان حينها على قضاعة دمشق ، فقد كانت له منزلة ومكانة عند بني أمية وهو الذي قام بأمر البيعة لمروان بن الحكم وقد كان يسلم عليه بالأمرة قبل ذلك أربعين ليلة وكان له شعر وداره بدمشق، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٢/ص٤٤٨ ؛ الذهبي ،اريخ الإسلام ،ج٢/ص٦٢٧.

[٢] المسعودي ، مروج الذهب ،ج٣/ص٨٢.

[٣] مالك بن هبيرة بن خالد بن مسلم ، وقيل ابن سلم السكوني ، وقيل الكندي، كنيته أبو سعيد ، البعض عده من هل مصر والبعض اعتبره شامي، كان من رؤساء كندة وخطباءها بالشام في العصر الأموي ، أدرك النبي محمد(ﷺ) وروى عنه أحاديث.، وكان مع معاوية بن أبي سفيان في معركة صفّين ، ولما بويع لمعاوية بالخلافة ، جاءه مالك فخطب بين يدي معاوية قائلاً:" **ابسط يدك أبايعك على ما أحببنا وكرهنا** "، فكان أول من بايع معاوية على ذلك ، ولي إمارة حمص لمعاوية وشارك في الغزوات البحرية سنة (٤٨هـ/٦٦٧م) ، ولي إمارة حمص لمعاوية، كما بويع لمروان ابن الحكم بالشام في أواخر سنة ٦٤هـ،ثم سار معه إلى مصر، توفى في أحدى قرى الشام (رأس قرية)، وكانت وفاته بين سنتي(٦١-٧٠هـ/٦٨٠-٦٨٩م). ابن سعد ،الطبقات،ج٧/ص٢٩٤؛ ابن عبد البر،الاستيعاب،ج٣/ص١٣٦١؛ مغلطاي، اكمال تهذيب الكمال،ج١١/ص٥٢-٥٣؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ،ج٢/ص٧٠٥.

[٤] الحصين بن نمير بن نائل، كنيته أبو عبد الرحمن الكندي ،السكوني، من القادة القساة المقدمين في العصر الأموي، من أهل حمص، وهو الّذي أرسل الحر لاعتراض جيش الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) في أرض كربلاء، كما قاد معركة عين الوردة التي خرج فيها التوابين للمطالبة بثأر الحسين ، فقتل قائدهم سليمان بن صرد الخزاعي سنة(٦٥هـ/٦٨٤م) ، وهو الذي حاصر عبد الله بن الزبير بمكة وقام برمي الكعبة بالمنجنيق ، وشارك عبيد الله بن زياد في حربه مع إبراهيم ابن مالك الأشتر، فقتل مع ابن زياد على مقربة من الموصل سنة(٦٧هـ/٦٨٦م) .ابن سعد، الطبقات ،ج٤/ ص٢١٩؛ الطبري، تاريخ الطبري ،ج٥/ص٤٩٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة ،ج٣/ص٢٤١.

[٥] مسكويه ، تجارب الأمم،ج٢/ص١٠٣.

كما لاحظنا من النص اعلاه أنّ مالك لم يكن مقتنعاً بتنصيب مروان للخلافة ، ولكن ليس هناك سبيل لتولي ابن اختهم حسب تعبيره ويقصد به خالد إلا بتولي مروان الخلافة على أن يكون خالد بن يزيد ولياً للعهد ، على اعتبار أن خالد كان صغيراً في السن

وقد تجلى دور المصاهرات واضحاً حين أبلى بنو كلب بلاءً حسناً في معركة مرج راهط [١] سنة (٦٤هـ/٦٨٣م) ، والتي اسهمت في تثبيت دعائم الحكم المرواني الأموي ومقارعة اعداءه الداعين لأبن الزبير ، وكل المناوئين لبني أمية في بلاد الشام ومصر[٢].

بينما ساهمت مصاهرة خالد بن يزيد بن معاوية لآل الزبير في توطيد العلاقات فيما بينهم ، واحلال المودة والمحبة محل الكراهية والفرقة التي كانت بينهم ، وبهذا الصدد صرح خالد بن يزيد لعبد الملك بن مروان قائلاً له: " **اتعلم انه ما كان بين حيين من العداوة والبغضاء ما كان بين ال الزبير وال أبي سفيان؟ قال لا. قال : فان تزويجي من آل الزبير حلل ما كان لهم في قلبي فما اهل بيت احب الي منهم** " [٣]. فأصبح معروفًا لدى الجميع ميل خالد نحو أصهاره من آل الزبير ، مما كان له أثره في تغيير الموقف السياسي الذي اتسم بالبغض والعداء فيما بينهم ، وما يؤكد ذلك قول خالد بن يزيد في ذكر زوجته رملة بنت الزبير التي وصفها في أبيات شعرية جاء فيها :

أليسَ يزيدُ السير فِي كلّ ليلـة وفي كلّ يومٍ من أحّبتنا قرْبَا

---

[١] مرج راهط ، وتقع في شرقي الغوطة ، بينها وبين مدينة دمشق خمسة فراسخ ، وقد حدثت معركة مرج راهط في سنة (٦٤هـ/٦٨٣ م) ، ذلك أنه لما بويع بالخلافة لمروان بن الحكم سار من الجابية الى مرج راهط وكان بها الضحاك بن قيس الذي كان يدعو لعبد الله بن الزبير ، فكتب إلى إمراء الأجناد في الشام لمعونته ضد مروان، فأعانه النعمان بن بشير الذي كان على حمص فآمده بشرحبيل بن ذي الكلاع ، كما أعانه زفر بن الحارث الذي كان على قنسرين فآمده بأهل قنسرين ، كما آمده ناتل ابن قيس بأهل فلسطين ، أما مروان فاجتمعت عنده بني كلب ، وغسان، والسكاسك ، والسكون، وقد جعل على ميمنته عمرو بن سعيد ، وعلى ميسرته عبيد الله بن يزيد، حتى تمكن مروان من دخول دمشق وقتل عامل الضحاك فيها شن فاستولى على الخزائن وبيت المال فيها ، فبويع لمروان وقد آمد بالرجال والسلاح والمال ، وقد استمر القتال في معركة مرج راهط لمدة عشرين يوماً . للمزيد ، ينظر، الطبري ، تاريخ الطبري،ج٥/ص٥٣٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج١/ص٣٥٢؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق، ج٢٢/ص٤٥٣؛ ابن الاثير ،الكامل ،ج٣/٢٤١.

[٢] الطبري ، تاريخ الطبري،ج٥/ص٥٣٤؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج٣/٢٤١.

[٣] المبرد، الكامل في اللغة ،ج١/ص٢٧٥.

أحنّ الى بنتِ الزبير وقد عَلتْ بنا العيسُ خرقاً من تُهاه أو نقبَا
إذ نزلت أرضَاً تحُبب أهَلهَا الينا وإنْ كانت مَنازلُها حَربـَا
أحبُ بني العوامِ طُراً لحُبها ومِنْ حَبّها أحببُت أخوالها كلبَا
تَجُولُ خَلاخِيلُ النِّسَاءِ وَلا أَرَى لِرَمْلَةَ خَلْخَالا يَجُولُ وَلا قَلْبَا [١].

وهنا يظهر مدى حب خالد ليس لآل الزبير فقط ، بل ولبني كلب أيضاً ، ذلك لأنهم ليسوا أخواله فحسب ، بل إنهم أخوال زوجته رملة ، إذ أن أم رملة كانت من بني كلب وهي (الرباب بنت انيف بن عبيد)[٢].

وضمن الصراع التقليدي الذي كان قائماً بين القبائل اليمانية والقيسية برز تأثير المصاهرات التي جمعت القبيلتين على مسار العلاقات السياسية لبني أمية ، فنجد أنه في الوقت الذي حاول بعض خلفاء بني أمية ايجاد نوع من التوازن السياسي بين قبائل القيسية واليمانية ، نجد البعض الآخر منهم انقاد بفعل تأثير صلة المصاهرة إلى هذه القبيلة او تلك ، فساهم بشكل وآخر في تأجيج حدة الصراع والتنافس القبلي بينهما ، ومن الخلفاء الذين حافظوا على التوازن في علاقاتهم بقبائل القيسية واليمانية كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان وسار على نهجه ولده يزيد ، فعلى الرغم من الدور الكبير الذي أُسند لبني كلب اليمانية ، ولكنه بالمقابل لم يحصل أية خلافات تعكر علاقات القيسية باليمانية ، أو بين بني أمية والقيسية على وجه التحديد[٣] .

إلا أن الأمر أصبح مختلفاً في عهد خلافة مروان بن الحكم فكان الصراع العسكري في معركة مرج راهط والمتمثل بالصراع بين الطرفين إذ وقف بني كلب مع مروان بن الحكم وقاتلوا الى جانبه بينما وقف قيس مع الضحاك بن قيس الذي كان منحازًا إلى خلافة عبد الله

---

[١] ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ص٢٢١ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج٥/ص٣٦٠؛ ابن الجوزي، ذم الهوى ، ص١٦٨.

[٢] الرباب بنت انيف الكلبية ، زوجة الزبير بن العوام بن خويلد القرشي، ولدت للزبير مصعب ، وحمزة أخوه لأمه ، وكان مصعب بن الزبير عضد أخيه من أمه عبد الله بن الزبير في تثبيت ملكه في ارض الحجاز والعراقيين. مصعب الزبيري، نسب قريش،ص٢٣٦؛ البلاذري ، أنساب الاشراف، ج٩/ص٤٣٥؛ ابن سعد، الطبقات ،ج٣/ص٧٤.

[٣] ابن الأثير ، الكامل، ج٣/ص٢٤٣.

الزبير، فقد مثل انتصار مروان بن الحكم واستتباب الأمر له يعني انتصار لقبائل اليمانية على القيسية ، وتعزيزاً لموقف بني كلب من الحكم الأموي كما مر بنا سابقاً ، وهذا بدوره أدى إلى استمرار القيسيين في تقديم الدعم والمؤازرة والاسناد لحركة عبد الله بن الزبير في صراعه مع عبد الملك بن مروان ، فتولى زفر بن الحارث الكلابي[١] قيادة حركة مناهضة للأمويين في قرقيسيا [٢]، وكان معه العديد من أبناء قبائل القيسية هناك[٣]، وفي الوقت نفسه كان خالد بن يزيد بن معاوية من جانبه يقاتل أهل قرقيسيا مع أخواله بني كلب[٤]، ولموقف خالد بن يزيد قال شاعر لقيس وهو يعاتب قائلاً :

يا خالدُ بن أبي سفيانَ قد قرَحَتْ مِنا القلوبُ وضَاقَ السَهلُ والجَبَلُ

أأنتَ تأمرُ كلباً أن تقاتلنَـا جَهْلاً وتمَنعَهم مِنا إذا قتلُوا

ها أنَ ذا لا يقرُ الطيرُ ساكِنـهُ ولا تبرك من نِكرائِه الايـلُ[٥] .

ويبدو أنه كاد من الممكن أن يحقق بني كلب النجاح العسكري الساحق لولا توقف القتال ، والاتفاق على الصلح مع زفر بن الحارث الكلابي ، مما أدى إلى إيقاف القتال لصالح الأمويين [٦].

---

[١] زفر بن الحارث بن عبد عمرو الكلابي، كنيته ابو الهذيل ، أمير من التابعين ،ومن كبار قيس في زمانه، سكن البصرة ثم الشام ، سمع عن عائشة ومعاوية وروي عنه ثابت بن الحجاج وغيره ، وكان رسول معاوية الى عائشة في صفين،وشهد موقعة صفين أميرا على أهل قنسرين، كما شهد موقعة مرج راهط مع الضحاك بن قيس الفهري، وبعد مقتل الضحاك هرب زفر إلى قرقيسيا ،(عند مصب نهر الخابور في الفرات) ، وكان عليها عياض الجرشي ، وقد تمكن زفر من القضاء عليه ودخول زفر، ولم يزل زفر متحصنا في قرقيسيا حتى مات فيها، وكانت وفاته في خلافة عبد الملك بن مروان، وذكر البغدادي ان وفاته كانت في بضع وسبعين للهجرة . الطبري ، تاريخ الطبري، ج٥/ص٥٣٩ –٥٤٠؛ابن العديم، بغية الطلب،ج٨/ص٣٧٩٦؛الذهبي، تاريخ الإسلام،ج٢/ص٨١٣؛ الدارمي،الثقات،ج٤/ص٣١١؛ الزركلي ، الاعلام،ج٣/ص٤٥.

[٢] قرقيسيا كلمة معربة من كلمة (كركيسيا) المأخوذة من (كركيس) وهو اسم للخيول المرسلة المسمّى بالعربية الحلبة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان،ج٤/ص٣٢٨.

[٣] ابن الأثير ، الكامل، ج٣/ص٢٤٣.

[٤] البلاذري ، أنساب الأشراف،ج٦/ص٢٧٤

[٥] البلاذري ، أنساب الأشراف،ج٥/ص٣٦٣.

[٦] المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣/ص ١٠٥؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج٣/ص٢٤٣.

المبحث الثاني

دور النساء المردفات في البيعة

أولاً : بيعة [١] المرأة المردفة في العهد الرسالي.

بعدما فتح الله عز وجل على رسوله الأكرم محمد (ﷺ) تبين لأهل مكة دين الحق ، وأدركوا أن لا سبيل إلى النجاة إلا بالإسلام ، فأذعنوا لرسول الله (ﷺ) واجتمعوا لمبايعته ، فجلس رسول الله (ﷺ) على الصفا والناس حوله يبايعوه على السمع والطاعة ما استطاعوا ، فكان (ﷺ) يبايع كل من يبايعه [٢] ، وكان ممن بايعه (ﷺ) نساء من قريش ، إذ بايعن رسول الله (ﷺ) على أن على أن لا يشركن بالله شيئاً ، ولا يزنين ، ولا يقتلن أولادهن ، ولا يسرقن ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يعصين رسول الله في معروف ، وكذلك أخذ رسول الله (ﷺ) على النساء في بيعتهن ألا ينحن ، ولا يشقن جيبًا ، ولا يخمشن وجهًا ، ولا ينثرن شعراً ، ولا يدعين ويلاً [٣]، وهذه البيعة تلزم المبايعات بكل ما يترتب عليها من واجبات ، لقوله تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً**﴾ [٤] ، وهذا معناه تغير جذري في عادات وتقاليد المجتمع العربي قبل الإسلام ، ذلك أن النساء قد أخذن عهدًا مع رسول الله (ﷺ) أن يلغين الكثير من عادات الجاهلية الخاطئة ، بما فيها من المعاصي كالشرك بالله ، وقتل الأولاد ، والزنا ، وقول الباطل والبهتان ، والنياحة وخمش الوجوه ونشر الشعر ولطم الخدود على الأموات وغير ذلك من أعراف وعادات الجاهلية .

---

[١] تعرف البيعة بأنها العهد على القبول والطاعة والإتباع للخليفة أو الإمام الذي تم اختياره ، وتلزم البيعة الشخص المُبايع أن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين كافة ، وفي الوقت نفسه يجب على الطرف الثاني أن يطيعه في كل ما يكلفه القيام به ، ولا ينازعه في شيء من ذلك ، وكان يتم عقد البيعة من خلال جعل أيديهم في أيدي الشخص المخصوص بالبيعة ، وتكون البيعة مباشرة كما في بيعة المسلمون مباشرة لرسول الله (ﷺ) في بيعة العقبة الأولى والثانية فضلاً عن بيعة الرضوان وفتح مكة ، وقد سار الخلفاء على سنة رسول الله (ﷺ) في أمر البيعة . ينظر ، ابن خلدون ،المقدمة ، ص٢٥٠؛ ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص٢١٣؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ،ج٢/ص٥.

[٢] ابن سعد ،الطبقات ،ج٨/ص٣؛ تفسير الطبري،ج٢٣/ص ٣٤٣.

[٣] ابن سعد ،الطبقات ،ج٨/ص٣؛ الطبري، تفسير الطبري، ج٢٣/ص٣٤٣-٣٤٦.

[٤] سورة الفتح، آية ١٠.

وقد ذكرت المصادر التاريخية أسماء الكثير من النساء اللواتي بايعن رسول الله (ﷺ) ومنهن صفية بنت عبد المطلب [١] عمة رسول الله (ﷺ) ، ومن زوجاته (ﷺ) ، زينب بنت جحش ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان وميمونة بنت الحارث [٢]، ومنهن أمامة بنت أبي العاص[٣] [٤] .

ومن المبايعات للنبي الأكرم محمد (ﷺ) ، أروى بنت كريز بن ربيعة [٥] التي كانت قد أسلمت يوم الفتح وكانت ممن بايعت رسول الله (ﷺ) مع هند بنت عتبة على ألا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين[٦]، و كذلك ابنتها من زوجها الثاني أم كلثوم بنت أبي معيط كانت ممن بايعت رسول الله (ﷺ) ، إذ كانت من النساء اللواتي امتحن الله قلوبهن في هجرتها إلى المدينة كما مر ذكره . وكانت من المبايعات أيضاً ، أم رومان بنت عامر بن

---

[١] كانت صفية متزوجة في الجاهلية الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس، فولدت له ولداً، وبعد وفاته تزوجت العوام بن خويلد ، فولدت له الزبير والسائب وعبد الكعبة . ينظر، ابن حبيب ،المحبر ، ص١٧٠ ؛ ابن سعد الطبقات،ج٨/ص٤١؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب،ج٤/ص١٨٧٣؛ ابو نعيم ، معرفة الصحابة ،ج٦/ص٣٢٥٠؛ ابن حجر ،الإصابة ،ج٨/ص٢١٣-٢١٤؛ الذهبي، سير ،ج٢/ص٢٧٠.

[٢] ابن حبيب، المحبر،ص٤٠٩.

[٣] إمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، إمها زينب ربيبة رسول الله (ﷺ) ، تزوجها الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ونقل البلاذري ، أن إمامة أنجبت للإمام علي (عليه السلام) ولداً أسمه محمد الأوسط ، وبعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام) في سنة(٤٠هـ/٦٦٠م)، تزوجت إمامة المغيرة بن نوفل ، وكان الإمام علي (عليه السلام) أمر المغيرة أن يتزوج إمامة خوفاً من أن يتزوجها معاوية بن أبي سفيان من بعده ، ذلك أن الامام علي (عليه السلام) لما حضرته الوفاة قال لإمامة :" **لا آمن عليك أن يخطبك هذا الطاغية يعد موتي فأن كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيراً** "، ولما انقضت عدتها كتب معاوية الى مروان وكان والي المدينة آنذاك يأمره أن يخطبها له وينفق لها مائة الف دينار ،ولما خطبها أرسلت الى المغيرة ، ان معاوية أرسل يخطبني ، فقال لها المغيرة تتزوجين ابن آكلة الاكباد، ثم سألها الزواج منه ، فخطبها المغيرة من الإمام الحسن بن علي عليهما السلام فزوجها منه ، وقد ولدت له يحيى وبه كان يكنى إلا أن يحيى لم يعقب ، وقد قيل أن امامة لم تلد للإمام علي ولا للمغيرة ، فلم يكن لها عقب. ابن سعد، الطبقات، ج٨/ص٣٢-٣٣؛ أبي نعيم ،معرفة الصحابة،ج٦/ص٣٢٦٨؛ ابن عبد البر،الاستيعاب،ج٤/ص١٧٨٩؛ الذهبي ،تاريخ الإسلام،ج٢/ص٤٤٤؛ابن حجر ،الاصابة،ج٨/ص٢٥؛ الفاسي ، العقد الثمين ، ج٦/ص١١٣-١١٤.

[٤] ابن عبد البر،الاستيعاب،ج٤/ص١٤٤٨؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام،ج٢/ص٤٤٤؛ سير اعلام النبلاء،ج٣/ص٢٠٣.

[٥] زوجة عفان بن أبى العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف، القريشي ، الذي قتل بالغميصاء مع الفاكه بن المغيرة ، وقيل أنه توفي في أرض الشام في أحدى رحلاته التجارية ، وقد مات عفان وعمه حرب بن أمية في شهر واحد ، وقد ولدت لعفان عثمان وأمنة ، وبعد وفاة عفان بن أبي العاص تزوجت أروى من عقبة بن أبي معيط . الزبيري ، نسب قريش،ص١٤٧،١٣٨؛ ابن حبيب ،المحبر،ص٤٠٧؛ ابن سعد، الطبقات، ج٨/ص١٨٣؛ البلاذري ،أنساب الأشراف ،ج٥/ص٤٨٠ ؛الطبري، تاريخ الطبري،ج٢/ص٤٦٦؛ الذهبي ، سير ،ج١/ص٢٥١.

[٦] ابن سعد، الطبقات ، ج٨/ص١٨٣.

عويمر من بني كنانة ، التي كانت زوجة للحارث بن سخبرة بن جرثومة الأوسي[١] الذي حالفه أبو بكر الصديق ، وبعد أن توفى في مكة ، تزوج أبو بكر أم رومان ، فولدت له عائشة ، وعبد الرحمن [٢]. ومن المبايعات أيضاً أم سليم بنت ملحان التي كان مهرها من زوجها الثاني الإسلام كما سنوضح ذلك ، ومن النسوة المردفات اللواتي بايعن رسول الله(ﷺ) في فتح مكة من بنات أبي جهل[٣]، جويرية [٤]، والخنفاء[٥]. ومن بنات عتبة بن ربيعة بن أمية [٦]، هند ، وفاطمة [٧]، ومن بنات أبي سفيان، أمينة [٨]، وجويرية [٩]، وميمونة[١٠]،

---

[١] الحارث بن سخبرة بن جرثومة بن عادية بن مرة بن جشم ، الأزدي ، جاء من سخبرة إلى مكة ومعه أمرأته أم رومان وولده الطفيل ، وقد حالفه أبو بكر الصديق ، توفى في مكة . ابن سعد الطبقات ،ج٨/ص٢١٦؛

[٢] ابن سعد ، الطبقات ،ج٨/ص٢١٦.

[٣] عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر، المخزومي القرشي، كان أشد الناس عداوة للنّبيّ محمد(ﷺ) في صدر الإسلام، وكان أحد سادات قريش ودهاتها في الجاهلية ، أدرك الإسلام ، وكان يقال له ابو الحكم، فسماه رسول الله (ﷺ) بأبو جهل لجهله ، وقال ابن عبد البر(ت٤٦٣هـ) : " **كان عتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة ، وأبو جهل ، وأبو سفيان لا يسقط لهم رأي في الجاهلية، فلما جاء الإسلام لم يكن لهم رأي ، وتبين عليهم السقوط والضعف والهلاك في الرأي**" ، واستمر أبو جهل على عناده ، يثير الناس على رسول الله (ﷺ) ، وكان لا يفتر عن ايذاءه ، شهد وقعة بدر الكبرى مع المشركين حتى قتل فيها مشركاً. البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج١/ص؛ ص١٢٥؛ ابن عبد البر ،الاستيعاب ، ج٢/ص٧١٥.

[٤] جويرية وقيل أن اسمها جميلة بنت أبي جهل بن هشام بن المغيرة، المخزومي ، وأمها أروى بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، أسلمت وبايعت ،وكان زوجها الأول عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، ثم تزوجت أبان بن سعيد بن العاص بن أمية ، إلا أنها لم تلد له ،ونقل ابن سعد أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أراد خطبتها ، فجاء بنو المغيرة إلى رسول الله (ﷺ) يستفتونه في ذلك الأمر، فلم يأذن لهم بأن يزوجوه وقال : " **إنما فاطمة بضعة مني يسوءني ما ساءها** " ، كما قيل أن رسول الله (ﷺ) قال : " **لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدوّ الله عند رجل واحد أبدا** "، وهذه الرواية مشكوك فيها أن الإمام علي(عليه السلام) لم يشرك زوجة مع السيدة فاطمة (عليها السلام) في حياتها. ابن سعد ،الطبقات،ج٨/ص٢٠٦؛ ابن نعيم ، معرفة الصحابة ، ج٦/ص٣٢٨٥؛ ابن حجر، الإصابة،ج٨/ص٧٢.

[٥] الحنفاء بنت أبي جهل بن هشام بن المغيرة ، المخزومي، وأمها أروى بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، أسلمت وبايعت رسول الله (ﷺ) ، تزوجها سهيل بن عمرو بن عبد شمس فولدت له هند، وذكر أن أسامة بن زيد قد تزوجها أيضاً. ابن سعد، الطبقات ، ج٨/٢٠٦.،ج٤/ص٢٠٠.

[٦] عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، كنيته أبو الوليد، من كبار قريش وأحد ساداتها في الجاهلية ، وصف بالرأي والحلم والفضل، وكان خطيبا، نافذ القول، عرف عنه أنه توسط للصلح في حرب الفجار بين قبيلتي هوازن وكنانة ، وقد رضي الفريقان بحكمه، وانتهت الحرب على يده ، فكان يقال: " **لم يسد من قريش مملق إلا عتبة وأبو طالب**" ، ذلك إنهما سادات قريش بغير مال ، أدرك عتبة الإسلام، وطغى فشهد بدرا مع المشركين ، وقاتل قتالاً شديداً، حتى أحاط به الحمزة عم

ومن بنات جحش، حمنة أخت زينب بنت جحش زوج رسول الله [١].

وكانت من المبايعات عاتكة بنت زيد زوجة عبد الله بن أبي بكر المار ذكرها سابقاً . وشهدت فريعة بنت مالك الخدرية [٢] بيعة الرضوان[٣] مع رسول الله (ﷺ)[٤] ، وكانت الشفاء

النبي محمد (ﷺ)، والإمام علي بن أبي طالب (ﷺ)، وعبيدة بن الحارث فقتلوه. ينظر، ابن هشام، سيرة ابن هشام،ج١/ص٢٠٦؛ ابن سعد ،الطبقات،ج١/ص١٠٢.

[٧] فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وأمها صفية بنت أمية بن حارثة ، كانت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة متزوجة من قراظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف، فولدت له الوليد وهشام وأبي وآمنة وعتبة ومسلم وفاختة ، أما زوجها الثاني فكان عبد الله بن عامر بن كريز، وقيل أن أخوها حذيفة زوجها من مولاه سالم. ينظر ابن سعد، الطبقات،ج٨/١٨٩.

[٨] أمينة بنت أبي سفيان، وامها صفيا بنت أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، تزوجها حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس، فولدت له أبا سفيان، ثم تزوجها صفوان بن أمية بن خلف، فولدت له عبد الرحمن. ينظر ابن سعد، الطبقات،ج٨/ص١٩٠.

[٩] جويرية بنت ابي سفيان ،وأمها هند بنت عتبة بن ربيعة ، تزوجها السائب بن أبي حبيش بن المطلب ، وكان زوجها الثاني عبد الرحمن بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس. ينظر، ابن سعد، الطبقات، ج٨/ص١٩٠؛ ابن حجر، الاصابة،ج٨/ص٧٥.

[١٠] ميمونة بِنْت أبي سفيان، وأمها لبابة بنت أبي العاص بن أمية ، كان زوجها الأول عروة بن مسعود الثقفي، فولدت له أولاداً، وكان زوجها الثاني، المغيرة بن شعبة الثقفي. ينظر ابن سعد، الطبقات ، ج٨/ص١٩١.

[١] حمنة بنت جحش بن رئاب ، الأسدي ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن الهاشمي، وكانت حمنة متزوجة من مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، فولدت له ولداً قتل في معركة أحد، أما زوجها بعد مصعب فهو طلحة بن عبيد الله ،وقد ولدت له محمد وبه كان يكنى طلحة ، أما ابنها الثاني فهو عمران. ابن سعد، الطبقات ، ج٨/ص١٩١؛ ابن نعيم ، معرفة الصحابة ،ج٦/ص٣٢٩٣؛ المزي ، تهذيب الكمال ،ج٣٥/ص١٥٧؛ ابن حجر، الاصابة،٨/ص٨٨.

[٢] كانت متزوجة من سهل بن رافع بن تيسير الخزرجي، ومن ثم تزوجت سهل بن بشير، ابن سعد، الطبقات,ج٨/ص٣٦٦؛ ابن عبد البر ، ج٤/ص١٩٠٣؛ ابن حجر ؛ الإصابة ،ج٨/ص٢٨٠.

[٣] أو بيعة الشجرة ، وهي البيعة التي بايع فيها المسلمين رسول الله (ﷺ) على مقاتلة المشركين والدفاع عنه حتى الموت ، بعدما أشيع أن عثمان قتل في غزوة الحديبية سنة (٦هـ/٦٢٧م) ، وقد تمت البيعة تحت الشجرة لذلك سمين ببيعة الشجرة ، وقد انزل الله تعالى فيها:﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾.سورة الفتح ،آية ،١٨؛ ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج٢/ص٣١٥؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج٢/ص٧٦-٧٧؛ ابن الجوزي، المنتظم،ج٣/ص٢٦٩.

[٤] الفريعة بنت مالك بن سنان ، أمها أنيسة بنت أبي خارجة ، وهي أخت أبي سعيد الخدري ، وأخت قتادة بن النعمان لأمه ، تزوجت الفريعة من سهل بن رافع بن بشير الخزرجي، ثم خلف عليها سهل بن بشير بن عنبسة، روي أن زوجها خرج في طلب اعلاج له ،فقتل في مكان يدعى طرف القدوم، فجاءت لرسول الله (ﷺ) وأخبرته بأمر زوجها وانه يسكنها في دار من دور الانصار ،فلم يكن له دار ولا مال ترثه منه ، وانها تريد اللحوق بأخوتها وأهلها ، فأفتاها رسول الله (ﷺ) بالذهاب الى بيت أهلها بعد انتهاء عدتها الشرعية.مالك بن أنس، الموطأ،ج٦/ص١٢٥؛ ابن سعد، الطبقات،ج٨/ص٢٧٢؛ المزي، تهذيب الكمال،ج٣٥/ص٢٦٧.

بنت عبد الله ممن بايعن رسول الله (ﷺ)[١] ، كما كانت زينب بنت عثمان بن مظعون ممن بايعن رسول الله (ﷺ)[٢]، وكذلك خولة بنت عقب[٣]، وسهلة بنت سهيل[٤]، وفاطمة بنت قيس [٥]، وهند بنت سماك بن عتيك بن امرئ القيس[٦] .

---

[١] الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف، الكعبي ، بنت عبد اللّه ، وقيل أن اسم خلف هو خالد ، و أن اسم شداد هو صدّاد شداد، كما قيل ضرار، وكانت أمها فاطمة بنت وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران المخزومي، كانت قد أسلمت قبل الهجرة ،ا وبايعت النبي محمد(ﷺ)، وتزوجها أبو حثمة بن حذيفة بن غانم بن عامر ،الكعبي، فولدت له سليمان، ومن بعده تزوجت أخيه لمرزوق ، فولدت له أبا حكيم ، وكان شريفًا . ابن سعد، الطبقات،ج٨/ص ٢١٠؛ ابن نعيم، معرفة الصحابة ،ج٦/ص٣٣٧١ ؛ ابن حجر الإصابة ،ج٨، ص٢٠١.

[٢] زينب بنت عثمان بن مظعون بن مضعون تزوجها عبد الله بن عمر بعد وفاة والدها ، إذ زوجها عمها قدامة بن مضعون ، أرغم المغيرة بن شعبة في الصداق ، لذلك كرهت زينب بنت مضعون وأمها الزواج من عبد الله ، فأعلمت رسول الله (ﷺ) بذلك ، فرد رسول الله (ﷺ) نكاحها فتزوجها المغيرة بن شعبة . ينظر، ابن سعد، الطبقات،ج٨/٢١١.

[٣] خولة بِنت عقبة بن رافع بْن امرئ القيس بن زيد من بني عبد الأشهل، وأمها سلمى بنت عمرو، من بني ساعدة ، وهي عمة محمود بن لبيد بن عقبة، كان زوج خولة الأول الحارث بن الصمة من بني عمرو بن مبذول ، ومن بني النجار، ولدت له سعد ، أما زوجها الثاني فكان عبد الله بن قتادة بن النعمان بن زيد الأوسي ، فولدت له عمر. ابن سعد ،الطبقات ،ج٨/ص٢٤٤.

[٤] سهلة بنت سهل بن عمر بن عبد شمس، وأمها فاطمة بنت عبد العزى ، أسلمت بمكة وهاجرت مع المسلمين الأوائل إلى أرض الحبشة الهجرتين مع زوجها أَبِي حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، فولدت له بأرض الهجرة، محمد بن أبي حذيفة ، ومن ثم تزوجها عبد الله بن الأسود بن عمرو من بني مالك بن حسل ، فولدت له سليط، ثم تزوجت شماخ بن سعيد بن قانف ، فولدت له عامر بن شماخ، ومن ثم تزوجت عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ، فولدت له سالم ، وكانت سهلة قد تبنت سالم مولى أبي حذيفة ، فكان يدخل عليها، فرخص لها ذلك رسول الله (ﷺ) . ينظر، ابن سعد، الطبقات،ج٨/٢١١-٢١٢.

[٥] فاطمة بنت قيس بن خالد الأكبر، وأمها أميمة بنت ربيعة بن حذيم ، وكانت فاطمة بنت قيس متزوجة من أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، فطلقها ثم خطبها معاوية بن أبي سفيان ، وأبو جهم بن حذيفة بن غانم العدوي ، فعرضت أمر زواجها على رسول الله (ﷺ) فاختار لها الزواج من إسامة بن زيد . للمزيد ينظر، ابن سعد، الطبقات ،ج٨/ص٢١٣؛ المزي ، تهذيب الكمال،ج٣٥/ص٢٦٤؛ الذهبي، سير، ج٢/ص٣١٩.

[٦] هند بنت سماك بن عتيك بن امرئ القيس ، من بني عبد الأشهل، أمها أم جندب بنت رفاعة بن زنبر، الأوسي، وتزوجت هند من سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس ، فولدت له عمر وعبد الله ، وتزوجت هند من بعده أخيه سعد بن معاذ ، فولدت له الحارث الذي شهد وقعة بدر الكبرى .ابن سعد، الطبقات ، ،ج٨،ص٢٤٣، ابن حجر ،الاصابة،ج٨/ص٣٤٥.

ثانياً : أثر النساء المردفات في اعلان بيعة الخليفة في العصر الراشدي.

كان للمرأة المردفة في العصر الراشدي دوراً واضحاً وبارزاً في البيعة ، فبعد وفاة رسول الله (ﷺ) واختلاف أمر المسلمين في الخلافة وما إلى ما آل اليه الأمر من بعده ، فما أن توفى رسول الله (ﷺ) وجنازته على الأرض ، كانت طائفة من المهاجرين والأنصار مع الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) حول جنازة رسول الله (ﷺ) ، والبعض من الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة [١]، والتحق بهم عدد من المهاجرين فوقع هناك الاختلاف ، واسفرت القضية عن اختيار ابو بكر خليفة للمسلمين[٢] ، إذ تم ترشيح ابو بكر للخلافة بعد أن أجتمع خمسة أشخاص اتفقوا على بيعة أبي بكر[٣]، وعلى الرغم من اعتراض أكثر أصحاب الحل والعقد على تنصيب عمر خليفة للمسلمين ، إلا أنه تم تنصيبه خليفة للمسلمين ليصبح الخليفة الراشدي الثاني الذي استمر حكمه لمدة عشر سنوات (١٣هـ -٢٣هـ /٦٣٤-٦٤٣م)[٤]، ولم يجد الخليفة عمر نفسه ملزماً بتسمية خليفة المسلمين من بعده كما فعل الخليفة أبو بكر ، إذ أنه لجأ الى أسلوب أخر في اختيار الخليفة من بعده ، إلا وهو أسلوب الشورى الذي أستحدثه الخليفة عمر، بالرغم من أن تلك الشورى كانت شكلية ، حيث عمد الخليفة عمر الى تسمية ستة من الصحابة الذين مات رسول الله (ﷺ) وهو راض عنهم وهم كلاً من علي

---

[١] وهي فسحة من الأرض غير واسعة مظللة ، ولم يرد اجتماع رسول الله (ﷺ) فيها مما يدل على أنها كانت خاصة ببني ساعدة دون غيرهم ، اجتمع فيها الانصار يوم توفي رسول الله (ﷺ) ،لترشيح زعيم الخزرج سعد بن عبادة لخلافة رسول الله (ﷺ) بحجة أن الأنصار أولى بها من المهاجرين أهل المدينة وهم أول من نصر الإسلام ، ولما علم أبو بكر وعمر جاءوا مسرعين ونحوا الناس عن سعد، وجادلوا الانصار بان رسول الله منهم وانهم أحق بمقامه، وبعد عدة اقتراحات ومجادلات قدمها الحاضرون انتهى اجتماع السقيفة باختيار أبو بكر خليفة لرسول الله (ﷺ) . للمزيد ينظر ، ابن هشام ،سيرة ابن هشام،ج٢/٦٥٧؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي، ج ٢/ص٨٣؛ الطبري، تاريخ الطبري ،ج٨/ص٢٠٠-٢١٢؛ ابن عبد ربه ،العقد الفريد،ج٥/ص١١؛ الحموي ،معجم البلدان ،ج٣/ص٢٢٨-٢٢٩؛ ابن عبد الحق ، مراصد الإطلاع،ج٢/ص٧٢١؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون،ج٢/ص٣٥٢؛ الديار بكري، تاريخ الخميس،ج٢/ص١٦٧.

[٢] ابن هشام ،سيرة ابن هشام،ج٢/٦٥٧؛ اليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي،ج٢/ص٨٣ ؛ الطبري، تاريخ الطبري،ج٣/ص٢٠٢-٢١٢.

[٣] ابن قتيبة الدينوري ، المعارف، ص١٧٩؛ الطبري ،تاريخ الطبري، ج٣/ص٢٢٣؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ،ج٢/ص٣٥٢ ؛ الديار بكري، تاريخ الخميس،ج٢/ص١٦٧.

[٤] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ،ج٢/ص٩٥؛

بن أبي طالب (عليه السلام) ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف [١]، مع ضم ولده عبد الله الى أهل الشورى على ان لا يكون له من الأمر شيئا ، مع توصيته بإعطاء الأولوية لعبد الرحمن بن عوف في ترشيح الخليفة ، إذ نقل اليعقوبي أن عثمان قال:" **أن رضي أربعة وخالف أثنان ، فأضرب عنق الاثنين، وأن رضي ثلاثة وخالف ثلاثة ، فأضرب أعناق الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن، وان جازت الثلاثة الأيام فأضرب اعناقهم جميعاً** " [٢]، وذلك لأن عبد الرحمن وعثمان كانا على نهج واحد ، لاسيما وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أخي بينهما ، فقد اثبتت الوقائع التاريخية مدى التوافق والانسجام الذي أحدثه نظام المؤاخاة بين الاطراف المشتركة . وخير مثال على ذلك مؤاخاة أبو بكر وعمر ، فقد كانت أغلب مواقفهما مشتركة وتصب في تحقيق هدف واحد ، قبل وبعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وخير شاهد على ذلك هو توافق زوجات رسول الله ، عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بن عمر بن الخطاب ، إلا أن تلك العلاقة التي كانت تربط أبو بكر وعمر برزت وتوضحت أكثر بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لاسيما بعد أن أخذت المطامح السياسية في نيل السلطة لهذا الطرف أو ذلك تطفو على السطح ، والتي انتهت بترشيح ابو بكر أول خليفة للمسلمين ، والذي قام بدوره بتسمية عمر الخليفة من بعده كما أشرنا الى ذلك سابقًا.

وفي الصدد نفسه نجد أن الخليفة عمر في وصيته أشار بطريقة وأخرى إلى اختيار عثمان، وان كانت بطريقة غير مباشرة ، فمن خلال قراءة تلك الوصية التي سمي فيها الخليفة عمر أسماء أهل الشورى الستة ، إلى جانب طريقة اختيار الشخص المرشح للخلافة من خلال الدور الذي لعبه عبد الرحمن في ترشيح عثمان خليفة للمسلمين[٣] ، على أمل أن يصبح عبد الرحمن الخليفة من بعده ، لولا أن الأجل وافاه ، وهذا ما تؤكده لنا رواية اليعقوبي التي جاء

---

[١] الطبري ، تاريخ الطبري،ج٤/ص٢٢٨؛ اليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي،ج٢/ص١١١.

[٢] اليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي،ج٢/ص١١١.

[٣] ينظر، الطبري، تاريخ الطبري،ج٤/ص٢٢٨؛ اليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي،ج٢/ص١١٢؛ الديار بكري، تاريخ الخميس ،ج٢/ص١٢٢؛ عطا سلمان، المؤاخاة الاولى ،ص١٣-١٧.

فيها ان عثمان في خلافته بعد أن اشتدت عليه علته في المرض دعا مولاه حمران بن أبان[١] ، وكتب له عهداً لمن يأتي بعده وقد ترك موضع الاسم ومن ثم كتب بيده أسم عبد الرحمن بن عوف ، فبعثه الى زوج الرسول (ﷺ) أم حبيبة بنت أبي سفيان ، ونتيجة لذلك غضب عبد الرحمن ، وقال : " **استعمله علانية واستعملني سراً** " كما احتج عبد الرحمن بأنه أفضل إسلاماً من عثمان لأسباب ذكرها ، فضلاً عن أنه اثره على نفسه بمبايعته له دون غيره[٢] ، مما يوضح أنّ للمرأة في العصر الراشدي دورا في اتمام العملية السياسية من خلال اعطاءها الحرية في ابداء المشورة السياسية ، لاسيما إذا علمنا أن البيت الذي تمت فيه الشورى هو بيت فاطمة بنت قيس بن خالد أحدى النساء المردفات [٣] .

ولم تقف أم حبيبة مكتوفة الأيدي أثناء حصار عثمان ، حيث جاءت الأخير وهي راكبةً بغلتها ، من أجل السعي في تقديم المساعدة للخليفة عثمان وهو محاصر في داره ، لعلها تجد له الحل الأنسب ، وفي ذلك قال ابن الجوزي : " **وجاءت أم حبيبة على بغلة لها برحالة مشتملة على إداوة ، فقالت لهم : إن وصايا بني أمية إلى هذا الرجل فأحببت أن ألقاه فأسأله كيلا تهلك أموال اليتامى، فقالوا: كاذبة ، وقطعوا حبل بغلتها بالسيف، فنذرت فتلقاها الناس**"[٤] .

وقد ساهمت أم حبيبة في تأجيج الوضع السياسي لصالح أخيها معاوية بن أبي سفيان وجهوده من أجل الاستحواذ على الخلافة ، وذلك بعد أنّ أعلن خروجه عن طاعة الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، كما أعلن تمرده في الشام بحجة الثأر من قتلة عثمان وادعاءه

---

[١] حمران بن أبان ، وقيل ان أسم أبيه أبي، الفارسي ، من سبي من عين التمر الذين بعث بهم خالد بن الوليد الى المدينة، كان للمسيب بن نجبة فابتاعه منه عثمان فهو مولى عثمان بن عفان ، نزل البصرة وكان سبب نزوله البصرة أنه أفشى بعض اسرار عثمان ، ولما بلغ عثمان ذلك ، قال: " **لا تساكني في بلد** "، فرحل عنه ونزل البصرة ، فادعى ولده بأنهم من النمر بن قاسط بن ربيعة، وقد روى حمران عن عثمان وغيره. ابن سعد،ج٧/ص١٠٩؛الذهبي ،سير،ج٤،ص١٨٢– ١٨٣؛ المزي ،تهذيب الكمال،ج٧/ص٣٠١.

[٢] تاريخ اليعقوبي،ج٢/ص١١٧.

[٣] مالك بن أنس ، الموطا،ج٦/ص١٢٥؛ المزي ، تهذيب الكمال ،ج٣٥/ص٢٦٤؛ ابن كثير ، التكميل في الجرح والتعديل ،ج٤/ص٢٩٤.

[٤] المنتظم، ج٥/ص٥٤.

بانه صاحب الحق في ذلك ، فقد روي أن أم حبيبة بنت أبي سفيان بعثت بقميص عثمان إلى أخيها معاوية في الشام ، علماً أن معاوية كان يعد العدة لاستلام الخلافة بعد رحيل عثمان، سيما وأن معاوية حاول اقناع عثمان بترك المدينة واتخاذ الشام عاصمة للخلافة الإسلامية إلا أنّ الأخير رفض اقتراحه [١]، فقام أبو مسلم الخولاني[٢] بأخذ القميص وهو يطوف بقميص عثمان مدن الشام ويحرض الناس على قتلة عثمان [٣]. توضح افعال ام حبيبة أن الغرض الذيً قصدته ام حبيبة هو تأليب الناس على خلافة الإمام علي (ﷺ) ، فهي بذلك كانت خير معين وسند لأخيها معاوية من أجل الحصول على الخلافة بحجة الادعاء بأخذ الثأر، على اعتبار أنّ معاوية هو الذي سينفذ لبني امية مهمة اخذ الثأر ، وكأنما لا يوجد أحداً من آل عثمان بن عفان ممن ينهض بهذه المهمة ، أذن يمكن القول أن مسألة الثأر كانت مدبرة لغرض إثارة الفتنة بين المسلمين ، وتدعيمًا لموقف معاوية بن أبي سفيان في نزاعه مع الإمام علي (عليه السلام) ، ولاسيما وأن الإمام علي (عليه السلام) بعد استلامه خلافة المسلمين كان أول عمل قام به هو عزل ولاة الخليفة السابق لما جلبوا من ويلات على الإسلام بصورة خاصة ، وعلى المسلمين بصورة عامة ، إلى جانب رفض الإمام (عليه السلام) كل الدعوات التي وجهت إليه باستثناء معاوية من قرار العزل ريثما يتمكن الإمام (عليه السلام) من تثبيت دعائم سلطته [٤] ، إلا أن معاوية رفض أمر العزل الذي وجه اليه ، مما

---

[١] الطبري ، تاريخ الطبري، ج٤/ص٣٤٥ ؛ ابن الأثير ،الكامل ،ج٢/ص٥٢٨.

[٢] عبد الله بن ثوب ، وقيل ابن ثواب ، أو ابن أثوب، وقيل ابن عبد الله ، وقيل أن أسمه يعقوب بن عوف، ابو مسلم الخولاني ، وأحد التابعيين ، أسلم في حياة رسول الله (ﷺ) وقدم المدينة في خلافة أبي بكر، قيل أن أصله من اليمن ،وقيل بأنه من أهل البصرة في العراق ، وكان فاضلاً ناسكاً عابداً، روي عنه أبو إدريس الخولاني وجماعة من التابعين ، وتوفى أبو مسلم سنة(٦٢هـ/٦٨١م) ، ودفن بداريا في دمشق. ينظر ،ابن سعد،الطبقات،ج٧/ص٣١٢؛المزي ،اكمال تهذيب، ج٣٤/ص٢٩٠-٢٩١؛ الذهبي ، سير،ج٣/ص٥٢١؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات،ج٢/ص١٦٩.

[٣] البلاذري ، أنساب الأشراف، ج٢/ص٢٩١.

[٤] أبو حنيفة الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص١٤٢؛ الطبري ،تاريخ الطبري، ج٤/ص٥٦٣؛ ابن الأثير ،الكامل ،ج٢/ص٦٣٤.

أدى إلى حدوث صراعات عسكرية بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية ، انتهت بمعركة صفين[١] التي أجبر فيها الإمام (عليه السلام) على قبول التحكيم سنة(٣٦هـ/٦٥٦م) [٢].

وفي الوقت نفسه نجد ان عائشة زوج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم تحرك ساكناً تجاه حصار عثمان ، بل إنها أخذت تخطط لرسم سياسة تهدف الى التخلص من الخليفة ، وذلك من خلال هروبها متذرعة الحج الى بيت الله، وما يثبت ذلك هو قول ابن الجوزي : " **وتجهزت عائشة خارجة إلى الحج هاربة** " [٣].

وبعد أن تمت بيعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للخلافة ، هرب بنو أمية الى مكّة لحوقاً بعائشة ، لأن هوى عائشة كان مع طلحة ، فقد كان بنو أمية وعائشة ينتظرون أن تصبح الخلافة لطلحة ، ذلك أنها كانت تحض على مقتل عثمان ، فخرجت عائشة راكبة بغلة، ومعها قميص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتقول: " **هذا قميص رسول الله، صلى الله عليه ، ما بلى وقد بلى دينه ، اقتلوا نعثلا ، قتل الله نعثلا** " [٤] ، ولعل السبب في كره عائشة للخليفة عثمان ، هو أن عثمان قام بانقاص عطاءها عما كان الخليفة عمر يعطيها سابقًا ، بعدما ساوى بين الناس في الأعطية[٥]، إلا أنها بعد مقتل عثمان كرهت أن تكون الخلافة للإمام

---

[١] معركة صفين ، وهي المعركة التي حدثت بعد انقضاء معركة الجمل ، وذلك بعد أن استقر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكوفة ، فبعث جرير بن عبد الله البجلي لكي يأخذ البيعة للإمام (عليه السلام) من معاوية إلا أن معاوية ماطله في ذلك واتفق مع عمرو بن العاص على مقاتلة الإمام علي (عليه السلام) ، فخرجت جموع القتال واجتمعت بصفين (بالقرب من الفرات شرقي بلاد الشام) في شهر صفر من سنة(٣٧هـ /٦٥٧م)، وكانت الحرب لمدة سنتين تقريبًا ، قتل فيها سبعون الف مقاتل، خمسة واربعون من أهل الشام ، و خمسة وعشرون الف من اهل العراق من ضمنهم خمسة وعشرين بدريًا ، ومن أبرز من قتل في هذه المعركة ، هو عمار بن ياسر الذي روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: " **تقتل عمار الفئة الباغية** " ، وقد انتهت المعركة بحيلة من عمرو بن العاص لرفع المصاحف والمناداة بجعل القرآن الكريم الحكم بين الفريقان، وقد نجحت خطة عمرو بن العاص في زعزعة جيش الامام علي (عليه السلام) ، ذلك أن أهواء جيش الإمام كانت مختلفة ومواقفهم متذبذبة ، فكانت طاعة جند الإمام لمن تكن كطاعة جند معاوية لمعاوية ، مما كان عاملاً في تقوية موقف معاوية بخصوص المطالبة بالخلافة .أبي شيبة ،المصنف ، ج٧/ص٥٤٧ ؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج٥/ص٤٨؛ ابن الأثير ، البداية والنهاية،ج٧/ص٢٥٧؛ ابن الجوزي ،المنتظم،ج٥/ص١٢٠.

[٢] ابو حنيفة الدينوري ، الأخبار الطوال ،ص١٤٢.

[٣] المنتظم، ج٥/ص٥٤.

[٤] مسكويه ، تجارب الأمم ،ج١/ص٤٦٩.

[٥] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ،ج٢/ص١٢٠.

علي (عليه السلام) ، فعادت إلى مكة بعد أن كانت متوجّهة إلى المدينة ، ونادت : " **ألا ، إنّ الخليفة قتل مظلوما، فاطلبوا بدم عثمان**" [١]. فخرجت عائشة من مكة قاصدة البصرة على جمل يدعى عسكر[٢] اعطاه لها يعلى بن منية [٣] ، وكان أول من انضم اليها عبد الله بن عامر[٤] ، وبنو أمية ، ويعلى بن منية الذي أمدها بالجمل ، والمال الكثير[٥]، وكان على رأسهم الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ، اللذان استئذانا الإمام علي بحجة الذهاب الى العمرة ، وذكر اليعقوبي أن الأمام علي (عليه السلام) قال لبعض اصحابه : " **والله ما أرادا العمرة ولكنهما ارادا الغدرة** "[٦] ، وأوضح ابن أعثم الكوفي (ت :٣١٤هـ) نفس المعنى بقوله أن الإمام علي (عليه السلام) قال لطلحة والزبير : " **ثم أقبل الزبير وطلحة إلى علي رضي الله عنه**

---

[١] مسكويه ، تجارب الأمم ،ج١/ص٤٦٩.

[٢] معركة الجمل ، سميت بمعركة الجمل لأن عائشة بنت ابي بكر زوج الرسول (صلى الله عليه وآله) كانت راكبة جمل في هودج ، وكان أسم الجمل (عسكر) اشتراه يعلى بن منية واعطاه لعائشة، و قد صار الجمل مثل القنفذ من النشاب في الحرب ، حتى أنه لما كثر القتل على الجمل، قال : الإمام علي (عليه السلام) " **اعقروا الجمل** "، فضربه رجل وسقط الجمل، وقد بقيت عائشة في هودجها إلى الليل ، حتى أدخلها أخوها محمد بن أبي بكر إلى البصرة، فأنزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعة الذي قتل في المعركة فبقيت مع زوجته صفية ، حتى أمر الإمام علي عائشةَ بالرجوع إلى المدينة على أن تقر في بيتها، فجهزها الإمام بما كانت تحتاج إليه في سفرها ، ثم سارت وسير معها أولاده مسيرة يوم ، ومن ثم توجهت إلى مكة للحج في هذه السنة ، ثم عادت الى المدينة في تلك السنة. ينظر، ابو حنيفة الدينوري ،الاخبار الطوال،ص١٤٨-١٥١؛ العليمي ، التاريخ المعتبر،ج١/ص٢٦٥-٢٦٦.

[٣] يعلي بن منبه بن أبي عبيدة التميمي الحنظلي، كنيته أبو صفوان ، وقيل أبا خالد ، ينسب مرة الى أبيه ومرة الى أمه، أسلم يوم الفتح , شهد مع رسول الله حنين والطائف وتبوك ، ولاه الخليفة أبو بكر حلوان في الردة ، ولاه عمر بعض مدن اليمن ، أما عثمان فولاه صنعاء ، وقد كان عظيم الشأن عند عثمان ، لذلك شهد معركة الجمل مع عائشة ، فانفق اموالاً جزيلة في معسكر عائشة ، فأعطاها الجمل الذي أشتراه بثمانين دينار، كما أعان الزبير بأربعمائة ألف، وكذلك حمل سبعين رجلا من قريش، الا أنه في صفين سنة (٣٨هـ/٦٥٨م) قتل شهيداً في صف الإمام علي (عليه السلام) . ابن عبد البر ،الاستيعاب ،ج٤/ص١٥٨٥؛ الفاسي، العقد الثمين ،ج٦/ص٢٤٨؛ الذهبي ، سير،ج٣/ص١٠١.

[٤] عبد الله بن عامر الحضرمي ، و قيل أن اسمه عبد الله بن عمار بن سلمى بن أكبر ، كان حليف لبني عبد شمس بن عبد مناف ، وأمه أم طلحة واسمها أرنب بنت كريز، وفي سنة(٢٩هـ /٦٤٩م) قدم ابن عامر على عثمان واستخلفه على البصرة ، وعند قتل عثمان كان عامر والي مكة ، ووجهه معاوية من الشام إلى البصرة ، لكي يدعو إلى الطلب بدم الخليفة عثمان، فنزل على بني تميم وأجتمع اليه جماعة . الطبري، تاريخ الطبري، ج/ص٤٤٨؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج٢/ص٥٧١؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق، ٢٩/ص٢٤٤.

[٥] ابن عمر ، الفتنة ووقعة الجمل ، ص١١٣؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج/ص٤٤٨؛ ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،ج٢/ص٥٧١.

[٦] تاريخ اليعقوبي ،ج٢/ص١٢٥.

فاستأذناه في العمرة ، فقال لهما علي رضي الله عنه : إنكما ليس إلى العمرة تريدان ، وقد كنت قلت لكما في أول الامر : إنكما تفعلان أمر من الأمور ، فأبيتما إلا بيعتي طائعين غير مكرهين : والآن فقد أذنت لكما فاذهبنا حيث شئتما راشدين" [١]. وكان خير شاهد على تورط طلحة والزبير بمقتل عثمان هو قول زينب بنت أبي سفيان ، إذ خرج الإمام (عليه السلام) ذات ليلة من منزله لحاجة ، وأنه عند مروره بباب زينب بنت أبي سفيان ، سمع صوت دف ينقر وصاحبته تقول أبيات جاء فيها :

ظلامة عثمان عند الزبير وأظلم منه لنا طلحة [٢].

وقد صور أبو حنيفة الدينوري عائشة وهي تتفق مع طلحة والزبير للخروج ضد الإمام علي (عليه السلام) بعدما أتموا قتل عثمان ، بقوله : " **ولما قضى الزبير وطلحه وعائشة حجهم تأمروا في مقتل عثمان ، فقال الزبير وطلحه لعائشة : ان اطعتنا طلبنا بدم عثمان ، قالت : وممن تطلبون دمه؟، قالا: انهم قوم معروفون، وانهم بطانه على ورؤساء اصحابه ، فأخرجى معنا حتى نأتي البصرة فيمن تبعنا من اهل الحجاز، وأن أهل البصرة لو قد رأوك لكانوا جميعا يدا واحده معك. فأجابتهم الى الخروج ، فسارت والناس حولها يميناً وشمالا**" [٣] ، فنظمت عائشة صفوف المعارضة لحرب الإمام علي(عليه السلام) في البصرة [٤] ، داعيةً اعزاز الإسلام والطلب بثأر الخليفة المقتول [٥] ، وكان من أثرها وقوع معركة الجمل[٦] في

---

[١] الفتوح،ج٢/ ص٤٥١.

[٢] الفتوح،ج٢/ص٤٥٠.

[٣] الأخبار الطوال ، ص١٤٤.

[٤] تم الاستيلاء على البصرة بعد قتال شديد مع واليها عثمان بن حنيف الذي نتفت لحيته وحاجبه وتم سجنه ثم اطلق سراحه ، وقتل اربعون رجلاً مكن كانوا معه ، ولعل السبب في اختيار البصرة ، هو تكفل معاوية بن أبي سفيان بأمر الشام . ينظر ، ابو الفداء ، المختصر في أخبار البشر،ج١/ص١٧٣؛ العليمي ،التاريخ المعتبر،ج١/ص٢٦٤.

[٥] ابو حنيفة الدينوري ، الاخبار الطوال، ص١٤٤ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي،ج٢/ص١٢٦.

[٦] سميت بمعركة الجمل لأن عائشة بنت أبي بكر زوج الرسول (صلى الله عليه وآله) كانت راكبة جمل في هودج ، و قد صار الجمل مثل القنفذ من النشاب في الحرب ، حتى أنه لما كثر القتل على الجمل ، قال الإمام علي (عليه السلام) : " **اعقروا الجمل** " ، وكان الذي عقر الجمل أعين بْن ضبيعة بْن ناجية بْن عقال ، فسقط الجمل، وقد بقيت عائشة في هودجها إلى الليل ، حتى أدخلها أخوها محمد بن أبي بكر إلى البصرة، فأنزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعة الذي قتل في المعركة فبقيت مع زوجته صفية ، حتى أمر الإمام علي عائشةَ بالرجوع إلى المدينة على أن تقر في بيتها، فجهزها الإمام بما كانت تحتاج

جمادى الأولى سنة (٣٦هـ/٦٥٦م) [١] . ومن المؤكد أن عائشة قد عصت رسول الله (ﷺ) في خروجها على الامام علي (عليه السلام) ، بدليل حديث عائشة مع الأحنف بن قيس[٢] ، " **فقال لها الأحنف رحمه الله : إني سائلك ومغلظٌ لك في المسألة فلا تجدين عليّ. أعندك عهدٌ من رسول الله في خروجك هذا؟ قالت: لا. قال لها: أفعندك عهدٌ من رسول الله أنّك معصومةٌ من الخطأ؟ قالت: لا. قال لها: صدقت، أن الله رضي لك المدينة فأبيت إلاّ البصرة ، وأمرك بلزوم بيت نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم فنزلت بين الحرسة الضّبي. ألا تخبريني يا أمّ المؤمنين أللحرب قدمت أم للصّلح ؟ قالت: بل للصّلح ، فقال لها : والله لو قدمت وما بينهم إلاّ الخفق بالنّعال والقذف بالحصبا ، ما اصطلحوا على يديك، فكيف والسّيوف على عواتقهم؟ قالت: لقد استغرق حكم الأحنف هجاه أياي، إلى الله أشكون**

إليه ، ثم سارت وسير معها أولاده مسيرة يوم ، وتوجهت الى مكة للحج في هذه السنة ، ثم عادت إلى المدينة في تلك السنة. ينظر، أبو حنيفة الدينوري ، الأخبار الطوال، ص١٤٨-١٥١؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١/ص٢٥٨؛ العليمي ،التاريخ المعتبر،ج١/ص٢٦٥-٢٦٦.

[١] الأخبار الطوال ، ص٢٢٠ ؛اليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي ،ج٢/ص١٢٦؛ الطبري ،تاريخ الطبريج٤/ص٥٠٦ ؛ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، ج٢/ص٥٦٨-ص٥٦٩؛ابن كثير ،البداية والنهاية ،ج٧/ص٢٢٩؛ أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر،ج١/ص١٧٣.

[٢] الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرّي السعدي المنقري التميمي، اختلف في اسمه قيل أن أسمه صخر ،وقيل الضحاك ، وقيل الحارث ،ومنهم من يسميه حصن بن حفص ، وباتفاق أكثر المؤرخين أن اسم الأحنف هو لقب لصاحب الترجمة ، وذلك لأنه ولد احنف لحنف كان موجود في رجله أي اعوجاج ، كنيته أبو بحر، سيد تميم ، كان يضرب به المثل في الحلم ، ولد في البصرة وأدرك النبي محمد (ﷺ) ولم يره ، فهو من كبار تابعي البصرة ، روى عن الخلفاء عمر وعلي وعثمان وسعد بن أبي وقاص وابن مسعود وأبي ذر وغيرهم، وروي عنه الحسن البصري ، وطلق بن حبيب ، وأبو العلاء بن الشخير وغيرهم، وفيه قال الحسن: " **ما رأيت شريف قوم أفضل من الأحنف**" ، فهو سيد قومه ، ومناقبه كثيرة ،وكان حلمه مضرب مثل ، وفد على الخليفة عمر في المدينة حين آلت الخلافة إليه ، فاستبقاه عمر ي المدينة فمكث فيها عاما ، ثم أذن له فعاد إلى البصرة ، عندها كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري : " **أما بعد فأدن الأحنف وشاوره واسمع منه** "، وقد شهد الفتوحات الإسلامية في خراسان ، كما شهد معركة صفين مع الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ذهبت إحدى عينيه في وقعة الحرة، ولما اصبحت الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان عاتبه ، فأجابه الاحنف برد فيه غلاظة ، ثم سئل معاوية أن يصبر عليه ، فقال : " **هذا الّذي إذا غضب غضب له مئة ألف لا يدرون فيم غضب** " ، وولي خراسان، وعندما وفد الاحنف على أمير الكوفة مصعب بن الزبير توفى فيها سنة (٧٢هـ/٦٩١م)-وقيل سنة (٦٧هـ/٦٨٦م). البخاري، الهداية والارشاد،ج١/ص١٠١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ،ج١/ص١٤٤؛ ابن نعيم، معرفة الصحابة،ج١/ص٣٦٧؛الذهبي ، تاريخ الإسلام،ج٢/ص٦١٩؛ ابن حجر ، الإصابة،ج١/ص٣٣١؛ تهذيب التهذيب ،ج١/ص١٩١؛ لسان الميزان،ج٧/ص٣٢.

عقوق أبنائي " [١]، من الملاحظ أنّ المراد من حديث الأحنف لعائشة هو نصحها وتذكيرها بمقامها ومكانتها بين المسلمين كونها أحدى زوجات الرسول (ﷺ) ، ويمكن القول بأنه نصحها بعدم الخروج على الإمام علي (عليه السلام) ولكن بأسلوب غير مباشر، مما أكد أن خروج عائشة لم يكن بغاية الإصلاح بين الناس والاقتصاص من قتلة الخليفة وقتلهم كما أدعت ذلك. إذ نقل الطبري إن عائشة لما انتهت الى سرف [٢] ، وهي ذاهبة في طريقها الى مكة ، لقيها عبد بن أم كلاب [٣] ،فدار بينهما حوار يُفهم منه إن خروج عائشة من مكة إلى البصرة لم يكن لغرض المطالبة بدم الخليفة المقتول عثمان ، والدليل على ذلك هو قول ابن كلاب لعائشة ، لقد كنت تقولين: " **اقتلوا نعثلا فقد كفر** "، والجدير بالملاحظة أن قول ابن كلاب الأخير قد ذكرته أغلب المصادر التاريخية [٤] ، بمعنى أن عائشة كانت تقصد من خروجها معارضة بيعة المسلمين للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وذلك بعد أن اتفقت مع طلحة والزبير [٥] .

وكان لأم سلمة بنت أبي أمية زوج الرسول (ﷺ) موقفاً بارزاً في الاحداث السياسية أبان خلافة الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، وقد أتضح دورها هذا من خلال أحداث الجمل ، إذ إنها وقفت بوجه عائشة بنت أبي بكر زوج الرسول (ﷺ) بعد أن خرجت عائشة تطالب بدم عثمان ، أرادت عائشة من أم سلمة أن تخرج معها ، فقالت لها ما نصه حسب ما نقل اليعقوبي : " **أن ابن عمي وزوج أختي اعلماني أن عثمان قتل مظلوماً ، وأن أكثر الناس لم يرض ببيعة علي ، وأن جماعة ممن بالبصرة قد خالفوا ، فلو خرجت بنا لعل الله أن**

---

[١] ابن الجوزي، أخبار النساء،ص٣٢.

[٢] السرف وتعني الجاهل ، وهو موضع يبعد ستة اميال عن مكة ، وقيل سبعة وتسعة وأثني عشر ، من طريق مرو وهو المكان الذي تزوج به رسول الله (ﷺ) ميمونة بنت الحارث وبه توفيت. الحموي ،معجم البلدان،ج٣/ص٢١٢؛ ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع،ج٢/ص٧٠٨.

[٣] وهو عبد بن أبي سلمة ، ينسب الى أمه.الطبري،ج٤/ص٤٥٨.

[٤] ابن أعثم الكوفي ، الفتوح، ج٢/ص٤٣٧، ابن الأثير ، الكامل،ج٣/ص٢٠٦؛ابن العبري، مختصر الدول،ص١٠٥؛ الحلبي ،السيرة الحلبية،ج٣/ص٣٥٦؛ الأمين، أعيان الشيعة ،ج١/ص٥٢؛ المرعشي، احقاق الحق،ج٢٢/ص٤٢٢.

[٥] مسكويه ،تجارب الأمم ،ج١/ص٤٦٩.

يصلح أمر أمة محمد على أيدينا ، فقالت لها أم سلمة : إن عماد الدين لا يقام بالنساء ، حماديات النساء غض الأبصار ، وخفض الاطراف ، وجر الذيول ، إن الله وضع عني وعنك هذا ؛ ما انت قائلة لو أن رسول الله عارضك بأطراف الفلوات قد هتكت حجاباً قد ضربه عليك ؟ فنادى مناديها : ألا إن أم المؤمنين مقيمة ، فأقيموا " [١] ، وقد تمثل موقف أم المؤمنين أم سلمة هذا هو رفض دعوة عائشة بالخروج معها ، ولم تكتفي ام سلمة برفض الخروج مع عائشة ، بل أنها أتت عائشة وأرادت منعها من الخروج ، بتذكريها بمقامها بين الناس ومكانتها على اعتبار هي أحدى زوجات رسول الله (ﷺ) ، وأم المؤمنين ، فقد ذكرتها بما أملت عليها مكانتها الدينية من الحجاب والتستر عن أعين الناس ، والقول بما فيه مصلحة الأمة الإسلامية ، وهذا ما أكده القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا**﴾[٢] ، أي لا تقلن القول الذي يجد به المنافقُ السَبيل إلى أن يطمع في موافقتكن [٣]، بمعنى أن على نساء النبي أن يقلن ما يوجبه الدين والإسلام بتصريح وبيان له ، لكي لا يطمع الذي في قلبه مرض أي ضعيف الإيمان، لذلك نصح القرآن الكريم زوجات النبي بالقول المعروف الصحيح [٤].

أما النص الذي أورده ابن أعثم الكوفي (ت:٣١٤هـ/٩٢٦م) فجاء فيه: " **وأقبلت عائشة حتى دخلت على أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وهي يومئذ بمكة ، فقالت لها: يا بنت أبي أمية ! إنك أول ظعينة هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت كبيرة أمهات المؤمنين وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لنا بين بيتك ، وقد خبرت أن القوم استتابوا عثمان بن عفان حتى إذا تاب وثبوا عليه فقتلوه ، وقد أخبرني عبد الله بن عامر أن بالبصرة مائة ألف سيف يقتل فيها بعضهم بعضا ، فهل لك أن**

---

[١] تاريخ اليعقوبي، ج٢/ص١٢٥.

[٢] سورة الاحزاب ،آية ٣٢.

[٣] الزجاج ، معاني القرآن واعرابه ،ج٤/ص٢٢٤.

[٤] الثعلبي ، الكشف والبيان ،ج٨/ص٣٤.

تسيري بنا إلى البصرة لعل الله تبارك وتعالى أن يصلح هذا الامر على أيدينا ؟ قال : فقالت لها أم سلمة رحمة الله عليها : يا بنت أبي بكر ! بدم عثمان تطلبين ! والله لقد كنت من أشد الناس عليه ، وما كنت تسميه إلا نعثلا ، فما لك ودم عثمان ؟ وعثمان رجل من عبد مناف وأنت امرأة من بني تيم بن مرة ، ويحك يا عائشة ! أعلى علي وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرجين وقد بايعه المهاجرون والأنصار ؟ ثم جعلت أم سلمة رحمة الله عليها تذكر عائشة فضائل علي رضي الله عنه وعبد الله بن الزبير على الباب يسمع ذلك كله ، فصاح بأم سلمة وقال : يا بنت أبي أمية ! إننا قد عرفنا عداوتك لآل الزبير ، ... فقالت أم سلمة : والله لتوردنها ثم لا تصدرنها أنت ولا أبوك ! أتطمع أن يرضى المهاجرون والأنصار بأبيك الزبير وصاحبه طلحة وعلي بن أبي طالب حي وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة ؟ فقال عبد الله بن الزبير : ما سمعنا هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة قط ، فقالت أم سلمة رحمة الله عليها :" إن لم تكن أنت سمعته قد سمعته خالتك عائشة وها هي فاسألها ! فقد سمعته صلى الله عليه وسلم يقول : " علي خليفتي عليكم في حياتي ومماتي فمن عصاه فقد عصاني". أتشهدين يا عائشة بهذا أم لا ؟ فقالت عائشة : اللهم نعم ! قالت أم سلمة رحمة الله عليها : فاتقي الله يا عائشة في نفسك واحذري ما حذرك الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا تكوني صاحبة كلاب الحوأب ، ولا يغرنك الزبير وطلحة فإنهما لا يغنيان عنك من الله شيئا." [١] ، فخرجت عائشة وهي حقنة من أم سلمة لما سمعته منها ، وبالرجوع الى النص نجد أن أم سلمة في حديثها مع عائشة أشارت إلى كلاب الحوأب[٢] ، وهو ما أكدته معظم المصادر التاريخية ، من أن عائشة ومن كان معها قد مروا على مكان كان يسمى الحوأب فنبحت كلاب ذلك المكان ، فقيل لعائشة إن هذا ماء الحوأب ، فصرخت عائشة بأعلى صوتها ، قائلةً : " **إنا لله وإنا إليه راجعون، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول وعنده بعض نساؤه : ليت شعري أيتكن**

---

[١] الفتوح، ج٢/ص٤٥٥.

[٢] الحوأب ، موضع قريب من مياه العرب على طريق البصرة، وقيل، أن سبب تسميتها بالحوأب نسبة الى الحوأب بنت كلب بن وبرة الأزدي (أم تميم وبكر). الأزدي ، جمهرة اللغة ،ج١/ص٢٨٦؛ ياقوت الحموي ،معجم البلدان،ج٢/ص٣١٤.

تنبحها كلاب الحوأب؟ " ثم ضربت عائشة عضد بعيرها ، وقالت : " **ردوني ، أنا صاحبة ماء الحوأب** " ، فأناخوها يومًا وليلة ، فقال لها عبد الله بن الزبير[١] أنه كذب يعني ليس هذا ماء الحوأب [٢] ، ولم يزل بها وهي تمتنع فقال لها ، النجاء النجاء فقد أدرككم جيش علي بن أبي طالب (عليه السلام) حتى ارتحلوا إلى البصرة واستولوا عليها بعد قتال مع عثمان بن حنيف[٣] والي البصرة ، مما أسفر عن الإمساك بوالي البصرة عثمان ، ونتف لحيته وحاجبه وسجنه ثم أُطلق سراحه ، زيادة على قتل أربعون رجلاً من لرجاله [٤].

أما موقف أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب[٥] من خروج حليفتها عائشة ، فكانت مؤيدة لها قولاً ورأياً وفعلاً ، حيث أن حفصة لما سئلت عن موقفها من خروج عائشة ، ردت

---

[١] عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، كنيته أبو بكر ، وقيل أبو خبيب الأسدي ،أسماء بنت أبى بكر الصديق، و بعد الهجرة بعشرين يوم ، فكان اول مولود ولد من المهاجرين في المدينة المنورة من قريش، كان فصيحًا ذا شجاعة، له صحبة، حضر موقعة اليرموك مع أبيه ، قدم مصر في خلافة عثمان، وشهد إفريقية، وقدم دمشق لغزو القسطنطينية في أيام خلافة معاوية، وبويع له بالخلافة في مكة بعد موت يزيد بن معاوية في سنة(٦٤هـ/٦٨٣م) ، فغلب على الحجاز والعراق واليمن ومصر وأكثر مناطق الشام ، فأقام في الخلافة لمدة تسع سنين حتى قتله الحجاج بن يوسف في المسجد الحرام سنة (٧٢هـ /٦٩١م)، ثم تم صلبه في ولاية عبد الملك بن مروان. الطبري ،تاريخ الطبري، ج٥/ص٥٠٥؛ ابو نعيم ، معرفة الصحابة ،ج٣/ص١٦٤٧؛ ابن ،عبد البر، الاستيعاب ،ج٣/ص٩٩٥؛الفاسي ،العقد الثمين ،ج٤/ص٣٤٣-٣٤٤؛ السيوطي ، حسن المحاضرة،ج١/ص٢١٢-٢١٣.

[٢] الطبري، تاريخ الطبري،ج٤/ص٤٥٨؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/ص٤٥٥.

[٣] عثمان بن حنيف بن واهب بن العكيم الأنصاري ، الأوسي، كنيته أبو عمرو، وقيل عبد الله أبو عمرو، وشهد معركة أحدا والمشاهد التي بعدها ، كان عامل الخليفة عمر على العراق ،و قد أمره عمر أن يمسح سوادها فمسحها ، وقسط خراجها، استعمله الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) على البصرة قبل الجمل، فكان من أمره ما كان حدث ، سكن عثمان الكوفة حتى توفي في عهد معاوية. أبو نعيم ،معرفة الصحابة ،ج٤/ص١٩٥٨؛مغلطاي ،اكمال تهذيب الكمال،ج٩/ص١٤١-١٤٢؛الذهبي ،سير،ج٢/ص٣٢٠-٣٢٢.

[٤] اليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي ،ج٢/ص١٢٦؛ الطبري، تاريخ الطبري،ج٣/ص،٢٦٤ ،ج٤/ص٤٥٦-٤٥٨؛ مسكويه ،تجارب الأمم،ج١/ص٤٦٩؛ابن الاثير ،ج٢/ص٥٧٠؛ ابو الفداء ،المختصر في أخبار البشر،ج١/ص١٧٣؛ العليمي ،التاريخ المعتبر،ج١/ص٢٦٤.

[٥] كان زوجها قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم، السهمى ، كان من المهاجرين الأوائل، شهد هجرة الحبشة الولى وقيل الثانية أيضاً ، إذ ذكر الذهبي بأم له هجرتان ،شهد موقعتا بدر وأحد ، جرح بمعركة أحد عدة جراحات، فتوفي على أثرها في المدينة بعد خمسة عشر من هجرة الرسول إلى المدينة ، ودفن بالبقيع الى جانب قبر عثمان بن مضعون ، ولا عقب له. ابن سعد ،الطبقات؛ الطبري، تاريخ الطبري ، ج٣/ص٣٠٠؛ ج٢/ص٤٩٩؛ ابو نعيم ، معرفة الصحابة ، ج٢/ص٩٩٠؛ابن عبد البر، الاستيعاب ،ج٢/ص٤٥٢؛ الفاسي ، العقد الثمين، ج٤/ص٥٥.

قائلة: " **رأيي تبع لرأي عائشة ، حتى إذا لم يبق إلا الخروج** " [١]. وقد ذكر ابن الجوزي أنّ حفصة ارادت الخروج إلا أن عبد الله طلب منها أن تقعد عن الخروج ، وذلك ما ابلغته حفصة لعائشة ، بقولها : " **أن عبد الله حال بيني وبين الخروج ، يغفر الله لعبد الله** " [٢].

أما بخصوص قول أم سلمة للإمام علي(عليه السلام) ، فقد نقل الطبري ما نصه : " **يا أمير المؤمنين ، لولا أن أعصي الله عز وجل وإنك لا تقبله مني لخرجت معك ، وهذا ابني عمر – والله لهو أعز علي من نفسي يخرج معك فيشهد مشاهدك فخرج فلم يزل معه ، واستعمله على البحرين ثم عزله...**" [٣] .

---

[١] الطبري ،تاريخ الطبري، ج٤/ص٤٥١؛ ابن الجوزي ،المنتظم، ج٥/ص٨٠-٨١.

[٢] ابن الجوزي ،المنتظم، ج٥/ص٨١.

[٣] تاريخ الطبري، ج٤/ص٤٥١-٤٥٢.

ثالثاً : دور النساء المردفات في بيعة الخليفة في العصر الأموي .

١-دور المرأة المردفة في استحصال بيعة العهد

إن موضوع تنافس نساء البيت الأموي على موضوع ايصال ابنائهن للخلافة أخذت حيزاً كبيراً من التدخل والاهتمام ، حيث لم يكن أمر اختيار الخليفة الأموي لولي العهد بالأمر السهل اليسير ، على اعتبار إنه ملزم بترشيح أحد الشخصيات المؤهلة من بين مجموعة من أبناءه أو أخوته ، نظراً لوجود العديد من التدخلات من مختلف الأطراف ، إلى جانب عدم إغفال مسألة التأثير ، فمن خلال هذه النقطة حاولت بعض النساء النفوذ إلى أزواجهن ، إذ أنّ الكثير من النساء أثرن على ازواجهن من أجل إيصال أبنائهن إلى دفة الحكم وإبعاد الأخرين عن منافستهم ، حتى وأن كانوا غير مؤهلين لذلك ، ومن أشهر النساء المردفات في العصر الأموي ، فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة الملقبة (حبة)[١] ، والتي لعبت دوراً بارزاً وواضحًا في مجال السياسة ، كونها كانت زوجة لخليفتين امويين ، فكان زوجها الأول يزيد بن معاوية ، وبعد وفاته تزوجت مروان بن الحكم(٦٤-٦٥هـ/٦٨٣-٦٨٤م) [٢] ، حيث سعت فاختة جاهدةً الى تولية ولدها معاوية الثاني ولاية العهد وتهيئته لمنصب الخلافة من بعد أبيه يزيد على وفق الطريق الذي سار عليه الأمويون في جعل الخلافة أموية وبالأحرى حصرها بالفرع السفياني ، وذلك من خلال استحداث منصب ولاية العهد ، وقد تجلت جهود فاختة في حث زوجها بشكل مباشر وصريح على البيعة لولدها معاوية للخلافة من بعده ، واتضح هذا المعنى في قول فاختة ليزيد " **لو وليت معاوية عهدك ،فقال: أفعل** ..." [٣] ، وبذلك نجحت فاختة في استخدام الأسلوب العاطفي في الضغط على الخليفة لإسناد الخلافة لولدها ، حيث أبدى يزيد موافقته ووعدها بأنه سيفعل ذلك.

ولجأت أم هاشم إلى استخدام أساليب أخرى لتحقيق مبتغاها ، وتمثلت في الاستعانة ببني كلب أخوال يزيد لما لهم من تأثير عليه في إقناعه على إسناد الخلافة لولدها معاوية ، وهذا

---

[١] البلاذري ، أنساب الأشراف،ج٥/ص٣٥٥.

[٢] الطبري ، تاريخ الطبري، ج٥/ص٥٠٠.

[٣] البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥/ص٣٥٧.

ما لحظناه من خلال طرح يزيد لموضوع ولاية العهد على خاله حسان بن مالك بن بحدل الكلبي[١] واستشارته في الموضوع ، فأبدى حسان تأييدًا على إقرار البيعة لمعاوية الثاني ، وعلى أثر ذلك قام يزيد بجمع وجهاء الأمويين وأشرافهم واخبرهم بأنه قد ولى ولده معاوية الخلافة من بعده وجرت البيعة له بولاية العهد [٢]. فكان ذلك بجهود امه أم هاشم التي لم تقف عند هذا الحد بل أنها تابعت بنفسها إجراءات استلام ابنها معاوية الثاني للخلافة بعد وفاة ابيه سنة (٦٤ هـ / ٦٨٣ م) ، ورغم كل الجهود التي قامت بها فاختة لإيصال ولدها إلى دفة الخلافة ، إلا أن ولدها اعلن عن تنازله عن الخلافة ، مما أثار غضبها و استياءها من ولدها معاوية لفعله هذا ، حيث أوضح في خطبة له القاها أمام الناس اشار فيها الى أسباب تنازله وزهده عن الخلافة ، مع طلبه من المسلمين اعفاءه من منصب الخليفة واختيار بديلاً عنه ، مع تأكيده على نبذ مبدأ وراثة الخلافة والعودة الى مبدأ الشورى في اختيار الخليفة ، إلا أنه قد قبل البيعة وهو لها كاره ، ذلك لأن والده يزيد أنفذ كتب بيعته إلى آفاق مملكته [٣].

أما بخصوص المدة التي قضاها معاوية الثاني في الخلافة ، فليس هناك اجماع بين أغلب المؤرخين في ذلك ، فابن خياط نقل روايتين ، الأولى تذكر أنه بقي في السلطة مدة أربعين يوماً ، والثانية تذكر أنه بقي لمدة خمسة وأربعين يوماً[٤] ، وذكر ابن قتيبة أنه بقي لمدة شهرين وليالي[٥] ، ويقدم البلاذري ثلاث روايات مختلفة بهذا الخصوص ، الأولى تذكر

---

[١] حسان بن مالك بن بحدل ابن انيف بن دلجة ، الكلبي، زعيم بني كلب ، كان أموي الهوي ، إذ جعله معاوية بن أبي سفيان عاملاً له على فلسطين ، شهد معركة صفين مع معاوية ، فكان أحد الأمراء على قضاعة الشام في صفين ، ثم كان مع مروان في حربه مع الضحاك بن قيس ، وكانت له مكانة ومنزلة عند بني أمية ، فهو الذي أمر بالبيعة لمروان بن الحكم ، فكان يسلم عليه بالإمرة لمدة أربعين ليلة قبل أن يسلم أمر البيعة لمروان بن الحكم. الطبري، تاريخ الطبري،ج٥/ص٥٣١-٥٣٢؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق، ج١٢/ص ٤٤٨؛ الذهبي سير،ج٣/ص٥٣٧؛ تاريخ الاسلام، ج٢/ص٦٢٧.

[٢] البلاذري ، أنساب الأشراف،ج٥/ص٣٥٧.

[٣] البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥/ص٣٥٧.

[٤] تاريخ خليفة بن خياط، ص١٩٦.

[٥] الإمامة والسياسة ، ج٢/ص ١٨٩.

أربعين يوما، والثانية عشرين يوماً ، والثالثة ثلاثة أشهر[١]. وأورد اليعقوبي روايتين ، الأولى تبين أنه بقي خليفة لمدة أربعين يوماً ، أما الرواية الثانية فتشير الى أن مدة بقائه في الخلافة كانت أربعة أشهر[٢]، أما ابن عبد ربه الأندلسي فجعل خلافته أربعين يوماً[٣] ، ونقل ابن الأثير روايتين عن مدة خلافته ، الأولى تشير إلى أربعين يوماً ، والثانية تشير إلى ثلاثة أشهر، أما ابن كثير فذكر روايات متعددة بهذا الجانب ، الأولى تذهب إلى أنه بقي في الخلافة مدة اربعين يوماً ، والثانية تشير إلى عرين يوماً، والثالثة تنقل شهر ونصف الشهر، أما الرابعة فتجعلها أربعة أشهر[٤].

ومهما أختلف في مدة خلافة معاوية الثاني ، فقد أفضت اليه الخلافة ، وقام خطيبًا في الناس ، وقال : " **أيها الناس إن يكن هذا الأمر خيرًا فقد استكثر منه آل أبي سفيان، وإن يكن شرًا فما أولاهم بتركه ، والله ما أحب أن أذهب إلى الآخرة وأدع لهم الدنيا، ألا فليصل بكم حسان بْن مالك ، وتشاوروا فِي أمركم، عزم الله لكم على الرشد والخيرة فِي قضائه** " [٥]، ليعلن معاوية بخطبته انسحابه وتنازله عن الحكم ، لذلك تم قتله بالسم ، وقيل طعناً [٦]، بعد أربعين يوم ، وقيل سبعين يوم من تنازله عن الخلافة [٧] .

وزيادة على ذلك رفض معاوية الثاني وبشدة الاستجابة لمطالب بني أمية لترشيح أخيه خالد للخلافة من بعده ، فعندما سألوه ذلك الأمر وهو على فراش الموت [٨]، أجابهم رافضاً بقوله: " **يا سبحان الله كفيتها حياتي واتضمنها بعد موتي ؟ فأبى** " [٩].

---

[١] أنساب الأشراف، ج٥/ص٣٧٩.

[٢] تاريخ اليعقوبي، ج٢/ص ١٧٧

[٣] العقد الفريد، ج٤/ص ٣٩١.

[٤] الكامل، ج ٣/ص٣١٩.

[٥] أنساب الأشراف ، ج٥/ص٣٥٨.

[٦] الطبري ، تاريخ الطبري، ج٥/ص٥٣١.

[٧] الدميري ، حياة الحيوان، ج١/ص٩٤.

[٨] توفى معاوية الثاني وله من العمر ثمانية عشر سنة ، وقيل تسعة عشر، وقيل أحدى وعشرين سنة ، وقيل ثلاث وعشرين سنة ، ودفن فِي مقبرة باب الصغير بدمشق، ومن المؤكد أن بني أمية قد دسوا له السم بعد تنازله عن الخلافة ،

وقد تعددت الآراء وكثرت الاقاويل بخصوص تنازل معاوية الثاني عن الخلافة ، وبما أن أغلب المؤرخين أجمعوا على سمو أخلاق معاوية الثاني [١] ، لذلك يمكن جعل سبب تنازله عن السلطة كان بمثابة صرخة حق نطقت بأن بني امية اغتصبوا السلطة التي لم تكن من حقهم، من اصحابها الشرعيين المتمثلين بآل بيت الرسول (صلوات الله عليهم أجمعين)، حتى أنه لقب ب(الراجع الى الحق) [٢]، مما دفع ببني أمية أن يصبوا جل غضبهم على مؤدبه المسمى عمر المقصوص[٣] إذ قالوا له : " **أنت علمته هذا ولقنته إياه، وصددته عن الخلافة، وزينت له حب علي وأولاده ، وحملته على ما وسمنا به من الظلم، وحسّنت له البدع، حتى نطق بما نطق، وقال ما قال. فقال: والله ما فعلته، ولكنه مجبول ومطبوع على حب علي.** " [٤]، وهذا ما أكدته خطبته التي القاها معاوية عند توليه منصب الخلافة ، إذ جرت العادة ان يقوم الخليفة بعد مبايعته بإلقاء خطبة توضح سياسته التي سوف يسير عليها في تسير أمور الخلافة، إذ حفظ اليعقوبي تلك الخطبة لتكون خير شاهدًا على مسألة أثارت الكثير من التساؤلات ، حيث توجه معاوية الثاني إلى العامة قائلاً : " **أما بعد حمد الله والثناء عليه ، أيها الناس فإنا بلينا بكم وبليتم بنا فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا ، إلا وأن جدي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة برسول الله وأحق في الإسلام ، سابق المسلمين ، وأول المؤمنين ، وابن عم رسول رب العالمين ،**

بـل ورفضـه تسـليمها لأخيـه. للمزيـد ينظـر، اليعقـوبي ، تـاريخ اليعقـوبي، ج٢/ص ١٧٧؛ الـبلاذري، أنسـاب الأشـراف، ج/ص٣٥٦-٣٥٧؛ الطبري ، تاريخ الطبري، ج٥/ص ، ص٥٣١ ؛ المسعودي ،مروج الذهب ،ص٢٦١.

[٩] البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥/ص٣٥٧.

[١] للمزيد عن سيرته ينظر ، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ،ج٥٩/ص٢٩٦؛ ابن الجوزي، المنتظم،ج٦/ص٣٢؛ أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر، ج١/ص١٩٣؛ الدميري ، حياة الحيوان،ج١/ص٩٣؛ القلقشندي، مآثر الانافة،ج١/ص ١٢٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢١١.

[٢] عطا سلمان ، الخلافة الأموية والفقهاء ،ص٢.

[٣]عمر بن نعيم العنسي ، وقيل القرشي معلم يزيد بن معاوية ، وهو من أهل دمشق روى عن معاوية وأسامة بن سلمان النخعي ، وروى عنه مكحول ، نقل أن أبا ذر حدثه عن رسول الله (ﷺ) و قال" **إن الله عزّ وجلّ يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب** " **قيل: يا رسول الله، وما الحجاب؟ قال: "تموت النّفس وهي مشركة** " . البخاري ،التاريخ الكبير ،ج٢/ص٢١؛ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٥/ص٣٥١-٣٥٢؛ الذهبي ، ميزان الاعتدال، ج٣/ص٢٢٨.

[٤] الدميري، حياة الحيوان، ج١/ص٩٤.

وأبا بقية خاتم المرسلين، فركب منكم ما تعلمون ، وركبتم منه مالا تنكرون ، حتى أتته منيته وصار رهناً بعمله ، ثم قلد أبي وكان غير خليق للخير ، فركب هواه ، واستحسن خطأه ، وعظم رجاؤه ، فأخلفه الأمل ، وقصر عنه الآجل ، فقلت منعته ، وانقطعت مدته ، وصار في حفرته رهناً بذنبه، وأسير بجرمه . ثم بكى، وقال : إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه ، وقد قتل عترة الرسول، وأباح الحرمة، وحرق الكعبة ، وما المتقلد أموركم ، ولا المتحمل تبعاتكم ، فشأنكم أمركم ، فو الله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظاً ، وإن تكن شراً فحسب آل لأبي سفيان ما أصابوا منه "[١].

توضح خطبة معاوية الثاني هذه السياسة التي سار عليها جده معاوية بن أبي سفيان وأبيه يزيد ، حيث أعتبرهم غاصبين للخلافة من آل البيت عليهم السلام ،المتمثلة بالإمام علي بن أبي طالب إذ عده صاحب الحق الشرعي بمنصب الخلافة بعد رسول الله (ﷺ) ، ذلك لأنه ابن عم النبي (ﷺ)، وأول المؤمنين برسول الله (ﷺ) ، ومن أوائل السابقين في دخول الإسلام ، وقد إذ اعلن رفضه لا فعال جده معاوية في منازعة علي بن أبي طالب (عليه السلام) أولى الناس واحقهم بالخلافة من بني أمية ، سيما أبيه يزيد الذي رفضه وبصورة قطعية ، إذ عده غير مؤهل للخلافة لسوء خلقه واتباعه هواه في ارتكابه ابشع جريمة في تاريخ البشرية ، إلا وهي اقباله على قتل عترة رسول الله (ﷺ) الأطهار في كربلاء ، و كذلك إباحة المدينة المنورة ، وحرق الكعبة ، لذلك عظمت في نظر معاوية الثاني أفعال بني أمية المشينة والمخزية في الدنيا والآخرة ، لذلك تنازل معوية الثاني عن الخلافة وبكل بساطة وسهولة ، وبرأي المتواضع أن سبب قراره هذا كان نتيجة لسمو أخلاقه ، وتدينه وزهده عن الدنيا بكل أشكالها، لدرجة أن السلطة ومظاهرها المغرية لم تؤثر عليه ، على العكس من بقية الأمويين الذين أثارت حفيظتهم خطبة معاوية الثاني وانسحابه من الساحة السياسية ، وجعلتهم في حالة من الغليان والتوتر بسبب شعورهم بقرب ضياع السلطة من بين أيديهم .

---

[١] تاريخ اليعقوبي ،ج٢/ص١٧٧.

ويرى ابن قتيبة الدينوري أن الدافع الذي كان وراء تنازل معاوية الثاني عن الخلافة ، لأنه كان يؤمن ويعتقد ويقر بأن تنصيبه خليفة لمسلمين كان بغير حق ، وأن غيره من أتقياء المسلمين وأشداءهم ، من هم أولى بها منه ، فهم أجدر واقدر عليها ، وهذا المعنى وضحه لنا ابن قتيبة في نصه : " **جمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أيها الناس أني نظرت بعدكم فيما صار الي من أمركم وقلدته من ولايتكم، فوجدت ذلك لا يعني فيما بيني وبين ربي ، اتقدم على قوم فيهم من هو خير مني واحقهم بذلك وأقوى على ما قلدته فاختاروا مني إحدى الخصلتين ، أما أن أخرج منها وأستخلف عليكم من أراه رضا ومقنعاً ، ولكم الله علي إلا ألوكم نصحاً في الدين والدنيا، وأما أن تختاروا لأنفسكم وتخرجوني منها**" [١]، فقد نظر ابن قتيبة في نصه إلى مسألة تنازل معاوية الثاني عن الخلافة من نفس منظار اليعقوبي ، إذ يمكن اعتبارها جزء متمم لخطبة اليعقوبي المار ذكرها ، والتي أعلن فيها معاوية الثاني عن الأسباب الحقيقية التي دفعته الى التنازل عن الخلافة ، فهو يرى أن معاوية ما كان له أن يتخلى عن الخلافة وينعزل عن العامة إلا لشعوره بمسؤولية الخلافة ، وثقل حملها ، فقد ناء بنفسه عند اتخاذه قرار الانسحاب عن تولي الخلافة وإلغائه لنظام ولاية العهد وارجاع نظام شورى بين المسلمين في انتخاب خليفة رسول الله (ﷺ)، ممن يروه أصلح لقيادة المسلمين.

وإلى المعنى ذاته أشار الطبري نقلاً عن أبن عوانة بن الحكم الكوفي بقوله : " **إِنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ لَمَّا مَاتَ وَابْنُهُ مُعَاوِيَةُ مِنْ بَعْدِهِ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ- فِيمَا بَلَغَنِي- أَمَرَ بَعْدَ وِلايَتِهِ فَنُودِيَ بِالشَّامِ: الصَّلاةُ جَامِعَةٌ! فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِكُمْ فَضَعُفْتُ عَنْهُ، فَابْتَغَيْتُ لَكُمْ رَجُلا مِثْلَ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ حِينَ فَزِعَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ أَجِدْهُ ، فَابْتَغَيْتُ لَكُمْ سِتَّةً فِي الشُّورَى مِثْلَ سِتَّةَ عُمَرَ، فَلَمْ أَجِدْهَا، فَأَنْتُمْ أَوْلَى بِأَمْرِكُمْ ، فَاخْتَارُوا لَهُ مَنْ أَحْبَبْتُمْ ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى النَّاسِ**"

---

[١] الإمامة والسياسة،ج٢/ص١٠.

[١]، لمس الطبري هنا أعذار أخرى للتغطية على الأسباب الحقيقية التي اضطرت معاوية الثاني إلى التنازل عن الخلافة ، فقد حاول أن يبرر قراره هذا بأنه كان مرتبطاً بمرض معاوية الثاني وضعفه أو عجزه عن تولي أمور المسلمين ، فهولا يقوى على تحمل المسؤولية المناطة به كخليفة ، وأنه لا يمتلك المقدرة بخصوص تحديد من يخلفه ، لذلك فوض الأمر إلى المسلمين لكي يتخذوا امامهم بأنفسهم وذلك بجعلها شورى فيما بينهم.

وذكر البلاذري أن معاوية بن يزيد كان يظهر (التأله) أو الزهد [٢]، ويوافق البلاذري ابن أعثم الكوفي في الرأي حينما نقل خطبة معاوية الثاني بقوله: " **قال في خطبته : أيها الناس !إنما أنا لحم ودم ، واللحم والدم لا يصبران على نار جهنم ، وأنا خالع هذا الأمر ، فقلدوا أموركم من أحببتم ! فناداه الناس من كل مكان فقالوا : يا أمير المؤمنين ! فاعهد عهدك إلى من أحببت فإنا له سامعون مطيعون ! فقال : ما أنا بأمير المؤمنين ولا أعهد إلى أحد ، فإن نال خيرا فقد نال منه آل أبي سفيان ، وإن كان شرا فلا أحب أن أوردهم الدنيا وأمضي في الآخرة** " [٣]، حتى أن ابن فهد الحلي(ت:٨٤١هـ/١٤٣٧م) جعل زهد معاوية الثاني السبب الرئيسي لتنازله عن الخلافة ، إذ نقل ما نصه: " **ان السبب الموجب لنزول معاوية بن يزيد بن معاوية عن الخلافة ان سمع جاريتين له تتباحثان وكانت إحداهما بارعة الجمال ، فقالت الأخرى لها قد أكسبك جمالك كبر الملوك ، فقالت الحسناء : وأي ملك يضاهى ملك الحسن ؟ وهو قاض على الملوك فهو الملك حقا ، فقالت لها الأخرى : وأي خير في الملك ؟ وصاحبه اما قائم بحقوقه ، وعامل بشكر فيه فذاك مسلوب اللذة والقرار منغص العيش ، واما منقاد لشهواته بحقوقه ، وعامل بشكر فيه فذاك مسلوب اللذة والقرار منغص العيش ، واما منقاد لشهواته ومؤثر للذاته مضيع للحقوق ، ومضرب**

---

[١] الطبري، تاريخ الطبري، ج٥/ص ٥٣٠-٥٣١؛ ابن الاثير ،الكامل،ج٣/ص٢٢٦.

[٢] أنساب الأشراف ، ج٥/ص٣٥٧.

[٣] الفتوح، ج٥/ص١٦٥.

عن الشكر فمصيره إلى النار، فوقعت الكلمة في نفس معاوية موقعا مؤثرا ، وحملته على الانخلاع من الامر،.."[١] .

ومما يثير التحفظ على هذا النص أنه وأن صح ما ورد فيه ، فمن غير المنطق أن يكون مقنعاً وبشكل كافي لأن يُعد سبباً كافياً لا تخاذ قرار خطير يمس الصالح العام للمسلمين ، سيما وأن معاوية الثاني قد وصف من قبل أغلب المؤرخين بأنه كان من الفكر والوعي الديني ما يكفي ليجعله يفهم ما عليه فعله ، كونه الحاكم العام للمسلمين ، لا أنه كان قد استمع لمحادثة جرت بين جاريتين فتأثر بكلامهما ، وبناءً عليه أتخذ قراراً هاماً مصيرياً ، فهو أبعد ما يكون عن ذلك ، فحسب وصف الشافعي له " **وكان خيرا من أبيه ، فيه دين وعقل**" [٢]، أما البلاذري فوصفه بقوله : " **كان فتى صالحاً كثير الفكر في أمر معاده** " [٣].

و عند متابعة الأوضاع السياسية التي رافقت حكم معاوية بن يزيد ، نجد إن معاوية الثاني قد أثار بمسألة خلع نفسه عن الخلافة حفيظة الأمويين الطامعين دوماً الى الملك ، وعليه فقد لقبوا معاوية الثاني (أبو ليلى) بسبب ضعفه وتنازله عن الخلافة [٤]، ويمكن القول أنه بتنازل معاوية الثاني عن منصب الخلافة قد فتح باب الفتنة على الأمويين أنفسهم ، وهذا ما أوضحه الشاعر بقوله :

إني أَرَى فتنة قَدْ حان أولها والملك بعد أَبِي لَيْلَى لمن غلب [٥].

ومن المؤكد أن أم هاشم كانت مع الأمويين الذين طلبوا من معاوية الثاني أن يكون أمر البيعة من بعده لأخيه خالد الذي كان يعرف ب(أبو هاشم) ، وذلك من أجل أن لا يفلت الأمر من بين أيدي الأمويين ، أو لكي لا تخرج الخلافة من البيت الأموي ، فقد شكل تنازل معاوية الثاني صدمة غير محسوبة لدى الأمويين في وضع سياسي كان أصلاً مرتبك

---

[١] عدة الداعي، ص١١٤.

[٢] الدميري ،حياة الحيوان، ج١/ص٩٣.

[٣] أنساب الأشراف ،ج٥/ص٣٥٨.

[٤] ابن قتيبة الدينوري ،المعارف ،ص٣٥٢؛ البلاذري ، أنساب الأشراف، ج ٥/ص٣٥٧؛ الطبري ،تاريخ الطبري، ج٥/ص٥٠٠.

[٥] الطبري ، تاريخ الطبري، ج٥/ص٥٠٠.

الحال ، وهذا ما استشف من محاورة متشنجة دارت بين معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم ، وضحها البلاذري : " **دخل مروان بْن الحكم على مُعَاوِيَة بْن يزيد فَقَالَ له: لقد أعطيت من نفسك ما يعطي الذليل المهين ، ثم رفع صوته فقال : من أراد أن ينظر فِي خالفةٍ آل حرب بْن أُمَيَّة فلينظر إلى هذا ، فَقَالَ له معاوية : يا ابْن الزرقاء اخرج عني لا قبل الله لك عذرًا يوم تلقاه.** " [١]، وما يثير الانتباه هنا أن تدخل أم خالد المبكر بمسألة الخلافة وجهودها المبذولة كلها علامات تؤكد محاولاتها الضغط على ولدها معاوية لترشيح أخيه لمنصب الخلافة ، وبعد المحاولات المتكررة والتي باءت بالفشل ، أعلنت أم هاشم غضبها على ولدها معاوية غضباً شديداً وعابت عليه افعاله تلك ، متهمة إياه بالضعف شانها كبقية بني أمية في ذلك ، لدرجة أنها تمنت عدم وجوده أو موته على أنّ يكون رجلاً ضعيفاً بهذا المستوى[٢]، فعبرت عن ذلك بقولها : " **لوددت يا بني انك كنت نسياً منسياً وانك لم تضعف هذا الضعف ، فأجابها معاوية قائلاً : وددت والله اني كنت نسياً منسياً ولم اسمع بذكر جهنم** " [٣] ، يفهم من ردود معاوية الثاني تجاه تولي منصب الخلافة ، بأنه كان رافضاً وبصورة قطعية قبول الخلافة والدليل على ذلك هو رفضه توليتها لأخيه ، متمنياً الموت على أن لا يقبل الدخول في الخلافة التي مثلها بدخول جهنم ، مما يدلل عن وعي وحكمة معاوية الثاني .

يبدو أن تدخلات فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة لم تتوقف بعد وفاة معاوية الثاني[٤]، إذ كان لها دور بارز في مجريات الأحداث السياسية ، وظهر ذلك واضحاً من خلال محاولاتها في اسناد الخلافة لولدها خالد ، مما دفع بمروان بن الحكم إلى الزواج من فاختة ، وهذا ما أشار اليه سعيد بن عمرو [٥] بقوله : " **أَنْتَ سيد قريش وفرعها وأنت أحق**

---

[١] أنساب الأشراف ، ج٥/ص٣٥٨.

[٢] ابن قتيبة الدينوري، المعارف ،ص٣٥٢؛ ابن فهد الحلي ، عدة الداعي، ص١١٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦/ص٣٢.

[٣] البلاذري ، انساب الاشراف ،ج٥/ص٣٥٩.

[٤] الزبيري ، نسب قريش ،ص١٢٨.

[٥] سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ،المدني ثم الكوفي، كنيته ابو عثمان ، وقيل ابو عنبسة ، وأمه أم حبيب بنت حريث العذرية ، شهد موقعة راهط مع أبيه عمرو الأشدق ، ولكن بعد تمكن عمرو الاشدق

النَّاس بِهَذَا الأمر، وإنما ينظر النَّاس إِلَى هَذَا الغلام يَعْنِي خَالِد بْن يَزِيد بْن مُعَاوِيَة فتزوج أمه فيكون فِي حجرك، قَالَ: ففعل مَرْوَان ذَلِكَ، ووعدها أَن يولي ابنها " [١]، ومن الملاحظ أنّ زواج مروان من فاختة كان بدواعي سياسية بحتة ، وذلك من أجل الحصول على بيعة الخلافة ولكلا الطرفين ، ففي الوقت الذي فكر فيه مروان بالحصول على منصب الخلافة ، من خلال الزواج بفاختة ، سعياً منه للسيطرة عليها وإيقاف تدخلاتها في أمر الخلافة ، وبالمقابل نجد أن زواج فاختة من مروان عد الخطوة الفعلية التي خطتها فاختة من أجل تثبيت الخلافة لولدها خالد واستحصال البيعة له كولي للعهد، فقد وانهى مروان بن الحكم خصومته السياسية بشأن الخلافة مع خالد بن يزيد بن معاوية بالزواج من أمه فاختة على وفق مشورة بعض أصحابه بقولهم : " **أنت سيد قريش وفرعها، وأنت أحق الناس بالقيام بهذا الأمر، إنما ينظر الناس إِلَى هَذَا الغلام- يعني خَالِد بن يَزِيدَ بن مُعَاوِيَة- فتزوج أمه فيكون فِي حجرك**" [٢] .

فكانت أم هاشم ترى في زواجها من مروان بن عبد الملك حفظاً لحق ابنها معاوية في ولاية العهد ، فكانت النتيجة انقلاب السحر على الساحر ، ذلك أن مروان بدأ يخطط لجعل ولاية العهد لا بنائه عبد الملك وعبد العزيز ، فعمل على الحط من شأن ابنها خالد فأراد أن يضع من خالد ويزهد الناس فيه، وكان إذا دخل عليه أجلسه معه على سريره ، فدخل عليه يوما ، فذهب ليجلس مجلسه، فزبره ، وقال : " **تنح يا ابن رطبة الاست ، والله ما وجدت لك عقلا. فانصرف خالد وقتئذ مغضبا حتى دخل على أمه، فقال : قد فضحتني وقصرت بي، ونكست برأسي. قالت: وما ذاك؟ قال: تزوجت هذا الرجل فصنع كذا وكذا وأخبرها بما قال له، فقالت: لا يسمع هذا منك أحد، ولا يعلم مروان أنك أعلمتني بشيء من ذلك، وادخل علي**

من الانتصار على عبد الله بن الزبير ، وقد بلغ عبد الملك أن عمرو يريد الخلافة له من بعد مروان ، غدر به عبد الملك وقتله ، ثم سيره ابنه سعيد مع أهل بيته إلى أرض الحجاز ومن بعدها سكن الكوفة ، وقد كانت وفاته ما بين سنة (١١١-١٢٠هـ/٧١٩-٧٢٩م) . الطبري ، تاريخ الطبري ،ج٥/ص٦١٠ ؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،ج٢١/ص ٢٥٤؛ الذهبي ، سير ،ج٥/ص٢٠٠؛ تاريخ الإسلام ،ج٣/ص٢٤٠.

[١] البلاذري ، أنساب الاشراف،ج٦/ص٢٧٥.

[٢] الطبري، تاريخ الطبري،ج٥/ص٥٤١.

كما كنت تدخل، واطو هذا الأمر فإني سأكفيك وأنتصر لك منه، فسكت خالد ودخل مروان على أم خالد فقال: ما قال لك خالد ما قلت له اليوم؟ فقالت: ما حَدَّثَني بشيء ولا قال لي فقال: ألم يشكني إليك، ويذكر تقصيري به. فقالت: يا أمير المؤمنين، أنت أجل في عين خالد وهو أشد لك تعظيما من أن يحكي عنك شيئا أو يجد من شيء تقوله ، وإنما أنت له بمنزلة الوالد. فانكسر مروان وظن أن الأمر على ما حكت، فسكت حتى إذا كان بعد ذلك، وحانت القائلة فنام عندها ، فوثبت هي وجواريها فغلقن الأبواب على مروان ، ثم عمدت إلى وسادة فوضعتها على وجهه، فلم تزل هي وجواريها يغممنه حتى مات." [١]، وذلك يدل على قوة أم هاشم وجرأتها في التدخل في شؤون الخلافة فبعد أن فشلت مساعيها في وصول ولديها إلى الخلافة ، اقبلت على قتل مروان بكل جرأة ، ومنشأه ضعف مؤسسة الخلافة الأموية وتوجه انظار الطامعين اليها .

وكانت سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان من النساء اللواتي لعبن دورًا في الحياة السياسة ، ذلك أنها كانت زوجة للخليفة يزيد بن عبد الملك(١٠١هـ -١٠٥هـ/ ٧١٩-٧٢٣م) وبعد وفاته تزوجت أخيه هشام (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) [٢]، فقد حاولت الضغط على الخليفة من أجل أسناد ولاية العهد لولدها عبد الله وتقديمه على عمه هشام بن عبد الملك أو تقديمه على أخيه الوليد المرشح الثاني للعهد بعد هشام ، إذ أن يزيد بن عبد الملك لما وجه الجيوش لمقاتلة يزيد بن المهلب[٣] سنة (١٠١هـ / ٧١٩ م) اقترح عليه بعض

---

[١] ابن الجوزي، المنتظم،،ج٦/ص٤٩-٥٠.

[٢] البلاذري ، أنساب الأشراف،ج٥/ص٦٠٥.

[٣] يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، كنيته أبو خالد، أحد الامراء ومن القادة الشجعان ، ولي امارة خراسان بعد وفاة أبيه سنة(٨٣ هـ/٧٠٢م) فمكث لمدة ست سنين، وعزله عبد الملك بن مروان باستشارة من الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراقيين ، وكان الحجاج يخشى بأسه، وبعد العزل تم حبسه ، مما ادى الى هروبه إلى الشام، وفي خلافة سليمان بن عبد الملك ، ولاه سليمان العراق ثم خراسان، التي عاد اليها ، فافتتح جرجان وطبرستان ، ومن ثم تم نقله إلى إمارة البصرة، فأقام فيها إلى خلافة عمر بن عبد العزيز الذي عزله وطلبه ، فجئ به إلى الشام، فحبس بحلب، ولما توفي عمر بن عبد العزيز، قام غلمان يزيد بإخراجه من السجن ،فسار إلى البصرة وتمكن من دخولها والسيطرة عليها سنة(١٠١هـ/٧١٩م)، ثم نشبت حروب بينه وبين أمير الكوفة مسلمة بن عبد الملك، انتهت بمقتله في مكان يسمى(العقر) بين واسط وبغداد. ينظر الطبري، تاريخ الطبري، ج٦/ص٥٧٨ -٥٩٠؛ الذهبي، سير،ج٤/ص٥٠٢-٥٠٦؛ الزركلي ، الاعلام ،ج٨/ص١٩٠.

المقربين من بني أمية أن يعمل بتعجيل أمر تولية العهد لابن أخيه عبد العزيز بن الوليد ، والسبب في ذلك يعود إلى أن أبناء يزيد بن عبد الملك كانوا وقتئذ صغاراً ، فضلاً عن خوفه من إشاعة أهل العراق خبر موت الخليفة فتضعف همم الرجال ، ولكن مسلمة بن عبد الملك أقنع الخليفة في أنّ يعهد لأخيه هشام بدلاً من ابن اخيه عبد العزيز بقوله : " **ايهما احب اليك اخوك ام ابن اخيك " فاجاب يزيد : اذ لم تكن في ولدي فاخي احق بها من ابن اخي** " ، وبما ان ولده المفضل هو الوليد كان صغيراً لم يتجاوز الحادية عشرة سنة فقد اقترح عليه مسلمة ان يبايع لهشام ثم للوليد من بعده فتم ذلك [١].

وازاء ذلك لم تجد سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان من وسيلة لتحقيق مطلبها في أنّ يكون ولدها عبد الله الخليفة بعد وفاة أبيه امام شدة منافسيه سوى استغلال ما كان عليه زوجها يزيد ابن عبد الملك من حياة اللهو والعبث وحبه الكبير للنساء حيث عرف عنه شغفه بجارية بارعة الجمال تدعى (حبابة) [٢] كان قد اشتراها بأربعة الأف دينار في خلافة أخيه سليمان بن عبد الملك ، إلا أن سليمان بعدما بلغه اسراف أخيه يزيد الشديد ولهوه وتبذيره للأموال ، أراد أن يحجر عليه ، فأمر برد الجارية حبابة فاشتراها رجل من مصر ، وكان يزيد بن عبد الملك قد تولعت نفسه بحبابة [٣]، وبعد أن أصبح يزيد بن عبد الملك خليفة

---

[١] الطبري، تاريخ الطبري ،ج٧/ص٢٣-٢٤.

[٢] حبابة جارية يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وهي مولودة من أهل المدينة، اسمها عالية ،ثم اطلق عليها أسم حبابة ، وهي مولَّدة، كانت لرجل من أهل المدينة يُعرف بابن رمانة أدّبها، فتعلمت الغناء عن ابن سريج وابن محرز وطبقتهما ، كانت جميلة الوجه ، ومغنية، تروي الشعر، وقد تعلمت العربية ، اشتراها يزيد بن عبد الملك ، فغلبت على عقله ، إذ اشتهرت بشجية الغناء وعذوبة صوتها ، وضربها للعود ، وكان الخليفة يزيد مغرما بالنساء فعشقها وهام لدرجة انه انقطع إليها ليله مع نهاره ، تاركاً بين أيديها أمر دينه ودنياه ، إذ انها كانت تعزل من تشاء وتولي من تشاء ، حتى اشتهر أمره وساء ذكره، وفي أحد الأيام أراد يزيد أن ينزل معها ببيت رأس (أحدى قرى الشام) ، " **فقال: زعم السلف أن الدهر لا يصفو لأحد يوماً كاملاً ، وماذا علي لو غادرت كلامهم نجما آفلا، ثم قال لغلامه: ويحك، لا تمكن أحدا من الوقوف ببابي، ولا تدع إنسانا يخرق حجابي. ثم خلا بحبابة وما برح معها في لهو وطرب، وهزل ولعب، حتى استقام قسطاس النهار فدعا بطبق رمان ...، فشرقت حبابة بحبة منه ذهبت بروحها إلى عالم العدم**" ، ثم ماتت فحزن عليها ،ولم يخرج الى الناس مدة سبعة أيام ، وقيل انه توفى بعدها بأربعين يوم . الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٧/ص٢٣؛ أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج١٥/ص٨٦؛ ابن الأثير ، الكامل ،ج٤/ص١٤٥، ص١٦٢.

[٣] الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٧/ص٢٣؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٤/ص١٦٤.

رسمت زوجته سعدة بنت عبد الله خطتها من أجل تولي الخلافة لابنها عبد الله ، إذ بعثت رجلاً في طلب حبابة ، ليشتريها فاشتراها لها ، وقد احضرها لسعدة ، والتي بدورها ابدت اهتمامها الكبير بها اذ انها جملتها ، فألبستها الحلل والجواهر وطيبتها لترى بأجمل صورة ، ثم توجهت بها سعدة لزوجها يزيد ، وقد عرضت عليه امكانية تحقيق كل ما يتمناه وتقصد بذلك أمنيته في الحصول على حبابة ، ووهبتها له، فسر بذلك يزيد سروراً كبيراً ، ومن جهة أخرى عظمت مكانة زوجته سعدة في نفسه ، فكانت هذه هي الخطوة الأولى التي خطتها سعدة لتحقيق غاياتها ، إذ نالت سعدة ثقة زوجها وحبه لها ، إذ ظهرت له بمظهر الفضل الكبير تجاه زوجها ، فكانت هي التي تقدم له بنفسها جارته المفضلة ، والتي تولع وهام بها حباً ، وبذلك ضمنت سعدة تحقيق مطلبها مهما كان الامر صعباً ، وبما يتناسب مع أمنية يزيد التي حققتها له سعدة [١].

وكانت الخطوة الثانية هي التي أفصحت عن تحقيق أهداف سعدة في التمهيد لنيل ولاية العهد لابنها عبد الله ، قد تجسدت في تقرب سعدة من حبابة نفسها التي كانت صاحبة القوة المؤثرة على الخليفة يزيد، لشدة ولعه وحبه لها ، فقد وصلت لدرجة أن كان لا يرفض لها طلباً ، إذ اصبحت تأمر وتنهي في قصر الخلافة ، وبما أن سعدة هي صاحبة الفضل الكبير في ايصال حبابة لما وصلت اليه من منزلة عند الخليفة ، فقد كان لسعدى الحق في أنّ تملي عليها شروطها وأن تستجيب لها وبدون ادنى تردد ، لذا فأن سعدة ، وسيما بعد أن اشترطت عليها أنّ لا تدع لها حاجة عند الخليفة إلا وقضتها ، ومن أهم تلك الحاجات كانت هي جعل الخلافة لولدها عبد الله ، فتعهدت لها حبابة بان تقضي حاجتها [٢] . تشير هذه الرواية إلى أن حبابة تعهدت بقضاء حاجة سعدة بشأن تنصيب ولاية العهد لولدها عبد الله ، إلا أن ما حدث يؤكد عدم تحقيق ذلك الطلب ولربما كان السبب في ذلك هو وفاة حبابة بشكل مفاجئ قبل أنّ يتم تحقيق طلب سعدة ، ولعل انشغال يزيد بحزنه الشديد على

---

[١] أبو الفرج الاصفهاني ، الأغاني ، ج١٥/ص٨٦؛ الطبري ،تاريخ الطبري ، ج٧/ص٢٣؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٤/ص١٦٤.

[٢] أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني، ج١٥ / ص٨٥.

حبابة ، هو الذي شغل الخليفة عن أمور الحكم والخلافة ، لدرجة أنه اعتل بسبب شدة حزنه على فقدان حبابة ، فظل مريضاً مدة اربعين يوماً ثم توفي على أثر ذلك[١]، ولعل يزيد قد خضع في أواخر أيامه لتأثيرات كبيرة من قبل اخوته في مسألة اقرار ولاية العهد ، إذ جعل عهد الخلافة لهشام بن عبد الملك ثم لولده الوليد من بعده ، لما روي أن يزيد بن عبد الملك كان قد ندم عندما أخذ برأي اخيه مسلمة في شأن تقديم أخيه هشام في ولاية العهد على أبنه الوليد ، حتى بلغ الوليد فكان كلما رأى الوليد قال له : " **الله بيني وبين من جعل هشامًا بيني وبينك** " [٢] ، وعليه فان يزيد أصبح ملزم بإقرار بيعة الخلافة لأخيه هشام ثم لولده الوليد ولم يكن باستطاعته نقض ذلك ، فكيف ليزيد أنّ يستجيب لطلب حبابة في تحقيق مساعي سعدة في شأن ولاية العهد لولدها عبد الله ، وبناءً على ما تقدم فقد أصبح مطلب حبابة صعباً جداً ، لم تتمكن من تحقيقه ، وبذلك تكون جهود سعدة قد باءت بالفشل على الرغم من سعيها الحثيث ومحاولاتها المتكررة.

والجدير بالذكر هنا ورود ما يشير إلى أن زوجة الخليفة يزيد بن عبد الملك الأخرى زينب بنت محمد بن يوسف الثقفي هي التي قامت بشراء حبابة وهي التي وهبتها ليزيد ، وذلك بعد أن اشترطت عليها أن تؤثر عليه في أمر ترشيح ابنها الوليد ليكون ولي العهد بعد أبيه ، فوفت لها بذلك [٣]. ويبدو أن هذه الرواية بعيدة عن الصحة ، ذلك عبد الله بن سعدة وبالرغم من أنه كان الابن الاكبر ليزيد ، إلا أن موقفه من الخلافة كان ضعيفاً على ما يتضح ، مما جعل سعدة تتدخل من أجل فتح المجال أمام ولدها لنيل فرصته بين منافسيه الأقوياء ، حيث كان الوليد هو الابن المفضل لأبيه يزيد وقد أقر ترشيحه بأريحية رغم صغر سنه ، فبينما كان يزيد يؤثر ولده الوليد رغم صغر سنه على عبد الله ، ذلك لأن يزيد كان يؤثر زوجته زينب بنت محمد الثقفي على جميع زوجاته لحسن جمالها وشدة تأثيرها على قلبه [٤]

---

[١] البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج٨ / ص٢٦١ ؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ، ج١٥/ص١٤٤ – ١٤٥.

[٢] البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٨ ، ص٣٧٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل،ج٤/ص٢٨٤-٢٨٥.

[٣] أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني، ج١٥ / ص٨٥.

[٤] خلف ، نساء البيت الأموي ، ص١٧٨.

، ومما لاشك فيه إن ذلك ساهم في توجه ميول يزيد نحو ولده الوليد تأثيرًا لأمه زينب ، فقد جعله ولي ثاني للعهد بعد أخيه هشام ولو كان عمره يؤهله لذلك لتولي منصب الخلافة لجعله ولي عهده الاول وهذا ما أكده في قوله :" **الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك** " ، ويمكننا القول أن هذا السبب كان الدافع الرئيسي لسعدة في التخطيط لنيل محبة زوجها يزيد والسعي لا رضائه بكل الوسائل وكسب وده وتقربه لها ، سعياً منها في تقوية موقفها أمام خصيمتها زينب بنت محمد الثقفي التي كانت تنافسها وتتفوق عليها في كل الأحوال ، وأنّ اضطرها الأمر اللجوء إلى جارية وطلب معونتها في ذلك ، وهذا ما لا يمكن لزينب أن ترضاه وتقوم به ، فقد كانت ترى نفسها المرأة المفضلة لدى الخليفة من بين زوجاتها الأخريات ، ولها من الجمال والتأثير ما يؤلها قدرة التأثير على الخليفة دون الحاجة إلى وساطة الجارية، أضافة الى أن أخوال الوليد كانوا قد سيطروا بدورهم على الخليفة يزيد بحيث أنه مال اليهم كثيرًا ، فكانوا محط ثقته ومشورته ، فكانت جهودهم اضافية إلى جهود سعدة في تثبيت ولاية العهد للوليد حتى وأنّ كان وليً ثان للعهد لصغر سنه كما أوضحنا سابقاً [١].

[١] البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٨ ، ص٣٧٠ ؛ ابن الأثير، الكامل،ج٤/ص٢٨٤-٢٨٥ .

الفصل الثالث

الدور الديني والعسكري للنساء المردفات

المبحث الأول

دور المرأة في الدعوة إلى الإسلام

أولاً : الهجرة في سبيل الله

كان للمرأة المسلمة دور مهم وأثر واضح في تبليغ الدعوة الإسلامية والاستجابة لنداء الإسلام قال تعالى:﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾[١]، إذ اصبحت المرأة كالرجل تعمل بكل ما جاء من عند الله تعالى وما صدر عن رسول الله (ﷺ)، فسارت المرأة على نفس الوتيرة التي سار عليها الرجل في تبليغ ونشر الدعوة الإسلامية ، وقد تحملت من أجل ذلك أشد أنواع الأذى في سبيل الله تعالى ، إذ أن إسلام المرأة في تلك المرحلة الحساسة من حياة الدعوة الإسلامية كان له التأثير القوي والبالغ في تبليغ الدعوة المحمدية ، وكانت الزوجة الأولى لرسول الله (ﷺ) أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد (عليها السلام)[٢] في

---

[١] سورة الانفال ، آية ، ٢٤.

[٢] من دواعي الضرورة الإشارة إلى اختلاف الروايات التاريخية حول زواج السيدة خديجة (عليها السلام) قبل النبي محمد (ﷺ) ويبدو أن هذا الاختلاف وصل إلى أسماء أزواجها ونسبتهم وذريتهم منها ، ولا نريد أن نسهب في الكلام عن اختلاف المؤرخين في أسم زوجها الأول والثاني ، هل كان أبي هالة النباش بن زرارة ، أو زرارة بن النباش ، أو هند ، أو مالك ، وهل تزوجته قبل عتيق بن عائذ أو عابد أم بعده , وهل قتل هند بن عتيق في معركة بدر، أو قتل مع الزبير بن العوام في معركة الجمل ، أو مات بمرض الطاعون في البصرة ، ، ومن ثم عادت المصادر واختلفت في ذريتها من أزواجها ، فهل أنجبت هند لأبي هالة أو لعتيق، والتي اختلف أيضاً في كونها ذكر أم أنثى ، وعلى فرض قبول روايات الزواج المضطربة ، ولكن مع ذلك لا توجد أي إشارة في عامة المصادر التاريخية عن علاقة هند بنت أبي هالة بأمها خديجة (عليها السلام) هل كانت من المسلمات أم من الصحابيات ولا حتى وفاتها ، والحال نفسه بالنسبة لحفيد خديجة (عيها السلام) محمد ابن هند التي لوحت المصادر إن هند بنت أبي هالة تزوجت ابن عمها صيفي فأنجبت له ولدا أسمه محمد والذي لم تترجم له كتب الطبقات والتراجم ، إن هذا الاختلاف في أزواج السيدة خديجة (عليها السلام) ونسبهم وذرياتهم يدعو إلى الشك بتلك الشخصيات وتلك الزيجات ، فالوقوف عليهم لم يحدد وجودهم التاريخي الحقيقي المؤكد ، ويبدو جلياً إن هناك لغطاً واختلافاً في روايات زواج السيدة خديجة (عليها السلام) قبل رسول الله (ﷺ) وقبل المبعث من جهة ، وحتى بعد زواجها من رسول الله (ﷺ) وفي صدر الإسلام من جهة أخرى ، وربما السبب في ذلك لعدم تدوين تلك الاحداث إلا بعد منتصف القرن الأول الهجري ، خصوصاً مع انتهاء أسانيد أخبار الزواج الى الزهري الراوي الرسمي للسيرة الأموية ، والى بعض من عرف تبنيهم للرواية الزبيرية ، ولكن يبقى الرأي الأكثر قبولاً إن السيدة خديجة (عليها السلام) لم تتزوج بغير النبي محمد (ﷺ) ، ذلك لأن الإجماع من الخاص والعام من امتناع السيدة خديجة (عليها السلام) عن الزواج من أشراف قريش ، وخاصة وهي يومئذ أوسط قريش نسبًا وأعظمهم شرفاً ومالاً وكل قومها كان حريصاً على نكاحها ، بدليل تأكيد ابن سعد

مقدمة تلك النساء [١]، فعند نزول الوحي على رسول الله (ﷺ) كانت له نعم السند والعون والمشير بالرأي السديد ، فقامت بما لم تقم به أقوى الرجال واحكمهم ، فخلد التاريخ ذكرها بسيرة مشرفة، إذ أنها تعد أول من أمنت بدعوة رسول الله (ﷺ) ، بدليل قول رسول الله(ﷺ) : **" ما أبدلني الله خيرا منها ، آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتني إذ كذّبني الناس ، وواستني في مالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها أولادا إذ حرمني أولاد النساء"** [٢]، فساندته برأيها وحكمتها ومشورتها وجاهها ومالها ، فطمأنت نفسه بكلمات خالدة: **" كلا والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدم ، وتقري الضيف ،**

وصاحب الاستغاثة بأن نساء قريش قد غضبن عليها عندما تزوجت بالنبي محمد (ﷺ) كونه كان يتيماً لا مال له ، فكيف يجوز في نظر أهل الفهم أن تكون خديجة يتزوجها أعرابي من تميم وتمتنع من سادات قريش وأشرافها . فضلاً عن أن مقتضى تصديق روايات الزيجات المزعومة هو كون عمر السيدة خديجة (عليها السلام) قد تأخر في زواجها إلى سن الأربعين ، وحين ثبوت زواجها (عليها السلام) في شبابها يجعل من ثبوت هذه الزيجات محل اشكال كبير، وقد وردت شواهد تاريخية وهي النصوص التي تحدثت عن عمرها(عليها السلام) حين موتها ، يمكن من خلالها أن نحسم النزاع في عمر الزواج ،أذ نقل الحاكم النيسابوري رواية هشام بن عروة وهو ابن أخت عائشة " **توفيت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وهي أبنة خمس وستين سنة ،ثم عقب بقوله وهذا قول شاذ فإن الذي عندي أنها لم تبلغ ستين سنة** "، وقد أكد البيهقي كلامه بقوله :" **مات القاسم ، وهو أول ميت من ولده ، مات بمكة ، ثم مات عبد الله ، ثم بلغت خديجة خمساً وستين سنة ، ويقال خمسين سنة . وهو أصح** " فمن خلال هذه الأقوال يمكن تأكيد العمر التقريبي للسيدة خديجة (عليها السلام) حين الوفاة هو عمر الخمسين سنة ، مع ما ثبت أن وفاتها كانت في السنة العاشرة للبعثة ، فأنه يثبت عندنا بالضرورة إنها كانت تبلغ من العمر أربعين سنة عند بعثة النبي (ﷺ) وبذلك تكون مقاربة لعمر رسول الله (ﷺ) عند زواجها منه ، وكما هو معلوم إن الزواج الميمون كان قبل البعثة بخمسة عشر سنة ، فكيف تكون بعمر الأربعين وقد أنجبت مجموعة من الأبناء لا يقل عددهم عن ستة أربعة أناث محل اتفاق وذكرين على الأقل أحدهما القاسم الذي كان يكنى به (ﷺ) ، وخاصة مع ثبوت ولادة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد البعثة . للمزيد ينظر، ابن الكلبي ، جمهرة أنساب العرب ، ص١٨؛ الزبيري، نسب قريش، ٣٩٠؛ ابن حبيب ،المحبر، ٧٨، المنمق، ص٢٤٧؛ الزبير بن بكار، المنتخب من كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ص٣٢ ؛ ابن سعد ، الطبقات ،ج٨/ص١١-١٤؛ البلاذري، أنساب الأشراف،ج١/ص٣٩٠،ج١٣/ص٦٦، ص٩٥؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج٣/ص١٦١؛ أبو القاسم الكوفي، الاستغاثة ج١/ص٧٠ ؛ أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين،٥٩ ؛ أبو نعيم، معرفة الصحابة، ج٥/ص٢٧٥١؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك،ج٣/ص٢٠١؛ ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص٢١٠؛ البيهقي ، دلائل النبوة، ج٢/ص٧٢ ؛ الطوسي، الأمالي، ص٤٦٣؛ ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب،ج١/ص١٣٨.

[١] ابن سعد ، الطبقات ،ج٨/ص٤٢؛ الطبري ، تاريخ الطبري، ج٣/ص١٦١.

[٢] ابن عبد البر، الاستيعاب ،ج٤/ص١٨٢٤؛ ابن الاثير ، أسد الغابة،ج٧/ص٨٠.

وتعين على نوائب الحق" [١]، وبذلك اكتسبت السيدة خديجة (عليها السلام) مكانة سامية في الإسلام ، إذ روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه نقل عن جبرئيل (عليه السلام) قوله : " **أتى جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله فقال : هذه خديجة قد أتتك معها إناء مغطى فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ، ومني السلام ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب** " [٢] ، فكان ذلك بفضل ايمانها العميق بالرسالة المحمدية ، فضلاً عن تفانيها في سبيل الدين الإسلامي ، الى جانب حرصها العجيب على حياة صاحب الرسالة ، حتى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذكرها في أحاديث كثيرة أشادت بفضلها ومكانتها وشرفها ، وفيها قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " **أفضل نساء أهل الجنة أربع ، خديجة وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**" [٣] ، وقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " أتاني جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله فقال : " **هذه خديجة قد أتتك معها إناء مغطى فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ، ومني السلام ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب** " [٤]، وكانت غاية رسول الله (صلى الله عليه وآله) من ذلك هو لفت نظر المرأة المسلمة إلى القدوة التي يجب أن تقتدى بها المرأة المسلمة في جميع مجالات حياتها ، فضلاً عن تصريحه (صلى الله عليه وآله) عن امكانية المرأة في تقديم الدعم الجدي للرسالة سواء كان ذلك الدعم معنوياً أو مادياً.

ومن الجدير بالذكر التطرق إلى دور السيدة خديجة (عليها السلام) في تقديم الدعم المعنوي والمادي للرسالة المحمدية ، فكانت أول من أمنت بدعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، بدليل قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " **آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتنى إذ كذّبني الناس ، وواستني في مالها إذ حرمني**

---

[١] البخاري، صحيح البخاري، ج١/ص٧؛ مسلم ،صحيح مسلم،ج١/ص١٣٩؛الحاكم النيسابوري، المستدرك ،ج٣/ص٢٠٢.

[٢] البخاري ،صحيح البخاري،ج٣/ص٦؛ مسلم ،صحيح مسلم،ج٤/ص١٨٨٧، المجلسي، بحار الأنوار،ج١٦/ص٨.

[٣] النسائي ، فضائل الصحابة،ص٧٤؛ الطبراني ، المعجم الكبير،ج١١/ص٢٦٦؛ الصدوق، الخصال، ص٢٠٥.

[٤] مسلم، صحيح مسلم،ج٤/ص١٨٨٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٦/ص٨.

الناس ، ورزقني الله منها أولادا إذ حرمني أولاد النساء " [١] ، ومما يثبت ذلك هو وقوفها مع رسول الله (ﷺ) حينما جاءه الوحي ليخبره برسالته ، فصدقته وآمنت به ، وقد كان لرجاحة عقلها دورًا واضحًا في مساندة رسول الله (ﷺ)، إذ قالت بثبات ويقين تام بعد نزول الوحي عليه فقالت له : " **كلا والله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق** " [٢].

وكانت السيدة خديجة (عليها السلام) أول امرأة آمنت برسول الله ، وقد شيد الله دينه بمال خديجة ، ولا نبالغ في الوصف عند القول إن الإسلام ما قام ألا بمال خديجة وسيف علي (عليه السلام) ، ومما يثبت ذلك هو قول رسول الله (ﷺ) : " **ما قام ولا استقام ديني إلا بشيئين : مال خديجة وسيف علي بن أبي طالب**" [٣] ، وقد جاء في تفسير قوله تعالى :﴿ **وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى** ﴾[٤] ، بأن الله تعالى أغنى نبيه محمد (ﷺ) بخديجة (عليها السلام) [٥]، وإذ عدنا لحياة السيدة خديجة (عليها السلام) نجد أنه كان لها في كل ناحية عبيد ومواشي حتى قيل : " **إن لها أزيد من ثمانين ألف جمل متفرقة في كل مكان ، وكان لها في كل ناحية تجارة ، وفي كل بلد مال ، مثل مصر والحبشة وغيرها** " [٦]، يبدو أن العدد الذي ورد في هذا النص يدعو إلى الشك فمن غير المعقول أن السيدة خديجة (عليها السلام) تملك اكثر من ثمانين الف جمل لذلك ينبغي التعامل معه بحذر والنظر إليه في ضوء السياق التاريخي وامكانيات العصر فقد يكون العدد تعبيرًا عن كثرة العدد أكثر من كونه إحصاءً دقيقًا ، وعلى كل حال أنفقت السيدة خديجة أغلب أموالها في سبيل الحفاظ على الدعوة الاسلامية ، إذ قدمت كل ما كانت تملك من تجارة ومواشي وخدم وأملاك وذهب وفضة والخ ، وهي في

---

[١] ابن عبد البر، الاستيعاب ،ج٤/ص١٨٢٤؛ ابن الأثير ، أسد الغابة،ج٧/ص٨٠.

[٢] ابن شهر أشوب، مناقب آل أبي طالب ،ج١/ص٤٢.

[٣] ابن شهر أشوب، مناقب آل أبي طالب ،ج٣/ص١١٤.

[٤] سورة الضحى ،آية٨.

[٥] ابن الفرات الكوفي ، تفسير ابن الفرات، ص٥٦٩.

[٦] المجلسي، بحار الأنوار،ج١٦، ص٢٢.

حالة القبول والرضا والامتنان لرسول الله (ﷺ) ، وخاصةً في خصوصًا اثناء الحصار الاقتصادي الذي فرضه كفار قريش على النبي محمد (ﷺ) وأتباعه ، والذي استمر مدة الثلاث سنوات من السنة السابعة للبعثة ولغاية السنة العاشرة من البعثة ، تحمل فيها النبي الأكرم (ﷺ) وبني هاشم قسوة الحال ، إذ جاع الصغار والكبار في شعب بني هاشم ، فكان يعيش فيهم الفرد على تمرة واحدة طول اليوم الواحد ولربما تقاسمها أثنان[١]، ومما يثبت ذلك هو ما نقل عن عبد الله ابن عباس أنه قال : " **فحصرنا في الشعب ثلاث سنين وقطعوا عنا الميرة حتى أن الرجل ليخرج منا بالنفقة فما يبايع حتى يرجع حتى هلك فينا من هلك** " [٢] ، وروي أنّ أبو جهل بن هشام لقى حكيم بن حزام بن خويلد[٣] ، ومعه غلام يحمل بيده القمح يريد الوصول به إلى عمته خديجة بنت خويلد (عليها السلام) في الوقت الذي كانت فيه عمته محاصرة في الشعب مع رسول الله (ﷺ) فتعلق به ، وقال له : " **أتحمل الطعام إلى بني هاشم والله لا تبرح أنت و طعامك حتى أفضحك بمكة** " ، فجاءه أبو البختري العاص ابن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى [٤] ، فقال ما لك ، وله قال : " **إنه يحمل الطعام إلى بني هاشم ، فقال أبو البختري يا هذا ، إن طعاما كان لعمته عنده بعثت إليه فيه ، افتمنعه أن يأتيها بطعامها خل سبيل الرجل ، فأبى أبو جهل حتى نال كل منهما من صاحبه ، فاخذ له أبو البختري لحى بعير فضربه به فشجه ووطئه وطأ شديدا ، فانصرف**

---

[١] السبحاني ،السيرة النبوية ،ص٧٧.

[٢] البلاذري ،أنساب الأشراف،ج١/ص٢٣٤؛ السيوطي ، الدر المنثور،ج٨/ص٦٥٥.

[٣] حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي، كنيته أبو خالد، وهو ابن أخي السيدة خديجة (عليها السلام)، قيل أن أمه ولدته في جوف الكعبة ، وهو من سادات قريش في الجاهلية واحد علماءها في الأنساب ، شارك في حرب الفجار، شارك مع المشركين في معركة بدر الكبرى ، أسلم يوم الفتح ، فكان من المؤلفة قلوبهم ، شارك في معركة حنين ،كانت له صحبة مع رسول الله (ﷺ) فروي عنه احاديث عدة ، وكانت ملكية دار النّدوة بيده فباعها بعد اذن من معاوية بمائة ألف درهم، فلامه ابن الزبير، وقال له : " **يا بن أخي، اشتريت بها دارا في الجنة، فتصدق بالدراهم كلّها** "، وكان من المعمرين عاش في الجاهلية ٦٠ سنة ، وفى الاسلام ٦٠سنة ، توفي في سنة(٥٤ هـ/٦٧٣م) بالمدينة عن عمر ناهز (١٢٠) عام. ابن عبد البر،الاستيعاب،ج١/ص٣٦٢-٣٦٢؛ أبو نعيم، معرفة الصحابة، ج٢/ص٧٠١-٧٠٢؛ ابن حجر، الاصابة،ج٢/ص٩٧-٩٨.

[٤] لم نعثر له على ترجمة .

وهو يكره أن يعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وبنو هاشم بذلك " [١]، ولما كان هشام بن عمرو[٢] ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه [٣]، ونظراً لمكانته ودرجة الشرف التي حظي فيها بين أهل مكة، فقد كان : " **يأتي بالبعير ليلا وقد أوقره طعاما ، وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ، حتى إذا أقبل به فم الشعب فمنع بخطامه من رأسه ، ثم يضربه على جنبه ، فيدخل الشعب عليهم ثم يأتي به مرة أخرى ، وقد أوقره تمرا ، فيصنع به مثل ذلك** " [٤] ، وكان لهشام بن عمرو الدور الكبير في انضمام (زهير بن أبي أمية) [٥] إليه من أجل نقض بنود حصار شعب بني هاشم ، إذ أقنعه بصلة القرابة التي كانت تربطه بآل هاشم عن طريق أمه (عاتكة بنت عبد المطلب) [٦] على اعتبار أنهم أخواله ، وهذا ما صرح

---

[١] ابن هشام السيرة النبوية ،ج١/ص٣٥٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١٤/ص٥٩.

[٢] هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن حسل الذي يرجع بنسبه إلى عامر بن لؤي ، وقيل أنه ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه (أميمة بنت عدي) من بني سلامان من قضاعة ، أولاده عمرو والأسود ، وأمهما أميمة بنت عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن حسل ، ويعد هشام أول من قام في نقض الصحيفة التي كتبها زعماء قريش على بني هاشم في الشعب في السنة السابعة للبعثة ، أسلم يوم الفتح ، وعد من المؤلفة قلوبهم . الزبيري، نسب قريش، ص٤٢٩؛ البلاذري، أنساب الأشراف،ج١١/ص١٨-١٩؛ ابن عبد البر، الإستيعاب،ج٤/ص١٥٤١.

[٣] البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج١١/ص١٩.

[٤] ابن الأثير، أسد الغابة،ج٥/ص٦٥.

[٥] زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي ، أمه عاتكة بنت عبد المطلب، عمة رسول الله (ﷺ) ، وأخو أم سلمة زوج النبي محمد(ﷺ) لأبيها ، وكان ممن يظهر تكذيب رسول الله (ﷺ) وينكر ما جاء به، ويطعن عليه، ويرد الناس عنه، إلا أنه كان ممن أعانوا على نقض الصحيفة التي فرضتها قريش على النبي(ﷺ)، وقد أُختلف في موته فقيل ،إنه أراد المشاركة في غزوة بدر، فسقط عن بعيرة، فمرض ومات، وقال البعض الأخر، أنه أسر في يوم بدر، فأطلقه رَسُول الله (ﷺ)فصار بمكة و مات، وقيل إنه حضر وقعة أحد، وتوفي بعدها أثر سهم أصابه، كما قيل أنه شُخص إلى اليمن بعد الفتح فتوفي هناك كافرًا، وله من الولد معبد ، وعبد الله، قتل معبد في معركة الجمل. البلاذري، أنساب الأشراف،ج١/ص١٤٥؛الزبيري،نسب قريش،ص٣١٧؛ الفاسي ،العقد الثمين ،ج٤/١٢٨-١٢٩؛ ابن حجر ،الإصابة،ج٢/ص٤٧٢-٤٧٣.

[٦]عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم، وهي من عمّات النبي محمد(ﷺ)، وأمها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، تزوجها في الجاهلية أبو أمية بْن المغيرة بْن عَبد الله بن عمر بن مخزوم ، فولدت له عبد الله وزهير وقريبة ، كانت شاعرة ، أختلف في إسلامها ، والثابت أنها كانت يوم وقعة بدر ، والدليل على ذلك قصّة المنام الّذي رأته في وقعة بدر، وعدها ابن سعد ممن أسلمت وهاجرت إلى المدينة . ابن سعد ،الطبقات،ج٨/ص٣٦؛ ابن منده ، معرفة الصحابة ،

به هشام بن عمرو بقوله : " **يا زهير، أرضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب ، وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ، لا يبايعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم! أما إني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم ابن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا قال: ويحك يا هشام! فماذا أصنع! إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها حتى أنقضها قال: قد وجدت رجلا، قال: من هو؟ قال: أنا، قال له زهير: ابغنا ثالثا ، فذهب الى المطعم بن عدى ابن نوفل بن عبد مناف، فقال له : يا مطعم، أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف ، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ! أما والله لئن امكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا...** " [١] ، وقد أيقظ عمرو بن هشام روح العصبية لقرابة الدم التي كانت تربطه ببني هاشم من جهة ، ومن جهة أخرى أوضح له أن السكوت عن مثل هكذا أفعال يجعل أهل مكة يأخذهم الغرور والتعالي لسلب حقوق أي شخص يخالفهم الرأي والمعتقد ، وبمعنى أخر أنه لو سكتم عما فعل ببني هاشم أصحاب الشرف والسيادة في مكة ليكون مصيركم الهلاك كما فعل ببني هاشم ، وكان أبو العاص بن الربيع [٢] يجئ بالعير ليلاً وعليها البر والتمر، فيأكله بنو هاشم ، فقال رسول الله (ﷺ) فيه : " **لقد صاهرنا أبو العاص فأحمدنا صهره ، لقد كان يعمد إلى العير ونحن في الحصار فيرسلها في الشعب ليلا** " [٣].

ص ٩٣٥-٩٣٧ ؛ أبو نعيم، معرفة الصحابة ، ج٦/ص ٣٢٥١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ،ج٤/ص١٨٨٠؛ الذهبي، سير،ج٢/ص٢٧٢.

[١] الطبري ، تاريخ الطبري،ج٢/ص٣٤١-٣٤٢ .

[٢] ابو العاص بن الربيع بن عبد العزّى بن عبد شمس ، أمه هالة بنت خويلد، وكان يلقب (بجرو البطحاء) بمعنى ابن البطحاء، اختلف في اسمه قيل أن اسمه لقيط وهو ما رجحه البلاذري ، كما قيل أن أسمه القاسم، كان أحدى اسرى معركة بدر، وقد فدته زوجته زينب بقلادة قيل أنها للسيدة خديجة (عليها السلام) فقام رسول الله (ﷺ) باسترجاع القلادة واطلق صراح ابو العاص بعد أن فرق بينه وبين زوجته، أسلم قبل الحديبية بخمسة أشهر، رجع بعدها الى مكة، ولم يشارك مع رسول الله (ﷺ) في غزواته ، توفى في سنة (١٢هـ/٦٣٣م). ابن هشام السيرة النبوية،ج١/ص٦٥١-٦٥٢؛ ابن سعد، الطبقات، ج٨/ص٢٥-٢٦؛ البلاذري ،أنساب الاشراف، ج١/ص٣٩٧؛ ابن حجر،الاصابة،ج٧/ص٢٠٦-٢٠٧.

[٣] الطبرسي ، أعلام الورى،ج١/ص١٢٧.

انطلاقاً من تلك الصعوبات التي واجهت بني هاشم في هذا الحصار ، انفقت السيدة خديجة (عليها السلام) أغلب أموالها بكل سخاء على بني هاشم والأشخاص الذين تكفلوا بحراسة رسول الله (ﷺ) وحفظه وحمايته من آذى المشركين في مكة [١]، وعندما سئل رسول الله (ﷺ) عن اموال خديجة (عليها السلام) ، قال : " **إن رسول الله (ﷺ) قال : ما نفعني مال قط مثل ما نفعني مال خديجة (عليها السلام)**" [٢]، وقد اضاف الطوسي قائلاً : " **كان رسول الله (ﷺ) يفك من مالها الغارم والعاني ويحمل الكل ويعطي في النائبة ، ويرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكة ، ويحمل من أراد منهم الهجرة ، وكانت قريش إذا رحلت عيرها في الرحلتين يعني رحلة الشتاء والصيف كانت طائفة من العير لخديجة ، وكانت أكثر قريش مالا ، وكان صلى الله عليه وآله ينفق منه ما شاء في حياتها ثم ورثها هو وولدها بعد مماته**" [٣] مما يثبت أن لأموال خديجة الأثر البالغ الأهمية في تثبيت دعائم الإسلام وتقوية أركانه ، خاصةً وأن الإسلام وقتئذ كان في خطواته الأولى برعماً وفي دور التكوين ، إذ أن رسول الله (ﷺ) كان بأمس الاحتياج إلى تلك الأموال لتبليغ رسالة السماء ، فبفضل أموالها السيدة خديجة تحقق الهدف المنشود وهو نشر الدين الإسلامي. نلخص من موقف السيدة خديجة(عليها السلام) أن للمرأة دوراً مهماً في حياة الرجل بصورة عامة ، وفي حياة الرجل المسؤول بشكل خاص ، فأن لم تكن المرأة حكيمة عاقلة قادرة على الاحتواء والمؤازرة فلن تتمكن من انجاح مهمة الرجل كما ينبغي هذا من جهة ، ومن جهةً أخرى على الرجل أن يحفظ للمرأة حقها وقدرها كما حفظ النبي (ﷺ) لخديجة (عليها السلام) حقها ، فهي كما قال ابن كثير : " **وكانت أول امرأة تزوجها ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت** " [٤]، فلم يتزوج رسول الله (ﷺ) غيرها إلا بعد مماتها ، فكان(ﷺ) وفياً لها ليس في حياتها بل حتى بعد مماتها أيضاً .

---

[١] الطوسي ، الأمالي، ص٤٦٨.

[٢] الطوسي، الأمالي، ص٤٦٨.

[٣] الطوسي ، الأمالي ، ص٤٦٨.

[٤] البداية والنهاية،ج٢/ص٢٩٤.

ويمكن القول أن الاختبار الحقيقي للمرأة المسلمة منذ بدء الدعوة الإسلامية حتى وصول المسلمين إلى أرض الحبشة حينما أدركت المرأة ما عليها من دور هام ، فقد عرفت المرأة المسلمة الدور المكلف بها ، فأدركت مسؤوليتها تجاه الدين الإسلامي ، حينما تركت الأهل والديار فراراً بدينها ، إذ كان لها النشاط البارز في خدمة الدين الإسلامي منذ بدء انطلاق الدعوة الإسلامية للوقوف مع الرجل ، من أجل تشكيل اللبنة الأولى لبناء مجتمع إسلامي قوي ورصين ومتكامل عبر تعاون الرجال والنساء ، من خلال كونها المربية وصانعة الأجيال عبر منهج يقوم على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وهذا ما لمسناه عند كثير من النساء المهاجرات إلى الحبشة واللواتي أخرجن جيلاً من الرجال الذين أسهموا في صنع الكثير من الانتصارات للأمة الإسلامية ، لذلك من الواجب اليوم على نساءنا أخذ الدروس والعبر من النسوة اللواتي هاجرن إلى الحبشة ، ممن تحملن صعوبة ومشاق ظروف الهجرة ، إذ لم تقف تلك الصعوبات عائقًا أمام المرأة لممارسة دورها الديني وعقيدتها الإسلامية [١].

وتعد أسباب الهجرة إلى الحبشة في حد ذاتها أسباب دعوية خالصة ، بما في ذلك مساهمات المرأة المسلمة ، فقد بينت المصادر التاريخية المصاعب التي عاناها وفد الهجرة ، فمثلاً أنهم هاجروا متسللين سراً في ظلمة الليل حتى لا يفطن إليهم كفار قريش إلى أن انتهوا إلى الشعيبة [٢] ، فمنهم الراكب والماشي ، وقد قيضت لهم الأقدار سفينتين تجاريتين أبحرتا سرًا إلى الحبشة وقد حملتهم بنصف دينار، وكان خروجهم هذا في السنة الخامسة للبعثة النبوية ، ولما سمعت قريش بهجرتهم خرجت في آثارهم ، فنزلوا البحر وركبوا فلم يدركوا أحدًا منهم [٣]، وكانت هجرة المسلمين على دفعتين ، الأولى أثنى عشر رجلاً وامرأتان ، وقيل أحد

---

[١] عبد الجليل، النساء المهاجرات الى الحبشة ، ص٣٢٥-٣٢٦.

[٢] الشعيبة ، وهو مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز، وهو كان مرفأ مكّة ومرسيها التجاري، وهي قرية على شاطئ البحر الاحمر تقع على طريق اليمن، وقيل في موضع آخر، أن الشعيبة أحدى بطون الرمة .ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٣/ص٣٥١.

[٣] ابن سعد ، الطبقات ،ج١/ص١٥٩؛ المقريزي ،امتاع الاسماع،ج١/ص٣٧.

عشر وامرأتان ، وقيل كانوا عشر رجال وأربع نسوة [١] ، وكان أميرهم عثمان بن مظعون[٢] ، وكان أول من خرج من المسلمين مهاجراً إلى أرض الحبشة عثمان بن عفان وزوجته رقية ربيبة[٣] رسول الله (ﷺ) [٤] ، وقد ولدت عند الهجرة ولدًا سمي (عبد الله) توفي بعمر السنتين

---

[١] ابن اسحاق، سيرة ابن اسحاق ،ج١/ص٢٢٣؛ ابن هشام ،السيرة النبوية ،ج٢/ص٣٢٣؛ ابن سعد ،الطبقات ، ج١/ص١٦٢؛ المقريزي ،امتاع الاسماع،ج١/ص٣٧.

[٢]عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحيّ، ابو السائب، كان من حكماء العرب في الجاهلية وممن حرم الخمر، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً ، وهاجر إلى أرض الحبشة مرتين ، وأراد التبتل والزهد بالحياة ، فمنعه رسول الله(ﷺ)، فاتخذ بيتا يتعبد فيه، فأتاه النبي (ﷺ) فأتخذ بعضادتي البيت ، وقال : " **يا عثمان إن الله لم يبعثني بالرهبانية (مرتين أو ثلاثا) وإن خير الدين عند الله الحنفية السمحة** "، وشهد معركة بدر، ولما توفي جاءه النبي (ﷺ)وقبله ميتاً ، حتى شوهدت أثر دموعه على عثمان، وهو أول من توفي بالمدينة من المهاجرين، وأول من دفن بالبقيع منهم. ابن سعد،الطبقات،ج٣/ص٣٠٠-٣٠٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ،ج٣/ص١٠٥٣-١٠٥٦؛ الذهبي،سير،ج١/ص١٥٤-١٥٧؛ الفاسي ،العقد الثمين،ج٥/ص١٨٢.

(٣) اختلفت المصادر التاريخية في أمر زينب ورقية هن هن بناته أم ربيباته ، إذ روي أنه كانت لخديجة أخت اسمها هالة ، تزوجها رجل مخزومي ، فولدت له بنتاً اسمها هالة ، ثم خلف عليها على هالة الأولى رجل تميمي يقال له (أبو هند) ، فأولدها ولداً اسمه هند ، وكان لهذا التميمي امرأة أخرى قد ولدت له زينب ورقية ، فتوفيت هي وزوجها التميمي ، فلحق ولده هند بقومه ، وبقيت هالة أخت خديجة والطفلتان اللتان من التميمي وزوجته الأخرى ، فضمتهم خديجة إليها ، وبعد أن تزوجت بالرسول (ﷺ) بقيت الطفلتان في حجر خديجة والرسول (ﷺ)، وبما أن العرب كانوا يزعمون أن الربيبة بنت ، ولأجل ذلك نسبتا إلى النبي (ﷺ)، مع أنهما ابنتا أبي هند زوج أختها هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن كانت رقية وأم كلثوم اللتان تزوجهما عثمان تعاقباً ،وكما قلنا أنهما ربيبتا رسول الله(ﷺ)فأنه يصح أن يقال بمن يتزوج تلك الربيبة (أنه صهر لذلك الرجل)، زيادةً على ذلك فقد ذكر" أن عثمان تعاهد مع أبي بكر لو زوج مني رقية لأسلمت" وذلك بعد أن بشرته كاهنة بنبوة رسول الله(ﷺ) بمعنى أن النبي (ﷺ) زوج رقية لعثمان تألفاً له على الإسلام، وما يؤكد ذلك هو ما روي من أن سعد بن معاذ لما طلب من الإمام علي (عليه السلام) أن يخطب فاطمة (عليها السلام)رد عليه قائلاً :" وما أنا بالكافر الذي يترفق بها عن دينه أني لأول من أسلم"، (يترفق بها عن دينه وتعني يتألفه) ، وكذلك قول الإمام علي (عليه السلام) لأسماء بنت عميس حينما اقترحت عليه الزواج بفاطمة (عليها السلام): " مالي صفراء ولا بيضاء، ولست بمأبور ولا المتهم في الإسلام" ، (بمأبور بمعنى غير الصحيح في الإسلام) . للمزيد ينظر، جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ،ج٢/ص٢١٣ ؛ بنات النبي أم ربائبه، ص٣٣١-٣٣٤ ؛الطائي، نساء النبي وبناته،ص٥٧.

(٤) أما بالنسبة لزواج رقية وأم كلثوم من أبناء أبي لهب , ورغم تأكيد اغلب المؤرخين على أن ابني أبي لهب كانوا قد تزوجوا من ربيبات النبي (ﷺ) ثم فارقوهما بعد نزول آية(المسد) ، إلا أننا نلاحظ وجود من ينكر ذلك الزواج بالقول هل أن ذلك الزواج حدث بالفعل وانتقلتا معها الى بيت الزوجية؟ أم أنه عقد نكاح فقط ولم يتم الزواج وقد أيد بعض المؤرخين الرأي الأول وهو الأرجح ، وأيد آخرون الرأي الثاني. للمزيد ينظر ، ابن هشام، سيرة ابن هشام ،ج١/ص٣٢٢؛ الزبيري، نسب قريش، ص١٠١؛ ابن سعد، الطبقات،ج٨/ص٢٩ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف،ج١/ص٤٠١؛ الطبري، تاريخ الطبري ،ج ٤/ص٤١٩؛ ابن عبد البر، الاستيعاب،ج٤/ص١٨٣٩ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣/ص١٢٧؛ السهيلي، الروض

وقيل بعمر الست سنوات بسبب نقرة ديك في وجهه[١] ، أما السيدة رقية فتوفيت بحياة رسول الله (ﷺ) خلال غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة [٢] ، وتلقبت السيدة رقية (بذات الهجرتين) لأنها هاجرت الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة [٣] ، وذكر البلاذري أن رسول الله(ﷺ) قال حين هاجرت هي وزوجها عثمان إلى الحبشة : " **إنهما لأول من هاجر بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام**" [٤] ، ونقلاً عن ابن الأثير، أن امرأة اقدمت إلى رسول الله (ﷺ) وقالت لرسول الله (ﷺ) يا محمد قد رأيت ختنك ومعه امرأته ، قال : " **على أي حال رأيتهما؟ " قالت رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة ، وهو يسوقها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " صحبهما الله ، أن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام صلى الله عليه وسلم صحبهما الله ان عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليها السلام** "[٥].

ولعل من الأهمية أنّ نتطرق عند الحديث عن الهجرة إلى الحبشة ، إلى أسماء بنت عميس الخثعمية التي كانت من أوائل السابقات إلى الإسلام ، فقد روي ابن سعد في الطبقات إنها أسلمت قبل دخول النبي محمد (ﷺ) دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة ، فبايعت رسول الله (ﷺ) وهاجرت الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فولدت هناك عبد الله وعون ومحمد حتى قدم بها جعفر إلى المدينة بعد فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة [٦]، وقد روي أنها لما قدمت المدينة قال لها عمر : " **ياحبشية سبقناكم بالهجرة** .

الأنف،ج٣/ص١٢١؛ ابن الأثير، أسد الغابة،ج٧/ص١١٤؛الذهبي، سير،ج٢/ص٢٥١؛ الديار بكري، تاريخ الخميس ، ج٢/ص٢٧٤-٢٧٥؛ جعفر مرتضى العاملي، بنات النبي أم ربائبه، ص٣٣٦.

[١] الزبيري، نسب قريش،ج١/ص١٠١؛ ابن اسحاق، سيرة ابن إسحاق ،ج١/ص٢٢٣؛ ابن هشام ،السيرة النبوية ،ج٢/ص٣٢٣؛ ابن سعد ،الطبقات ،ج١/ص١٥٩،ج٨/ص٣٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ،ج٤/ص١٨٤٠.

[٢] ابن سعد ، الطبقات،ج٣/ص٣٩؛ ابن حجر ،الإصابة،ج٤/ص٣٧٨.

[٣] الزبيري، نسب قريش،ج١/ص١٠١؛ البيهقي ،السنن الكبرى،ج٧/ص١١١.

[٤] البلاذري ،أنساب الأشراف،ج١/ص١٩٨-١٩٩.

[٥] ابن الأثير، أسد الغابة، ج/ص٣١٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية ،ج٣/ص٨٥.

[٦] ابن هشام ،سيرة ابن هشام،ج٢/ص٣٢٨؛ ابن سعد، الطبقات ، ج٨/ص٢١٩؛ الطبري ،ج١١/ص٤٩٤.

فقالت أي لعمري لقد صدقت كنتم مع رسول الله (ﷺ) يطعم جائعكم ويعلم جاهلكم وكنا البعداء الطرداء أما والله لآتين رسول الله (ﷺ) فلأذركن له ذلك فأتت رسول الله (ﷺ) فذكرت له ذلك فقال لها النبي(ﷺ) : للناس هجرة واحدة ولكم هجرتان" [١] ، وفي موضع أخر ذكر ابن سعد أنّ رسول الله (ﷺ) قال : " **كذب من يقول ذلك ، لكم الهجرة مرتين هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إلي"** [٢] . وبذلك تكون من المهاجرات الآتي هاجرن الهجرتين هجرة الحبشة الثانية والهجرة الى المدينة ، وفي ذلك وصفها أبو نعيم الأصبهاني قائلاً : " **أسماء بنت عميس ومنهن مهاجرة الهجرتين ومصلية القبلتين أسماء بنت عميس الخثعمية المعروفة بالبحرية الحبشية أليفة النجائب وكريمة الحبائب** " [٣] ، وقد أنجبت في أرض الغربة لجعفر بن أبي طالب عبد الله ومحمد وعون ، وبعد زواجها من أبي بكر ولدت له محمد[٤].

وهاجرت أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج الرسول (ﷺ) إلى أرض الحبشة أولاً مع زوجها عبيد الله بن جحش في الهجرة الثانية ، إلا أنّ زوجها أرتد عن الدين الإسلامي وتنصر هناك فتوفي فيها ، ومن ثم تزوجها رسول الله (ﷺ) ، إذ زوجها إياه النجاشي بمهر كان قدره (أربعمائة دينار) وكان الذي تولي زواجها خالد بن سعيد بن العاص[٥] ، وعند هجرة المسلمين إلى المدينة هاجرت أم حبيبة إلى المدينة مصطحبةً معها بنتها التي قيل أنها ولدتها في أرض الحبشة [٦] .

وكانت سهلة بنت سهيل بن عمرو قد أسلمت قديماً ، وبايعت رسول الله (ﷺ) فهاجرت

---

[١] الطبقات ، ج٨/ص٢١٩.

[٢] الطبقات ، ج٤/ص٧٩-٨٠.

[٣] حلية الأولياء، ج٢/ص٧٤.

[٤] الذهبي ، سير ،ج٢/ص٢٨٣.

[٥] البلاذري أنساب الاشراف ،ج١/ص٢٠٠.

[٦] ابن سعد ،الطبقات ،ج١/ص١٦٢.

الهجرتين الى أرض الحبشة مع زوجها أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة [١] ، فأنجبت له بأرض الحبشة ولداً سماه محمد[٢]. والحال نفسه مع حسنة أم شرحبيل التي كانت من أوائل النساء أيماناً بالرسالة المحمدية ، إذ اسلمت في مكة وبايعت رسول الله (ﷺ) ، وقد هاجرت مع المسلمين في الهجرة الثانية إلى الحبشة مع أبنها شرحبيل[٣] ، كما هاجرت مع زوجها سفيان بن معمر الجمحي[٤] الى رسول الله (ﷺ) في المدينة [٥].

---

[١] أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس الأموي ، قيل أن اسمه هشيم وأمه أم صفوان اسمها فاطمة بنت صفوان الكناني، هاجر إلى الحبشة مرتين ، ومن ثم إلى المدينة ، وشهد مع رسول الله (ﷺ) معركة بدر ضد أبيه عتبة وأخيه الوليد، كما شارك في معركة أحد والخندق ، استشهد في معركة اليمامة سنة (١٢هـ/٦٣٣م) هو ومولاه سالم . ابن سعد، الطبقات،ج٣/ص٨٤؛ابو نعيم ، معرفة الصحابة،ج٥/ص ٢٨٥٩ ؛ الذهبي،سير،ج١/ص١٦٤-١٦٦.

[٢] محمد بن ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ،أمه سهلة بِنْت سهيل العامرية ، ولد بأرض الحبشة على عهد رسول الله (ﷺ) ، ولي مصر علي عهد خلافة الإمام علي بْن أَبِي طالب (عليه السلام) ثم تم عزله، ولما وفد أمير مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح الى الخليفة عثمان ،وكان محمد بها فوثب على مصر ، فخلع عثمان واخرج نائب عبد الله بن أبي سرح فاستولى على مصر وأخذ يألب الناس على مقتل فقيل بأنه كان يسمى (مشؤوم قريش)، وقيل إنّه كان مع الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فسيره على مصر، وبذلك كان محمد بن أبو حذيفة من أشد المحرضين على مقتل الخليفة عثمان ، لذلك هرب إِلَى الشام عند مقتله ، فعثر عليه رشدين مولى معاوية بن أبي سفيان فقتله سنة (٣٦هـ/٦٥٦م) وقيل بعدها، وذكر أهل النسب أن نسب ولد أبو حذيفة وابيه عتبة قد انقرض إلا من قبل الوليد بن عتبة ، فإن منهم طائفة بالشام، .ابن عبد البر ،الاستيعاب،ج٣/ص١٣٧٠؛ الذهبي،سير،ج١/ص١٦٤؛تاريخ الاسلام،ج٢/ص٣٤٠.

[٣] شرحبيل بن عبد الله بن المطاع ، الكندي حليف بني زهرة ، وقيل التميمي ، كان يكنى ب(أبا عبد الله) ، وقيل(أبا عبد الرّحمن)، قيل(أبا وائلة) ، عرف بشرحبيل بن حسنة (وهي أمه) ، وقيل بأنها تبنته ، أسلم بمكة، وهاجر في الهجرة الثانية إلى الحبشة، وغزا مع رسول الله (ﷺ) وقد أوفده إلى مصر، ثم جعله الخليفة أبو بكر أحد الأمراء الذين وجههم لفتح الشام، فافتتحها عنوة ما خلا طبرية التي أهلها صالحوه ، وذلك بأمر من أبي عبيدة، ولما قدم عمر بت الخطاب (الجابية) عزله ونصب معاوية مكانه، فقال شرحبيل: " **أعن سخط عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكني أردت رجلا أقوى من رجل**" ، وتوفي بطاعون عمواس سنة(١٨هـ/٦٣٩م) وعمره ٦٧عام . البلاذري، انساب الاشراف،ج١/ص٢١٤؛ ابن سعد،الطبقات،ج٨/ص٢٢٤-٢٢٨؛ البغوي ، معجم الصحابة ،ج٣/ص٣٠١؛ أبو نعيم، معجم الصحابة،ج٦/ص ٣٢٩٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام؛ ج٢/ص١٠٣؛ ابن حجر، الاصابة ،ج٢/ص٢٦٦.

[٤] سفيان بن حبيب بن وهب من جمح، زوج حسنة أم شرحبيل ، و قيل أن أم سفيان هي حسنة أم شرحبيل ، والصحيح انها امرأ ته وليست أمه ، حيث كان سفيان زوجها الثاني بعد عبد الله بن المطاع زوجها الأول ، لذلك اختلف المؤرخين في نسبة حسنة الى زوجها سفيان ، والسبب في ذلك أن معمر بن حبيب الجمحي تبنى سفيان وزوجه حسنة التي كانت متزوجة من رجل قبله ولها ولد أسمه شرحبيل ، أسلم سفيان قديماً في مكة وهاجر إِلَى أرض الحبشة فِي الهجرة الثانية بمعية ابناه خالد وقيل جابر ،وجنادة و شرحبيل ابن زوجته حسنة، شهد معركة بدر مع بني جمح ، توفي في عهد عمر

وهاجرت أم أيمن [١] الهجرتين إذ هاجرت إلى يثرب ماشية ليس معها مؤونة السفر ، إذ كانت صائمة في يوم شديد الحر حتى أصابها عطش شديد كادت أن تموت من شدة العطش [٢]، روي عنها أنها قالت :" **إذا أنا بحفيف شيء فوق رأسي فرفعت رأسي فإذا أنا بدلو من السماء مدلى برشاء أبيض قالت فدنا مني حتى إذا كان حيث استمكن منه تناولته فشربت منه حتى رويت قالت فلقد كنت بعد ذلك اليوم الحار أطوف في الشمس كي أعطش وما عطشت بعدها** " [٣].

أما عن هجرة النساء المسلمات إلى يثرب [٤] في السنة الثالثة عشر للبعثة النبوية ، فقد ذكر أنه عند هجرة النبي محمد (ﷺ) إلى المدينة أوصى (ﷺ) الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقال له : " **ثم إني أستخلفك على فاطمة أبنتي ومستخلف ربى عليكما** "[٥] ، وأمره أن

وقيل عثمان .البلاذري، انساب الاشراف،ج١/ص٢١٣-٢١٤؛ ابن سعد، الطبقات،ج٤/ص١٥٣؛ ابن منده ، معرفة الصحابة،ج٢/ص٧٧٢؛ ابن عبد البر، الاستيعاب،ج٢/ص٦٣٠-٦٣١.

[٥] ابن عبد البر، الاستيعاب ،ج٤/ص١٨١١.

[١] أم أيمن وهي بركة بنت ثعلبة بن عمرو ين حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان، غلبت عليها كنيتها(ام أيمن)، وأيمن ولدها من زوجها الاول عبيد الحبشي، وهي بعد أم أسامة من زوجها الثاني زيد بن حارثة ، كما كانت تعرف بأم الضباء، وهي مولاة لرسول الله (ﷺ) إذ كانت لعبد الله بن عبد المطلب ثم اصبحت للنبي محمد(ﷺ) بالميراث. ابن عبد البر،الاستيعاب،ج٤/ص١٧٩٣؛الفاسي ،العقد الثمين،ج٦/ص٣٧٢.

[٢] الفاسي ،العقد الثمين،ج٦/ص٣٧٢.

[٣] ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ،ج٤٠/ص٢٥.

[٤] مدينة رسول الله (ﷺ) سميت (يثرب) لأنه كان أول من سكنها عند التفرق(يثرب بن قانية بن مهلائيل) الذي يرجع نسبه إلى سام بن نوح (عليه السلام) ، ولكن عندما نزلها رسول الله (ﷺ) سماها طيبة وطابة كراهية للتثريب ، وسميت مدينة رسول الله (ﷺ) لنزوله بها ، أما عن معنى كلمة يثرب فهي كما قال أهل اللغة والمفسرون ، التثريب تعليق الضرر بصاحبه من أجل جرم كان منه ومعناه لا تأنيب عليكم اليوم عندي فيما صنعتم ، بمعنى لا تخليط أو تغير ، كما قال الله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾، واختلف في موضعها فقيل إن يثرب للناحية التي منها مدينة رسول الله (ﷺ) ، ناحية من مدينة النبي محمد (ﷺ). القرآن الكريم، سورة يوسف، آية، ٩٢؛ الطبري، جامع البيان،ج١٣/ص٧٤؛ هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن،ج٣/ص١٩٣؛ الطوسي ، التبيان،ج٦/ص١٩١؛ ياقوت الحموي ، معجم، البلدان ،ج١/ص٩١، ج ٥ / ص ٤٣٠ .

يبتاع رواحل له وللفواطم[١] ومن يهاجر معه من بني هاشم ، وقال لعلي (عليه السلام) : " **إذا أبرمت ما أمرتك به فكن على أهبة الهجرة إلى الله ورسوله ، وسر إلي لقدوم كتابي عليك**" [٢] . ولما وصل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يثرب ونزل في بني عمرو بن عوف كتب إلى الإمام علي (عليه السلام) يأمره بالمسير إليه ، فتهيأ الإمام (عليه السلام) للهجرة وأمر من بقي من ضعفاء المؤمنين أنّ يتسللوا خفيةً خارج مكة ، وخرج هو إلى ذي طوى[٣] بالفواطم ومعه أيمن [٤] ابن أم أيمن حاضنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأبو واقد الليثي[٥] رسول النبي محمد (صلى الله عليه وآله) للأمام علي (عليه السلام) ونساء المهاجرين[٦] .

استطاعت السيدة فاطمة (عليها السلام) الخروج من مكة مع بعض المؤمنين المستضعفين ونساء المهاجرين بحماية الإمام علي (عليه السلام) وأبو واقد يسوق الرواحل فأعنف بهم ، فقال الإمام (عليه السلام) : " **أرفق بالنسوة يا أبا واقد ، إنهن من الضعائف ... فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله)**

---

[١] الفواطم وهن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، و فاطمة بنت أسد بن هاشم أم الإمام علي (عليه السلام) ، و فاطمة بنت الزبير . الطوسي ، الأمالي ، ص ٤٧١ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ج ١٩ / ص ٦٥..

[٢] الشيخ الطوسي، الأمالي ، ص٤٦٨؛الأربلي ،كشف الغمة،ج٢/ص٣٢.

[٣] طوى أسم اعجمي للوادي بمكة ، وهو بطن مكة الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم في سورة الفتح، لما انتهى إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند فتح مكة. ياقوت الحموي ،معجم البلدان،ج١/ص٤٧٥،ج٤/ص٤٤؛عبد المنعم الحميري، الروض المعطار،ص٣٩٧.

[٤] أيمن بن أم أيمن حاضنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو أيمن بن عبيد الحبشي، وقيل أيمن بن عبيد بن بن عمرو بن بلال الخزرجي ، وهو أخو أسامة بن زيد لامه ، كانت أم أيمن متزوجة في الجاهلية بمكة من عبيد بن عمرو وعندما قدم مكة وأقام بها ثم هاجر هو وأم أيمن إلى المدينة فولدت له أيمن ،وبعد وفاته رجعت إلى مكة فتزوجها زيد بن حارثة، استشهد أيمن في معركة حنين في السنة الثامنة للهجرة ،فكان ممّن بقي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم حنين ابن عبد البر، الاستيعاب ،ج١/ص١٢٨؛أبو نعيم، معرفة الصحابة،ج١/ص٣١٨؛ ابن حجر،الإصابة،ج١/ص ٣١٦-٣١٧؛ الفاسي ،العقد الثمين،ج٦/ص٣٧٢.

[٥] أختلف في أسمه فقيل الحارث بْن عوف، و قيل عوف ابن الحارث، كما قيل أن أسمه الحارث بن مالك بن أسيد ،من بني ليث بن بكر، كان من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، توفي في سنة (٦٩هـ/٨٦٦م) . ابن خياط ،تاريخ خليفة،ص٢٦٥ ؛ ابن حزم الأندلسي ،جمهرة أنساب العرب،ص١٨٢؛المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ،ج٣٤/ص٣٨٦.

[٦] الشيخ الطوسي، الأمالي ،ص٤٧٠؛ ابن شهر أشوب ، مناقب آل أبي طالب، ج ١/ص١٥٩ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار، ج ١٩ / ص٦٤ ؛ هاشم البحراني، حلية الأبرار،ج١/ص١٥٠ .

قال لي : يا علي ، إنهم لن يصلوا من الآن إليك بما تكرهه " ، ثم أخذ الإمام (عليه السلام) يقود الرواحل وهو يرتجز قائلاً :

ليس إلا الله فارفع ضنكا يكفيك رب الناس ما أهمكا.

ولما وصلوا قرب مكان كان يسمى ضجنان[١] اعترض طريقهم سبعة فرسان من مشركين قريش فتصدى لهم الإمام علي(عليه السلام) فقالوا له : " **ضننت يا غدار انك ناج بالنسوة ارجع لا أبا لك**" ، فقال له: " **فإن لم أفعلْ** " فقاتلهم الإمام علي (عليه السلام) وهو يقول :

خلوا سبيل الجاهد المجاهد آليت لا اعبد غير الواحد.

فتنحوا عن الطريق وقالوا له : " **أغن عنا نفسك يا بن أبي طـالب**" . **فقال : " إنيّ منطلق إلى أبن عمي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيثرب فمن سره ان افري لحمه وأريق دمه فليتعقبني أو فليدن مني**" ، ثُم سار الإمام علي (عليه السلام) بمن معه من المؤمنين إلى أن نزل ضجنان فلحق به بعض المستضعفون من المؤمنين ، فباتوا تلك الليلة وهم يصلون لله ويذكرونه فلم يزالوا كذلك إلى أن طلع الفجر عليهم فصلى بهم الإمام (عليه السلام) صلاة الفجر وانطلقوا بعدها إلى يثرب ، إذ كان ينتظرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) [٢]. ولما وصل الإمام (عليه السلام) إلى المدينة أنزل السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) عند أم أيوب الأنصارية الخزرجية [٣] ، ولكن بعد استقرار رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المدينة وتزوجه من سودة بنت زمعة [٤] في أول دخوله المدينة

---

[١] ضجنان جبل بناحية تهامة على طريق المدينة، وفي أسفله مسجد صلى فيه النبي محمد(صلى الله عليه وآله)، وكان بين ضجنان ومكّة خمسة وعشرون ميلاً، وفيه ديار قبائل أسلم وهذيل وغاضرة . ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٣/ص٤٥٣؛ عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار،ص٣٧٦.

[٢] الشيخ الطوسي، الأمالي ، ص٤٧٠؛ ابن شهر أشوب ، مناقب آل أبي طالب، ج ١/ص ١٥٩؛ المجلسي ، بحار الأنوار، ج ١٩ / ص ٦٤ .

[٣] وهي بنت قيس بن سعد بن قيس بن عمرو بن امرئ القيس الخزرجي، زوجة أبي أيوب الانصاري، نزل عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين قدم المدينة مهاجرا. ابو نعيم، معرفة الصحابة،ج٦/ص ٣٤٦٩؛ابن عبد البر،الاستيعاب،ج٤/ص١٩٢٥؛ مغلطاي ، تهذيب الكمال،ج٣٥/ص٣٣١.

[٤] كانت زمعة أول امرأة تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد السيدة خديجة (عليها السلام) ، تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المدينة وكانت قبله متزوجة من السكران بن عمرو العامري ، القرشي ، الذي مات بأرض الحبشة مسلماً وقيل انه تنصر ومات

نقلت السيدة فاطمة (عليها السلام) إليها، وبعد زواج النبي (ﷺ) من أم سلمة انتقلت إليها السيدة فاطمة (عليها السلام) ، فروي أن أم سلمة قالت: " **تزوجني رسول الله ، وفوض أمر ابنته إلي ، فكنت أدلها وأؤدبها، وكانت والله آدب مني ، وأعرف بالأشياء كلها** " [١].

وقد كانت أم سلمة أول مهاجرة دخلت المدينة المنورة ، حيث ذكر ابن حجر أن ظعينة [٢] أم سلمة كانت أول ظعينة دخلت إلى المدينة المنورة [٣] ، في حين نقل ابن سعد وابن عبد البر أنّ ليلى بنت أبي حثمة [٤] كانت أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة مع زوجها عامر بن ربيعة العنزي[٥] [٦].

ذلك أنّه لما بلغ أبو سلمة إسلام الكثير من الأنصار خرج الى المدينة مهاجراً برفقة زوجته أم سلمة ، فتحملت معه الأذى والفراق في سبيل الدعوة الإسلامية ، روي عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة عن جدته أم سلمة أنها قالت: " **لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى**

بالحبشة ، كما قيل أنه رجع الى مكة ومات بها قبل أن يعود الى المدينة، وله من الولد عبد الله من زمعة . ابن سعد ،الطبقات ،ج٤/ص١٥٤؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ،ج٢/ص٦٨٥-٦٨٦ ؛ابن حجر،الاصابة،ج٣/ص١١٣؛.

[١] الطبري الصغير ، دلائل الإمامة ، ص ٨١ .

[٢] الظعينة و جمعها (ظعائن) يقال لكل شخص أراد السفر في حج أو غزو أو مسير من مدينة الى اخرى ظاعن، والظعينة السفرة القصيرة ، كما تطلق تسمية الظعينة على الجمل الذي يظعن عليه ، ويسمى الهودج الذي تركبه المرأة ظعينة ، وقد سميت المرأة ظعينة لأنها تقيم مع زوجها بإقامته كالجليسة في الهودج أو من غير هودج. ابن منظور، لسان العرب،ج١٣/ص ٢٧١.

[٣] الإصابة ، ج ٨/ ص٣٤٢.

[٤] ليلى بنت أبي حثمة بْن حذيفة بْن غانم بن عامر الذي يعود إلى عدي بْن كعب القرشي العدوي ، زوجة عامر بْن ربيعة ، كانت ممن هاجرت الهجرتين الى الحبشة ، روت عن رسول الله(ﷺ) أحاديث نقلتها عنها الشفاء. ابن سعد، الطبقات ،ج٨/ص٢١٠؛ أبو نعيم، معرفة الصحابة ،ج٦/ص ٣٤٣٩؛ ابن عبد البر،الاستيعاب،ج٤/ص١٩٠٩؛ ابن حجر، الإصابة ، ج ٨/ ص٣٠٣.

[٥]عامر بن ربيعة بن كعب ، اختلف في نسبه فقيل من عنز حليف بني عدي ، وقيل من اليمن ، كنيته أبو عبد الله ، أحد المهاجرين الأوائل آخى النبي (ﷺ) بينه وبين يزيد بن المنذر الأنصاري شارك مع رسول الله (ﷺ) في معركة بدر، روي عن رسول الله (ﷺ) عدة أحاديث ، استخلفه الخليفة عثمان بن عفان على المدينة أدرك الثورة على عثمان فاعتزلها ،توفى بعد مقتل عثمان بأيام سنة (٣٦هـ/٦٥٦م) . ابن سعد، الطبقات ، ج ٣/ص٢٩٥؛ ابو نعيم، معرفة الصحابة، ج٤/ ٢٠٤٨-٢٠٥٠؛ مغلطاي ،اكمال تهذيب الكمال،ج١٢٦/٧؛ الزركلي ،الأعلام،ج٢/ص٢٥١.

[٦] الطبقات ،ج٨/ص٢١٠؛ الاستيعاب،ج٤/ص١٩٠٩.

المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه وجعل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري ، ثم خرج يقود بي بعيره ، فلما رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه ، قالت وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة وقالوا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، قالت فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد وحبسني بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة ، قالت ففرق بيني وبين ابني وبين زوجي . قالت فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريبا منها حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة فرأى ما بي فرحمني ، فقال لبني المغيرة : ألا تخرجون من هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟ قالت فقالوا لي الحقي بزوجك إن شئت. قالت فرد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني، قالت فارتحلت بعيري ، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة ، قالت وما معي أحد من خلق الله ، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار فقال إلى أين يا ابنة أبي أمية ؟ قلت أريد زوجي بالمدينة ، قال أو ما معك أحد؟ قلت ما معي أحد إلا الله وبنى هذا، فقال والله ما لك من مترك. فاخذ بخطأ من البعير فانطلق معي يهوى بي فو الله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيده في الشجر ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله ثم استأخر عني وقال اركبي فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي ، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة فلما نظر إلى قرية بنى عمرو ابن عوف بقباء قال : " زوجك في هذه القرية " ، وكان أبو سلمة بها نازلاً فادخليها على بركة الله ، ثم أنصرف

راجعاً إلى مكة ، فكانت تقول : " **ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة**" [١] ، يوضح ما جاء في النص مدى صبر المرأة المسلمة على المعاناة التي كانت تحملتها المرأة المجاهدة من أجل حماية معتقدها ودينها الذي تؤمن به ، فكانت تتحمل فراق الأهل والزوج والولد ، فضلاً عن معاناة السفر في السير لعدة أيام ، إذ ذكر ياقوت الحموي في معجمه بأن المسافة بين مكة والمدينة كانت على عشر مراحل[٢] ، كما ذكر حسين مؤنس أنّ المسافة بين مكة والمدينة بسير الأبل تبلغ مسيرة مائة وأربعة عشر ساعة[٣] .

وقد تجلت أسمى معاني التضحية والإيثار بالنفس للمرأة المسلمة في التخلي عن الأهل والزوج نصرة للدين الإسلامي ، وقد ذكرت لنا المصادر التاريخية أن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط [٤] ، مشت على قدميها مهاجرة من مكة إلى المدينة [٥]، إذ خرجت من مكة وحدها بمعية رجلاً من خزاعة ، حتى جاءت إلى المدينة في السنة السابعة للهجرة على أثر هدنة الحديبية التي كانت بين رَسُول اللَّهِ (ﷺ) وبين المشركين من قريش ، الذين كانوا صالحوا رسُول الله (ﷺ) عَلَى أن يرد عليهم من جاءه مؤمنًا [٦]، وقد خرج في أثرها أخواها الوليد وعمارة حتى وصلا إلى المدينة في نفس اليوم الذي قدمت فيه الى المدينة ، وعند لقاءهما برسول الله (ﷺ) قالا يا محمد : " **أوف لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه فقال قد نقض الله العهد فانصرفا** " [٧] ، فقالت أم كلثوم يا رسول الله ، أنا امرأة وحال النساء الى الضعف ما قد علمت ، فتردني إلى الكفار فيفتنوني عن ديني ولا صبر لي؟ فقبض الله

---

[١] ابن كثير ، البداية والنهاية،ج٣/ص١٦٩-١٧٠.

[٢] المرحلة من مراحل السفر، وهي ضرب من المداومة على السير وهي المنزلة التي يرتحل منها بين المنزلتين، ابن فارس ، مقاييس اللغة،ج٥/ص٤٦٣؛ ابن منظور، لسان العرب،ج١١/ص٦٧٤.

[٣] أطلس تاريخ الإسلام، ص٧٦.

[٤] أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وأسمه (أبان) بن أبى عمرو وأسمه (ذكوان) بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ،أمها أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وهي أخت عثمان لأمه. ابن سعد،الطبقات،ج٣٥/ص ٣٨٢ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ،ج٤/ ص ١٩٥٤؛ الفاسي ،العقد الثمين،ج٦/ص ٤٥٩.

[٥] الإصابة ،ج٨/ص٢٩١.

[٦] ابن سعد، الطبقات ،ج٨/ص٢٣٠.

[٧] ابن الجوزي، صفوة الصفوة،ج١/ص٣٢٣.

العهد في النساء في صلح الحديبية وأنزل فيهن آية الممتحنة وحكم في ذلك بحكم رضوه كلهم ، فامتحن الله قلوب النساء المؤمنات ، فكان رسول الله (ﷺ) يقول : " **والله ما اخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام ما خرجتن لزوج ولا مال فإذا قلن ذلك تركن ولم يرددن الى أهلهن** " [١]، فامتحن رسول الله(ﷺ) في ذلك أم كلثوم بنت أبي معيط وامتحن النساء بعدها ، بدليل قول رسول الله (ﷺ) : " **والله ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام وما خرجتن لزوج ولا مال". فإذا قلن ذلك تركن وحبسن فلم يرددن إلى أهليهن**" ، حينها قال رسول الله (ﷺ) للوليد وعمارة : " **قد نقض الله العهد في النساء بما قد علمتماه فانصرفا** " [٢] ، فبالرغم من أن أم كلثوم لم تكن متزوجة عند هجرتها إلى المدينة إلا أنها لم تخشى لومة لائم في دينها ، زوجها رسول الله (ﷺ) لزيد بن حارثة بعد ما قدمت المدينة فولدت له ، وبعد استشهاده في معركة مؤتة تزوجها الزبير بن العوام فولدت له زينب ، وبعد ما طلقها الزبير تزوجها عبد الرحمن بن عوف [٣] فولدت له إبراهيم وحميد ، وبعد وفاته تزوجها عمرو بن العاص[٤] فكثت عنده شهراً وماتت[٥]. كما هاجرت أمها أروى بنت كريز بن ربيعة إلى

---

[١] ابن سعد، الطبقات ،ج٨/ص-١٨٣-١٨٤؛ ابن عبد البر، الاستيعاب،ج٤/ص١٩٥٣

[٢] ابن سعد ، الطبقات،ج٨/ص٢٣٠-٢٣١؛ ابن حجر، الاصابة ،ج٨/ص٤٦٨.

[٣] عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف القرشي الزهري ، كان أسمه في الجاهلية عبد عمرو ، وقيل عبد الكعبة فسماه رسول الله (ﷺ) عبد الرحمن ، شهد مع رسول الله غزواته ، أرسله رسول الله (ﷺ) في سرية سنة(٦هـ/٦٢٧م) إلى دومة الجندل لبني كلب الذين كانوا على دين النصرانية ، فأسلم رئيسهم الاصبغ بن ثعلبة الكلبي ، وتزوج من ابنته تماضر، وصالح من لم يدخل الإسلام على دفع الجزية ، وهو أحد الستة أهل الشورى ، توفي في المدينة سنة(٣١ هـ /٦٥٣م), قيل سنة(٣٢هـ/٦٥٤م) ، وعمره خمسة وسبعون سنة. ينظر، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢/ص ٦٨، ابن عبد البر ،الاستيعاب ،ج٢/ ص ٨٤٤-٨٥٠.

[٤] عمرو بن العاص بن وائل السهمي ، داهية قريش كان يضرب به المثل في الدهاء والفطنة والحزم ، ولاه رسول الله (ﷺ) سنة(٨هـ/٦٢٩م) سرية ذات السلاسل ، ولي مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وهو الذي افتتحها ، واستمر في ولايته لمصر حتى عزله الخليفة عثمان بن عفان في بداية عهده ، لحق بمعاوية يدبر أمره في الحرب ضد الإمام علي (ﷺ)، سار بجيشه الى مصر، فولاه معاوية مصر سنة (٣٨ هـ/٦٥٨م) حتى وفاته فيها سنة(٤٣ هـ/٦٦٣م) ، وقيل قبلها بسنة وقيل بعدها. للمزيد ينظر، ابن حجر، الإصابة ، ج٤/ ص٥٣٧-٥٤١ ، البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج١/ ص٣٨٠.

[٥] ابن عبد البر ، الاستيعاب ،ج٤/ ص ١٩٥٤.

المدينة بعد هجرة أبنتها أم كلثوم[١]، وكذلك درة بنت أبي لهب [٢] ، التي عانت في هجرتها إلى المدينة ، وذلك بسبب موقف والديها من الدعوة الإسلامية ، إذ أن من المعلوم أن أبيها أبو لهب بن عبد المطلب عم رسول الله (ﷺ) ، كان من أشد اعداء رسول الله (ﷺ) ، فقد كان رسول الله (ﷺ) لإيذائه مع زوجته أم جميل بنت حرب بن أمية ، فلما كان رسول الله (ﷺ) يجاورهم في المسكن ، كان أبو لهب وزوجته يقومان بإيذاء النبي (ﷺ) وازعاجه وذلك بألقاء الرماد والتراب على رأسه الشريف ، وكذلك نشر الشوك عند باب بيته أو على طريقه[٣]. فكان لكل ذلك مردوده السلبي على ابنته درة التي أعلنت إسلامها وهاجرت إلى المدينة ، وقد صور ابن الأثير وابن حجر المعاناة التي تحملتها درة في الهجرة ، إذ أنها لما قدمت المدينة نزلت في دار رافع بن المعلى الزرقي[٤] ، وكانت بعض النسوة من بني زريق يقولن لها : " **أنت ابنة أبى لهب الذي يقول الله له تبت يدا أبى لهب وتب فما يغنى عنك مهاجرتك فأتت درة النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ما قلن لها فسكنها وقال اجلسي ثم صلى بالناس الظهر وجلس على المنبر ساعة ثم قال أيها الناس مالي أوذي في أهلي فو الله ان شفاعتي لتنال بقرابتي حتى أن صدأ وحكما وسلهب لتنالها يوم القيامة** " [٥].

وكانت أم سليم بنت ملحان من النساء اللواتي أسلمن قبل إسلام أزواجهن ، حيث أسلمت مع قومها ، ثم عرضت على زوجها (مالك بن النضر) فغضب عليها وخرج إلى الشام فهلك

---

[١] ابن سعد ،الطبقات ، ج٨/ص٢٢٩.

[٢] تزوج أروى بنت كريز عفان بن أبي العاص بن أمية فولدت له عثمان وامنة ، وبعد وفاته تزوجها عقبة بن أبي معيط فولدت له الوليد وخالد وأم كلثوم وأم حكيم وهند. ينطر ،ابن سعد ،الطبقات ج٨/ص٢٢٩.

[٣] السبحاني ، السيرة المحمدية ،ص٧٢.

[٤] رافع وقيل أن أسمه الحارث بن المعلى بن لوذان بن حارثة ، أمه أدام بنت عوف من بني النجار، كنيته أبو سعيد الأنصاري، آخى رسول الله (ﷺ) بينه وبين صفوان بن بيضاء، شهد غزوة بدر الكبرى وأستشهد فيها، قيل أن الذي قتله عكرمة بن أبي جهل، كما روي أن صفوان لم يقتل يومئذ وأنه بقي بعد رسول الله (ﷺ)، ولم يكن له عقب. ابن سعد، الطبقات،ج٣/ص٦٠٠؛ أبو نعيم، معرفة الصحابة،ج٢/ص١٠٥٤-١٠٥٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة،ج١/ص٦٥٣،ج٢/ص٢٤٥؛ ابن حجر ،الإصابة،ج٢/ص٣٧٠.

[٥] ابن الأثير، أُسد الغابة،ج٧/ص١٠٣.

هناك ، فتزوجت من بعده أبو طلحة الأنصاري الذي خطبها وهو مشرك فرفضته أم سليم واشترطت عليه الإسلام ، فأسلم وكان صداقها الإسلام[١].

وقد نصرت ضباعة بنت قراط بن سلمة الخير العامرية النبي محمد (ﷺ) في جملة مواطن بلسانها وفعلها ، إذ أبلت بلاءً حسناً أمامه ، فمن ذلك أن النبي (ﷺ) قدم على بني عامر فدخل سوق عكاظ وقد ودعا إلى نصرته فأجابوه فبينما هم كذلك إذ جاء ثجرة بن فراس القشيري فضرب شاكلة ناقة رسول الله (ﷺ) فقمصت به(ﷺ) فألقته ، وكانت عندهم يومئذ ضباعة ، وكانت ممن أسلمن بمكة إّذ جاءت زائرة إلى بني عمها حينها قالت : " **يا آل عامر، ولا عامر لي أيصنع هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ولا يمنعه أحد منكم؟** " [٢] ، وعلى أثر كلامها قام فقام ثلاثة من بني عمها لنصرة رسول الله (ﷺ)، فأخذ كل رجل منهم رجلا ثم جلس على صدره ، ثم علوا وجهه لطما ، فقال رسول الله (ﷺ) وسلم: " **الله بارك هؤلاء**" فأسلموا وقتلوا شهداء [٣].

---

[١] مسلم ، صحيح مسلم،ج٣/ص١٦١٤؛ ابن سعد،الطبقات،ج٨/ص٥؛ ابن حبيب، المحبر،٤٢٨-٤٢٩.

[٢] ابن حجر ، الإصابة ،ج٨/ ص٢٢٢.

[٣] ابن حجر ، الإصابة ،ج٨/ ص٢٢٢.

المبحث الثاني

الدور الجهادي والعسكري للنساء المردفات

أولاً : دور المرأة في التربية الجهادية

كانت المرأة العربية تسعى جاهدة من أجل تربية أبناءها تربية قتالية ، ذلك أنّ الأم تعد الشخصية الأولى التي توصل التراث إلى طفلها ، كما إنها تحرص كل الحرص على تنشئته على قيم مجتمعه ، فقد كانت الأم العربية وهي في خيمتها تنسج وتخيط وتعني بشؤون بيتها وتربي اطفالها ، وهي تعرف الأنساب كما سمعتها من أبيها ورجال قومها ، فتذكر تاريخ القبيلة المجيد وسلسلة الأجداد ومواقف الأبطال وجيد الشعر، فكانت الأم العربية تناغي طفلها وتلاعبه منذ نعومة أظافره على أشعار توحي له بحب الرجولة والفضائل الموروثة [١] ، إذ روي أن هند بن عتبة كانت تراقص ولدها معاوية وتقول :

إن بني معرق كريم محبب في أهله حليم

ليس بفحاش ولا لئيم ولا بطخرور ولا سؤم

صخر بني فهر به زعيم لا يخلف الظن ولا يخيم[٢] .

ولا غرابة في اشتهار المرأة العربية في قول الشعر ، ذلك أن تاريخ العرب كان في أشعارهم وهم على شغف في حفظ الشعر[٣]، وبذلك تكون المرأة العربية قد شاركت في الميدان التاريخي من خلال نقل التراث إلى أبنائها ، ذلك أن التاريخ كان عبارة عن معرفة أخبار العرب وأيامهم وأقوالهم بالسماع [٤]، ويلاحظ مما سبق أن المرأة العربية كانت تبعث في نفس طفلها الثقة والفروسية ، إذ يعود للأم العربية الفضل الكبير في تنشئة أبنائها على أن يكونوا طلاب مجد ، ذلك لأنها كانت تدرك قيمة الشجاعة في بيئتها دفاعًا عن القبيلة وذودًا عن

---

[١] كاظم ، التنشئة الاجتماعية،ص٩٤-٩٥.

[٢] القالي ، الآمالي،ج٢/ص١١٨.

[٣] بيهم ، المرأة في التاريخ،ص١٤٨.

[٤] كاظم ، التنشئة الاجتماعية، ص٩٣.

حياتها ، ولاسيما " **وأن العرب منذ القدم كانوا يؤمنون بأن في احضان الكريمات ينشأ الرجال الكرام والأبطال العظام لأن آثار الأمهات وصور الوالدات تكون بادية في نفوس الأبناء**" [١].

ومن العادات الاجتماعية التي كانت تتبعها أكثر أسر الأشراف والعوائل الميسورة الحال ، أرسال أبنائهم في مرحلة الطفولة للرضاعة من غير أمهاتهم في البادية ، لأنه كان من أخلاق العرب وشيمهم إذ ولد لهم ولد أن يلتمسوا له مرضعة من غير قبيلته ليكون أنجب له [٢]، ومن الأسباب التي دفعت العرب إلى أرسال أبنائهم إلى البادية ، رغبتهم في نشأة الطفل بين الأعراب ليكون فصيح اللسان ، لأن العرب كانوا يعتقدون إن لغة قبائل الصحراء هي اللغة النقية ، وأن الألسنة في المدن تعوج بمخالطة الناس[٣]، وفي هذا المعنى نقل السهيلي أن رسول الله محمد (ﷺ) عندما سأُل عن سبب فصاحته ، أجاب مفتخراً في نشأته في بني سعد وتعلمه لسانهم قوله : " **وما يمنعني وأنا من قريش ورضعت في بني سعد**" [٤] . وقد عد رسول الله (ﷺ) سلامة أبدان الأبناء وتهيئتها للجهاد في سبيل الله ، إنما هو الخطوة الأولى في تخريج جيش مؤمن مجاهد ، وخاصةً من لبن الأم ، فقال(ﷺ) : "**اطعموا حبالاكم اللبان**" [٥] **إن الصبي إذا غذي في بطن أمه باللبان اشتد قلبه وزيد في عقله ، فإن يك ذكرا كان شجاعا وأن يكن ما في بطنها جارية حسن خلقها** " [٦]. فقيل أنّه كانت لأم المؤمنين أم سلمة أمة تدعى (خيرة) لها ابن يدعى الحسن البصري [٧] أشتهر من بين أهل زمانه بعلمه وفصاحته وورعه ، قيل إن ذلك من بركة ارضاعه من أم سلمة في صغره [٨].

---

[١] الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص٢٠٥.

[٢] الحلبي، السيرة الحلبية، ص١٤٦.

[٣] السهيلي، الروض الآنف،ج٢/ص١٠٥.

[٤] الروض الآنف،ج٢/ص١٠٥-١٠٦.

[٥] الكليني، الكافي ،ج٦/ص٢٣؛ ابن حجر، لسان الميزان،ج٥/ص٢٨٦.

[٦] الكليني، الكافي ،ج٦/ص٢٣.

[٧] الحسن بن أبي الحسن ، أبو سعيد ، مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، واسم أبي الحسن (يسار) من سبي ميسان دخل المدينة فاشترته الربيع بنت النضر فأعتقته ، فتزوج (خيرة) مولاة لأم سلمة المخزومية ، كان من عباد أهل البصرة ، ومن

إذ أنّ من الأسباب الرئيسية التي كانت تدفع العرب إلى إرسال أبناءهم إلى البادية هو الرغبة في تقوية جسم الطفل لما في هواء البادية من الصفاء لينشأ هناك بعيداً عن أمراض الحواضر، فضلاً عن تعلم الشجاعة والفروسية في أراضي البادية ، كما أشار ابن خلدون في مقدمته أنّ أهل البادية أكثر شجاعة من أهل المدن لانغماس هؤلاء في النعيم والترف [١] ، بمعنى أن الذي يتربى على خشونة العيش والابتعاد عن الترف تكون تنشئته مبنية على القوة والجلد ، فضلاً عن اكتساب قوة الصبر والتحمل ، وهذا ما حرصت عليه الأم العربية في تربية أبناءها فهي" **لم تدللهم ذلك الدلال الذي يضعف شخصيتهم ويسيء إلى مستقبلهم بل كن يدفعن بهم إلى الطريق شرف والرئاسة ، واحتذاء آثار الأبطال ، ولذلك ظهر بين العرب كثير من الفتيان ذوي الشخصية القوية ، والنفوس المعدة لتسنم ذروة المجد ، ولا أدل على ذلك من تلك الشخصيات العظيمة الباهرة التي اشتهرت في الإسلام حين دانت للعرب دولة عتيدة ، وتطلب الحكم الجديد خبرة ومهارة وعقولاً نيرة فتجلت تلك العبقريات الكامنة وظهرت على مسرح التاريخ متألقة في قيادة الجيوش ، والقضاء ، والخلافة ، والتنظيم المبتكر ولاشك أن هذا كله يرجع الى النشأة الأولى ، وإلى الحياة التي تشربتها نفوسهم في الحداثة ، حياة تجعل منهم شخصيات بارزة** " [٢] .

وقد كان للمرأة العربية دورًا واضحًا ومؤثرًا في التحريض على اشعال نار الحرب ، وكان ذلك من خلال العمل على اثارة النفوس حنقاً وغيظاً ، فتنشب حرباً جديدة أو تشعل الحرب مرة أخرى ، فكانت تلجأ الى وسيلة الأخذ بالثأر من القاتل وعدم قبول الدية ، لأنه عار وإذلال . ومن أمثلة التحريض على أخذ الثأر، نجد أن ريحانة بنت معد يكرب أحدى النساء التي

العلماء بالقرآن والفقه والأدب توفى في سنة (١١٠هـ/٧٦٩م) وعمره تسع وثمانين سنة. ابن سعد، الطبقات، ج٧/ص١١٤؛ أبو نصر البخاري، الهداية والإرشاد،ج١/ص١٦٥؛ البستي ،مشاهير علماء الأمصار،ص١٤٣؛ الذهبي ،سير،ج٤/ص٥٦٣-٥٦٦؛ ابن العماد، شذرات الذهب،ج٢/ص٤٨.

[٨] ابن سعد، الطبقات، ج٧/ص١١٤؛ الذهبي ،سير،ج٤/ص٥٦٣-٥٦٦؛ابن العماد، شذرات الذهب،ج٢/ص٤٨.

[١] المقدمة ، ص١٢٥.

[٢] كاظم ، التنشئة الاجتماعية، ص٩٥.

أججت مشاعر أبنها دريد بن الصمة [١] من أجل الثأر لأخيه (عبد الله) ، فبعد أنّ عاهدها على أنّ لا يأكل لحمًا أو يشرب خمرًا ، ولا يكتحل أو يمس طيًا، حتى يأخذ بثأر أخيه ،فقام بغزو قبيلة غطفان ، كما قام بقتل الكثير من بني مرة وعبس وفزارة ، ثم جاء بذواب بن أسماء بن زيد بن قارب [٢] فقتله أمام أمه وقال لها: " **هل بلغت ما في نفسك ؟ قالت : نعم، متعت بك**" [٣] ، يلاحظ أن الأم العربية كانت تربي أبناءها وفق عادات العرب الاجتماعية التي توارثوها عن أسلافهم ، فلا شك أن مثل هذا الموقف من الأم يكون له تأثيره على أولادها الآخرين في تربيتهم على المطالبة بحقوقهم ، والسعي في مقاتلة الأعداء ، والأخذ بالثأر على اعتبار أن ذلك عار وعجز في نظر الآخرين .

وقامت المرأة العربية بدور المنذرة لقومها من وقوع الحرب ، إذ وجدنا من النساء من احتالت لتنذر قومها من حدوث حرب قادمة ، وهذا ما فعلته سلمى النجارية (أحدى جدات النبي محمد(ﷺ)) التي كانت زوجةً لأحيحة بن الجلاح قبل هاشم بن عبد مناف كما مر ذكرها ، إذ أنذرت قومها بطريقة تعد غريبة من نوعها ، وقد سرد صاحب الأغاني تلك الحادثة بقوله: " **أنّ أحيحة لمّا أجمع بالغارة على قومها ومعها ابنها عمرو بن أحيحة ، وهو يومئذ فطيم أو دون الفطيم ، وهو مع أحيحة في حصنه عمدت إلى ابنها فربطته بخيط ، حتّى إذا أوجعت الصبيّ تركته فبات يبكي ، وهي تحمله ؛ وبات أحيحة معها ساهرا ، يقول : ويحك ما لابني ؟ فتقول : والله ما أدري ماله . حتّى إذا ذهب اللَّيل أطلقت الخيط عن الصبيّ فنام . وذكروا أنّها ربطت رأس ذكره ، فلما هدأ الصبيّ قالت : وارأساه ، فقال : أحيحة :**

---

[١] دريد بن الصمة (واسم الصمة، معاوية بن الحارث ابن معاوية بن بكر بن هوازن) الجشمي البكري، أحد شجعان العرب وأبطالها، ومن شعراءهم المعمرين في الجاهلية، كان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، ومن شعراءهم المعمرين في الجاهلية، وأدرك الإسلام و لكنه لم يسلم، إذ قتل على دين الجاهلية في معركة حنين في السنة الثامنة للهجرة بعد الفتح ، فقد استصحبته معها هوازن عند خروجها لقتال المسلمين تيمنا برأيه ومعرفته بالحرب ، أدركه ربيعة بن رفيع السلميّ فقتله. ابن هشام، سيرة ابن هشام،ج٢/ص٤٣٧؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ،ج٢/ص٤٩١؛ ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب،ج١/ص١٨١؛ ، ابن الأثير ،أسد الغابة،ج٢/ص٢٦٠.

[٢] لم نعثر له على ترجمة .

[٣] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني،ج١٠/ص٢٤٣؛ جواد علي ،المفصل،ج١٨/ص٦٦.

هذا والله ما لقيت من سهر هذه الليلة .فبات يعصب لها رأسها ويقول : ليس بك بأس . حتّى إذا لم يبق من الليل إلا أقلّه قالت له : قم فنم ، فإنّي أجدني صالحة قد ذهب عنّي ما كنت أجده . وإنما فعلت به ذلك ليثقل رأسه ، وليشتدّ نومه على طول السّهر . فلما نام قامت وأخذت حبلا شديدا وأوثقته برأس الحصن ، ثم تدلّت منه وانطلقت إلى قومها ، فأنذرتهم وأخبرتهم بالذي أجمع هو وقومه من ذلك ، فحذر القوم وأعدّوا واجتمعوا . فأقبل أحيحة في قومه فوجد القوم على حذر قد استعدّوا ، فلم يكن بينهم كبير قتال ؛ ثم رجع أحيحة فرجعوا عنه ، وقد فقدها أحيحة حين أصبح ؛ فلما رأى القوم على حذر قال : هذا عمل سلمى! خدعتني حتّى بلغت ما أرادت. وسمّاها قومها المتدلّية ؛ لتدلّيها من رأس الحصن " [١]. وقال أحيحة شعرًا فيما صنعت به زوجته سلمى ، فقال :

ولا يذهب بك الرأي الوبيل تفهّم أيّها الرّجل الجهول

فإنّ الجهل محمله خفيف وإنّ الحلم محمله ثقيل

وقال فيها أيضًا :

أخلق الرّبع من سعاد فأمسى ربعه مخلقا كدرس الملاة

باليا بعد حاضر ذي أنيس من سليمى إذ تغتدي كالمهاة [٢].

يفهم من قصة سلمى بنت عمرو أن روح العصبية القبلية لم تكن حكراً للرجال فقط ، بل أن المرأة العربية كانت تشعر بنفس شعور الرجل إذا ما أحست بأن خطر محدقاً بقبيلتها ،وهذا ما أتضح جلياً من موقف سلمى النجارية التي مالت مع قبيلتها عندما نشبت الحروب بين قبيلتها ضد قبيلة زوجها . فقد استخدمت سلمى كل السبل والحلول من أجل الحيلولة دون الإغارة على حي أهلها ، حتى أنها قامت بأخذ حبلاً وأوثقته برأس الحصن الذي كانت تسكن فيه مع زوجها ، ثم نزلت منه وانطلقت الى أهلها لتخبر قومها وتنذرهم بالذي أجمع عليه زوجها وقومه عليهم ، لذلك أطلقت عليها تسمية (المتدلية) ، ولما أتي أحيحة القوم ليحاربهم

---

[١] الأغاني،ج٢٤/ص٢٣٠.

[٢] أبو الفرج الاصفهاني ،الأغاني ،ج١٥/ص٣٧.

وجد القوم على حذر لذلك لم يكن بينهم قتال شديد، أما زوجته سلمى فلم تعد الى بيت زوجها بل بقيت عند قومها ، خوفاً من زوجها ، لذلك السبب انتبه أحيحة الى السبب الذي جعل قوم سلمى على أهبة الاستعداد لمواجهة الخطر المحيط بهم .

فكونوا نساء لا تفروا من الكحل ودونكم طيبَ العروس ، فإنما

خلقتم لأثواب العروس وللغسل فقبحاً وشيكاً للذي ليس دافعا

ويختال يمشي بيننا مشية الفحل فلو أننا كنا الرجال وكنتم

نساء لكنا لا نقر على الذل فموتوا كراماً ، واصبروا لعدوكم[١].

ولدينا في تاريخ العصر الإسلامي نماذج كثيرة من النساء المسلمات اللواتي لعبن أدوراً بارزةً ومؤثرةً تشهد بتضحيات المرأة الكبيرة في سبيل اعلاء كلمة لا إله إلا الله ، سواء أكانت بتحريضها على قتال المشركين ، أو بمشاركتها أو مشاركة أبنائها . ومن أشهر النساء المردفات اللائي حرضن على قتال المشركين ، سلمى بنت عميس زوجة الحمزة بن عبد المطلب، فبعد أن أقبل الحمزة من رميه لقيته زوجته ، فقالت : "**يا أبا عمارة ماذا لقي بن أخيك من أبي جهل بن هشام وتناوله وفعل به وفعل فقال هل رآه أحد قالت إي والله لقد رآه ناس فأقبل حتى انتهى إلى ذلك المجلس عند الصفا والمروة فإذا هم جلوس وأبو جهل فيهم فاتكأ على قوسه فقال رميت كذا وفعلت كذا ثم جمع يده بالقوس فضرب بها بين أذني أبي جهل فدق سيتها ثم قال خذها بالقوس وأخرى بالسيف أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه جاء بالحق من عند الله قالوا يا أبا عمارة إنه سب آلهتنا ولو كنت أنت وأنت أفضل منه ما أقررناك وذاك وما كنت يا أبا عمارة فاحشا**" [٢] .

، فذكر أنه لما أشيع أنّ رسول الله(ﷺ) قد قتل ، لقيتهم أم أيمن وهي تحثي في وجوههم التراب وتقول لبعضهم : " **هاك المغزل فاغزل به ، وهلم سيفك** " [٣] ، تكشف هذه الرواية

---

[١] المسعودي ، مروج الذهب،ج٢/ص١١٥.

[٢] الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٣/ص١٣٩.

[٣] الواقدي ،المغازي،ج١/ص٢٧٨؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة،ج١٥/ص٢٥.

عن بلوغ الحالة الدينية والعاطفية والنفسية ذروتها للانقياد لأمر الله تعالى ، مما كان لكلامها الأثر البالغ في سرعة الاستجابة للتضحية بالنفس نيلاً للشهادة.

وهناك موقف أخر لأم أيمن يوم خرجت في معركة خيبر مع رسول الله (ﷺ) ، وقد تخلف أبنها أيمن عن الخروج لمرض فرسه ، فعيرته أمه بالجبن ، وهذا ما صوره لنا الشاعر حسان بن ثابت ، حين قال :

على حين أن قالت لأيمن أمه جبنت ولم تشهد فوارس خيبر

وأيمن لم يجبن ، ولكن مهره أضر به شرب المديد المخمر

ولولا الذي قد كان من شأن مهره لقاتل فيهم فارسا غير أعسر

ولكنه قد صده فعل مهره وما كان منه عنده غير أيسر[١].

وكانت سلمى بنت خصفة [٢] زوجة سعد بن أبي وقاص تحرض زوجها على القتال أثناء الفتوحات العربية الإسلامية في العراق ، إذ أن سعد بن أبي وقاص أشتكى من مرض من قرحة في رجله منعته من الخروج للجهاد ،ذكر الطبري أنه: " **فلما كان يوم أرماث**[٣] **كان سعد لا يستطيع الجلوس إلا مستوفزا** [٤] **أو على بطنه** [٥] "، ونقل ابن الأثير أنه " **كان بسعد دَمَامِيْل وعِرق النسا فلا يستطيع الجلوس إنما هو مُكب على وجهه في صدره**

---

[١] ابن هشام ،السيرة النبوية، ج٢/ص٣٤٧-٣٤٨.

[٢] سلمى بنت خصفة بن ثقيف بن مرة ، كانت زوجة المثنى بن حارثة الشيباني، أقامت معه حتى استشهد، فتزوجها سعد بن أبي وقاص، فولدت له عمرو وعمير ، شهدت مع زوجها سعد معارك الفتوحات العربية الإسلامية ، ومنها القادسية وغيرها، وهي التي أطلقت أبو محجن الثقفي في يوم القادسية في خبر مشهور. ابن سعد،الطبقات،ج٥/ص١٦٨-١٦٩؛ الزركلي، الاعلام،ج٣/ص١١٤.

[٣] يوم أرماث أحد أيام معركة القادسية في العراق ، وأيام القادسية أربعة أيام ، الأول كان يسمى يوم أرماث، والثاني سمي بيوم (أغواث)، والثالث سمي بيوم (عماس)، أما الرابع فسمي بيوم (القادسية) ، وقد سميت الليلة التي تلت يوم أرماث (ليلة الهدأة)، أما الليلة التي تلت يوم أغواث فسميت (ليلة السواد) عند المؤرخين. للمزيد ينظر ، الطبري، تاريخ الطبري، ج٣/ص٥٢٩-٥٧٩؛ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج٢/ص٣٠٢؛ مسكويه، تجارب الأمم،ج١/ص٣٢٣، ج١/ص٣٢٩-٣٤٦.

[٤] الوفزة أن يرى الانسان مستوفز ، توفز في قعدته ، قعوداً غير مطمئن، أو جالساً على أحد الجانبين، قد استقل على رجليه ولم يستو قائماً. الفراهيدي ، العين، ج٧/ص٣٩٠؛ ابن منظور ، لسان العرب،ج١/ص٢٠٢.

[٥] تاريخ الطبري،ج٣/ص٥٤٢.

وسادة على سطح القصر يشرف علن الناس " [١] ، أما ابن حجر فذكر في الإصابة أنه طلع بجسده طلوعاً منعه من الركوب ، حينها عيرته بالجبن والغيرة قائلة : " **وامثناه! ولا مثنى اليوم للخيل! فلطمها سعد، وقال: أين المثنى؟ فقالت: أغيرة وجبنا! فقال سعد: ما يعذرني أحد إذا لم تعذريني وأنت ترين ما بي**" [٢]، وعلى أية حال فأن سعد عندما تقاعس عن الخروج إلى القتال، نجد أن سلمى كانت تقارنه بزوجها السابق المثنى بن حارثة الشيباني لتحرك فيه الغيرة والحماسة حتى يعود لقتال أهل الضلال والكفر.

وقد وجدنا المرأة المسلمة تقدم أغلى ما تملك إلى الموت ، ألا وهم أبنائها بكل حب ونفس راضية مطمئنة جهاداً في سبيل الله ، كما هو الحال مع ضباعة بنت عامر القشيرية التي عندما أستشهد أبنها سلمة[٣] في (مرج الصفر) من معارك الفتوحات في الشام ، فرثته شعراً قائلةً :

لا هم رب الكعبة المحرمة ... أظهر على كل عدو سلمة

له يدان في الأمور المبهمة ... إحداهما تردي وأخرى منعمه[٤] .

ويعد استخدام الأناشيد والأشعار في رفع معنويات المقاتلين من أهم أساليب العرب وخططهم العسكرية ، ومن هنا نرى بروز دور المرأة في رفع معنويات المقاتلين في والتشجيع على القتال والتفاني في الدفاع ، فكانت تلجأ إلى الأشعار التي تزيد حماسهم وتدفعهم للأقدام نحو الاعداء بكل فخر واعتزاز، إذ عملت المرأة هنا على بث ودعم الحماس النفسي للمحاربين ، من خلال تذكير المحاربين بانتصارات القبيلة السابقة ، فتشير الى عظمتها ومجدها فتملئ

---

[١] الكامل في التاريخ ، ج٢/ص٣٠٢.

[٢] الإصابة،ج٨/ص١٨٤.

[٣] سلمة بْن هشام بن المغرة ، كنيته أبا هاشم ، وهو أخو أَبِي جهل، أسلم وهاجر إِلَى الحبشة فِي الهجرة الثانية، ولما قدم الى مكة حبسه بها أبو جهل ، لذلك لم يأت الى المدينة إلا بعد غزوة الخندق، واستشهد يوم مرج الصفر في الشام. البلاذري ،أنساب الأشراف،ج١/ص٢٠٨.

[٤] البلاذري ، أنساب الأشراف،ج١/ص٢٠٨.

قلوبهم شجاعة وحماس وإقداماً ، ونستشهد على ذلك بأناشيد هند بنت عتبة في يوم ذي قار، فقد شجعت قومها على الاستبسال في القتال ضد جيوس الفرس بنشيد حماسي قالت فيه :

نحن بنات الطارق نمشي على النمارق

إن تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق [١].

وفي تفسير بنات الطارق قال الدميري (ت٨٠٨هـ): " **كأنها تقول نحن بنات النجوم** "، بمعنى شريفات رفيعات كالنجوم [٢] ، والجدير بالذكر أنه في معركة أحد قامت هند ومعها نسوة أخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم على القتال ، وتقول فيما تقول نحن بنات الطارق...[٣] ، وفي العصر الإسلامي نجد هند عند هزيمة المسلمين في معركة أحد تتباهى بالنصر على المسلمين ، قائلةً :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان عن عتبة لي من صبر أبى وعمى وشقيق بكري

شفيت نفسي وقضيت نذري شفيت وحشى غليل صدري

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد [٤] وهي واقفةً على صخرة تنادي بصوت عال :

خزيت في بدر وغير بدر يا بنت وقاع عظيم الكفر

صبحك الله غداة الفجر بالهاشميين الطوال الزهر

بكل قطاع حسام يفرى حمزة ليثي وعلى صقري[٥].

---

[١] الدميري ، حياة الحيوان،ج٢/ص٣٤٦.

[٢] الدميري ، حياة الحيوان،ج٢/ص٣٤٦.

[٣] ابن إسحاق، سيرة ابن اسحاق، ص٣٢٧؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ،ج٤/ص٢٠١.

[٤] هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، القرشي، اشتهرت في الجاهلي بشعرها الجاهلية، وروى إنها رثت عبيدة بن الحارث بن المطلب عندما أستشهد في معركة بدر الكبرى ، وأسلمت بعد معركة بدر، وبايعت رسول الله (ﷺ) وأطعمها رسول الله مع أخيها مسطح بن أثاثة بخيبر ثلاثين وسقًا ، تزوجت أبا جندب فولدت له ابنته ريطة ، توفيت نحو سنة(١٠ هـ/٦٣١م) . ابن سعد ،الطبقات،ج٨/ص١٨٢.؛ ابن الأثير، أسد الغابة،ج٧/ص٢٧٧.

وبعد سماع رسول الله (ﷺ) تحريض هند لقومها المشركين على قتال المسلمين ، قال دعائه : " **اللهم بك أحول وبك أصول**" [١].

أما عن المشاركة الفعلية للمرأة العربية في ساحات القتال ، فقد وجدنا مشاركة نماذج كثيرة من النساء المردفات ، ومنهن نسيبة بنت كعب ، أم عمارة [٢] ، التي كانت تغزو كثيراً مع رسول الله(ﷺ) ، إذ شاركت في معركة أحد مع زوجها غزية بن عمرو وولديها حبيب وعبدالله ، حتى إن رسول الله (ﷺ) قال لهم : " **رحمكم الله أهل البيت** " [٣]، وذلك أن أم عمارة عند هزيمة المسلمون باشرت تقاتل وهي تذب عن رسول الله (ﷺ) ، وقد روي ابن سعد عن أم عمارة : " **قالت أم عمارة قد رأيتني وانكشف الناس عن رسول الله (ﷺ) فما بقي إلا في نفير ما يتمون عشرة وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذب عنه والناس يمرون به منهزمين ورآني لا ترس معي فرأى رجلا موليا معه ترس فقال لصاحب الترس ألق ترسك إلى من يقاتل فألقى ترسه فأخذته فجعلت أتترس به عن رسول الله وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل لو كانوا رجالة مثلنا أصبناهم إن شاء الله فيقبل رجل على فرس فضربني وتترست له فلم يصنع سيفه شيئا وولى وأضرب عرقوب فرسه فوقع على ظهره فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصيح بابن أم عمارة أمك قالت فعاوننني عليه حتى أوزدته** "[٤]، وبذلك شهدت ام عمارة المجاهدة الأنصارية معركة أحد مع زوجها وولديها ،فكانت تباشر القتال بنفسها دفاعاً عن رسول الله (ﷺ) فهي أول محاربة من النساء في الإسلام حتى إن رسول الله

---

[٥] ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق،ص٣٣٣؛ابن هشام،سيرة ابن هشام،ج٢/ص١٩؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٧ /ص٢٧٧؛ ابن حجر ،الإصابة،ج٨/ص٣٤١.

[١] ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث،ج٣/ص٦١.

[٢] نسيبة بنت كعب، وقيل بنت الحارث، أم عطية الأنصارية ،غلبت عليها كنيتها ام عمارة، صحابية من أهل البصرة ، تزوجت في الجاهلية من زيد بن عاصم فولدت له عبد الله وحبيب، ولما مات عنها تزوجها غزية بن عمر المازني فولدت له تميم وخولة. ،فولدت. ابن سعد،الطبقات،ج٨/ص٣٠٣ ؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ،ج٤/ ص١٩١٩، ١٩٤٧؛ الحلبي، السيرة الحلبية،ج٢/ص٣١٣.

[٣] أبو نعيم الأصبهاني، حلية الاولياء،ج٢/ص٦٤؛الحلبي، السيرة الحلبية،ج٢/ص٣١٤.

[٤] ابن سعد الطبقات،ج٨/ص٣٠٤.

(ﷺ) قال عنها: " **بارك الله عليك يا نسيبة** "[١]، يتضح لنا مما سبق أن تميز المرأة الأنصارية تركت بصمة واضحة مثلت نساء الصدر الأول في المرحلة المدنية من عصر الرسالة من خلال المواقف الرائعة التي أثرت بها التاريخ الإسلامي .

ولا يخفى أن أم أيمن كانت من السابقات للإسلام والمهاجرات في سبيل نصرته واضافة إلى ذلك، فأنها لم تتخاذل عن المشاركة الفعلية في بعض معارك المسلمين ضد المشركين، فقد كانت أم أيمن حاضرة يوم غزوة أحد ، وقد أصيبت أم أيمن حاضنة رسول الله (ﷺ) بسهم في أحد وهي تسقي الماء للجرحى ، وروي عن عمر بن الخطاب أنها حضرت معركة أحد وكانت تزفر القرب للمسلمين[٢]، وكذلك الحال مع أم سليم ، وشوهدت حمنة بنت أبي جهل في أحد، وهي تسقي العطشى وتداوي الجرحى[٣] نلاحظ مما سبق إن اهتمام رسول الله (ﷺ) وعنايته بالمسلمين في ساحات القتال ، كان نابعاً من بعد نظر عسكري متقن ، ذلك إن قطع امدادات الطعام أو الشراب عن المقاتلين من شأنه أن يضعف المقاتل ويؤثر بشكل سلبي على سير العملية القتالية ، فعند منع وصول هذه الإمدادات الى العسكر يهلك المحارب دون قتال .

وفي غزوة الخندق سنة(٥هـ/٦٢٦م) وقعت على المرأة المسلمة مسؤولية عظيمة لا تقل عن مسؤولية الرجل المسلم في الجهاد ، فالمشركون في هذه الغزوة حاصروا المسلمين بالمدينة ففرضوا عليهم حصاراً عسكرياً من الداخل والخارج ، من المشركين واليهود والمنافقين والمرجفون من داخل المدينة ، فاجتمع على النبي محمد (ﷺ) والمسلمين البرد والجوع والخوف حتى خيف على النساء والذراري[٤]، ومن الأهمية ان نذكر هنا دور صفية بنت عبد

---

(١) المجلسي ، بحار الأنوار،ج٢٠/ص٥٤.
(٢) ابن عبد البر ،الاستيعاب ،ج٤/ص١٩٤٠.
(٣) الواقدي، المغازي،ج١/ض٢٤٩-٢٥٠.
(٤) هادي ، محطات من السيرة النبوية ، ص٥٠٠.

المطلب[١] عمة رسول الله (ﷺ) التي وقفت موقف مشرف في غزوة الخندق ، إذ أن صفية كانت في حصن حسان بن ثابت [٢] وهو الحصن الذي فيه النساء والاطفال لان المسلمين كانوا منشغلين عن حماية النساء لمواجهة جيوش الاحزاب ، فعندما ابصرت صفية رجل يهودي يطيف بالحصن حينها قالت لحسان بن ثابت: " **أن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من ورائنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله (ﷺ) وأصحابه فانزل إليه ، فقال : " يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لو عرفت ما أنا بصاحب هذا** "، فأخذت صفية عمودًا ونزلت إلى اليهودي فضربته حتى قتلته ، فرجعت وقالت لحسان : " **أنزل إليه فاسلبه فلم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل** " ، فقال لها: " **مالي بسلبه من حلجة يا بنت عبد المطلب** " [٣].

ولم تكتف للمرأة المسلمة دوراً كبيراً وعظيماً في الدفاع عن حدود المدينة يوم الخندق ، بل خرجت للقتال خارج حدود المدينة ، ففي غزوة الحديبية في سنة (٦هـ/٦٢٧م) نجد أن المرأة المسلمة تعاملت بحكمة مع المواقف الحاسمة ، فبعد وصول النبي الأكرم (ﷺ) إلى الحديبية وإقامته فيها منعه كفار قريش من دخول مكة لإداء العمرة ، مما أدى الى تأزم الأمر فيما

---

[١] وكان أول من تزوجها الحارث بن حرب بن أمية فولدت له صفيا ، وبعد وفاته تزوجها العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، فولدت له الزبير، والسائب، وأسلمت وروت عن رسول الله (ﷺ) ، وتوفيت فى خلافة عمر بن الخطابسنة٢٠هـ ، ولها من العمر ثلاث وسبعون سنة، ودفنت بالبقيع، بفناء دار المغيرة بن شعبة. ابن سعد، الطبقات،ص٣٤-٣٥؛ ابو نعيم، معرفة الصحابة،ج٦/ص ٣٣٧٧؛ ابن حجر ،الاصابة ،ج٨/ص٢١٣-٢١٤؛الفاسي، العقد الثمين،ج٦/ص٤٠٩.

[٢] حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الانصاري ، ابو عبد الرحمن وقيل ابا الوليد، وكان حسان قبل الإسلام يتكسب بالشعر ويتنقل بين بلاطي الغساسنة والمناذرة ولما ظهر الإسلام وهاجر النبي محمد(ﷺ) إلى يثرب اسلم كان حسان ممن أسلم من الأوس والخزرج، وعلى الرغم من اسلامه المبكر في المدينة إلا أنه لم يشارك مع رسول الله (ﷺ) المشاهد ، قيل لأنه كان جباناً، فقد نصر الإسلام بلسانه لا بسيفه ،فكان أول من بدأ فن الشعر في المديح النبوي، روي أن رسول الله (ﷺ) دعا له :" اللَّهم أيده بروح القُدُس "، وقد روي عن رسول الله(ﷺ) ، توفي وله (١٢٠) عام سكن المدينة وروى عن النبي (ﷺ) توفي بين سنة(٥٠هـ/٦٧٠م) أو(٦٠هـ/٦٧٩م) وعمره ما يقارب ١٢٠عام ، عاش ستين عاماً في الجاهلية وستين في الإسلام. البغوي ، معجم اصحاب،ج٢/ص١٥٠؛ الكلاباذي ، رجال صحيح البخاري،ج١/ص١٨٣-١٨٤؛ أبو نعيم، معرفة الصحابة، ج ٢/ص٨٤٥؛الذهبي ،تاريخ الإسلام،ج٢/ص٤٨٤.

[٣] ابن هشام ،السيرة النبوية،ج٢/ص٢٢٨؛ الطبري ، تاريخ الطبري،ج٢/ص٦٣١-٦٣٧؛ ابن حجر ،الإصابة ،ج٨/ص٢١٣-٢١٤.

بينهم ، وفي هذا الموقف الحرج أشارت زوج الرسول (ﷺ) أم سلمة على رسول الله (ﷺ) أن يخرج ولا يكلم أحداً منهم حتى ينحر ويحلق رأسه فخرج رسول الله (ﷺ) وفعل ما اشارت عليه أم سلمة [١]، ولما رأوه الصحابة ذلك قاموا ونحروا ، مما يوضح إنه كان لاستشارة أم سلمة فضل كبير في إلتزام الصحابة لأمر النبي (ﷺ) .

وبعد أن احصر رسول الله (ﷺ) في هذه العمرة التي سميت ب(عمرة القضاء) لأن رسول الله(ﷺ) قاضاهم على أن يرجع عنهم في عامه هذا ، ومن ثم يأتيهم في العام المقبل لإداء العمرة ، نذكر هنا موقف النبي (ﷺ) مع سلمى بنت عميس الخثعمية وأبنتها عمارة بنت الحمزة بن عبد المطلب ، إذ أخرجهما رسول الله(ﷺ) من مكة بعد انقضاء مدة أقامته في مكة (ثلاثة أيام) [٢] ، ذلك أن زوج سلمى (شداد بن الهاد الليثي) كان قد خرج للجهاد مع رسول الله (ﷺ) تاركًا زوجته وابنتها في مكة [٣]

وكان للحضور النسوي في غزوة خيبر سنة (٧هـ/٦٢٨م). أثر بارز في تحقيق المسليون لأهدافهم في هذه الغزوة ، فقد كان حضور المرأة في هذه الغزوة فعال ، ذلك أن حصار خيبر دام لما يقارب الشهر، وعليه كان لابد من العمل الدؤوب المستمر لتحقيق أهداف الغزوة العقيدية والاجتماعية ، وكان عدد النساء المشاركات في تلك الغزوة عشرين امرأة ، ومن النساء المردفات منهن ، أم عمارة نسيبة بنت كعب، وأم أيمن ، وأم سليم بنت ملحان ، وأم سليط الانصارية[٤].

وعن غزو النساء مع رسول الله (ﷺ) لابد من ذكر معركة حنين سنة (٨هـ /٦٢٩م) التي شوهدت فيها المرأة وهي تقاتل جنباً إلى جنب رسول الله (ﷺ) ، وخير مثال على ذلك أم سليم

---

[١] الطبري ، تاريخ الطبري،ج٢/ص٦٣٧.

[٢] ابن سعد، الطبقات،ج٣/ص٤٣٤.

[٣] ابن حجر، الإصابة ،ج٣/ ص ٢٦٢.

[٤] أم سليط بنت عبيد بن زياد النجارية ، وهي أم قيس ، كناها عمر بابنها سليط بن أبي سليط بن أبي حارثة، ذكر ابن سعد انها تزوجت عَمْرو بْن قيس بْن مالك بْن عدي بن النجار، فولدت له سليط وفاطمة ، أما ابن حجر فنقل " أنها تزوّجت بعد أبي سليط مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري ، فولدت أبا سعيد، فهو أخو سليط بن أبي سليط لأمه . .الطبقات،ج٨/ص٣٠٧-٣٠٨؛ ابن عبد البر ،الاستيعاب ج٤/ص١٩٤٠؛الإصابة،ج٨/ص٤٠٨.

بنت ملحان التي شاركت في الجهاد مع زوجها أبو طلحة ، وهي حامل بابنها عبد الله بن أبي طلحة [١] يوم حنين[٢] ، روي ابن كثير " **قال : أبو طلحة لقي أم سليم ومعها خنجر فقال أبو طلحة ما هذا ؟ فقالت إن دنا مني بعض المشركين أن أبعج في بطنه ، فقال أبو طلحة: أما تسمع ما تقول أم سليم ؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله أقتل من بعدها من الطلقاء انهزموا بك ، فقال : " إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم** " [٣]، وشاركت أم أيمن كعادتها مع رسول الله (ﷺ) في غزوة حنين نصرةً لدين الله تعالى ومعها ولداها أيمن وإسامة بن زيد [٤] .

أما عن دور المرأة الجهادي في العصر الراشدي ، فمن الأهمية أن نورد هنا دور أم عمارة ، في حروب الردة التي حدثت في عهد الخليفة أبو بكر الصديق ، وبالرغم من قلة الروايات التاريخية التي تبين دور النساء في حروب الردة ، إلا أننا نجد أن دور المشرف لأم عمارة يساوي دور عشرات الرجال والنساء ، فيكفيها فخرًا أنها بايعت رسول الله في بيعة العقبة الثانية ومعركة أحد مع رسول الله (ﷺ) كما ذكرنا آنفاً [٥]، فقد شاركت أم عمارة بمعركة اليمامة أيضاً، وقد روت أم عمارة دورها في المعركة نقلاً عن الكلاعي (ت: ٦٣٤هـ/١٢٣٦م) ، أنها قالت : " **فلما تهيأ بعث خالد بن الوليد إلى اليمامة جاءت أم**

---

[١] عبد الله بن أبي طلحة واسمه زيد بن سهل بن الأسود الانصاري ،اخو مالك بن أنس لأمه ، ولد بعد غزوة حنين ، روي عن مالك أن أمه أم سليم أمرت مالك أن يذهب به الى رسول الله(ﷺ) ليحنّكه، فكان أوّل شيء دخل جوفه ريق النبيّ محمد (ﷺ) ، فحنّكه بتمرة، وجعل يتلمظ، فقال: " **حبّ الأنصار التّمر**" ، كما سماه عبد الله ، فنشأ عبد الله بالمدينة، فتعلم العلم ،وجاءه عشرة أولاد كانوا من قراء القرآن الكريم وقد تعلم أكثرهم العلوم وعلموه ،ومنهم اسحاق بن عبد الله شيخ مالك ، وعبد الله بن عبد الله ، وقد روي عبد الله بن أبي طلحة عن رسول الله (ﷺ) أحاديث قليلة، إذ روى عن أبيه وأخيه لأمه أنس، كما روى عنه ابناءه إسحاق، وعبد الله، وحفيده ابن ابنه يحيى بن إسحاق، وغيرهم ، توفي قبل أنس بمدة ليست بكثيرة . ابن سعد، الطبقات ،ج٥/ص٥٥٥؛ الذهبي، سير ،ج٣/ص٤٨٢-٤٨٤؛ابن حجر ،الاصابة،ج٥/ص١٣.

[٢] ابن سعد،الطبقات،ج٥/ص٥٥.

[٣] السيرة النبوية، ج٣/ص٦٢٠.

[٤] الهيثمي، مجمع الزوائد،ج٦/ص١٧٩.

[٥] ابن عبد البر، الاستيعاب ،ج١/ص٧؛ الحلبي، السيرة الحلبية،ج٢/ص٣١٤؛ السلامي، الروض الآنف،ج٤/ص٧٠؛ البداية والنهاية ،ج٣/ص١٦٠.

عمارة إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فاستأذنته في الخروج ، فقال لها أبو بكر : ما مثلك يحال بينه وبين الخروج ، قد عرفناك وعرفنا جزاءك في الحرب ، فاخرجي على اسم الله . قالت فيما حدث به عنها ابن ابنها عباد بن تميم بن زيد : فلما انتهوا إلى اليمامة ، واقتتلوا ، تداعت الأنصار : أخلصونا، فأخلصوا ، فلما انتهينا إلى الحديقة ازدحمنا على الباب ، وأهل النجدة من عدونا في الحديقة ، قد انحازوا ، يكونون فئة لمسيلمة ، فاقتحمنا فضاربناهم ساعة ، والله يا بنى ما رأيت أبذل لمهج أنفسهم منهم ، وجعلت أقصد لعدو الله مسيلمة لأن أراه ، وقد عاهدت الله لئن رأيته لا أكذب عنه أو أقتل دونه ، وجعلت الرجال تختلط ، والسيوف بينهم تختلف ، وخرص القوم ، فلا صوت إلا وقع السيوف ، حتى بصرت بعدو الله فأشد عليه ، ويعرض لى منهم رجل ، فضرب يدى فقطعها ، فو الله ما عرجت عليها حتى أنتهى إلى الخبيث وهو صريع ، وأجد ابنى عبد الله قد قتله " [١] ، فلما حضر ابنها حبيب هذه المعركة الذي قتله مسيلمة الكذاب ، بعدما سأله الأخيران يقول : " **أتشهد إني رسول الله ؟ فأجابه حبيب قائلاً : " أتشهد أن لا أسمع حتى قطع اعضاء جسده عضواً عضواً ، فقطع يديه من المنكبين ورجليه من الوركين ، فقال مسيلمة له: أتشهد أني رسول الله "، فأجابه وقال : لا اسمع ، ثم قال له مسيلمة : " محمد رسول الله ،فقال نعم ، فقام مسيلمة بحرقه بالنار حتى مات** "، ولما بلغ أمه نسيبة الأنصارية الخبر اقسمت أن تموت دون مسيلمة أو تقتل، لذلك شهدت أم عمارة معركة اليمامة مع خالد بن الوليد الذي كان يقدرها في المعركة [٢] ، وعبد الله أبنها هو القاتل لمسيلمة الكذاب لعنه الله حسب ما رجحه الحلبي ، الذي روي أن أم عمارة قالت : " **يوم اليمامة تقطعت يدي وأنا أريد قتل مسيلمة ، وما كان لي ناهية: أي مانعة حتى رأيت الخبيث مقتولا، وإذا ابني عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه، فقلت: أقتلته؟ فقال نعم،**

---

[١] الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (ﷺ)، ص١٣١.

[٢] ابن كثير، السيرة النبوية ،ج٢/ص٢١٢.

فسجدت لله شكرا " [١]، في حين ذكر ابن هشام أن قاتله وحشي[٢] ، وقد روي أن نسيبة الأنصارية جرحت اثنتي عشرة جرحاً ما بين ضربة سيف وطعنة رمح وضربة رمح ، حتى إنها قطعت يدها فبقيت ثابتة تقاتل الى نهاية المعركة ، وعندما عادت إلى المدينة وأصبحت تحت المداواة كان الخليفة أبو بكر يزورها ويعودها بنفسه[٣] .

وكان للمرأة دوراً واضحاً في معارك الفتوحات الإسلامية ، حيث كانت الجيوش الإسلامية تخرج ومعها النساء والذراري ، فقد ذكر البلاذري أن الخليفة أبو بكر لما فرغ بكر من أمر أهل الردة رأى توجيه الجيوش إِلَى الشام فكتب إِلَى أهل مكة ، والطائف ، واليمن ، وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي الغنائم ، فسارع الناس إليه من مجاهد وطامع[٤] ، وكان منهم قبائل بنو حمير من أهل اليمن ومعهم ألادهم ونساؤهم ، الذين قدموا بالذراري والأموال والنساء والأطفال ، وقد قال أبو بكر الصديق للإمام علي بن أبي طالب (ﷺ) يا أبا الحسن أما سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : " **إذا أقبلت حمير ومعها نساؤها تحمل أولادها فأبشر بنصر الله على أهل الشرك أجمعين فقال الإمام علي صدقت وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنس رضي الله عنه وسارت حمير بكتائبها وأموالها وأقبلت من بعدها كتائب مذحج أهل الخير العتاق والرماح الدقاق وأمامهم سيده**" [٥].

فقد كان للمرأة حضور مادي ومعنوي ساعد بشكل وبآخر على تعزيز الروح الجهادية لدى الرجال ، ففي معركة اليرموك سنة(١٣هـ/٦٣٤م) كانت النساء تستقبل المسلمين وهي تقول : " **ابشر بالجنة يا ولي الله** " ، وقد ذكر الواقدي في فتوح الشام أن أبو عبيدة الجراح أمر النساء بتحريض الرجال على الاستبسال بالمعركة بقوله : " **فأقبل أبو سفيان إلى أبي عبيدة**

---

[١] الحلبي، السيرة الحلبية ،ج٢/ص٣١٤.

[٢] سيرة ابن هشام، ج٢/ص٧٢؛ السلامي ،الروض الآنف ، ج٥/ص٣١٦.

[٣] ابن كثير، السيرة النبوية ،ج٣/ص١٦٨.

[٤] معجم البلدان ، ص١١١.

[٥] الواقدي ، فتوح الشام، ص٦.

وقال له أيها الأمير مر نساءنا أن يعلون على هذا التل قال نعم الرأي ما رأيت فأمرهن بذلك ففعلن وعلون على التل وحصن أنفسهم وأولادهن ومعهن الأطفال والأولاد فقال لهن أبو عبيدة خذن بأيديكن أعمدة البيوت والخيام وأجعلن الحجارة بين ايديكن وحرضن المؤمنين على القتال فإن كان الامر لنا والظفر فكن على ما أنتن عليه وان رأيتن أحدا من المسلمين منهزما فاضربن وجهه بأعمدتكن واحصبنه بحجارتكن وارفعن اليه أولادكن وقلن له قاتل عن أهلك وعن دين الاسلام فقال النساء أيها الأمير أبشر بما يسرك " [١].

وقد أوضح ابن أعثم الكوفي ما قامت به هند بنت عتبة مع مجموعة من النساء ، ومنهن خولة بنت الأزور، وخولة بنت ثعلب الأنصاري ، ونعيمة بنت فياض ، ولعوب بنت مالك بن عاصم ، وسلمى بنت هاشم ، وإبانة بنت جرير الحميرية ، وكانت بمقدمتهن هند بنت عتبة ، وهن يقلن هذه الأبيات الشعرية :

يا هاربا عن نسوة ثقات لهم جمال ولهم ثبات

تسلمهم طرا إلى الهنات تلك نواصيهم مع البنات

أعلاج سوء فسق عتات ينلن منا أعظم الشيات[٢] .

فرجع المسلمون رجعة عظيمة لما سمعوا من تحريض النساء على القتال ، ثم قالت هند الشعر الذي قالته في معركة أحد :

نحن بنات طارق نمشى على النمارق

مشى القطا الموافق ان تقبلوا نعانق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

كل كريم عاشق يحمى عن العواتق[٣].

---

[١] الواقدي ، فتوح الشام، ج١/٢٠٢.

[٢] ابن اعثم الكوفي ،الفتوح،ص٢٠٢.

[٣] ابن اعثم الكوفي ،الفتوح،ص٢٠٢.

ثم دخلت هند خيل ميمنة المسلمين فرأتهم منهزمين صاحت بهم : " **إلى أين تفرون من الله وجنته وهو مطلع عليكم** ؟ " وعندما نظرت إلى زوجها أبي سفيان وهو مهزوم قامت بضرب وجه حصانه بعمودها ، ثم قالت له : " **إلى أين يا بن صخر ؟ ارجع إلى القتال وابذل مهجتك حتى يمحص الله عنك ما سلف من تحريضك على رسول الله صلى الله عليه وسلم** ". ومما يلاحظ على مواقف هند بنت عتبة هو التناقض او الفارق بين مواقفها في معركتي أحد واليرموك ، إذ أنها في معركة أحد جسدت كل معاني الكره الحقد على رسول الله (ﷺ) والمسلمين ، لدرجة أنها أخرجت فأتت مصرع الحمزة بن عبد المطلب فمثلت بجسده ، فأخرجت كبده وأرادت مغضه[١] ، والمتأمل لفعلتها هذه يرى حقيقة إسلامها وما يقال حول إسلامها ، وإيمانها ثم الحكم عليها بالجنة ، فهل كان إسلامها حقيقياً ؟ أم أن واقع انتصار الدعوة الإسلامية قد فرضت عليها اعلان الإسلام ظاهريًا ، كغيرها ممن هم على شاكلته ، وعلى النقيض من ذلك في موقفها في معركة اليرموك ، وهي تحرض المسلمين على قتال المشركين بأبياتها الشعرية المشهورة ، وهذا ما أثار التعجب عند الزبير بن العوام الذي قال في ذلك : " **لما سمعت كلام هند لأبي سفيان ذكرت يوم أحد ونحن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تحرض المشركين بهذا الشعر على قتال المسلمين ، فتعجبت من ذلك وقلت : لك الحمد ، اللهم تفعل ما تشاء ، سبق علمك في خلقك ولا يعلم الغيب غيرك** ." [٢] .

ولم تكتف النساء بالدعم المعنوي للمسلمين بل شاركت في القتال بنفسها ، وهذا ما شهد به الزبير بقوله : " **رأيتهن وهن يسابقن المسلمين وهن بين أرجل الخيل ، ولقد رأيت الامرأة تقبل إلى العلج العظيم وهو على فرسه متعلق به فلا تفارقه حتى تنكسه عن الجواد ثم تقتله ، وتقول : " هذا بيان نصر الله"** ، يدلل موقف النساء هنا ، إن دخول المرأة المسلمة في ساحات الوغى ، كان أمراً اضطراريًا قد حتمته عليها الظروف التي احيطت بالمسلمين

---

[١] العاملي ، الصحيح من سيرة،ج٧/ص٢٥٦.

[٢] الواقدي، الفتوح ،ج١/ص٢٠٧؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح،ص٢٠٣.

والتي أدت الى انسحاب المسلمين تجاه قوة الروم العاتية ، فما كان من المرأة إلا أن تقوم بمشاركة المسلمين الفعلية للقتال ، شعوراً منها بمسؤوليتها ودورها تجاه الإسلام على الرغم من إن الدين الإسلامي لم يشرع لها القتال لضعف قدراتها البدنية في حمل السلاح وغيرها من الأسباب الأخرى ، وفي حديث لرسول الله (ﷺ) أنه قال : " **على النساء ما على الرجال إلا الجمعة والجنائز والجهاد** " [١] ، وبينما كانت النساء تقاتل في معركة اليرموك مع الرجال في ساحات المعركة ، انهزمت نساء جذام ولخم وخولان، فخرجت نسوة ومنهن أم حكيم بنت الحارث[٢] فجعلن يضربن وجوههن ويقلن: " **أخرجن من بيننا فأنتن توهن جمعنا** " ، وكانت أم حكيم تنادي: " **يا معاشر العرب احصدوا الغلف بالسيوف** " [٣]، يتضح مما سبق أن دور للنساء دور في منع المقاتلين من التقهقر والهزيمة ، ولم يقتصر دور المرأة على تحريض الرجال فقط ، بل كانت تشجع النساء ايضاً، وقد ظهر ذلك جليا عندما بدأت بوادر الضعف والهزيمة تظهر مواقف بعض النساء ، عملن على اخراج من ظهر عليها الضعف حتى لا يقع الضعف والوهن في بقية النساء ، ومما يلفت الانتباه هنا ، إن عقيدة العرب العسكرية ركزت على حقيقة مهمة ارتبطت بالروح المعنوية ، وهي " **إن فعالية أي سلاح ترتبط بقوة المقاتل المعنوية أكثر من أي شيء آخر**" [٤].

والجدير بالملاحظة بمكان الاشارة ، أنه عند تتبع مجريات أحداث معركة اليرموك وجدنا أن معركة اليرموك قد طالت لمدة كثر فيها الكر والفر ، ولم تكن ليوم واحد كما نقل لنا بعض

---

[١] الصنعاني، مصنف الصنعاني،ج٥/ص٢٩٨.

[٢] لابد من الاشارة إلى أن أم حكيم قتلت وهي عروس في مرج الصفر ،وذلك عندما اراد زوجها الثاني خالد بن سعيد بن العاص لم توافق على الزواج منه إلا بعد تحقيق النصر على الاعداء في موقعة مرج الصفر ،إذ قالت: " **لو تأخرت حتى يهزم الله هذه الجموع؟ فقال: إن نفسي تحدثني أني أقتل؟ قالت: فدونك**" ، فأعرس بها عند القنطرة التي عرفت فيما بعد ذلك (قنطرة أم حكيم) ، ثم أصبح فأولم فما أن فرغوا من الطعام حتى جاءهم الروم فوقع القتال بين الطرفين، فاستشهد خالد، فقامت أم حكيم وشدت عليها ثيابها وكان عليها أثر الخلوق ، فاقتتلوا على النهر، فأخذت تقاتل بعمود فسطاط الخيمة الّذي أعرس بها خالد فيه سبعة من الروم ثم قتلت. ابن سعد،الطبقات،ج٨/ص٢٠٥-٢٠٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤/ص١٩٣٢-١٩٣٣؛ ابن حجر،الاصابة،ج٨/ص٣٧٩.

[٣] الواقدي، فتوح الشام،ص٢١٨.

[٤] عطا سلمان ،العقيدة العسكرية، ص١٩٥.

المؤرخين ، وقد كان الغرض من ذلك الاختصار هو التغطية على هزيمة بعض المسلمين في المعركة حتى إن النساء وبختهم ، وهذا ما وضحه الواقدي قائلاً : " **وكان اليوم الثالث من اليرموك يوماً شديداً انهزمت فيه فرسان المسلمين ثلاث مرات ! كل مرة تردهم النساء بالحجارة والعمد ويلوحون بالأطفال إليهم ، فيرجعون إلى القتال ! ولم يزل القتال قائماً إلى أن أقبل الليل بسواده ورجعت الروم إلى مواضعها ، والقتل فيهم كثير، وفي المسلمين قليل ، إلا أن الجراح فيهم فاشية من النشاب ، فلما دخل الليل بسواده ، رجعت كل فرقة إلى أماكنها ، وباتوا تحت السلاح** " [١] .

أما عن (يوم التعوير) [٢]، وهو اليوم الرابع من معارك اليرموك الذي اشتد فيه القتال بين المسلمين والروم ، وفيه نقل الواقدي قائلاً : " **قال عبد الله بن قرط الأسدي شهدت القتال كله فلم أر قتالا أشد من يوم التعوير ورجعت الخيل على أذنابها وقاتلت الامراء بأنفسها والرايات بأيديهم حتى كان أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمسبب بن نجيبة الفزاري وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق والفضل بن العباس يقاتلون قتالا شديدا قال عبد الله بن قرط فقلت في نفسي وكم مقدار ما يقاتلون هؤلاء وهم نفر يسير حتى ساعدتنا النساء اللاتي شهدن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد يداوين الجرحى ويسقين الماء ويبرزن إلى القتال ولم أر امرأة من نساء قريش قاتلت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في اليمامة مع خالد مثل ما قاتلت نساء قريش يوم اليرموك حين دهمهن القتال وخالط الروم المسلمين فضربن بالسيوف ضربا وجيعا وذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان قد انضم النساء المهاجرات لغيرهن وقامت الحرب على**

---

[١] الواقدي ، فتوح الشام،ص٢١٢.

[٢] روي عن سبب تسميته بيوم (التعوير) ولك لآنه بعد خروج أحد بطارقة الروم في معركة اليرموك قام خالد بن الوليد بن الوليد بقتله ، وكذلك قام خالد بقتل زوج بنت ملك اللان وسلبه تاجه ومنطقته وصليبه ودرعه ،فلما أخبر ماهان بذلك غضب وقال: " **وقال سيدان منا قتلا في يوم واحد واني أظن أن المسيح لا ينصرنا ثم أمر الرماة أن يرموا عن يد واحدة** " ، فأطلق الروم سهامهم نحو المسلمين دفعة واحدة ،وكانت مائة ألف سهم ،فوقعت النشاب في عساكر المسلمين كسقوط المطر من السماء فكثرت الجراح في المسلمين، فأعور من المسلمين سبعمائة عين لذلك سمي ذلك اليوم بيوم التعوير. الواقدي، فتوح الشام،ص٢١٧.

ساق وتنادى النساء بأنسابهن وأمهاتهن والقابهن وجعلن يقاتلن قتال الموت ويضربن وجوه الخيل بالعمد ويلوحن بالأطفال وجعل النساء بعضهن يقاتل المشركين وبعضهن يقاتل المسلمين حتى رجعوا إلى قتال المشركين" [١].

وأكد ابن كثير أنّ عمرو ابن العاص أنهزم في أربعة حتى وصلوا إلى النساء ثم رجعوا حين زجرنهم النساء ، وتراجع شرحبيل بن حسنة وأصحابه ، وثبت يزيد بن أبي سفيان وقاتل قتالا شديدا ، بعدما أن أباه مر به ، كما نقل ابن كثير عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : **"هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتا يكاد يملأ العسكر يقول: يا نصر الله اقترب ، الثبات الثبات يا معشر المسلمين ، قال:" فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد "** [٢] ، من الملاحظ أن ابن كثير أراد اخفاء بعض الشخصيات التي انهزمت بالمعركة كما في قوله : " **انهزم عمرو ابن العاص في أربعة** "، إذ لم يعرب ابن كثير عن أسماء تلك الشخصيات ، وفي الوقت نفسه أراد ابن كثير ابراز شخصيات أخرى وفقاً لميوله المذهبية كما هو الحال في ذكره لدور أبو سفيان وابنه يزيد لقوله: " **فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد** "، فضلاً عن التركيز على دور هند بنت عتبة في المعركة الذي أثار استغراب الزبير بن العوام كما أسلفنا سابقاً .

أما ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق فنقل لنا قائلاً : " **قالوا وشد طرف من الروم على عمرو بن العاص فانكشف هو وأصحابه حتى دخلوا أول العسكر وهم في ذلك يقاتلون ويشدون ولم ينهزموا هزيمة ولوا فيها الظهر قال فنزلن النساء بعمدهن من التل فضربن وجوه الرجال ونادت الناس أم حبيبة ابنة العاص فقالت قبح الله رجلا يفر عن حليلته وقبح الله رجلا يفر من كريمته قالوا وسمع نسوة من النساء المسلمين يقلن فلستم بعولتنا إن لم تمنعونا قال فتراد المسلمون وزحف عمرو وأصحابه حتى عادوا إلى موقفهم قالوا وقاتل**

---

[١] الفتوح، ص٢١٨.

[٢] البداية والنهاية،ج٧/ص١٤.

أيضا شرحبيل بن حسنة في ربعه الذي كان فيه فكان وسطا من الناس إلى جنب سعيد بن زيد وانكشف عنه أصحابه فثبت" [١].

والمتأمل للروايات السابقة يجد بوضوح إن أكثر مؤرخي التاريخ الإسلامي ، قد نمقوا صور العرب المشاركين في تلك المعركة في نظر القارئ ، فبالرغم من مشاركة الكثير من المسلمين في تلك المعركة ، وهذا ما أكده ابن عساكر" **شهد اليرموك ألف رجل من اصحاب رسول الله (ﷺ) فيهم نحو من مائة من أهل بدر**" [٢] ، إلا أننا وجدنا المسلمين أنسحبوا وفروا من القتال خوفًا من الروم ، لذلك حاول بعض المؤرخين إخفاء آثار تلك الهزيمة ، وذلك بالتركيز على الدور النسوي في المعركة ، إذ أرجعوا صمود المسلمين ومقاومتهم لقوى الروم كانت بفعل دعم النساء للروح المعنوية لدى المقاتلين ، والأكثر من ذلك مشاركة النساء الفعلية في القتال ، فضلاً عن دعم النساء لبعضهن البعض كما ذكرنا ذلك.

أما في العصر الأموي ، فبالرغم من الفتن الكبيرة التي أنتابت الأمة الإسلامية أبان حكم الأمويين ، إلا أن الخلافة الأموية امتازت بالتوسع نتيجة العمليات العسكرية المستمرة ، إذ لم يكن للأمويين شغل إلا القتال وباسم الجهاد في سبيل الله ، وهذا ما أوضحه ابن كثير بقوله : " **فكانت سوق الجهاد قائمة في بنى أمية ليس لهم شغل إلا ذلك** " [٣].

فكان بنو أمية إذا ما أرادوا الجد في اقتال حملوا معهم النساء لإثارة الغيرة على النساء ، روي أن أم حرام[٤] نقلت عن رسول الله (ﷺ) أنه كان في بيتها في أحدى الأيام فضحك ، وقال:

---

[١] تاريخ مدينة دمشق ،ج٢/ص١٥٦.

[٢] تاريخ مدينة دمشق، ج٢/ص١٤٣.

[٣] البداية والنهاية ،ج٩/ص٨٧.

[٤] أم حرام بنت مِلْحان ، واسمه مالك بن خالد بن زيد من بني النَّجار الأنصارية، يقال لها: الغُميصاء، وقيل الرميصاء، أخت أم سليم وخالة أنس بن مالك ، وزوجة عبادة بن الصامت ، لها صحبة روت عن رسول الله (ﷺ)، جعلها ابن سعد من النساء المردفات إذ ذكر أن زوجها الأول (عبادة بن الصامت)الذي ولدت له محمد، وزوجها الثاني (عمرو بن قيس بن زيد بن مالك النجاري) الذي ولدت له قيس وعبد الله، بينما تؤكد بقية المصادر إنها كانت زوجة لعبادة بن الصامت فقط الذي خرجت معه للغزو إلى قبرص. الطبقات،ج٨/ص٤٣٤؛ أبو نعيم، معرفة الصحابة،ج٣/ص١٥٩٠؛ ابن عبد البر،الاستيعاب،ج٤/ص١٩٣١؛ابن حجر،الاصابة،ج٨/ص٣٧٥-٣٧٦.

" عرض علي أناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرّة " . قالت : فقلت: يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، ثم نام فاستيقظ وهو يضحك ، فقلت : يا رسول الله ، ما يضحكك؟ فقال: " عرض عليّ أناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرّة " . قلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم. قال : " أنت من الأوّلين" [١]. ففي غزوة قبرص[٢] سنة (٢٧هـ /٦٤٨م) خرجت أم حرام مع زوجها عبادة بن الصامت ، فلما جاز البحر ركبت دابة فصرعتها فقتلتها فدفنت فيها ، وكان ذلك في خلافة عثمان وإمارة معاوية بن أبي سفيان[٣] ، فقد سمح عثمان لمعاوية بالخروج للغزو بعد أن اشترط عليه كما نقل الطبري " **لا تنتخب الناس ، ولا تقرع بينهم ،خيرهم فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه** "[٤] ، وقد قرن البلاذري موافقة عثمان على غزو معاوية قبرص ، بخروج امرأة معاوية (فاختة بنت قرظ بن عمرو) معه إذا ركب البحر [٥]. يبدو أن شروط عثمان ومواثيقه التي أخذها من معاوية على خروجه لغزو البحر ، كانت لأسباب منها خوف العرب من ركوب البحر ، خاصة وأن العرب لم يركبوا بحر الروم قبلها على حد قول البلاذري[٦] ، حتى أن الخليفة عمر رفض طلب معاوية هذا من قبل ، إلا أن عثمان وافق بشروط سبقت الإشارة إليها ، و بخصوص شرط خروج زوجته معه فمن المؤكد أن لخروج المرأة في المعارك أثر بالغ الأهمية ، كونها تبعث القوة والعزيمة والشجاعة لدى الرجال.

---

[١] البخاري، صحيح البخاري،ج٤/ص١٦؛ مسلم، صحيح مسلم،ج٣/ص١٥١٨؛ أبي داود، سنن أبي داود،ج٣/ص٦؛ الترمذي، سنن الترمذي،ج٤/ص١٧٨.

[٢] تقع قبرص عند مفترق الطرق البحرية بين الشرق الأدنى والأوسط وآسيا الصغرى وافريقيا من ناحية و أوربا من ناحية اخرى ،مما أعطاها أهمية خاصة في السيطرة على هذه الطرق ومن ثم التحكم بها. المقدسي ،أحسن التقاسيم، ص،ص١٨٤؛ عثمان، تاريخ قبرص، ص٢٣.

[٣] ابن حجر، الاصابة، ج٨/ص٣٧٦-٣٧٨.

[٤] تاريخ الطبري،ج٤/ص٢٦٠.

[٥] فتوح البلدان،ص١٥٣.

[٦] فتوح البلدان،ص١٥٣-١٥٤.

وروي أن مسلمة عبد الملك بن مروان لما أراد أن يغزو عمورية [١] حمل مروان معه نسائه، وكذلك حمل بعض المقاتلين نساءهم معهم ، وفي أثناء الطريق عند عقبة بغراس[٢] سقط محمل أحدى النساء في الحضيض ، حينها أمر مسلمة أن تمشي جميع النساء معها فمشين معها ، لذلك سميت تلك العقبة (عقبة النساء)[٣].

[١] غراس ، من مدن بلاد الروم ، قيل سميت بعمورية نسبة إلى (عمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح)، غزاها الخليفة المعتصم العباسي. البلاذري ، الفتوح ، ص١٤٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٤/ص١٥٨.

[٢] مدينة في لحف جبل اللكام، بينها وبين مدينة انطاكية أربعة فراسخ، في البلاد المطلّة على نواحي طرسوس، كانت بغراس لمسلمة بن عبد الملك الأموي وقد وقفها على سبيل البرّ، كانت بيد الأفرنج حتى فتحها صلاح الدين الأيوبي في سنة (٥٨٤هـ/١١٨٨م). ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج١/ص٤٦٧.

[٣] البلاذري ، فتوح البلدان، ص١٦٨؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان،ج٤/ص١٣٤.

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية والعلمية للنساء المردفات

المبحث الأول

الحياة الاجتماعية للنساء المردفات

أولاً : أحوال المرأة داخل الأسرة العربية .

أن المتتبع للروايات المتعلقة بالزواج عند العرب سواء كان مع بعضهم البعض أو مع غيرهم نلحظ جانبين ، مثل الجانب الأول حرص العرب على أخذ رأي بناتهم حين كان يتقدم لهن خاطبًا ، أما الجانب الثاني ، فتمثل بإتمام الزواج عند العرب دون أخذ رأي بناتهم بمعنى الإكراه على الزواج ، وفي هذه الحالة يكون الزواج تحت وطأة المطامع المادية أو تحت وطأة الخوف من الرفض ، وهذا ما سنتناوله من خلال :

١-أخذ رأي المرأة في الزواج

لم يقتصر أمر اتمام الخطبة أو الزواج باختيار الرجل للمرأة فقط بل ان للمرأة الحق في الموافقة أو رفض الرجل المتقدم لخطبتها ، حيث كانت بعض الأسر العربية قبل الإسلام تولي أمر اخذ رأي المرأة في الزواج اهتماماً كبيراً لتبدي موافقة البنت أو رفضها [١] ، ويبدو أن الأهل كانوا يحرصون على عرض اوصاف الخاطبين على بناتهم لتتمكن البنت من ابداء رأيها في ضوء ما يتوفر لديها من معلومات ، حيث روي ابن سعد في روايته أن هند بنت عتبة بعد أن طلقها الفاكه بن المغيرة ، وتقدم لها الخطاب ، كانت تقول لوالدها : " **أني امرأة قد ملكت امري فلا تزوجني رجلاً حتى تعرضه علي** " [٢] ، وقد ذكر البلاذري أن أَبو سُفيان بن حرب وسهيل بن عمرو تقدما لخطبة هند فأخبرها والدها بذلك، فقال لها: " **خطبك من قومك كفآن كريمان، فقالت: صفهما لي ، فَقَالَ : أحدهما سهيل بْن عمرو وهو موسر سخي سيد مفوض يحكم فِي ماله، والآخر أَبُو سفيان بْن حرب وهو شريف سيد حازم، قالت: الحازم أحبهما إلي**" ، فحينما تقدم لخطبتها رجلان أخذ أبيها باستعراض أوصافهم كي

---

[١] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٤ / ص٦٣٦ ، ج١ ، ص١٤٣ ؛ الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص١٨٤ ؛ الطراونة ، الزواج والطلاق في صدر الاسلام ، ص٩٠ ، ١٠٣ .

[٢] الطبقات ،ج٨/ص١٧٨.

تتمكن من ابداء رأيها للمفاضلة والاختيار ، فأما الشخص الأول وهو سهيل بن عمرو[١] فقد وصفه والدها عتبة بن ربيعة بأنه " **ففي الشرف الصميم والحسب الكريم ، تخالين به هوجاً من غفلته وذلك اسجاح من شيمته ، حسن الصحابة ، سريع الاجابة ، ان تابعته تبعك وان ملت كان معك ، تقضين عليه في ماله ، وتكتفين برأيك عن مشورته** " ، اما الخاطب الآخر وهو معاوية بن أبي سفيان ، إذ وصفه عتبة بأنه كان " **في الحسب الحسيب والرأي الاريب بدر ارومته وعز عشيرته ، يؤدب اهله ولا يؤدبونه ، ان اتبعوه اسهل بهم وان جانبوه توعر عليهم، شديد الغيرة ، سريع الطيرة ، شديد حجاب القبة ، ان جاع فغير منزور وان نوزع فغير مقهور**" [٢]، ثم بدأت هند بتقييم الخاطبين إليها والمفاضلة بينهم لتبدي رأيها في اختيار أحدهم ، فقالت عن الخاطب الأول بأنه " **سيد مضياع لكريمته مواتٍ لها فيما عسى ان لم تعصم ان تلين بعد آبائها ، وتضيع بعد خبائها ان جاءته بولد احمقت ، وان انجبت فعن خطأ ما انجبت " وطلبت من ابيها ان يبعد عنها هذا الرجل ، أما الاخر فكان المفضل لديها واصفتاً اياه" أما الاخر فبعل الحرة الكريمة ، اني لأخلاق هذا لوامقة واني له لموافقة واني لأخذة بأدب البعل مع لزومي قبتي ، وقلة تلفتي ، وان السليل بيني وبينه لحري وان يكون المدافع عن حريم عشيرته الذائد عن كتيبتها والمحامي عن حقيقتها ، المثبت لأرومتها غير مواكل ولا زميل عند ضعضعة الحوادث** " ، وكان المعني هنا هو (أبو سفيان بن حرب) الذي تزوجته هند فولدت له معاوية وعتبة ، وأم الحكم [٣] ، فكان أبو سفيان بالفعل الرجل المناسب لهند إذ كان يمتلك من الطباع التي توافق ما

---

[١] سهيل بن عمرو بن عبد شمس ابن عبد ود بن نصر، القرشي ، كان يكنى ابا يزيد، أحد سادات قريش ومن خطباءها في الجاهلية، أسره المسلمون في معركة بدر، وافتُدي، حتى أسلم يوم الفتح بمكة فسكنها ثم سكن المدين، وكان سهيل ممن تولى أمر الصلح بالحديبية فقام على دينه حتى أسلم يوم الفتح بمكة ، فقد جاء في مقدمة كتاب الصلح: " **باسمك اللَّهمّ. هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو**" ، فقام على دينه حتى أسلم يوم الفتح، وقد توفي بمرض الطاعون في الشام . الجاحظ ،البيان والتبيان،ج١/ص٢٥٨-٢٥٩؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب،ج١/ص٤٠٠؛ ابن الجوزي ، صفوة الصفوة،ج١/ص٢٨٦ .

[٢] أنساب الأشراف،ج٥/ص٧.

[٣] ابن سعد، الطبقات ،ج٨/ص١٧٨.

لديها من طباع واخلاق لذلك فان هند قالت : " **اني لأخلاق هذا لوامقة واني له لموافقة** " [١]، وهذا دليل ناطق بعلو مقدار منزلة المرأة في الجاهلية ، فلم تكن نكرة ولا محتقرة بل كان لها حرية الاختيار بحيث إنها كانت تملك من الحقوق ما يقارب حقوق الرجل ، تطلقه إن انكرت منه سوء معاملة لها أو رأته مهملاً لها مقبلاً على ما تكره منه ، فضلاً عن مراعاة العرب للجانب الوراثي والاجتماعي لتكوين الاسرة .

وهذا ما أكده الدين الإسلامي من خلال حث كل من الرجل والمرأة على اختيار الزوج الصالح وخير مثال على ذلك هو اختيار فاطمة الزهراء (عليها السلام) للإمام علي (عليه السلام) ليكون زوجاً لها ، إذ تجمع الروايات التاريخية أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتى فاطمة وسألها قائلاً : " **إن علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه ، وإني قد سألت ربي أن يزوجك خير خلقه وأحبهم إليه ، وقد ذكر من أمرك شيئا فما ترين ؟ فسكتت ولم تول وجهها ولم ير فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) كراهة ، فقام وهو يقول : الله أكبر ، سكوتها إقرارها** " [٢] ، نستدل من ذلك على أن الإسلام اعطى للبنت الحرية الكاملة في اختيار الزوج المناسب لها ، وقد جعل من سكوتها موافقتها ، وقد جاء تأكيد ذلك في قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " **تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن ، فإن لا تنكح الايم حتى تستأمر ولا تنكح ، البكر حتى تستأذن ، قالوا يا رسول الله وكيف اذنها ؟ قال : ان تسكت** " [٣] ، بمعنى أن سكوت المرأة سواء كانت بكر أم ثيب إذنها ، وإن أبت فأنها لابد أن ترفض بقول أو فعل وهذا ما أكده العلامة الحلي (ت : ٧٢٦هـ /١٣٢٥م) يقوله : " **لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن ، فإن سكوتها إذنها ، وإن أبت فلا جواز عليها . فلا نرى إنكاح أحد من الأولياء أبا كان أو غيره لبالغة بكر أو ثيب يجوز اختيارها لنفسها إلا**

---

[١] الطبقات،ج٨/ص١٧٨.

[٢] الطوسي،الامالي،ص٤٠؛ابن شهر أيوب، مناقب آل أبي طالب،ج٣/ص١٢٧؛المجلسي ،بحار الانوار،ج٤٣/ ص٩٣.

[٣] مسلم ، صحيح مسلم ، ج٢/ص٦٠٧ ؛ النسائي ، سنن النسائي ،ج٣/ ص٥٥٢ .

من بعد إذنها ، وأن يعرف عند استئذانها ما قاله النبي (ﷺ) في أن إذنها هو سكوتها ، ويجعل أيضا لكراهتها علامة من قيام ونحوه ليتبين عن مرادها بالفعل منها " [١] .

أما المرأة الثيب فلا تزوج إلا بأذنها الصريح ، لعدم وجود ما يمنعها عن التصريح ما يمنع البنت البكر، فإذا عقدت المرأة الثيب على نفسها بغير إذن أبيها جاز عقد ذلك الزواج ، لقول رسول الله (ﷺ) : " **ليس للولي مع الثيب أمر** " [٢] ، يتضح من خلال الحديث النبوي الشريف إن الإسلام قد أناط اختيار الزوج للثيب دون سلطة للولي عليها ، كما في قصة خنساء بنت خدام الأنصارية ، وهي من الأوس ، أنكحها أبوها وهي كارهة ، فرد النبي محمد(ﷺ) نكاحها، وكانت ثيباً ، إذ روي إن أبوها زوجها إلى رجلاً من بني عوف ، و كانت قد خطبت الى أبي لبابة بن عبد المنذر، فرفع شأنها إلى رسول الله (ﷺ) فأمر الرسول (ﷺ) أباها أن يلحقها برغبتها في الزواج ، فتزوجت أبي لبابة [٣].

والحكمة من ذلك هو أن تختار المرأة الزوج الذي يُناسب وضعها الاجتماعي ، فقد شجع الإسلام الثيب على الزواج ، ليعالج واقع الأسرة وحمايتها في حالات الوفاة أو الطلاق ليحافظ على الأسرة والأطفال من الانحراف والضياع ، وهذا ما وجدناه في زواج رسول الله (ﷺ) بنساء ثيبات ومنهن أم سلمه التي توفى عنها زوجها فخطبها رسول الله (ﷺ) فقالت : " **خطبني فقلت ما مثلي تنكح أما أنا فلا ولد في وانا غيور ذات عيال فقال انا أكبر منك واما الغيرة فيذهبها الله واما العيال فإلى الله ورسوله** " [٤]. ومن هذا الموقف يمكن أن نعرف أن هدف الإسلام الجوهري هو المحافظة على الأسرة من التشتت بعد فقدان معيلها ، فيصبح الأطفال أيتاماً ، لذلك أعطى الإسلام حرية الزواج للثيب لكي تختار الرجل المناسب الذي يصلح أن يكون أبًا حنونًا لأطفالها ، كما أن في زواج الثيب قد يكون لأسباب تتعلق

---

[١] مختلف الشيعة ، ج٧/ص١١٢.

[٢] ابن حبان، صحيح ابن حبان،ج٩/ص٣٩٣؛ الكاشاني، بدائع الصنائع،ج٢/ص٢٤٢.

[٣] مالك ، الموطأ،ج٦/ ص١٢٣؛ ابن عبد البر،الاستيعاب،ج٤/ص١٨٢٦.

[٤] الصنعاني، مصنف الصنعاني،ج٦/ص٢٦٥؛ النسائي ،السنن الكبرى، ج٨/ص١٦٦؛ الطبراني، المعجم الكبير،ج٢٣، ٢٧٣.

بوضع أسرة الزوج ، ففي رواية تاريخية عن جابر عندما سأله رسول الله (ﷺ) قال: " **هل تزوجت يا جابر؟ ، قال: نعم يا رسول الله، فقال له : بكراً أم ثيباً ، قال : ثيباً ، فقال (ﷺ) : "هلا جارية تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك قال: هلك أبى فترك تسع بنات فكرهت ان أجيئهن بمثلهن فتزوجت امرأة تقوم عليهن قال :" فبارك الله عليك** " [١] .

وقد رفضت أم أبان بنت عتبة بن ربيعة طلبات الزواج للعديد من المتقدمين لخطبتها بعد مقتل زوجها أبان بن سعيد بن العاص [٢] مبررة رفضها لكل واحد منهم حيث كان أحدهم عمر بن الخطاب الذي رفضته لشدته وصعوبة طباعه مؤكدةً ذلك بقولها : " **إن دخل ببأس ، وإن خرج بيأس قد أذهله أمر آخرته عن أمر دنياه كأنه ينظر إلى ربه بعينه** " ، **بينما ابدت أم ابان موافقتها على طلحة بن عبيد الله لأنها على حد قولها انها تعرف خلائقه ، إذ قالت عنه : " أن دخل ضاحكاً وان خرج بساماً** " ، **وان سألت اعطى ، وان سكت ابتدأ ، وان عملت شكر، وان اذنبت غفر** " [٣] ، فكان معيار أم أبان في اختيار زوجها الأخلاق ، فان مجمل الصفات التي كانت تعرفها أو اخبرت عنها كانت سبباً في موافقتها على الزواج من طلحة دون سواه .

---

[١] البخاري، صحيح البخاري، ج٧/ص٥؛ مسلم، صحيح مسلم،ج٢/ص١٠٨٨؛ الترمذي، سنن الترمذي،ج٢/ص٣٩٧.

[٢] أبان بن سعيد بن العاص الأموي ، كنيته أبو الوليد، ، كان في عصر النبوة شديد الخصومة لرسول الله (ﷺ) والمسلمين، وهوالذي أجار عثمان بن عفان حين بعثه النبي محمد(ﷺ) قريش اثناء الحديبية سنة(٦هـ/٦٢٦م)، فحمل أبان عثمان على فرسه حتى أدخله مكة، وقد تأخر إسلامه إذ اسلم قبل خيبر سنة(٧ هـ/٦٢٧م)، وبعثه رسول الله (ﷺ) (سنة ٩ هـ/٦٣٠م) عاملا على البحرين ،وأقام في البحرين إلى أن توفي رسول الله (ﷺ) فسافر أبان إلى المدينة ولقيه أبو بكر فلامه على قدومه، فقال:" **آليت لا أكون عاملا لأحد بعد رسول الله**" ، اختلف في تاريخ فاته قيل في قتل يوم اجنادين في أخر أيام أبو بكر، وقيل قتل في مرج الصفر في بداية خلافة عمر بن الخطاب وقيل أنه كان حي الى عهد عثمان ،والارجح أنه قتل في اجنادين بالشام. الزبيري، نسب قريش، ص١٧٥؛ ابن حبان، مشاهير علماء الامصار، ص٣٩؛ أبو نعيم، معرفة الصحابة،ج١/ص٣٢٥؛ ابن عبد البر،الاستيعاب،ج١/ص٦٢-٦٣؛ ابن عساكر ،تاريخ دمشق،ج٧٠/ص١٩٨؛ ابن الاثير ،أسد الغابة،ج١/ص١٤٨؛ الذهبي،سير،ج١/ص٢٦٢-٢٦٣.

[٣] ابن عساكر ،تاريخ دمشق،ج٧٠/ص١٩٨.

وأراد عمر بن الخطاب الزواج من أم كلثوم بنت أبي بكر[١] ، وكان قد خطبها إلى عائشة فأبدت عائشة موافقتها ، إلا أن أم كلثوم كرهت ذلك ، فاستحيت عائشة من عمر، فبعثت إلَى عمرو بن العاص لتخبره برفض أم كلثوم ، فقال : " **أنا أحتال فِي هذا الأمر، فأتى عمر فَقَالَ: بلغني أنك ذكرت أم كلثوم ولست أرى لك أن تزوجها لأنها مرفهة عند عَائِشَة ، فإن حملتها على معيشتك وخلقك خفت أَلا تصبر فتكون القطيعة بينك وبين آل أَبي بكر ، وإن تابعتها عَلى خلقها أضرت بدينك . فَقَالَ عمر: لقد قلت قولا فما الحيلة ؟ فقال : أنا أكفيك ، قَال: " فافعل. فأتى عائشة فأخبرها الخبر ثم انصرف إلى عمر، فقال له عمر: نشدتك الله هل كنت لقيت عائشة ؟ قال : اللهم نعم**"، فتزوجها طلحة بن عبيد الله[٢].

وفي العصر الأموي حدثت الكثير من الزيجات بالضغط والاكراه ، ومن تلك الزيجات ، زواج أُرينب بنت اسحاق التي وجدنا فيها تناقض شديد جداً بين نصوصها ، كما سيظهره هذا العرض الذي نورده هنا ، والتي ذكرها ابن قتيبة الدينوري[٣] ، ومفادها أن أُرينب كانت مثالاً في أهل زمانها في الجمال وتمام الكمال والشرف وكثرة أموالها ، وكانت متزوجة رجلاً من بني اعمامها يسمى عبد الله بن سلام [٤] ، وقد وقع يزيد بن معاوية في عشق أُرينب ، ولما بلغ معاوية عشق يزيد وهيامه بأُرينب ، نصحه بكتمان أمره ، فشكى يزيد من ابيه معاوية من خلال وصيف لمعاوية أسمه رفيق[٥] ، ومن جملة ما قاله يزيد لوصيف : " **فقد كنت أعرف من جميل رأي أمير المؤمنين في ، وحسن نظره في جميع الأشياء ما يؤكد الثقة في ذلك والتوكل عليه ؟ منعني من البوح بما جمجمت في صدري له ، و تطلابه إليه ، فأضاع من أمري وترك من النظر في شأني ، وقد كان في حلمه ، وعلمه ، ورضائه ، ومعرفته ، بما يحق لمثله النظر فيه ، غير غافل عنه ، ولا تارك له ، مع ما يعلم من**

---

[١] بعد وفاة زوج أم كلثوم الأول طلحة بن عبيد الله ، تزوجت أم كلثوم عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي ، فولدت له أربعة أولاد . للمزيد ينظر، ابن سعد ،الطبقات، ج٨/ص٣٨٧؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ،ج٢/ص٤٤٩.

[٢] البلاذري، أنساب الأشراف ،ج١٠/ص١١١.

[٣] الإمامة والسياسة ،ج١/ص١٦٧.

[٤] لم نعثر له على ترجمة.

[٥] لم نعثر له على ترجمة.

هيبتي له وخشيتي منه، فالله يجزيه عني بإحسانه ، ويغفر له ما اجترح من عهده ونسيانه ، فقال الوصيف وما ذلك جعلت فداك ؟ لا تلم على تضييعه إياك ، فإنك تعرف تفضيله لك ، وحرصه عليك ، وما يخامره من حبك ، وأن ليس شئ أحب إليه ، ولا آثر عنده منك لدينه ، فاذكر بلاءه ، واشكر حباءه فإنك لا تبلغ من شكره إلا بعون من الله " [١]، بمعنى أن يزيد شكا لوصيف تباطؤ أبيه في النظر لأمره وتفريطه فيه ، فقام وصيف بنقل شكوى يزيد عن أبيه ، لذلك غضب معاوية على يزيد وقال لوصيف: " **ويحك ما أضعنا منه ؟ رحمة له ، وكراهية لما شجاه وخالف هواه؟** " ، وعلى أثر ذلك أستدعى معاوية أبنه يزيد وقال له : " **يا يزيد ما الذي أضعنا من أمرك ، وتركنا من الحيطة عليك ، وحسن النظر لك ، حيث قلت ما قلت ؟ وقد تعرف رحمتي بك ، ونظري في الأشياء التي تصلحك ، قبل أن تخطر على وهمك ، فكنت أظنك على تلك النعماء شاكرا ، فأصبحت بها كافرا** ،..." [٢] ، فقام معاوية باستقدام عبد الله بن سلام زوج أُرينب إلى الشام، والذي كان يحظى بمنزلة رفيعة لدى معاوية ، فحسب الرواية أنه كان والي العراق أيام معاوية ، ولما قدم عبد الله بن سلام الشام ، أمر معاوية بأن يهيئ له منزلاً حسناً، ثم طلب من أبو هريرة وأبا الدرداء [٣] أن يخبرا عبد الله بن سلام أن معاوية يريد ان ينكحه ابنته لدينه ومروءته وفضله وأدبه على أنه وعدها في أن يجعل لها الشورى في نفسها ، وحين خرج أبو هريرة وابو الدرداء إلى عبد الله بن سلام ليخبراه باقتراح معاوية عليه ، وافق عبد الله على اقتراح معاوية ، فأظهر معاوية سروره ورضاه وقال لهما : " **قد كنت اعلمتكما بالذي جعلت لها في**

---

[١] ابن قتيبة الدينوري ، الإمامة والسياسة ،ج١/ص١٦٧.

[٢] ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة ،ج١/ص١٦٧.

[٣] عويمر بن مالك ، وقيل عويمر بن زيد ، وقيل عويمر بن عامر، من بني الحارث الخزرجي ، وكان آخر أهل داره إسلاما ، أبو الدرداء ، من صحابة رسول الله (ﷺ) ، وكان أحد الحكماء الفرسان القضاة ، عمل قبل البعثة بالتجارة في المدينة ، ولما ظهر الإسلام ترك التجارة اشتهر وتنسك للعبادة ، معاوية قضاء دمشق بأمر من عمر بن الخطاب ، وهو أول قاض بها ، كما ولاه عثمان القضاء كذلك ، وروى عن رسول الله (ﷺ) عدة أحاديث ، توفي بالشام سنة(٣٢هـ/٦٥٢)، وقيل في سنة(٣١ هـ /٦٥١م) في خلافة عثمان بن عفان. ابن قتيبة الدينوري ،المعارف،ص٢٦٨؛البلاذري،انساب،ج١٠/ص٢٩٧؛ وكيع، القضاة،ج٣/ص١٩٩؛ ابن سعد، الطبقات، ج٧/ص٢٧٤؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج٤/ص٤٢١؛ ابن الأثير، الكامل،ج٢/ص٤٩٨.

نفسها من الشورى ، فأدخلا اليها واعرضا عليها الذي رأيت لها "، وكان معاوية قد اتفق مع ابنته بأن تظهر رغبتها في هذا الزواج وانه لا يمنعها من ذلك شيء إلا زوجته أُرينب ، وانها لا تتزوجه إلا إذا فارقها بالطلاق ، فعندما جاء أبو هريرة وصاحبه لها اجابتهما بما املى عليها والدها ، ومن ثم ذهبا الى عبد الله ليخبراه بذلك ، فقام بتطليق ارينب وأشهدهما على ذلك ، ومن ثم اعلما معاوية بذلك فاظهر كراهته لذلك ، فصرفهما ليعودا له في وقت أخر ، ومن ثم أخبر يزيد بما جرى ، ولما عاد أبو هريرة وأبو الدرداء إلى معاوية أرسلهما إلى ابنته لأنه كان قد وعدهما بأن يكون امرها في نفسها، فأجابتهما بأنها تريد أن تسأل عنه وتستخير، وبعد فترة من الوقت رجعا لها وسألاها عن أمرها فأجابتهما قائلةً : " **الحمد لله أرجو أن يكون الله قد خار لي ، فإنه لا يكل إلى غيره من توكل عليه ، وقد استبرأت أمره ، وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسي ، مع اختلاف من استشرته فيه ، فمنهم الناهي عنه ، ومنهم الآمر به ، واختلافهم أول ما كرهت من الله** " [١].

عندها علم عبد الله بأن معاوية خدعه ، فشاع أمره بين الناس وذاع ذكره في الأمصار، فنقلوه في الأمصار وتحدثوا به في المجالس في الليل والنهار، فكانوا يقولون : "**خدعه معاوية حتى طلق أمرأته ، وإنما ارادها لابنه** "، ولما بلغ ذلك معاوية قال : " **لعمري ما خدعته** "، بعدها قام معاوية بأرسال أبو الدرداء الى العراق خاطباً ارينب لابنه معاوية ، وكان بها يومئذ الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) فاحب أبا الدرداء أن يلقاه قبل أن يفعل أي شيء ، وذلك لمكانة الإمام الحسين (عليه السلام) الدينية فهو سيد أهل العراق فقهاً ومالاً وجوداً وبذلاً ، فقصد الإمام الحسين (عليه السلام) حتى أتاه ، ولما رآه الإمام الحسين (عليه السلام) قام إليه فصافحه إجلالا له ، ومعرفته لمكانته من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وموضعه من الإسلام ، ثم تحدث أبا الدرداء عن أمر خطبة يزيد ابن معاوية لأريب قائلاً له : " **وجهني معاوية خاطبا على ابنه يزيد أرينب بنت إسحاق ، فرأيت أن لا أبدأ بشئ قبل إحداث العهد بك ، والتسليم عليك . فشكر له الحسين ذلك ، وأثنى عليه وقال : لقد كنت ذكرت نكاحها ، وأردت الإرسال إليها بعد انقضاء أقرائها**

---

[١] ابن قتيبة الدينوري ، الإمامة والسياسة ،ج١/ص١٦٧.

، فلم يمنعني من ذلك إلا تخيير مثلك ، فقد أتى الله بك ، فاخطب رحمك الله علي وعليه ، فلتختر من اختاره الله لها وإنها أمانة في عنقك حتى تؤديها إليها ، وأعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه . فقال أبو الدرداء : أفعل إن شاء الله " ، ثم دخل ابا الدرداء على لبابة وعرض عليها الزواج من يزيد , ففوضت أرينب أمر زواجها لأبا الدرداء الذي بدوره رفض ذلك وأعاد الخيار لها ، وبعد اصرارها على تفويض أمر زواجها له اشار عليها بالزواج من الإمام الحسين (عليه السلام) قائلاً : " **بنية ، ابن بنت رسول الله أحب إلي وأرضاهما عندي ، والله أعلم بخيرهما لك ، وقد كنت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا شفتيه على شفتي الحسين فضعي شفتيك حيث وضعهما رسول الله ، قالت : قد اخترته ورضيته ، فاستنكحها الحسين بن علي ، وساق إليها مهرا عظيما** "، ولما علم معاوية بذلك غضب غضباً شديداً وقد لام أبا الدرداء على فعله ، أما عبد الله بن سلام فانه رجع إلى العراق بعدما خدعه معاوية والتقى بالإمام الحسين (عليه السلام) وطلب ماله من ارينب الذي كان قد استودعه عندها ، فأعادت له المال، فشكرها وقال لها : " **خذي ، فهذا قليل مني لك** " ، حتى تعالت أصواتهما بالبكاء على ما ابتليا به ، فدخل الأمام الحسين (عليه السلام) عليهما وقد رق قلبه للذي سمع منهما ، فقال : " **أشهد الله أنها طالق ثلاثا ، اللهم إنك تعلم أني لم أستنكحها رغبة في مالها ولا جمالها ، ولكني أردت إحلالها لبعلها ، وثوابك على ما عالجته في أمرها ، فأوجب لي بذلك الأجر ، وأجزل لي عليه الذخر إنك على كل شيء قدير** "، وبذلك تكون أرينب قد عادت الى زوجها وحرمت من الزواج بيزيد ، بفضل تدخل الإمام الحسين (عليه السلام) وموقفه الإنساني ، وبذلك يمكن القول أن المؤرخ الدينوري أراد أن يرسم لنا صورة الإمام الحسين (عليه السلام) وحسن اخلاقه وافعاله مقابل افعال معاوية وابناءه المتمثل بالمكر والخداع ، لاسيما في اتفاق معاوية مع ابنته على التحايل على أبا الدرداء كما مر سابقاً .

ومما يثير الشكوك حول صحة هذه الرواية التاريخية ، أن تاريخ وفاة الشخصية الرئيسية في الرواية أبو الدرداء لا تساعدنا على قبول تلك الرواية ، حتى وأن أختلف المؤرخين في تحديد

سنة وفاته ، وقد انحصرت بين سنة واحد أو اثنين او ثلاث أو أربع وثلاثين وقيل الى سنة ثمان أو تسع وثلاثين [١]، ومما يبرهن أنه بقي حيًا إلى سنة ثمان أو تسع وثلاثين للهجرة ، اي بعد مقتل عثمان بن عفان ، هو قول الدينوري : " **واقبل ابو الدرداء وابو امامه الباهلى حتى دخلا على معاوية ، فقالا: علام تقاتل عليا، وهو أحق بهذا الأمر منك؟. قال : اقاتله على دم عثمان. قالا: او هو قتله؟. قال: آوى قتلته، فسلوه ان يسلم إلينا قتلته، وانا أول من يبايعه من اهل الشام. فاقبلا الى على رضى الله عنه، فأخبراه بذلك. فاعتزل من عسكر على زهاء عشرين الف رجل ، فصاحوا : نحن جميعا قتلنا عثمان. فخرج ابو الدرداء السواحل، ولم يشهدا شيئا من تلك الحروب**" [٢] ، والواضح من صريح الرواية إن هذه الحادثة كانت بعد البيعة ليزيد في سنة (٦٠هـ/٦٧٩م) ، وبذلك يكون حدوثها بعد مضي عدة سنوات على وفاة أبو الدرداء ، وزيادة على ذلك لم نلاحظ تطرق المصادر التاريخية إلى العلاقة الطيبة التي كانت تجمع بين أبو الدرداء وأهل البيت عليهم السلام ، بل على العكس تماماً من ذلك والدليل على ذلك هو ولاؤه لبني أمية حتى إن معاوية بن أبي سفيان ولاه قضاء دمشق[٣].

أما بالنسبة لعبد الله بن سلام صاحب الشخصية الرئيسية في الرواية ، فعند مراجعة مصادر التاريخ وكتب الرجال ، فأننا فلم نعثر له على تلك الشخصية بشكل واضح وصريح على الرغم من عناية المؤرخين في ذكر شخصيات المولين والمعزولين في مختلف الولايات والأمصار، وجل ما وجدناه هو ثلاث شخصيات تحمل نفس الاسم ، اثنان منهما عاشا في فترات متأخرة لزمان الرواية [٤] ، والشخصية الثالثة هو شخصية عبد الله بن سلام اليهودي الذي من المستحيل أن يكون نفس صاحب الرواية لعدة اعتبارات منها أنه ليس من قريش

---

[١] ابن الاثير، الكامل /ج٢/ص٥٥١.

[٢] الأخبار الطوال، ص١٧٠.

[٣] ابن سعد، الطبقات،ج٧/ص٢٧٥؛وكيع ،أخبار القضاة، ج٣/ص١٩٩؛ ابن عبد البر، الاستيعاب،ج٤/ ص١٦٤٦؛ الذهبي، سير،ج٢/ص٣٣٥.

[٤] الذهبي، تاريخ الإسلام،ج٥/ص٨٤٩ ؛ البغدادي، تلخيص المتشابه، ج١/ص ٢٩ .

فهو يهودي من بني قينقاع ، وكانت وفاته سنة (٤٣هـ/٦٦٣م) حسب اجماع أغلب المؤرخين [١] ، فهي بذلك لا تتعدى سنة حادثة الرواية ، ومن باب أخر فأن المصادر التاريخية لم تذكر لنا إن عبد الله بن سلام اليهودي قدم العراق طوال فترة حياته بل على العكس من ذلك ، إذ نجده قام بنصح الإمام علي (عليه السلام) بعدم الذهاب الى العراق ، وهذا ما أكده ابن حجر بقوله: " **نهى عبد الله بن سلام عليّا عن خروجه إلى العراق**" [٢] ، كما إن الإمام الحسين (عليه السلام) في لم يكن في العراق في تلك السنوات ، إذ أنه انصرف من الكوفة إلى المدينة بعد ان صالح أخيه الإمام الحسن (عليه السلام) معاوية سنة (٤١هـ/٦٦١م).[٣].

كما ويلاحظ على الرواية التاريخية أن طريقة زواج وطلاق الإمام الحسين (عليه السلام) من أُرينب لم تكن مقبولة عند أهل البيت عليهم السلام ، ولا عرفت عنهم ذلك إلا عند حالات نادرة فرضتها عليهم التقية ونحوها. كما إن أسلوب الأخذ والرد الذي جرى بين معاوية وعبد الله بن سلام ، وما تضمنته تلك المحاورات المتبادلة بينهما حول تطليق زوجته أُرينب والزواج من ابنة معاوية ، وانه قد " **ذاع أمره في الناس وشاع ، ونقلوه إلى الأمصار ، وتحدثوا به في الاسمار ، وفي الليل والنهار ، وشاع في ذلك قولهم ، وعظم لمعاوية عليه لومهم ، وقالوا : " خدعه معاوية حتى طلق امرأته ، وإنما أرادها لابنه مرة** " [٤] ، وإذا كان قد ذاع أمره وشاع بين الناس وقد تم تداول الخبر بين الامصار وتحدث به أهل الاسمار حسب قول ابن قتيبة ، فلماذا يغفل كبار المؤرخين كاليعقوبي والطبري والمسعودي وابن كثير وغيرهم ممن جعلوا جل اهتمامهم نقل كل حدث كبيراً كان أم صغيرا ، فضلاً عن ايرادهم كل غريب وعجيب سيما فيما يتعلق بخلفاء بني أمية وبني العباس .

---

[١] ابن سعد ، الطبقات ،ج٤/ص١٠٢؛ ابن حبان ، مشاهير علماء الامصار، ص ٣٦؛ أبو نصر البخاري، أهل الهداية والارشاد،ج١/ص٣٩٠؛ ابو نعيم ، معرفة الصحابة،ج٣/ص١٦٦٥؛ المزي، تهذيب الكمال،ج١٥/ص٧٥؛ ابن حجر، الاستيعاب،ج٣/ص٩٢١؛ الذهبي،سير،ج٢/ص٤١٣،تاريخ الإسلام،ج٦/ص٦٥؛ابن حجر،الإصابة،ج٤/ص١٠٤.

[٢] الإصابة ،ج٤/ص١٠٣.

[٣] البلاذري، أنساب الأشراف ،ج٣/ص٥٥ ؛ الطبري، تاريخ الطبري ،ج٥/ص١٦٥؛ ابن الأثير،الكامل،ج٣/ص٨.

[٤] ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة،ج١/ص١٦٧.

والأمر الذي يثير الشكول حول صحة هذه الرواية هو محاولة ابن قتيبة إظهار حسن دراية يزيد وذكاءه الذي أهله ليكون مستشاراً لبيه بنصه : " **وكان معاوية إذا أتت الأمور المشكلة المعضلة ، بعث إلى يزيد يستعين به على استيضاح شبهاتها واستسهال معضلاتها ،..**" [١] ، وهذا الصفة لم يكن يتمتع بها يزيد الذي اشتهر بلهوه وحبه للملذات ، ولو كان ذو رجاحة في العقل والفهم بأمور السياسة والحكم لما تجرأ على مقتل ابن بنت بنبيه ، فضلاً عن اباحته لمدينة رسول الله (ﷺ) وحرق الكعبة ورميها بالمنجنيق كما أوضحنا ذلك مسبقاً . ولكن من المرجح جداً أن هناك التباس حول رواية زواج أُرينب ، فقد أشارت المصادر التاريخية الى زواج الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) من هند بنت سهيل العامرية [٢] لكي يسد الطريق على يزيد بن معاوية الذي احتال على زوجها عبد الله بن عامر الأموي[٣] ليطلقها [٤]، وهذا ما أكده البلاذري بقوله: " **وتزوج الحسن هند بنت سهيل بن عمرو ، وكانت عند عبد الله ابن عامر، فطلقها فكتب معاوية إلى أبي هريرة أن يخطبها على يزيد ، فلقيه الحسن فقال : أين تريد ؟ قال : أخطب هند بنت سهيل على يزيد بن معاوية . قال : اذكرني لها . فأتاها أبو هريرة فأخبرها الخبر ، فقالت : خر لي .فقال : اختار لك الحسن . فتزوجها (الحسن) فقدم ابن عامر المدينة ، فقال للحسن : إن لي عندها وديعة . فدخل إليها والحسن معه ، فجلست بين يديه فرق ابن عامر حين نظر إليها ، فقال الحسن : ألا**

---

[١] ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة،ج١/ص١٦٧.

[٢] هند بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس ،أبو يزيد العامري ، وكانت هند متزوجة من عبد الرحمن بن عتاب ، ثم عبد الله بن عامر بن كريز ،ثم عبد الله بن عامر الاموي، ومن ثم تزوجت الامام الحسن بن علي (عليه السلام) . ابن حبيب،المحبر،ص٤٥٠.

[٣] عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس الاموي ، ويكنى أبا عبد الرحمن ، حدث عن رسول الله (ﷺ) بحديث رواه عنه حنظلة بن قيس ،جعله ابن خاله عثمان بن عفان والياً على البصرة بعدما عزل أبا موسى الأشعري سنة (٢٩هـ/٦٤٩م) ، كما تولى خراسان وافتتحها ، وعندما سمع بمقتل عثمان استعمل على البصرة عبد الله بن عامر الحضرمي ثم شخص إلى مكة فالتقى بها طلحة والزبير وعائشة وهو يريدون الشام فدعاهم الى البصرة ، وبعد عقد الامام الحسن بن علي (عليه السلام) مع معاوية ، ولى معاوية بسر بن أبي ارطأة للبصرة ثم عزله فقال له ابن عامر: " **إن لي بها ودائع عند قوم فإن لم تولني البصرة ذهبت** "، فولاه البصرة ثلاث سنين ، وعندما قدم على معاوية زوجه ابنته هند ، وتوفى عبد الله قبل وفاة معاوية بسنة . ينظر، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،ج٢٩/ص٢٤٧-٢٤٨ ، ص٢٦٢-٢٦٣.

[٤] ابن حبيب ،المحبر،ص٤٥٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف ، ج٣/ص٢٠-٢١.

أنزل لك عنها ، فلا أراك تجد محللا لكما خيرا مني ؟ قال : وديعتي . فأخرجت سفطين فيهما جوهر ففتحهما وأخذ من كل واحد قبضة وترك الباقي عليهما (كذا) . وكانت هند عند عبد الرحمان بن عتاب بن أسيد قبل أن يكون عند ابن عامر ، وهو أبو عذرها ، فكانت تقول : سيدهم جميعا الحسن ، واسخاهم ابن عامر ، وأحبهم إليّ عبد الرحمان بن عتاب " [١].

وكان أسلوب الضغط والاكراه واضحا فيما روي عن زواج أم البهاء وقيل أم أبيها بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من عبد الملك ابن مروان [٢]، حتى قيل أنها كانت تتضجور منه لبخره [٣] ، وروي أنه في أحد الأيام عض عبد الملك تفاحة فألقاها إليها ، فدعت بسكين وقطعت موضع عضته ، فقال: ما تصنعين؟ قالت أميط الأذى عنها فطلقها ، ويقال: إنها قالت له : **يا أمير الْمُؤْمِنِين لو استكت[٤] بالصبر؟! فقال : أما منك فسأستاك. لذا فأنها قالت يوماً " لو استكت فقال : أمّا منك فأستاك** " [٥] ، فأثارت بذلك غضبه فطلقها وتزوجت ابن عمها علي بن عبد الله بن عباس[٦]، وكان الأخير أقرعا لا تفارقه القلنسوة ، لذلك أمر عبد الملك أحدى جواريه وقال لها : " **اكشفي رأسه يديها" ، ففعلت الجارية ذلك ، وكانت أم**

---

[١] أنساب الأشراف، ج٣/ص٢٠-٢١.

[٢] البلاذري،انساب،ج٢/ص٥٩؛ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص١٦٦؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق،ج٢٨/ص١٣٤؛ المزي ، تهذيب الكمال ،ج٣٥/ص٣٧.

[٣] بخر الرجل بمعنى الابخر، والبخر النتن الذي يخرج من الفم وغيره ، فالبخر الرائحة الكريهة التي تخرج من الفم. الفراهيدي، العين،ج٤/ص٢٥٩ ؛ منظور ،لسان العرب،ج٤/ص٤٧؛

[٤] ساك الشيءَ يسوكه سوكاً ، أي دلكه وساك فمه سوكاً بالعُود ، بمعنى نظفه وطهره بالسواك. الفراهيدي،العين،ج٥/ص٣٩٢؛ ابن منظور، لسان العرب،ج١٠/ص٤٤٦.

[٥] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص١٦٦.

[٦] علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، كنيته أبو محمد، ولد ليلة قتل علي بن أبي (عليه السلام) في شهر رمضان سنة (٤٠هـ/٦٦٠م) فسمي باسمه وكني بكنيته أبا الحسن ،فقال له عبد الملك بن مروان لا والله لا أحتمل لك الاسم والكنية معاً، فغير كنيته فأصبحت أبا محمد ، وكان من عباد المدينة وصالحي بنى هاشم ، قيل للوليد بن عبد الملك إنه يقول بأن الخلافة ستصبح إلى أبنائه، فأمر بضربه بالسياط ، واعتقله هشام بن عبد الملك ، فمات في حبسه في البلقاء بالشام سنة(١١٨هـ/٧٣٦م)، وقيل سنة(١١٩هـ/٧٣٧م) . ابن سعد، الطبقات،ج٥/ص٣١٢؛ البستي، مشاهير علماء الامصار، ص١٠٧؛ ابن أبي الحديد،ج١٥/ص٢٣٤؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة ،ص٣٦١؛ مغلطاي، تهذيب الكمال ،ج٩/ص٣٥٤-٣٥٥؛ المزي، اكمال تهذيب،ج٢١،ص٣٥-٤٠؛ الذهبي ، سير،ج٥/ص٢٥٢-٢٥٥.

البهاء تعلم من ارسل الجارية لتقوم بفعلها فقالت لها : " قولي له هاشمي أصلع أحب إلي من أموي ابخر" ، ولما نقلت الجارية كلام أم البهاء الى عبد الملك غضب قائلاً : **" ويلي عليها لو علمت لم أطلقها "** [١]، نجد في هذه الرواية إن صحت تلك الزيجة ، أن بعض النساء المسلمات وقفن في وجوه الظالمين والطغاة حرصاً منهن من الزواج من أصحاب الخلق والدين ، فلم تعبأ أم البهاء بذي السلطة والغنى والجاه والمال ، ويمكن القول إن لجرأة المرأة المسلمة في وقوفها بوجه الظالمين حتى ولو كانوا ملوكاً قد مثل مسؤوليتها الدينية في المجتمع الإسلامي . وفي المقابل من أم البهاء نجد أن فاطمة بنت عبد الملك كانت متزوجة من داود بن سليمان بن مروان بعد وفاة زوجها الأول عمر ابن عبد العزيز على الرغم من قبح وجهه ، وفي ذلك انشد الشاعر موسى شهوات [٢] قائلا :

أبعد الاغر أبن عبد العزيز قريع قريش اذا يُذكر

تزوجتْ داود مختـارة الا ذلك الخلفُ الأعور [٣].

ولم نجد توافر القناعة فيما رواه البلاذري بشأن زواج بكار بن عبد الرحمن [٤] أخو أم سلمة أبنة عبد الرحمن التي تزوجت بعد الحجاج بن يوسف الثقفي ثلاثة من الخلفاء الامويين وهم ، الوليد ، ثم سليمان ، ثم هشام أولاد عبد الملك [٥] ، فقد كان أخوها بكار بن عبد الرحمن

---

[١] ابن طيفور، بلاغات النساء،ص١٦٦.

[٢] موسى بن يسار مولى قريش ، اختلف في ولائه ،وقيل مولى لبني تيم بن مرّة ، وقيل مولى لبني عديّ بن كعب، كما قيل إنه مولى لبني سهم ،كنيته أبا محمد ، وهو من أهل أذربيجان وقد نشأ في المدينة وكان يجلب إليه القند والسكَّر وغلب عليه لقب الشهوات ،وقد لقّب بموسى شهوات لقوله ليزيد بن معاوية:" **يا مضيع الصلاة للشهوات**" ، وقيل لأن عبد الله بن جعفر كان إذا اشتهى عليه شيء فيشتريه له موسى ويتربح عليه، وقيل سمي بالشهوات لأنه كان سؤولا ملحفا ، فكان كلَّما رأى مع أحد شيئا يعجبه من مال أوثوب أو متاع أو أو فرس أو فرس، تباكى ، فإذا قيل له : ما لك ؟ قال : أشتهي هذا ؛ لذلك فسمّي موسى شهوات . ينظر، ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء،ج٢/ص٥٦٢-٥٦٣؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ، ج٣/ص٢٤٤ ؛ المرزباني ،الشعر والشعراء،ص٣٧٧.

[٣] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ، ج٣/ص٢٤٨.

[٤] عبد الرحمن بْن عمرو بن سهل بن عمرو على بني عامر بن لؤي . ينظر، البلاذري، أنساب الأشراف،ج١١/ص١٢.

[٥] البلاذري، أنساب الأشراف ،ج١١/ص١٢.

جميل الوجه ، وكان متزوجاً من ابنة سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان[١] ، فصدرت أوامر الخليفة مروان بن محمد بإرغام بكار على تطليق زوجته ليتم تزويجها من أحد أبناء عمها ، وحينما رفض بكار تنفيذ ذلك الأمر، قام الوليد بن معاوية [٢] عامل مروان على دمشق بجلب بكار وضربه مائة سوط وإرغامه على تطليق زوجته وبنفس الوقت قام مروان بإحضار أبنة سعيد بن خالد فحبسها عنده ، وبعد أن طُلقت كرهاً ، تم تزويجها من عبد الله بن عمرو بن عثمان الذي كان يلقب ب(المطرف) [٣] ، وبشكل مطلق تصور هذه الرواية مدى بشاعة الأمويين إذ أنهم لم يتوانوا عن استخدام شتى الوسائل من التهديد والحبس والضرب من أجل ارغام الرجل على طلاق زوجته وارغام المرأة على الزواج من رجل آخر ، ممن اختاروه لها دون موافقتها ، وإذا كان هذا الاجراء استخدمه الأمويون مع نسائهم الأمويات ، فكيف كان أسلوب معاملتهم مع الاخرين ، وخاصة مع الذين يبدون الرفض أو المعارضة .

---

[١] سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان القرشي، كنيته أبو خالد ،وقيل أبو عثمان المدني، ، سكن دمشق ، وروي عن عروة بن الزبير ، وقبيصة بن ذؤيب ن كما روي عنه محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، ومحمد بن معن بن نضلة الغفاري، وأبنه معن ، وقال عنه النسائي انه من الثقات . المزي، تهذيب الكمال ،ج١٠/ص٤٠٨؛ مغلطاي ، اكمال تهذيب ،ج٥/ص٢٨٢.

[٢] الوليد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، وقيل الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم، وأمه أم ولد بربرية ، وقيل إن أمه زينب بنت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكان ختن مروان بن محمد على ابنته، كان أمير دمشق في آخر أيام بني أمية ،لما خرج لقتال القائمين بالدعوة العباسية ، ولكن لما انهزم مروان أخر خلفاء بني الامويين، وأقبلت جيوش العباسيين تقصد دمشق، تصدى لهم الوليد ، فحاصروه ، ثم دخلوها عنوة وقتلوه ، وقيل بأنه قد بعث به الى أبي الْعَبَّاس فقتله وتم صلبه بالحيرة. ابن خياط ، تاريخ ابن خياط، ص٤٠٣؛ ابن حبيب، المحبر، ص٤٨٦؛ البلاذري، أنساب الأشراف ،ج٤/ص١٠٤؛

[٣] عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي ، أمه حفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب لقب بالمطرف لجماله وبهائه ، وقيل سمي بذلك لحسن أو جمال مطرف هذا يأتي بعد جمال عمرو بن الزبير، وقيل أنه تزوج فاطمة بن الحسين (عليها السلام) فولدت له محمد الديباج . ينظر ، الدينوري ، المعارف ، ص١٩٩؛ البلاذري، أنساب الاشراف،ج٥/ص٦٠٤؛ ابن سعد، الطبقات،ج١/ص٩٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧/ص١٨٣؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق،ج١٣/ص٢٠٦-٢٠٧؛ المزي ،تهذيب،ج٣٥/ص٥٥؛ الذهبي ،تاريخ الإسلام،ج٢/ص١١٢٤ .

٢-كفاءة النسب وأثرها الاجتماعي في الزواج

أن من الأعراف التي كانت سائدة في المجتمع العربي كره العرب تزويج بناتهم من لم يكن ليس بكفوء لهم ، إذ لاحظ العرب إن زواج المرأة إن لم يكن من غير الكفؤ فهو امراً يمس الشرف، لذلك كان العرب يتشددون في اختيار عراقة النسب ومساواة الخاطب لهم في الشرف ، وبنفس الوقت كانوا يرفضون من يدني نسبه بالزواج من غير الكفوء له كالزواج من الهجين[١]، وفي ذلك قال ابن حبيب : " **وكان يخطب الكفي إلى الكفي. فان كان أحدهما أشف من الآخر في الحسب ، أرغب له المهر. وإن كان هجينا خطب إلى هجين ، فزوجه هجينة مثله** " [٢]، لذلك كره العرب تزويج بناتهم من الهجين وأن كان من قبيلتهم .

إلا أنه بعد بعثة النبي محمد (ﷺ) بالرسالة المحمدية غير الكثير من المفاهيم التي كان يؤمن بها العرب قبل الإسلام ، إذ جعلت الشريعة الإسلامية معيار الاختيار الصحيح مبنياً على أساس الدين والأخلاق لتأثيره في سلوك وتربية الأبناء وعلى الرغم من أن الناس قد قبلوه بصعوبة ، ذلك لأنهُ كان عرفاً راسخاً في سلوك المجتمع العربي ، ولكن نضارة الإيمان جعلت الناس يلتزمون حكم رسول الله (ﷺ) ويلتزمون طاعته [٣]، ولتثبيت ذلك المعيار عند الناس ، أمر رسول الله (ﷺ) بزواج زيد بن حارثة مولى الرسول (ﷺ) من أبنة عمته زينب بنت جحش التي أصبحت زوجة لرسول الله (ﷺ) فيما بعد كما أوضحنا ذلك فيما سبق[٤].

---

[١] هجن والجمع الهجناء ، والهجنة في الكلام هو ما يعيبه، والهجن في العلم اضاعته، وقيل اللئيم، والهجين العربي هو ابن الأمة لأنه معيب ، وقيل هو أبن الأمة الراعية التي لم تحصن ، فأن حصنت فليس ولدها بهجين، وقيل ان الهجين هو من أبوه خير من إمه .الفراهيدي، العين، ج ٣/ص٣٩٣؛ ابن منظور، لسان العرب،ج١٣،ص٤٣١؛ الزبيدي، تاج العروس ، ج٣٦،ص٢٧٣.

[٢] المحبر،ص٣١٠.

[٣] شمخي يابر، رعاية الأسرة، ص٨٧.

[٤] ينظر، الفصل الأول ، ص٨٣.

على أن بعض الصحابة قد ثقل عليه المعيار الجديد ، إذ تشير الروايات التاريخية إلى أن المقداد بن الأسود[١] طلب من عبد الرحمن بن عوف أن يزوجهُ ابنتهُ ، فغضب عبد الرحمن لذلك الأمر، حينها شكى المقداد ذلك إلى الرسول فزوجهُ الرسول (ﷺ) ابنة عمه ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب [٢] فقد زوج رسول الله (ﷺ) الموالي من القريشيات ليتواضع المناكح وليتأسوا فيها برسول الله (ﷺ) [٣] ، وهذا ما رواه الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله : " **إنما زوجها للمقداد ليتواضع النكاح ، فليتأسوا برسول الله ، وليعلموا أن أكرمكم عند الله أتقاكم**" [٤] .

فالدين الإسلامي يرى أن المسلم كفؤ المسلمة ، وقد ألغى كل الاعتبارات التي يؤول أمرها الى التراب ، وهذا ما أعلن عنه النبي محمد(ﷺ) عند فتح مكة ، إذ روي أنه (ﷺ) خطب بعدما حمد الله واثنى عليه ، ثم قال:" **أيها الناس ! إن الله قد أذهب نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها ، ألا إنكم من ولد آدم ، وآدم من طين ، ألا إن خير عباد الله عند الله أتقاكم إن العربية ليست بأب والد ، ولكنها لسان ناطق . فمن قصر به عمله لم يبلغ به حسبه ، ألا إن كل دم في الجاهلية أو إحنة ، فهي تحت قدمي إلى يوم القيامة** " [٥]. مما يوضح رفض رسول الله (ﷺ) وبشكل مطلق لأي نوع من أنواع الامتيازات بين المسلمين ، فقد أعتبر رسول الله (ﷺ) أساس التمايز بين الناس التقوى والعمل الصالح فقال : " **يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي**

---

[١] المقداد بن عمر بن ثعلبة من بهراء حليف بني زهرة ،الذي تبناه الأسود بن عبد يغوث ، وقد عرف بالمقداد بن الأسود لتبنيه له. للمزيد ينظر، ابن سعد، الطبقات،ج٨/ص٣٨؛ ابن عبد البر، الاستيعاب،ج٤/ص١٨٧٤؛ المزي، تهذيب الكمال،ج٣٥/ص٢٢١، ابن عبد الذهبي، سير،ج٢/ص٢٧٤؛ ابن حجر،الاصابة،ج٨/ص٢٢٠.

[٢] قيل أم الحكم أو أم حكيم صفية، كما قيل عاتكة، وهي ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب بن هاشم القرشية بنت عم النبي محمد (ﷺ) زوجها النبي (ﷺ) من المقداد ، فولدت له عبد الله وكريمة، وقد قتل ابنها عبد الله في معركة الجمل وهو يقاتل مع عائشة حتى إن الامام علي عندما رآه قال وبعد وفاة المقداد تزوجت عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف ابن زهرة، ولم يكن لها منه ولد. ابن سعد،الطبقات،ج٨/ص٣٨؛ مغلطاي ، تهذيب الكمال،ج٣٥/ص٢٢١، ص٣٤٧؛ ابن عبد البر،الاستيعاب،ج٤/ص١٨٧٤؛الذهبي،سير،ج٢/ص٢٧٤؛ ابن حجر،الاصابة،ج٨/ص٢٢٠.

[٣] القاضي النعمان، دعائم الإسلام،ج٢/ص١٩٩.

[٤] ابن البراج، المهذب،ج٢/ص١٨٠.

[٥] المقريزي، امتاع الأسماع،ج١/ص.٣٩٣.

على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ، أبلغت ؟ قالوا : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم " [١]. وعلى هذا الأساس نجد أن رسول الله (ﷺ) نصح فاطمة بنت قيس[٢] أن تتزوج من أسامة بن زيد بعد أن جاءته تستشيره في أمر زواجها ، بعد إن تقدم لخطبتها أبو الجهم [٣] ، ومعاوية بن أبي سفيان اللذان كانا من أشراف العرب ، فقال لها رسول الله (ﷺ) : " **أما معاوية فصعلوك لا مال له ، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عنقه . ولكن انكحي أسامة بن زيد"، فتزوجت زيد فقالت : " لقد اغتبطت بنكاحي إياه** " [٤].

وفي رواية جاء فيها أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى والي المدينة مروان بن الحكم كتاباً يطلب منه فيه أن يخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لولده يزيد ، وهذا ما جاء في نص كتاب معاوية " **اما بعد فان امير المؤمنين احب ان يُرد الالفة ويسُل السخيمة ، ويصل الرحم ، فاذا ورد عليك كتابي هذا فاخطب الى عبد الله بن جعفر[٥] ابنته ام كلثوم على يزيد بن امير المؤمنين ، وارغب له في الصداق**" ، حينها توجه مروان بن الحكم إلى عبد الله بن جعفر وقرأ عليه كتاب معاوية واعلمه غاياته إذ اوضح أن الغرض من هذا الزواج رد الألفة واصلاح ذات البين بين الطرفين ، فقال له عبد الله : " **إن أمرها ليس إلي ، إنما هو إلى سيدنا الحسين (عليه السلام) وهو خالها** " [٦] ، إذ كانت أخته السيدة زينب بن علي (عليها السلام)

---

[١] الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٣/ص٢٦٦.

[٢] فاطمة بنت قيس بن خالد الأكبر، كانت متزوجة من أبي عمرو بن حفص بن المغيرة بن عبد الله المخزومي. ابن سعد،الطبقات،ج٨/ص٢١٣.

[٣] خلف بن سالم ، أبو الجهم النصيبي ، روي عن سفيان الثوري، وروي عَنه الحسن بن يزداد الرسعني بحديث غريب تفرد به أبو الجهم. المزي، اكمال تهذيب،ج٨/ص٢٩٣؛ الذهبي، ميزان الاعتدال،ج١/ص٦٦٠؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣/ص١٥٤.

[٤] ابن سعد ،الطبقات ، ج٨/ص٢١٣.

[٥] ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب، ج٣/ص٢٠٠.

[٦] ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب، ج٣/ص٢٠٠.

زوجة لأبن عمها عبد الله بن جعفر[١] وأبنته أم أبيها أم كلثوم ، فلما قدم الإمام الحسين (عليه السلام) من رحلته في ينبع [٢] اخبره عبد الله ابن جعفر بموضوع الخطبة [٣] ، فذهب الإمام الحسين (عليه السلام) إلى بيت أخته السيدة زينب (عليها السلام) ، وعرض على أبنة أخته خطبة ابن عمها القاسم بن محمد فوافقت ، إلا أن مروان لما حضر وأوضح للإمام الحسين (عليه السلام) ما جاء في كتاب معاوية الذي كان نصه على لسان مروان " **قال : إن أمير المؤمنين أمرني بذلك وان أجعل مهرها حكم أبيها بالغا ما بلغ وساق الحديث إلى أن** قال الحسين(عليه السلام) : " **يا مروان ، قد قلت فسمعنا ، أما قولك مهرها حكم أبيها بالغا ما بلغ ، فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، في بناته ونسائه وأهل بيته ، وهو ثنتا عشرة أوقية يكون أربعمائة وثمانين درهما** " ، ثم أعلن الإمام الحسين (عليه السلام) عن تزويج أم كلثوم من أبن عمها القاسم بن محمد على مهر أربعمائة وثمانية درهم كما وهبها أحدى أراضيه بالمدينة [٤] ، رغم كل العروض التي قدمها معاوية لإتمام هذا الزواج وبذلك يكون الامام الحسين (عليه السلام) سد الطريق أمام معاوية في الزواج من أبنة أخته الهاشمية النجيبة فيزيد بن معاوية لا يمكن له ان يتزوج امرأة هاشمية او بالأحرى أن بني هاشم لا يمكن لهم أن يزوجوا بناتهم لرجل أموي بدليل رد مروان على الإمام الحسين (عليه السلام) الذي نقله لنا أبن شهر آشوب ، إذ قال للإمام الحسين (عليه السلام): " **فتغير وجه مروان وقال : أغدرا**

---

[١] عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي ، ولد بأرض الحبشة لما هاجر والديه إليها، أمه أسماء بنت عميس ، وهو أول من ولد من المسلمين بأرض الحبشة، كنيته أبا جعفر، اشتهر بكرمه فلقب ب(بحر الجود)، تزوج من السيدة زينب بنت علي (عليها السلام) فولدت له علي وعون الاكبر ومحمد وعباس وأم كلثوم، روي عدة احاديث عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، وعن عمه الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، وهن عثمان بن عفان ايضاً، قدم البصرة والكوفة والشام ،كان أحد الأمراء في جيش الإمام علي (عليه السلام) في معركة صفين، توفي في المدينة سنة (٨٠هـ/٦٩٩م)،وقيل سنة (٨٤هـ/٧٠٣م)..ابن سعد الطبقات،ج٨/ص٤٦٥؛أبو نعيم، معرفة الصحابة ،ج٣/ص١٦٠٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣/ص٨٨٠-٨٨١؛ المزي، تهذيب الكمال،ج١٤/ص٣٦٧.

[٢] عرض من أعراض مدينة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وكانت سدنته لبني لحيان. ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٣/ص٢٧٦.

[٣] البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥/ص١٤٢-١٤٣.

[٤] المبرد، الكامل في اللغة،ج٣/ص١٥٤ ؛ ابن شهر آشوب ،مناقب آل أبي طالب، ج٣/ص٢٠٠.

يا بني هاشم تأبون إلا العداوة " ، ثم قال له الإمام الحسين (عليه السلام) : " **فأين موضع الغدر يا مروان ؟ فقال مروان :**

أردنا صهرك لنجد ودا قد اخلقه به حدث الزمان

فلما جئتكم فجبهتموني وبحتم بالضمير من الشنان

فأجابه ذكوان مولى بني هاشم قائلاً :

أماط الله منهم كل رجس وطهرهم بذلك في المثاني

فلما لهم سواهم من نظير ولا كفؤ هناك ولا مداني

أيجعل كل جبار عنيد إلى الأخيار من أهل الجنان " [١].

وبذلك قام الإمام الحسين (عليه السلام) بالوقوف ضد زواج أبنة اخته الهاشمية من بني أمية ، وعليه يمكن القول أن تلك الروايات جاءت لتؤكد إن الأمويين هم من رفضوا الزواج من الهاشميات ، وهذا يتناقض مع موقف أهل البيت (عليهم السلام) تجاه الأمويين والزواج منهم .

وقد اختلفت الروايات التاريخية بشأن زواج سكينة بنت الإمام الحسين (عليه السلام) ، فقد روي أنها كانت متزوجة من مصعب بن الزبير فولدت له فاطمة ، ولما توفى عنها تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم ابن حزام الذي ولدت له عثمان الذي كان يقال له قرين ، وحكيمً ، وربيحة ، وقيل إنها تزوجت زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، واختلف فيمن تزوجت بعد زيد ، فقيل أنها تزوجت إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، الذي كانت قد ولته نفسها فتزوجها فأقامت معه ثلاثة أشهر، فكتب هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م) إلى واليه بالمدينة أن يفرق بينهما ففعل ذلك[٢] ، وأضاف الذهبي أن سبب تفريق هشام لزواج سكينة هذا ، هو تزويجها لنفسها بدون ولي [٣] ، وأن صحت تلك الرواية فزواج الثيب بدون ولي يصح ، كما أوضحنا ذلك مسبقًا لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : "

---

[١] ابن شهر آشوب ،مناقب آل ابي طالب، ج٣/ص٢٠٠.

[٢] الزبيري، نسب قريش، ص٢٣٣؛ البلاذري، أنساب الأشراف،ج٩/ص٤٥٦؛ ابن سعد،الطبقات،ج٨/ص٣٤٦-٣٤٧؛ السمعاني،الأنساب،ج١٠/ص٤٠٤؛الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج٣/ص٢٤.

[٣] تاريخ الإسلام ، ج٣/ص٢٤١.

ليس للولي مع الثيب أمراً " [١] ، وخاصة إذا علمنا أنّ البلاذري نفى زواج سكينة من إبراهيم بن عبد الرحمن بقوله : " **وأما إبراهيم بن عبد الرحمن وأمه أم كلثوم بنت عقبة ، فكان سيدا وكان قصيراً ، وتزوج سكينة بنت الحسين فلم يرض بذلك بمو هاشم فخلعت منه ، ويقال إن بعض بني مروان خطبها فلم تتزوجه ، فلما أراد أن يتزوجها إبراهيم منع من ذلك** " [٢]، كما نفى ابن خلكان تلك الزيجة [٣]، وكذلك قيل إنها تزوجت الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ، فأمره عبد الملك بطلاقها ففعل ، بل و قيل أن سليمان بن عبد الملك وليس والده الذي أمر بطلاقها [٤] ، في حين نقل الزبير بن بكار أن سكينة نشزت عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن الحكيم ، وكانت رملة بنت الزبير زوجة خالد بن معاوية بن يزيد ، فدخلت على عبد الملك ، فقالت له : " **يا أمير المؤمنين، إن سكينة بنت الحسين نشزت بابني عبد الله بن عثمان ، ولولا أن نغلب على أمورنا ما كانت لنا حاجة بمن لا حاجة له بنا. فقال لها عبد الملك : يا رملة ، إنها ابنة فاطمة ! فقالت: نطحنا والله خيرهم ، وأنكحنا والله خيرهم ، وولدنا خيرهم.**" [٥]، يبدو أن كل هذا الاختلافات في مسميات أزواجها وترتيبهم تدل على زيف أغلب تلك الروايات المذكورة ، ذلك أن تلك الروايات جاءت لتؤكد إن الأمويين هم من رفضوا الزواج من الهاشميات ، وهذا يتناقض مع موقف أهل البيت (عليهم السلام) تجاه الأمويين والزواج منهم ، فالإمام الحسين (عليه السلام) هو الذي سد الطريق أمام معاوية وغيره من بني أمية في الزواج من أبنة أخته الهاشمية النجيبة كما أوضحنا ذلك ، فكيف بأبنة الإمام الحسين (عليه السلام) توافق على الزواج بشخصيات أموية .

كل ذلك دفع إلى ظهور التناقض الكبير بشأن زواج أم كلثوم ، فقد ذكر ابن حبيب أن أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب تزوجت ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر، ثم

---

[١] ابن حبان، صحيح ابن حبان،ج٩/ص٣٩٣؛ الكاشاني، بدائع الصنائع،ج٢/ص٢٤٢.

[٢] أنساب الأشراف،١٠/ص٣٤-٤٤.

[٣] وفيات الأعيان،ج٢/ص٣٩٤.

[٤] ابن سعد ، الطبقات، ج٨/ص٣٤٧.

[٥] جمهرة نسب قريش ، ص٣٨٨-٣٨٩.

الحجاج بن يوسف ثم علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب[١] ، ولكن الزبيري ذكر في رواية نقلها عنه ابن دمشق بأن خالد بن يزيد بن معاوية تزوج زينب بنت عبد الله بن جعفر وقال فيها شعراً عندما زفت اليه في الشام جاء فيه :

جاءَتْ بها دهمُ البغالِ وشهبُها مسيرة في جوفِ قرٍّ مُسترِ

مقابلةْ بين النبي محمـدٍ وبين عليٍ والجوادِ ابن جعفرِ

منافيةً غراء جادتْ بودهـا لعبدِ منافي اغر مُشهـر [٢] .

وفي الوقت نفسه ينكر الزبيري زواج أم كلثوم من يزيد ، إذ نقل ابن عساكر قائلاً : " **قال الزبير : قال عمي مصعب بن عبد الله وسمعت من ينكر أن يكون تزوجها وينكر الشعر**" [٣]. و قيل إن عبد الملك بن مروان تزوج أم كلثوم بنت جعفر بن أبي طالب عندما كان خليفة وطلقها [٤] ، وهي التي تزوجت علي بن عبد الله بن العباس وانجبت له عبد الله الاكبر [٥]، وأم كلثوم هي نفسها التي ذكر البلاذري أنها تزوجت ابان بن عثمان بن عبد الملك من بعد أن طلقها من الحجاج [٦] ، وهي نفسها التي ينكر البلاذري زواجها من عبد الملك وعلي بن عبد الله بقوله : " **ولم تكن عند عبد الملك قط ، وأن التي تزوجها عبد الملك ثُمَّ عَليّ بعده أم أبيها أختها** " [٧] ، فمن يا ترى هي بنت عبد الله بن جعفر التي كانت قد تزوجت من بني امية ؟ ، ومن هو صاحب الأبيات الشعرية ؟ كل هذه التساؤلات وتلك التناقضات تؤكد لنا حالة الزيف والدس والخلط في الروايات التاريخية ، فكل هذه الاختلافات إن دلت على شيء فهي تبرهن على أنه لا يزيد ولا غيره من بني أمية تزوجوا من أم كلثوم ، ذلك

---

[١] المحبر، ص٤٣٩.

[٢] تاريخ دمشق ،ج٦٩/ص١٧٢.

[٣] تاريخ مدينة دمشق ،ج٦٩/ص١٧٢.

[٤] البلاذري، أنساب الأشراف ،ج٢/ص٥٩؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق،ج٢٨/ص١٣٤؛ المزي ، تهذيب الكمال ،ج٣٥/ص٣٧

[٥] الزبيري، نسب قريش،ص٢٩؛ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق،ج٢٨/ص١٣٤؛ المزي ،تهذيب الكمال ،ج٣٥/ص٣٢٦

[٦] البلاذري ،أنساب الأشراف،ج٥/ص٦١٨.

[٧] البلاذري ،أنساب الأشراف، ج٢/ص٦٠.

لأن ال بيت الرسول (ﷺ) يرفضون المصاهرة مع معاوية أو بني امية قاطبة ، وأن أم أبيها أم كلثوم بنت جعفر بن أبي طالب كانت قد تزوجت من ابن عمها القاسم بن جعفر بن ابي طالب ومن بعده تزوجت علي بن عبد الله بن العباس.

وفي المقابل من هذه الروايات المتناقضة والمتضاربة نجد رواية تؤكد رفض الأمويين الزواج من الهاشميات خشية ودهم والميل نحوهم ، إذ أجبر الأمويين الحجاج بن يوسف الثقفي على أن يفسخ زواجه من أبنة عبد الله بن جعفر، وخاصة إذا علمنا أنّ ذلك الإجبار كان موجها من قبل عبد الملك نفسه وتحريضاً من خالد بن يزيد خشية من الميل نحو الهاشميين ، كما سبق وأن مال خالد بن يزيد نحو الزبيريين بعد ما تزوج من رملة بنت الزبير، لهذا كان من الاولى بالنسبة للأمويين أن يبتعدوا عن الزواج من الهاشميات ، وهذا ما يثير الشكوك حول صحة ما دُس بشأن تلك الزيجات.

وذكرت المصادر أنه لما قتل عبد الله ابن الزبير حجّ خالد بن يزيد بن معاوية ، خطب رملة بنت الزبير بن العوام ، فأرسل إليه الحجاج حاجبه عبيد الله بن موهب [١] ، وقال له : " **ما كنت أراك تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني ، وكيف خطبت إلى قوم ليسوا لك بأكفاء ! وكذلك قال جدّك معاوية ، وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة ، ورموه بكل قبيحة ، وشهدوا عليه وعلى جدّك بالضّلالة " فنظر إليه خالد ، ثم قال له : " لو لا أنّك رسول ، والرسول لا يعاقب لقطَّعتك إربا إربا ، ثم طرحتك على باب صاحبك ، قل له : ما كنت أرى أن الأمور بلغت بك إلى أن أشاورك في خطبة النساء ! وأما قولك لي : قارعوا أباك وشهدوا عليه بكلّ قبيح ، فإنها قريش يقارع بعضها بعضا ، فإذا أقرّ الله عز وجل الحقّ قراره ، كان تقاطعهم وتراحمهم على قدر أحلامهم وفضلهم . وأما قولك : إنهم ليسوا بأكفاء فقاتلك الله يا حجّاج ، ما أقلّ علمك بأنساب قريش ! أيكون العوام كفؤا لعبد المطلب بن هاشم بتزوّجه صفيّة ، وبتزوج رسول الله صلّى الله عليه وسلم خديجة بنت**

---

[١] عبيد الله بن عبد الله بن موهب التيمي ، أبو يحيى، كان من رواة الحديث ، نقل عنه ابنه يحيى وهو ليس بثقة .ينظر، الذهبي، ديوان الضعفاء، ص٣٤٦ .

خويلد ، ولا تراهم أهلا لأبي سفيان " ، فرجع الحاجب إلى الحجاج فأخبره بما قال له خالد [١] ، وزيادة على ذلك ذكر ابن بكار الزبيري أن رملة بنت الزبير دخلت على عبد الملك بن مروان، وكانت وقتئذ زوجة لخالد بن يزيد بن معاوية ، فقال لها عبد الملك : " **يا رملة غرني عروة منك. فقالت : لم يغررك ، ولكنه نصحك، إنك قتلت مصعباً أخي، فلم يأمنى عليك. وكان عبد الملك أراد تزوجها، فقال له عروة: لا أرضى ذلك لك.**" [٢] ، بمعنى أن بني أمية ونتيجة لسوء أعمالهم العدوانية ، لم تكن لديهم مؤهلات تجعلهم اكفاء للزواج من أشراف القوم ، أمثال بني هاشم أو آل الزبير بن العوام حتى أن الحجاج عارض خالد عندما أراد خطبة رملة بنت الزبير، كما أنّ رملة نفسها رفضت الزواج من عبد الملك الأموي لقتله أخيها مصعب .

ثانياً : دور الأم في التنشئة الاجتماعية .

أوضح علماء الاجتماع أن أولى الوظائف التي تقوم بها الأسرة هي تعليم أبنائهم وتلقينهم كل ما يتعلق بمعتقدات المجتمع والطقوس الدينية التي يمارسها ذلك المجتمع ، فتعتبر الأسرة الجهة المسؤولة عن تنشئة الأطفال وتربيتهم من الناحية الدينية أو العقائدية [٣] .

وقد احتلت المعتقدات الدينية حيزاً كبيراً في حياة الناس منذ القدم ، إذ يعد الدين أحد أهم النظم البشرية التي سيطرت على نفسية الفرد بأشكال وصور تعددت باختلاف المجتمعات الإنسانية، وبما أن الدين يمثل مجموعة من العقائد والأنظمة التي يتعلمها الفرد منذ عهد الطفولة ، لذلك تتمثل قواعد السلوك الديني فيما تفرضه تلك العقائد أو المعتقدات من طقوس ومراسيم وشعائر دينية [٤] .

---

[١] البلاذري، أنساب الأشراف ،ج٥/ص٣٦١-٣٦٢؛ أبو الفرج الأصفهاني،الأغاني،ج١٧/ص٢١٩؛ ابن عساكر ،تاريخ دمشق،ج٦٩/ص١٢٨؛ ابن الجوزي ، المنتظم،ج٦/ص٢٣٨.

[٢] جمهرة نسب قريش، ص٣٨٩.

[٣] كاظم، التنشئة الاجتماعية، ص٢٢٢.

[٤] وافي ، الأسرة والمجتمع،ص١٤-١٦.

أن التأثير المباشر للعامل الديني في تربية الطفل كان واضحًا في المجتمع العربي ، ذلك أن المعتقدات المتعلقة بتنشئة الطفل عند العرب قبل الإسلام ارتبطت بهاجس الحياة والموت ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه العقيدة بقوله تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [١]، وفي تاريخ العرب قبل الإسلام كان العرب ينذرون أولادهم ويقفوهم على عبادة الأصنام ، إذ ذكر أن من جدات النبي محمد (ﷺ) وهي (حيي بنت حليل الخزاعية) زوجة قصي بن كلاب ، حين ولدت أبنها عبد مناف واسمه (المغيرة) دفعته إلى أعظم أصنام مكة (مناف) لذلك سماه والده عبد مناف تبركاً به ، مما يدلل على أن للدور الديني أثر كبير في تسمية العرب لأبنائهم ، وكان عبد مناف يلقب بالقمر لشدة جماله[٢] ، كما كانت له الرئاسة والزعامة والسؤدد ، وفيه قال ابن حزم(ت٤٥٦هـ) : " **فولد قصي بن كلاب: عبد مناف، وفيه البيت والشرف؛ فيه البيت والشرف**" [٣]، وذكر البلاذري أنه وجد كتاب في حجر مكتوب عليه " **أن المغيرة بن قصي أوصى قريشا بتقوى الله ووصلة الرحم**" [٤]، وفي العصر الإسلامي نجد أن المسلمين كانوا يتبركون بوضع المولود بين يدي رسول الله (ﷺ) لتسميته ، ومنها ما رواه أنس بن مالك عن قصة ولادة أمه (أم سليم الأنصارية) التي كانت في سفر مع رسول الله (ﷺ) ، ولما دنوا من المدينة ، ضرب أم سليم المخاض فاحتبس عليها أبو طلحة وانطلق غلى رسول الله (ﷺ)، قال يقول : " **أبو طلحة انك لتعلم يا رب انه يعجبني ان اخرج مع رسولك إذا خرج وادخل** معه إذا دخل وقد احتبست بما ترى قال تقول أم سليم : " **يا أبا طلحة ما أجد الذي كنت أجد انطلق**" ، فانطلقنا حتى ولدت غلاماً، فقالت لي أمي : " **يا انس لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله صلى الله عليه وسلم** " ، فلما أصبح احتملته فانطلقت به إلى رسول الله (ﷺ) ، فجئت به فوضعته في حجر رسول الله (ﷺ)، فأتى بعجوة من عجوة المدينة فمضغها

---

[١] سورة آل عمران، آية ٣٥.

[٢] البلاذري، أنساب الأشراف ، ج١/ص٥٢.

[٣] جمهرة أنساب العرب،ص١٤.

[٤] أنساب الأشراف ،ص٥٢.

في فيه، ثم قذفها في فم الصبي فجعل الصبي يتلمظها ، فقال رسول الله(ﷺ) : " **انظروا إلى حب الأنصار التمر قال فمسح وجهه وسماه عبد الله** " [١].

وفي موضع آخر روي عن أنس بن مالك ، أن النبي محمد(ﷺ) دخل على أم سليم فجاءته بتمر وسمن ، فقال (ﷺ)، قَالَ: " **أَعِيدُوا سَمْنَكُمْ فِي سِقَائِهِ، وَتَمْرَكُمْ فِي وِعَائِهِ، فَإِنِّي صَائِمٌ**"، ثمُ قام وصلى في أحدى نواحي البيت ، فدعا لأم سليم وأهل بيتها ، فقالت أم سليم : " **يا رسول الله ، إن لي خويصة** " [٢] ، قال: ماهي ؟، قالت : " **خادمك أنس ، فما ترك خير أخرة ولا دنيا إلا دعا لي به** " ، قال : " **اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ فِيه** " ، فبفضل بركة دعاء النبي محمد (ﷺ) لأنس أصبح اكثر أموالاً وأولاداً ، حتى أنه قال : " **أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ حَجَّاجٍ البَصْرَةَ بِضْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةَ**" [٣] ، أي من ولدي غير أحفادي[٤] وأسباطي في مقدم الحجاج بن يوسف الثقفي إلى البصرة سنة (٧٥هـ/٦٩٤م) ، وكان عمر أنس حينها أكثر من ٨٠ سنة ، وقد عاش بعدها إلى سنة (٩٣هـ/٧١١م) حتى قارب المائة عام [٥].

فقد كان العرب يميزون الأم ويقدرونها بالإكرام ، بحيث إن المرأة كانت محتقرة لديهم حتى تصبح أماً فيعلو مقامها ، لدرجة أن العرب لم يكونوا يقومون بالعزاء للمرأة بعد وفاتها إلا بعد أن تكون أم [٦] أن الدور الذي كانت تؤديه الأم عند العرب يعد دوراً اجتماعياً ورئيسياً في القبيلة ، ذلك لأن المرأة لم تصبح بالزواج قرينةً لزوجها فحسب بل كانت له معينًا نفسيًا يساهم في إسعاد الأسرة بوجه خاص والقبيلة بوجه عام ، وذلك من خلال إداء رسالتها في

---

[١] مسلم ،صحيح مسلم، ج١٩٠٩/٤.

[٢] تصغير الشيء خاصة ويعني الذي يختص بخدمتك وصغرته لصغر سنه. ابن منظور، لسان العرب،ج٧/ص٢٥.

[٣] البخاري، صحيح البخاري، ج٣/ص٤١.

[٤] سبط وجمعها (أسباط)، وسباطته كثرته وسعته ،والسبط ولد الولد ، وقيل يسمى ولد الولد الحفيد ،أما ولد البنت فيسمى بالسبط. البخاري، صحيح البخاري، ج٣/ص٤١.ابن منظور، لسان العرب،ج٧/ص٣١٠؛ الفيومي، المصباح المنير،ج١/ص٢٦٣؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط،ص٦٦٩.

[٥] البخاري، صحيح البخاري، ج٣/ص٤١.

[٦] بيهم المرأة في التاريخ ص١٦١.

أنجاب محاربين عديدين ترتكز عليهم الحياة القبلية التي تقوم على الحروب والعصبية والنصرة [١] ، وعليه قال العرب أفضل النساء الولود ، وذلك لما عرف عنهم من التفاخر بكثرة عدد الأولاد والتعيير بقلتهم ، وفي ذلك قال السموأل :

تعيرنا إنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل[٢].

لذلك فضل العرب المرأة المنجبة على الجميلة العاقر، وجاء في الحديث النبوي الشريف : " **خير نساءكم الودود الولود**" [٣] ، وقوله (ﷺ) : " **سوداء خير من حسناء لاتلد**" [٤] .

ومن أشهر النساء المردفات التي عرفت بكثرة أنجابها للأولاد أم خارجة [٥] ، وهي عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قُداد ، من بجيلة ، و بها كان يضرب المثل " **أسرع من نكاح أم خارجة** " [٦] فقد أكثرت من أولاد العرب حتى قيل إنها " **قد ولدت في العرب في نيف وعشرين حيا من آباء متفرقين** " [٧]، فتزوجت أم خارجة حسب ما ذكره ابن حبيب والبلاذري ثمانية أزواج ، رجلاً من إيادٍ فخلعها ، وتزوجها بعده بكر بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قَيس عيلان [٨] فولدت له خارجة الذي به كنيت ، وهو بطن ضخم من بطون العرب ، ثم تزوجها عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو(مزيقيا)[٩]، فولدت له سعد أبا المصطلق والحيا، وهما من خزاعة ، ومن بعده تزوجت بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فولدت له ليشاً والديل وعريج ، ومن ثم تزوجت مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد، فولدت له غاضِرةَ وعمراً، وكذلك تزوجت أم

---

[١] الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص ١٥٤

[٢] القالي ،الآمالي ،ص٢٧٢ .

[٣] البخاري ، صحيح البخاري،ج٢/ص٢٣١؛أبي داود،سنن أبي داود،ج٤/ص٣٤٢.

[٤] مسلم ، صحيح مسلم،ج١/ص٢١٣.

[٥] ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٩٨.

[٦] الضبي، أمثال العرب،ص٥٨؛ العسكري ،جمهرة الأمثال،ج١/ص٥٠٩؛ الميداني ، مجمع الأمثال ، ج١/ ص٣٤٨.

[٧] المحبر ، ص٣٩٨؛ أنساب الأشراف ،ج١١/ص٨٤.

[٨] لم نعثر له على ترجمة.

[٩] لقب اشتهر به عامر(ماء السماء) بن حارثة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد ، أحد ملوك اليمن ، لقب بمزيقيا لأنه كانت تنسج له في كل سنة(٣٦٠) حلة ، فقد كان يلبس في كل يوم حلتين من حلل الملوك ، وفي المساء يقوم بتمزيقها لأنه يكره أن يلبسها مرة أخرى ، ويأنف أن يلبسها أحداً غيره . للمزيد ينظر ، ابن وهب، التيجان في ملوك حمير ، ص٢٧٣؛ ابن الجوزي ، المنتظم ،ج٢/ص٤٨-٤٩

خارجة من الجشم بن مالك بن كعب بن القَين بن جسر القضاعي ، فولدت له عرنية ، ومن بعده تزوجت عامر ابن عمرو البهراني القضاعي ، فولدت له ستة أولاد وهم : بهراء ، وثعلبة، وبيان ، وهِلال ، وبيان ، ولخوة ، والعنبر، كما تزوجت أم خارجة عمرو بن تميم ، فولدت له أسيد وهجيم [١] ، وقال المبرد(ت:٢٨٥هـ/ ٨٩٨م): " **أم خارجة قد ولدت في العرب في نيف وعشرين حيا من آباء متفرقين** " [٢]، أما الميداني (ت:٥١٨هـ/١١٢٤م) فقال عنها : "**فتزوجت نيفا وأربعين زوجا وولدت عامة قبائل العرب**" [٣]، يبدو أن الميداني لم يكن دقيقًا في نقله لعدد أزواج وأولاد أم خارجة ، فمن المؤكد أنه خلط بين عدد أزواجها وأولادها فهي وأن ضرب بها المثل بسرعة نكاح ، إلا أنه من غير المعقول أن يصل إلى العدد الذي ذكره الميداني في أمثاله.

وتزوجت هند وهي خولة بنت عوف بن زهير، الكنانية ، ثلاث زيجات وأنجبت من هذه الزيجات تسع بنات جميعهن دخلن الإسلام ، حتى اطلق عليهن رسول الله (ﷺ) لقب (الأخوات المؤمنات) ، والجدير بالذكر أن هند عرفت بلقب (أكرم عجوز على الأرض أصهاراً) ، ذلك لأن أصهارها كانوا ، رسول الله (ﷺ) ، وأبو بكر الصديق ، وحمزة والعباس أعمام رسول الله (ﷺ) ، والإمام علي بن أبي طالب (ﷺ) وأخيه جعفر الطيار رضوان الله عليه[٤] وكان زوج هند الأول خزيمة بن الحارث [٥] ، أنجبت منه أم المؤمنين زينب بنت خزيمة [٦] ، وكان الزوج الثاني لهند الحارث بن حزن[٧] ، أنجبت منه ميمونة بنت الحارث

---

[١] الميداني ، مجمع الأمثال ، ج١/ ص٣٤٨.

[٢] الكامل في اللغة والأدب ،ج٢/ ص٤٩

[٣] مجمع الأمثال ، ج١/ ص٣٤٨.

[٤] مطر، الصحابية سلمى بنت عميس،ص١٧٣١.

[٥] خزيمة ابن الحارث بن عمرو ابن قيس بن عبد مناف. البلاذري، أنساب الأشراف ،ج١/ص ٤٢٩؛ ابن سعد ، الطبقات ،ج٨/ص٢٧٧.

[٦] ابن منده ، معرفة الصحابة،ص٩٥٥؛ أبو نعيم، معرفة الصحابة،ج٦/ص ٣٢٢٨؛ ابن حجر ،الإصابة،ج٨/ص١٥٧.

[٧] الحارث بن حزن بن بجير ابن الهزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة. البلاذري، أنساب الأشراف،ج١/ص٤٤٤؛ سعد، الطبقات،ج٨/ص٢٨٠-؛ الذهبي، سير، ج/ص٤٨٩.

[١] التي تزوجها (ﷺ) بعد عمرة القضاء في السنة السابعة للهجرة ، كما انجبت هند للحارث لبابة الكبرى (أم الفضل) زوجة العباس بن عبد المطلب [٢] ، أما زوج هند الثالث فكان عميس بن معد الخثعمي[٣] ، أنجبت منه أسماء وسلمى [٤].

وقد أوضحت الدراسات التربوية أهمية الوالدين في تنشئة الأفراد سيما في الفترة الأولى من حياتهم ، ذلك لأن المرء يكتسب ألوان السلوك من عادات وتقاليد سواء كانت مقبولة أو مرفوضة اعتماداً على الأبوين اللذان يعتبران القدوة أو النموذج الذي يقتدي به الفرد ويحاول تقليده [٥]، فعن طريق الأسرة يتعلم الأطفال تربيتهم وغرس تقاليد المجتمع من شجاعة وكرم وسخاء ونخوة والصبر ومواجهة المحن والصعاب وغيرها من الصفات الأخرى [٦] .

وتعد الأم أهم عامل مؤثر في عملية التنشئة الاجتماعية ، وفي أثر تلك العلاقة ضربت العرب الأمثال فقالوا: " **الى أمه يلهف اللهفان** "[٧] ، وعلى هذا الأساس فأن هذه العلاقة التي تربط الأم بأبنائها ستؤثر بشكل كبير على تنشئة الأبناء حتى في علاقاتهم التي يقيمونها فيما بعد مع بعضهم البعض أو مع الآخرين حتى قيل " **أن دور الأم بالتنشئة أكثر من دور الأب** " [٨].

ومع هذا لا يمكن أن نلغي دور الأب الأساسي في تربية الأبناء ، إذ أن للأب في الأسرة العربية دوراً واضحاً وبارزاً يؤثر على الأبناء بشكل كبير جداً ، باعتباره المسؤول الأول عن تربيتهم وتعليمهم حتى يبلغوا أشدهم ، ويمكن القول أن لعاطفة الأبوة انعكاساتها على الأسرة

---

[١] تزوجها مسعود بن عمرو الثقفي قبيل الاسلام ، ففارقها ، ومن ثم تزوجها أبورهم بن عبد العزي . للمزيد ينظر، البلاذري، أنساب الأشراف،ج١/ص٤٤٤؛ ابن سعد، الطبقات،ج٨/ص١٠٤ ؛ الذهبي، سير، ج/ص٤٨٩.

[٢] ابن سعد، الطبقات،ج٨/ص٢٧٧؛ الذهبي، سير،ج٢/ص٧١.

[٣] عميس بن معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة ابن عامر بن ربيعة بن عامر بن سعد بن مالك الخثعمي . للمزيد ينظر، أبو الفرج الأصفهاني،الأغاني،ص٣٥؛ابن عبد البر،الاستيعاب،ج٤/ص ١٧٨٤.

[٤] ابن سعد، الطبقات،ج٨/ص٢٨٠-٢٨٥؛ابن عبد البر،الاستيعاب،ج٤/ص ١٧٨٤ .

[٥] مرسي، التربية الإسلامية اصولها وتطورها في البلاد العربية ، ص٥٢.

[٦] بيهم ،المرأة في التاريخ،ص١٤٧-١٤٨.

[٧] الميداني، مجمع الأمثال،ج١/ص٢٣.

[٨] كاظم، التنشئة الاجتماعية،ص١١١.

، لها بالغ الأثر في تنشئة الأبناء التنشئة السليمة ، فإذا ما ترك المرء بمفرده أصبح موتوراً [١] أو يتيماً [٢] بفقد أبيه ، الأمر الذي له آثاره النفسية على تنشئة المرء ، ذلك أن فقدان العاطفة الأبوية تؤدي إلى اتصاف الطفل بصفات الشر والقسوة ، وهذا ما اثبتته الدراسات التربوية والنفسية ، إذ أكدت أن الحرمان من العاطفة والحنان الأبوي يعد أحد أسباب القسوة عند الأطفال ، فغياب الأب يدفع بالمرء لاكتساب قيم ومفاهيم لا يحمد عقباها , كما في تنشئة الحارث بن ظالم المري[٣] الذي نشأ فتاكاً ، حيث ضرب به المثل فقالت العرب " **أفتك من الحارث بن ظالم** " [٤].

وقد عرف عن العرب قبل الإسلام توليتهم إعالة اليتامى والأرامل ، ومنهم نعيم بن عبد الله النحام[٥] الذي عرف عنه بأنه كان ينفق على أرامل قومه من بني عدي[٦]. ولعل من أبرز

---

[١] جاءت لفظة الموتور من كلمة وتر التي تعني المفرد ، ووترت الرجل، قتلت حميمه فأفردته منه. الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج١/ص٤٩؛ الزمخشري، أساس البلاغة ،ج٢/ص٣١٨.

[٢] اليتيم وتعني الفرد، وهو الذي فقد أبوه ، فهو يتيم حتى يبلغ فإذا بلغ زال عنه أسم اليتيم ، وهذا ما أكده رسول الله (ﷺ) بقوله: " **لا يتم بعد احتلام**" ، واليتيم يكون في الناس من قبل الأب ،وفي البهائم فقدان الأم ،فلا يقال لمن فقد أمه يتيم بل يقال له (منقطع). الفراهيدي، العين ،ج٨/ص١٤٠؛ أبي داود، سنن أبي داود، ج٤/ص٤٩٦؛ ابن منظور، لسان العرب،ج١٢/ص٦٤٥ ،ج١٥/ص٣٦١؛ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط، ص١١٧٢.

[٣] الحارث بن ظالم بن غيظ المري ، الذبياني ، أبو ليلى ، أشهر فتاك العرب في الجاهلية، نشأ يتيماً بعد قتل أبيه وهو طفل ، ونشأ وفي نفسه أشياء من قاتل أبيه ، انتقلت إليه سيادة بني غطفان بعد مقتل زهير بن جذيمة ، وقد وفد على النعمان بن المنذر ملك الحيرة فالتقى بقاتل والده جعفر بن خالد (رئيس بني عامر) فتنازعا هناك بين يدي النعمان، ولما أمسى الليل أقبل الحارث على خالد وهو نائم في مبيته فقتله ، وعندما علمت بذلك بنو عامر أخذت تطالب في ثأر سيدهم ، فعاد الحارث إلى عشيرته في غطفان، فهابوا بنو عامر ولم يحموه، حينها أنصرف إلى حاجب بن زرارة التميمي، لكي يحميه فحماه مدة من الزمن ثم تجهم له، فهرب الى عروض اليمامة.، ولما بلغه أن النعمان بعث إلى جارات له فقام بسبيهن ، أتى حاضنة ابن النعمان فأخذه منها وقتله، فأخذ النعمان في طلبه ، فلجأ إلى بني شيبان الذين آووه قليلاً، فرحل ولحق بقبيلة طيء قليلاً ، ومن ثم رحل عنها فلجأ الى بني دارم الذين قاموا بحمايته ، فغزاهم أخو خالد بن جعفر العامري (الاحوص) ، فهزمهم الحارث ثم انطلق يجول في البلدان حتى جاء الشام، فقتل في حوران. ينظر ، ابن حبيب ، المحبر ،ص١٩٢؛ الميداني، مجمع الأمثال،ج٢/ص٨٩؛ النويري، نهاية الأرب ،ج٣/ص٥٣،الزركلي ،الاعلام،ج٢/ص١٥٦.

[٤] الميداني ، مجمع الأمثال ، ج٢/ص٨٩.

[٥] نعيم بْن عبد الله النحام ، من بني عدي القرشي، وإنما سمي النحام لأن رسول الله (ﷺ) قَال: " **دخلت الجنة فسمعت نحمة من نعيمٍ فِيهَا** "، والنحمة تعني السعلة، وقيل النحنحة الممدودة آخرها، فسمي لذَلِك النحام ، وكَانَ نعيم النحام من السابقين بدخول الإسلام ،إذ إنه أسلم بعد عشرة أنفسٍ قبل إسلام، وكَان يكتم إسلامه ، فمنعه قومه من الهجرة لشرفه فيهم ،

الأدلة على اهتمام العرب قبل الإسلام بالأيتام وتعهدهم برعايتهم ، رعاية عبد المطلب بن هاشم لحفيده محمد بن عبد الله (ﷺ) الذي توفى والده وهو في بطن أمه ، فكان رسول الله (ﷺ) مع أمه آمنة بنت وهب ، فلما توفيت قبضه إليه جده عبد المطلب وضمه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده ، فكان يقربه منه ويدنيه ، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام ، وكان جده عبد المطلب لا يأكل طعامًا إلا وقال : "**علي بابني فيؤتى به إليه، كما أن عبد المطلب كان يوضع فراشاً في ظل الكعبة ، فكان لا يتجرأ على الجلوس في فراشه إلا حفيده محمد (ﷺ) الذي كان يسره جلوسه معه ، كما إن جده عبد المطلب كان يوصي حاضنته أم أيمن ويقول لها : يا بركة لا تغفلي عن ابني فإني وجدته مع غلمان قريب من السدرة** ، ..." [١]. ولما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبنه أبي طالب بكفالة ابن أخيه محمد (ﷺ)[٢] ، فكان أبو طالب يحبه حباً شديداً حتى أنه كان لا ينام إلا جنبه وإذا خرج كان يخرج معه فضلاً عن توليه أمر الأنفاق عليه ومؤونته[٣].

وحينما بعث رسول الله(ﷺ) بالرسالة النبوية ، أعطى الأيتام أهمية بالغة فقد أولاهم عناية ورعاية خاصة ، لاسيما بعدما وصى الله عز وجل في كتابه الكريم بضرورة كفالة الأيتام [٤] والإحسان إليهم في الكثير من الآيات القرآنية الكريمة ، ومنها قوله تعالى:﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا**

فَقَالُوا له : " **أقِم عندنا عَلَى أي دين شئت، وأقم فِي ربعك، واكفنا مَا أنت كافٍ من أمر أراملنا، فو الله لا يتعرض لك أحد إلا ذهبت أنفسنا جميعًا دونك**" ، حتى أن النبي (ﷺ) حين قدم عليه قال له: " **قومك، يَا نعيم، كانوا خيرًا لك من قومي لي. قَالَ: بل قومك خير يَا رَسُول الله. قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قومي أخرجوني، وأقرك قومك** "، وكانت هجرة نعيم في أيام الحديبية ، وقيل بل هاجر فِي غزوة الخندق ، وقيل، إنه أقام بمكة حَتَّى كَانَ قبل الفتح، كما اختلف في سنة وفاته ، فقيل استشهد بأجنادين (١٣هـ/٦٣٤م) فِي آخر خلافة أَبِي بكر الصديق ، وقيل أنه أستشهد يوم اليرموك في سنة(١٥هـ/٦٣٦م) في خلافة عمر بن الخطاب وهو الأرجح. البخاري، التاريخ الكبير،ج٨/ص٩٢؛ ابن عبد البر، الاستيعاب،ج٤/ص١٥٠٧-١٥٠٨؛ الذهبي ،تاريخ الإسلام ،ج٢/ص٥٩.

[٦] ابن عبد البر،الاستيعاب،ج٤/ ص١٥٠٧-١٥٠٨؛الذهبي،تاريخ الإسلام ،ج٢/ص٥٩.

[١] ابن سعد ،الطبقات،ج١/ص٩٥؛ ابن الجوزي ، المنتظم،ج٢/ص٢٧٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج٢/ص٢٨٢.

[٢] ابن سعد،الطبقات،ج١/ص٩٥؛ ابن الجوزي ، المنتظم،ج٢/ص٢٧٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج٢/ص٢٨٢.

[٣] ابن هشام، السيرة النبوية،ج١/ص١٧٩؛ السلامي ، الروض الآنف ؛ ج٢/ص١٣٩ ؛ السبحاني، السيرة المحمدية،ص٢٦.

[٤] وكفالة اليتيم هي **" القيام بأموره والسعي في مصالحه من طعامه وكسوته وتنمية ماله إن كان له مال وإن كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى"**. ينظر، الذهبي، الكبائر، ص١٠١.

يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [١] ، وقوله تعالى:﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[٢]. وقد راعى المنهج الإسلامي اشباع الحاجات المعنوية لليتيم كالإحسان إليه والعدل معه ، قال تعالى: ﴿**وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا**﴾ [٣].

وقد أكدت الأحاديث النبوية الشريفة على ضرورة كفالة اليتيم واعالتهم واصلاح شؤونهم، فجعل منزلة من يتعهد برعاية الأيتام قريبةً من منزلته (ﷺ) لقوله : " **أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وقرن بين اصبعيه الوسطى والتي تلي الابهام** " [٤]، فأوصى رسول الله (ﷺ) على مداراة اليتيم والرفق به وتكريمه ، فقال (ﷺ) : " **حث الله عز وجل على بر اليتامى لانقطاعهم عن آبائهم فمن صانهم صانه الله ، ومن أكرمهم أكرمه الله ، ومن مسح يده برأس يتيم رفقا به جعل الله له في الجنة بكل شعرة مرت تحت يده قصرا أوسع من الدنيا بما فيها ، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، وهم فيها خالدون** "[٥] ، و قال رسول الله (ﷺ): " **والذي بعثني بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم ولان له في الكلام ورحم يتمه وضعفه ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله وقال يا أمة محمد والذي بعثني بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون إلى صلته ويصرفها إلى غيرهم والذي نفسي بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة** " [٦]، وقوله (ﷺ) : " **كن لليتيم كالأب الرحيم وأعلم أنك كما تزرع تحصد**" [٧] . إذ عرف عن رسول الله (ﷺ) بأنه كان يتكفل

---

[١] سورة البقرة، آية ٢١٥.

[٢] سورة البقرة، آية ٢٢٠.

[٣] سورة النساء، آية ١٢٧.

[٤] أبي داود، سنن أبي داود،ج٨/ص٩؛ الطبراني، المعجم الكبير،ج٦/ص١٧٣.٣٣٨.

[٥] المجلسي، بحار الأنوار،ج٧٢/ص١٢.

[٦] الهيثمي، مجمع الزوائد،ج٣/ص١١٧.

[٧] البخاري، الأدب المفرد، ص١٦؛ الهيثمي، مجمع الزوائد،ج٤/ص٢٧٤.

رعاية أرامل قومه قبل البعثة، فقد وصف بأنه (عصمة للأرامل) كما جاء وصف ذلك في شعر عمه ابو طالب حين مدحه قائلاً: " **وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل** " [١]. ولعل في يتم رسول الله (ﷺ) أثر في اهتمامه بالإيتام ورعايته لهم حتى أنه اصبح ملجأ وغياث لليتامى ، فضلاً عن سمو اخلاق النبي (ﷺ) وانسانيته التي دفعته الى الاهتمام بالأيتام قبل البعثة الشريفة.

وبعد البعثة النبوية الشريفة تزايد اهتمام رسول الله (ﷺ) برعاية الأرامل والأيتام ، فقد واصل النبي (ﷺ) أمر رعاية وكفالة الأيتام والأرامل ، وذلك بكفالتهن واعالتهن لمنعهن من الحاجة للغير والضياع في المجتمع ، إذ حث المسلمين على العناية بهن مع بيان فضل ذلك ، فقد عهد رسول الله (ﷺ) مسؤولية النظر في شؤون الأرامل لقضاء حوائجهن وللدفاع عن حقوقهن ودفع الظلم عنهن ، فقد أوصى معاذ بن جبل[٢] في ضرورة تلبية حوائج الأرامل [٣] ، فلم يكن رسول الله (ﷺ) يأنف أن يقضي حاجةً لأرملة ، وخاصة أرامل بني عبد المطلب ، فنقل عن رسول الله (ﷺ) أنه قام برعاية أسماء بنت عميس وابنائها بعد استشهاد زوجها جعفر بن أبي طالب في معركة مِؤتة ، إذ جاءهم رسول الله (ﷺ) بعد استشهاده بثلاثة أيام ، فقال (ﷺ) : " **لا تبكوا على أخي بعد اليوم**" ، ثم قال ائتوني ببني أخي فجئ بهم ، ثم قال : "**ادعوا إلي الحلاق فدعي فحلق رؤوسهم** " ، ثم قال : " **أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب**

---

[١] ابن سعد، الطبقات ،ج٣/ص١٤٧؛ الطبراني، الأحاديث الطوال، ص٢٤٣.

[٢] معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، كنيته أبو عبد الرحمن، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله (ﷺ) وهو فتى، وروى عن رسول الله (ﷺ) عدة أحاديث ،وآخى النبي محمد(ﷺ) بينه وبين جعفر بن أبي طالب(عليه السلام)، وشهد بيعة العقبة مع الأنصار السبعين، وشهد بدر وأحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ) ، وبعثه رسول الله (ﷺ) بعد غزوة تبوك عاملاً ومعلماً لأهل اليمن، وأرسل معه كتابا إليهم جاء فيه: (إني بعثت لكم خير أهلي) ، فمناقبه كثيرة إذ روى عن رسول الله (ﷺ) عدة أحاديث ، وقد بقي في اليمن إلى وفاة النبي (ﷺ) ، واستخلف أبو بكر فقدم من اليمن الى المدينة ، وفي عهد الخليفة عمر خرج مجاهداً في سبيل الله مع أبي عبيدة بن الجراح في غزو الشام ، فلما أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس أستخلفه معاذ وأقره عمر، حتى توفي في ذلك العام وهو (١٧هـ/٦٣٨م) أو ما بعده ، وكان عمره ٣٤سنة وقيل اكثر أو أقل .ابن سعد،الطبقات،ج٧/ص٢٧٢؛ أبي نعيم ،معرفة الصحابة،ج٥/ص٢٤٣١؛ ابن حجر،الاصابة،ج٦/ص١٠٨.

[٣] ابن عبد البر،الاستيعاب،ج٤/ص١٦٨٢.

وأما عبد الله في كتاب بن معروف موضع عبد الله عون الله فشبيه خلقي وخلقي " ، ثم أخذ بيد عبد الله بن جعفر فرفعها وقال : " **اللهم اخلف جعفرا في أهله وبارك لعبد الله في صفقة يمينه ثلاث مرات** "، ثم جاءت اسماء فشكت يتم ابنائها ، فقال: " **تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة** " [١].

ومن جانب أخر سعى رسول الله (ﷺ) إلى تشجيع الصحابة على الزواج من الأرامل ، وخاصة أزواج الشهداء إكرامًا لمكانة الشهداء ولضمان كفالة الأرامل واعالة أبنائهن ، إذ قام رسول الله (ﷺ) بتطبيق ذلك على نفسه ليكون قدوة لغيره من المسلمين ، فقد تزوج رسول الله (ﷺ) أم سلمة بعد وفاة زوجها أبو سلمة بن عبد الأسد [٢] ، إذ تزوجها رسول الله (ﷺ) موقد أكد لها كفالتها لأبنائها بقوله: " **وأما قولك إني امرأة مصيبة فستكفين صبيانك**" [٣].

وكانت الزوجة الاخيرة لرسول الله (ﷺ) زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية [٤] زوجة لابن عمه عبيدة بن الحارث [٥] الذي استشهد في معركة بدر الكبرى [٦] .

---

[١] الذهبي،سير ،ج٣/ص٣٥٦.

[٢] ابن سعد، الطبقات، ج٣/ص١٨٢؛ ابن حجر، الإصابة، ج٨/ص٤٠٤.

[٣] النسائي ، السنن الكبرى،ج٥/ص١٨٠؛ ابن الأثير، أسد الغابة،ج٧/ص٣٢٩.

[٤] زينب بنت خزيمة بن عبد الله الهلالية ، أم المؤمنين، زوج النبي محمد(ﷺ)، وكانت زوجة الطفيل بن الحارث بن المطلب، ثم تزوجها أخوه عبيدة بن الحارث، وقيل إنها كانت زوجة لعبد الله بن جحش، وهي أخت ميمونة بنت الحارث لأمها ، وكان يقال لها أم المساكين في الجاهلية ، لأنها كانت تطعمهم وتتصدّق عليهم، وقد تزوجها رسول الله (ﷺ) فأصدقها اثنتي عشر أوقية ،وذلك بعد زواجه من حفصة بنت عمر الخطاب ، ولم تلبث عنده (ﷺ) إلا شهرين أو ثلاثة. ابن عبد البر، الاستيعاب ،ج٤/ص ١٨٥٣؛ أبو نعيم ،معرفة الصحابة،ج١/ص٩٥٥؛ ابن حجر الاصابة ،ج٨/ص١٥٧.

[٥] عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وأمه سخيلة بنت خزاعي بْن الحويرث ، وهو ابن عم رسول الله (ﷺ)، وكان عبيدة أكبر سناً من رسول الله (ﷺ) بعشر سنين تقريباً كنيته أبا الحارث ، وكان حسن الوجه ، أسلم قبل دخول رسول الله (ﷺ) دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وكان له قدر ومنزلة عند النبي محمد (ﷺ) فعقد له رسول الله (ﷺ) أول لواء عسكري لمقاتلة قريش ، إذ بعثه على رأس سرية كان عددها ستين أو ثمانين من المهاجرين لمواجهة أبي سفيان الذي كان يقود مائتين راكب، فتلاقوا عند سيف البحر، إلا أنه لم يحدث أي قتال يذكر بين الطرفين ، استشهد عبيدة في معركة بدر قتله شيبة بن ربيعة وقيل عتبة بن ربيعة ، وله من العمر ٦٣سنة ، ودفن بالصفراء قرب المدينة. ابن هشام، سيرة ابن هشام،ج١/ص٥٩١؛ابن سعد،الطبقات،ج٣/ص٣٧-٣٨؛ أبو نعيم معرفة الصحابة،ج٤/ص١٩١٤؛الفاسي،العقد الثمين،ج٥/ص١٥١.

[٦] ابن سعد، الطبقات، ج١/ص٩١؛ أبو نعيم ، معرفة الصحابة،ج١/ص٩٥٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ،ج٤/ص ١٨٥٣.

وقد اقتدى بعض الصحابة برسول الله (ﷺ) في الزواج من نساء الشهداء ، إذ تزوجت خولة بنت قيس[١] بعد استشهاد زوجها الحمزة بن عبد المطلب في معركة أحد رجلاً من الأنصار من بني زريق يدعى حنظلة بن النُّعمان بن عمرو[٢]، وتزوج أبو بكر أسماء بنت عميس بعد استشهاد جعفر الطيار في معركة مؤتة ومن بعده تزوجت أسماء الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كما مر ذكره سابقاً [٣] .

والجدير بمكان الملاحظة أن نذكر هنا أنه لا يمكن اغفال دور أزواج النساء المردفات ، وأثر سلوك الأب على القيم الاخلاقية والاجتماعية وانعكاساتها على تربية الأبناء ، وخير مثال على ذلك ، هو محمد بن أبي بكر الصديق الذي أتت نجابته من أمه أسماء بنت عميس التي قال بحقها رسول الله (ﷺ) : " **رحم الله الأخوات من أهل الجنة فسماهن : أسماء بنت عميس الخثعمية وكانت تحت جعفر بن أبي طالب عليه السلام ، وسلمى بنت عميس الخثعمية وكانت تحت حمزة ، وخمس من بني هلال : ميمونة بنت الحارث كانت تحت النبي صلى الله عليه وآله ، وأم الفضل عند العباس اسمها هند ، والغميصاء أم خالد بن الوليد ، وعزة كانت في ثقيف الحجاج بن غلاظ ، وحميدة ولم يكن لها عقب** " [٤] ، إلا أنه لا يمكن أغفال دور زوج أمه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، إذ يعد محمد بن أبي بكر ربيب الإمام علي(عليه السلام) ذلك لأنه كان لمحمد يوم توفى والده ما يقارب الثلاث سنوات ، فرباه

---

[١] خولة بنت قيس بن فهد من بني النجار الأنصارية الخزرجية ، أمها الفريعة بِنْت زرارة النجارية ، وهي خويلة، كنيتها أم محمد، وقيل أم حبيبة ،أسلمت خولة وبايعت رسول الله (ﷺ) وقد حدثت عنه(ﷺ) ، كانت خولة زوجة لعم النبي محمد(ﷺ) الحمزة بن عبد المطلب ، فولدت له يعلى وعمارة وابنتين له، وبعد استشهاد الحمزة تزوجت حنظلة بن النُّعمان بْن عمرو فولدت له محمد ، وقيل أن الذي تزوجها بعد الحمزة هو النعمان بن عجلان الأنصاري. ابن سعد،الطبقات،ج٨/ص٣٢٧؛ ؛ابن عبد البر،الاستيعاب،ج٤/ص١٨٣٣؛ أبو نعيم، معرفة الصحابة، ج٦/ص٣٣٠٤؛ابن حجر،الاصابة،ج٨/ص١١٩-١٢٠.

[٢] حنظلة بن النعمان بن عامر من بني زريق الأنصاريّ، شهد معركة أحد مع رسول الله(ﷺ)، وأنه خلف على خولة بعد استشهاد زوجها الحمزة بن عبد المطلب، وقد كان فيمن شهد صفّين مع الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام). ابو نعيم، معرفة الصحابة،ج٢/ص٨٦٠؛ ابن حجر،الاصابة،ج٢/ص١٢٠.

[٣] ابن سعد،الطبقات،ج٨/ص٢١٩-٢٢٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢/ص٤٧٨؛ج٦/ص٣٦٨.

[٤] الصدوق، الخصال،ص٣٦٣.

الإمام علي(عليه السلام) في حجره واعتبره أبنه [١]، وهذا ما أكده قول الإمام علي(عليه السلام) عند وفاته : " **إني كنت لأعده ولدًا، وكان أخًا وابن أخ ، فعند الله نحتسبه** " [٢] ، ومن هنا اكتسب محمد نجابته ، ذلك لأن الولد عند العرب كان يحاكي أبيه في أقواله وأفعاله وأخلاقه وعاداته ، بينما تحاكي البنت أمها في تصرفاتها وتتخلق بأخلاقها [٣].

وقد سار الخلفاء على نهج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في رعاية الأرامل وكفالتهن ، فذكر إن الخليفة أبو بكر الصديق كان يتفقد أرامل المدينة [٤] ، وروي أن أبو بكر كان متكفل برعاية أم سعد ، جميلة بنت سعد بن الربيع التي استشهد والدها سعد بن الربيع في معركة أحد ، وأمها (خلادة بنت أَنَس بن سنان الساعدي[٥]) كانت حاملاً بها ، وقد روي أن أم سعد بنت سعد بن الربيع أن زوج أمها زيد بن ثابت دخل عليها ذات يوم وقال لها : " **إن كنت تريدين أن تكلّمي في ميراثك من أبيك فتكلّمي ، فإنّ عمر قد ورث اليوم الحمل ، وكان أبوها قتل يوم أحد وهي حمل** " [٦]. وكان الخليفة عمر بن الخطاب يجرى العطاء من بيت المال إلى جميع أرامل الدولة العربية الإسلامية ، إذ كان يجري بنفسه ليدور على القبائل العربية فذكر أنه كان يأخذ ديوان خزاعة ويقوم بتوزيع العطاء على جميع النساء فلا تغيب بكرا ولا ثيب فيعطيهن في أيديهن ، ثم يذهب فينزل عسفان فيفعل مثل ذلك أيضا [٧]. وجاء في رواية أن الخليفة عمر بعث كلاً من عثمان بن حنيف [٨] وحذيفة بن اليمان[٩] لمسح أراضي

---

[١] أبي نعيم ، معرفة الصحابة،ج١/ص١٦٨؛ابن عبد البر،الاستيعاب،ج٣/ص ١٣٦٦.

[٢] أبي نعيم، معرفة الصحابة،ج١/ص١٦٨.

[٣] المأمون، المنصور، نساء حول أمير المؤمنين،ص٤٨.

[٤] السيوطي ، تاريخ الخلفاء،ص٩٨.

[٥] كانت زوجة لسعد بن الربيع بن عمرو الأنصاري ،وبعد أستشهاده تزوجت من زيد بن ثابت بن الضحاك بْن زَيْد بْن لوذان بْن عَمْرو بن عوف بْن غنم بْن مالك بْن النجار فولدت له سعد، وخارجة ، وسليمان ،ويحيى ،وإسماعيل، وعثمان، وأم زيد. ينظر، ابن سعد،الطبقات،ج٨/ص٣٤٨؛المزي ،تهذيب الكمال،ج٣٥/ص٣٦٣؛ابن حجر،الإصابة،ج٨/ص٤٠١.

(٦) ابن سعد،الطبقات،ج٨/ص٣٤٨؛المزي ،تهذيب الكمال،ج٣٥/ص٣٦٣؛ابن حجر،الإصابة،ج٨/ص٤٠١.

[٧] الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤/ص٢١٠-٢١١.

[٨] عثمان بن حنيف بن وهب الأنصاري ، أبو عمرو، شهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) معركة أحد وما بعدها ، فولاه الخليفة عمر أرض السواد ، ثم ولاه الإمام على (عليه السلام) البصرة ، ولما نشبت فتنة الجمل ين عائشة والإمام علي(عليه السلام) دعاه أنصار عائشة إلى الخروج معهم فامتنع، فنتفوا شعر رأسه وحاجبيه ولحيته ، ثم استأذنوا به عائشة فأمرتهم بإطلاقه ، فلحق بالإمام علي (عليه السلام) فحضر معه الجمل ، ثم سكن الكوفة، وتوفي في خلافة معاوية بعد سنة (٤١هـ/٦٦١م). ابن عبد البر، معجم

نهري دجلة والفرات فقال الخليفة لهما: " **لعلكما كلفتما أهل عملكما ما لا يطيقونه** "، فأجابه عثمان قائلا: " **لقد تركت الضعف ولو شئت لأخذته** " ، **وقال عثمان:** " **لقد تركت فضلاً**" ، فأجابهم الخليفة وقال : " **أما والله لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدعهن لا يفتقرن الى أمير بعدي**" [١]، يبدو من كلام الخليفة عمر أن أرامل العراق كانت قد شغلت تفكير الخليفة والسبب في ذلك يعود إلى كثرة اعدادهن بسبب استشهاد أغلب أزواجهن في معارك الفتوحات الإسلامية.

وفي رواية أخرى أن الخليفة عمر خرج إلى السوق فلحقته امرأة شابة فقالت : " **يا أمير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغارا لا ينضحون كراعا لا زرع لهم ولا ضرع ، وقد خشيت عليهم الضيعة وأنا ابنه خفاف بن أسماء الغفاري وقد شهد أبى الحديبية "، فوقف عمر وقال :" مرحبا بنسيب قريب " ، فأمر لها بنفقة وطعام ، كما وعدها باستمرار تقديم المساعدات بقوله: " فلن يفنى هذا حتى يأتيكم الله بخير" ، حتى إن رجلاً قال له : " لقد أكثرت لها يا أمير المؤمنين ! فقال : ثكلتك أمك ! والله لكأني أرى أبا هذه وأخاها ، وقد حاصرا حصنا فافتتحاه** " [٢].

الصحابة،ج٣/ص١٠٣٣؛أبي نعيم، معرفة الصحابة،ج١٩٥٨/٤؛ المزي، تهذيب الكمال،ج١٩/ص٣٥٨-٣٥٩؛ الذهبي ،سير،ج٢/ص٣٢٠-٣٢٢.

[٩] حذيفة بن اليمان وهو الحسيل أو الحِسْل بن جابر، كنيته أبو عبد الله العبسي ، واليمان لقب أبيه وإنما قيل حذيفة بن اليمان لأنه من ولد اليمان بن جروة من بني عبس ، وحذيفة حليف بني عبد الأشهل من الأنصار، فكان ممن هاجر على رسول الله(ﷺ) هو وأبوه وعدهما في الأنصار ، لم يشهد حذيفة وقعة بدر وشهد أحد هو وأبوه وأخوه صفوان ، فقتل أبوه يومئذ مع رسول الله (ﷺ) ، فشهد مع رسول الله (ﷺ) ما بعد معركة أحد من الوقائع ، فقد كان حذيفة من كبار صحابة رسول الله(ﷺ) فقد أسره (ﷺ) بأسماء المنافقين ، كما بعثه رسول الله (ﷺ) يوم الخندق إلى المشركين لينظر أخبار قريش فجاءه بخبر حيلهم ، وشهد حذيفة معركة نهاوند، ولما قتل النعمان بن مقرن أخذ الراية، وهو الذي فتح همذان والري والدينور ، وكانت فتوحه كلها سنة(٢٢هـ/٦٤٢م)، جعله عمر على المدائن حتى وفاته فيها سنة(٣٦هـ/٦٥٦م) بعد مقتل الخليفة عثمان في أول خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وقيل توفى سنة (٥٣هـ/٦٧٣م) والأول أصح فكان موته بعد أن أتى نعي قتل عثمان إلى الكوفة ولم يدرك الجمل، واستشهد أولاد حذيفة (صفوان وسعيد) في صفين سنة (٣٧هـ/٦٥٧م) ، وكانا قد بايعا الإمام علي (عليه السلام) بعد وصية أبيهما إياهما بذلك. البغوي، معجم الصحابة،ج٢/ص٢٠؛ابن عبد البر،الاستيعاب،ج١/٣٣٤؛ المزي، اكمال تهذيب،ج٤/ص١٦؛الذهبي،سير،ج٢/ص٣٦١-٣٦٩.

[١] ابن آدم،الخراج،ص٧٢.

[٢] ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة،ج١٢/ص٧٧.

وعرف عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) باهتمامه الكبير بأمر كفالة الأرامل والايتام حتى روي أن رجلاً : " **قال كنت في الطواف إذ رأيت جارية تقول لأختها لا وحق المنتجب بالوصية الحاكم بالسوية العادل في القضية العالي البنية زوج فاطمة المرضية ما كان كذا ، فقلت : أتعرفين عليا ؟ قالت : وكيف لا اعرف من قتل أبي بين يديه في يوم صفين وانه دخل على أمي ذات يوم فقال لها : كيف أنت يا أم الأيتام ؟ فقالت بخير ثم أخرجتني أنا وأختي هذه إليه وكان قد ركبني من الجدري ما ذهب له بصري فلما رآني تأوه ثم قال :**

ما ان تأوهت من شئ رزيت به كما تأوهت للأطفال في الصغر

قد مات والدهم من كان يكفلهم في النايبات وفي الاسفار والحضر[١].

وبرز مدى اهتمام الإمام علي (عليه السلام) بأمر إعالة الأرامل من خلال استقراء نصوص الكتب التي كان يرسلها إلى عماله في بقية أمصار الدولة العربية الإسلامية ، مثل كتابه (عليه السلام) الى زياد بن أبيه عندما كان واليه على خراسان [٢]، الذي جاء فيه " **ماذا عليك لو صمت لله أياما ، وتصدقت ببعض ما عندك محتسبا ، وأكلت طعامك في مرة مرارا أو أطعمته فقيرا ، أتطمع وأنت متقلّب في النعيم تستأثر به على الجار المسكين ، والضعيف الفقير والأرملة واليتيم** " [٣]، مما يوضح اشارة الإمام علي (عليه السلام) الى حقوق الأرامل في كفالة الدولة لهن وفي حقهن في اعطيات بيت أموال المسلمين .

أما في بداية العصر الأموي فقد أبدت الدولة تهاوناً كبيرًا في شؤون الرعاية المقدمة للأرامل ، وهذا ما يظهر بجلاء في نص حوار عبد الله بن صفوان [٤] الذي دار بينه وبين الخليفة

---

[١] ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب،ج٢/ ص١٥٩.

[٢] ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات،ج٢/ص٣٢.

[٣] البلاذري، أنساب الأشراف ،ج٢/ص١٦٤-١٦٥.

[٤] عبد الله بن صفوان بن أمية ، الجحمي، أبو صفوان ، كان من أشراف قريش ، ومن اسياد مكة لحكمه وعقله وسخاءه، ولد في أيام النبوة ، لذلك قيل بان له صحبة ولا صحبة له، روي عن أبيه ،وعمر، وحفصة ، وأبي الدرداء ، وعنه حفيده أمية بن صفوان، والزهري، وعمرو بن دينار، وابن أبي مليكة، وسالم بن أبي الجعد ، قتل وهو متعلق بأستار الكعبة مع ابن الزبير فجيء برأسه الى المدينة وبرأس عبد الله ابن الزبير وعبد الله بن مطيع ،وكان ذلك في سنة(٧٣هـ/٦٩٢م). الزبيري، نسب قريش ، ص ٣٨٩-٣٩٠؛ ابن سعد،الطبقات،ج٦/ص١٧؛ المزي، تهذيب الكمال،ج١٥/ص١٢٥-١٢٦؛ الذهبي،سير،ج٤/ص١٥٠-١٥١.

الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان مذكراً إياه بعدم اغفال أمر فرض العطاء للمحتاجين وخاصة الأرامل[١] .

وفي الوقت الذي تغفل فيه المصادر التاريخية عن الإشارة إلى دور الخلفاء الأمويين في الرعاية الاجتماعية للأرامل بشكل مطلق ، فأن دور أشراف ووجهاء القوم ومنهم أهل بيت النبوة (عليهم السلام) كانوا أكثر شهرةً في هذا الجانب ، نذكر منهم الإمام علي بن الحسين بن علي (عليه السلام) الذي كان يقدم مختلف أنواع المساعدات وبشتى الطرق والأساليب لأرامل أهل المدينة [٢]، وروي عنه (عليه السلام) أنه تكفل بإعالة نساء المدينة ، ذلك حينما وجه يزيد بن معاوية جيشه لاستباحة مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله) سنة(٦٣هـ/٦٨٢م) فطرد أهل المدينة بني أمية ، حينها أراد مروان بن الحكم أن يستودع أهله فلم يقبل أحد أن يكونوا عنده إلا الإمام علي بن الحسين(عليه السلام) فوضعهم مع عياله وقد أحسن إليهم بالرغم من عداوة مروان المعروفة له ولجميع بني هاشم ، فتولى الإمام زين العابدين (عليه السلام) إعالة أربعمائة امرأة من بني عبد مناف إلى أن تفرق جيش مسلم بن عقبة ، وكانت من ضمن النساء عائشة بنت عثمان بن عفان[٣] امرأة مروان بن الحكم[٤]).

---

[١] الزبيري، نسب قريش ، ص ٣٨٩.

[٢] الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٢/ص٣٠٥،ج٣/ص٤٥٩.

[٣]عائشة بنت عثمان بن عفان كانت متزوجة من الحارث بن الحكم بن أبى العاص الأموي، ثم تزوجت عبد الله بن الزبير بن العوام . الزبيري، نسب قريش،ص١١٢؛ ابن حبيب ،المحبر،ص٥٥.

[٤] الطبري، تاريخ الطبري،ج٥/ص٤٥٨؛ ابن الأثير، الكامل ،ج٣/ص٢١٣؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج١/ص٣٦٠.

المبحث الثاني

الأثر العلمي للمرأة المردفة

تحدث القرآن الكريم عن أمية العرب قبل الإسلام بقوله تعالى:﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢)** ﴾ [١] ، تتناول هذه الآية الكريمة عن حالة الأمية عند العرب قبل الإسلام وجهلهم بالقراءة والكتابة [٢] ، والمتأمل لحالة المجتمع المكي قبل الإسلام يجد ضعفًا بينًا من الناحية العلمية والحضارية والثقافية ، وهذا ما عبر عنه النبي محمد (ﷺ) بقوله : " **إنا أمة امية لانكتب ولا نحسب** " [٣] ، وهذا يدل على قلة العرب معرفة بالكتابة والقراءة ، مما يدلل على ضعف الجانب العلمي والثقافي في مكة بصورة خاصة والجزيرة العربية بشكل عام .

وقد أقرت تعاليم الدين الإسلامي حق المرأة في طلب العلم ، شأنها شأن الرجل في ذلك من منطلق تساويها مع الرجل في قاعدة العمل والجزاء والتكليف وتحمل المسؤولية داخل بيتها واتجاه مجتمعها ، ومما يعضد ذلك هو قيامها بهذه الادوار والتربية على أصول الإسلام هو أن التعلم بصورة عامة والعلوم الشرعية بصورة خاصة ، وبذلك يكون التعلم فوق أنه حق لها فهو واجب عليها ، فلا يجوز للمرأة أن تتنازل عنه عن القيام بالأمانة التي فرضها الله على أفضل وجه ، وليس أدل على وجوب طلب العلم وتعلمه قوله تعالى : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ [٤] ، وفي قوله عز وجل: ﴿ **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** ﴾ [٥] ، وقوله تعالى :﴿ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ [٦].

---

(١) سورة الجمعة ، آية ٢ .

(٢) ابن شهر اشوب ، مناقب آل ابي طالب،ج١/ص١٩٩؛ السبكي ، فتاوي السبكي،ج١/ص٢٠٧.

(٣) النسائي ،سنن النسائي،ج٤/ص٤١٩.

(٤) سورة العلق ، آية ١.

(٥) سورة القلم، آية ١.

(٦) سورة طه، آية ١١٤.

وجاءت سنة رسول الله (ﷺ) سواء أكانت بالقول أو الفعل وأكدت هذا الحق للمرأة بشكل فعلي في أحاديث طلب العلم [١]، فقال رسول الله (ﷺ) : " **طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا إنّ الله يحب بغاة العلم**" [٢] ، وكذلك قال (ﷺ) : " **من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ، سلك الله به طريقاً إلى الجنة ، وانّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به ، وانّه يستغفر لطالب العلم من في السماوات ومن في الأرض حتى الحوت في البحر ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر ، وانّ العلماء ورثة الأنبياء ، لأنّ الأنبياء لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورَّثوا العلم ، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر** " [٣]، وقول الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) : " **لو علم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج**[٤] **وخوض اللجج** [٥] " [٦].

وفي ظل الدين الجديد نالت المرأة المسلمة حريتها في طلب العلم وتحصيله ، فقد اسهمت في نشره من خلال الدعم المعنوي والنفسي الذي كان رسول الله (ﷺ) يقدمه للنساء بالتوجيه والنصح إلى جانب الاستماع اليهن والأجوبة على ماكن يستفتين به رسول الله (ﷺ) فكانت فرصة ثمينة للمرأة لتلقي العلوم الشرعية ، وفي ذلك روي عن أم سلمة إنها قالت لرسول الله(ﷺ) : " يَا رَسُول الله إِن الله يذكر الرِّجَال فِي كل شَيْء وَلَا يذكرنَا فَأنْزل الله قوله : ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً**

---

[١] الكليني، الكافي، ج١/ص٣٠؛ المحقق الحلي، المعتبر،ج١/ص١٩.

[٢] المحقق الحلي، المعتبر،ج١/ص١٩؛ العلامة الحلي ، تحريرالأحكام،ج١/ص٣٥.

[٣] العلامة الحلي ، تحريرالأحكام،ج١/ص٣٥ .

[٤] مهج مهجة ، والمهج دم القلب ، ويقال خرجت مهجته خرجت روحه ،والمهج خالص النفس ولذلك سمي اللبن الخالص من الماء مهجانا .الفراهيدي ،العين، ج٣/ص٣٩٧؛ الازدي، جمهرة اللغة، ج١/ص٤٩٦ ؛ابن منظور ، لسان العرب ،ج٢/ص٣٧٠.

[٥] اللجج يلج ، والجمع لجج ، يقال سمعت لجت القوم اي أصواتهم وضجتهم، واللج لجة البحر ومنه بحر لجي. الأزدي، جمهرة اللغة ،ج١/ص٩١؛ الفارابي ،الصحاح تاج اللغة،ج١/ص٣٣٨.

[٦] المحقق الحلي، المعتبر،ج١/ص١٩؛

وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [١] [٢]، وقد روي أن نساء طلبن من رسول الله (ﷺ) بأن يخصص لهن يوماً للموعظة والتفقه في الدين ، فأتاهن رسول الله (ﷺ) ووعظهن ، ومما روي أنه قال : " **أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ، كَانُوا حِجَابًا مِنَ النَّارِ»، قَالَتِ امْرَأَةٌ** [٣] **: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: «وَاثْنَانِ** " [٤].

، فقد كان تعليم المرأة تمهيداً لتعلم القانون الشرعي الذي لا تصح العبادة إلا به ، ذلك أن الدراسة في العقيدة الإسلامية والشريعة والأخلاق توافقت مع خصائص المرأة وفطرتها ، وهنا تكمن أهمية الثقافة الدينية للمرأة ، إذ تساهم في مساعدة المرأة على إداء رسالتها كزوجة وأم وأخت ، فلا يلغي ذلك أن تكون للمرأة دراسات في جميع أنواع العلوم وحسب امكانياتها وقدراتها العقلية .

والجدير بالذكر أن تعليم النساء كان يتم في المنازل ، حيث أكد ابن لبيد الأنصاري [٥]، بأنهم كانوا ومنذ عهد رسول الله (ﷺ) يقرؤون القرآن في بيوتهم على نسائهم وأبنائهم واقربائهم ، وقد أصبح فيما بعد هذا التقليد سارياً في كل زمان ، إذ كان الآباء أو الأجداد يتولون مهمة تدريس بناتهم أو حفيداتهم ، ومما لاشك فيه أن من النساء الفاضلات من كان لهن الدور البارز في تعليم البنات في بيوتهن مبادئ القراءة والكتابة في كل عصر من العصور[٦] . ومن أشهر تلك النسوة أم سليمان الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية ، التي يرجع لها الفضل في تعليم زوج الرسول (ﷺ) حفصة بنت عمر القراءة والكتابة في بيتها [٧]، فكانت حفصة تستطيع القراءة والكتابة من بين نساء النبي (ﷺ) ، كما كانت الشفاء ترقي

---

[١] سورة الأحزاب ،آية٣٥.

[٢] ابن الجوزي، تلقيح الفهوم ، ص٢٢٧.

[٣] المراد بالمرأة أم سليم الأنصارية وهي أم أنس بن مالك وزوجة أبي طلحة الأنصاري. ينظر البخاري، صحيح البخاري،ج٢/ ص٧٣.

[٤] البخاري، صحيح البخاري،ج٢/ص٧٣.

[٥] لم نعثر له على ترجمة.

[٦] يوسف، الحركة التعليمية في عصر النبوة،ص٢٥٧.

[٧] البلاذري ،أنساب الاشراف،ج١٠/ص٤٨٣؛ يوسف، الحركة التعليمية في عصر النبوة، ص٢٦٠.

رقية الجاهلية للنملة فأوصاها النبي (ﷺ) بأن تعلمها لحفصة واقرها عليها " **تعلمت الكتابة قبل زواجها بمحمد على يد معلمه من رهط ابيها تسمى الشفاء العدوية ولما تزوجت شجعها النبي صلى الله عليه وسلم على اتقان القراءة والكتابة** " [١] ، فكانت هي تكتب بينما كانتا عائشة وام سلمة تقران المصحف ولا تكتبان ، في حين كانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط تعرف الكتابة [٢].

أن من أبرز وأهم الآثار المترتبة على هذا المنهج هو بلوغ المرأة الشأن العظيم في العلم ، ويتضح ذلك في دور المرأة في رواية الحديث وتعليمها وتفقهها، حتى أن كبار الصحابة كانوا يتلقون من المرأة دون استعلاء لكونها امرأة ، بل كانوا يأخذون منها بكل ثقة وتقدير وأدب جم، وفي ذلك قال الحافظ الذهبي : " **لم يؤثر عن امرأة أنها كذبت في حديث** " [٣]، وقول الشوكاني(ت:١٢٥٥هـ/١٨٣٩م): " **أنه لم ينقل عن أحد من العلماء أنه رد خبر المرأة لكونها امرأة ، فكم من سنة قد تلقتها الأمة بالقبول عن امرأة واحدة من الصحابة ، وهذا لا ينكره من له أدنى نصيب من علم السنة** " [٤].

ومن خلال تلك المقومات العلمية والنفسية والبيئية التي تمتعت بها المرأة في ظل الإسلام المحمدي سواء كان من خلال موقف النبي محمد (ﷺ) تجاه تعليم المرأة ، أو من خلال منحها حرية ابداء الرأي والحوار ، إلى جانب الروح الوثابة لطلب العلم ، كل ذلك دفع بالمرأة أن تكون مؤهلة للاعتماد عليها في نشر الدين الجديد، وقيامها بدور الاستاذية فقد كان لهن مجلس يتم من خلاله تعليم النساء فيه . ومن أبرز الإسهامات النسوية في الجوانب العلمية :

أ- رواية الأحاديث النبوية الشريفة

وفي هذا الجانب برز دور امهات المؤمنين أو زوجات الرسول (ﷺ) اللواتي شهدن معه (ﷺ) المشاهد والحوادث كلها فنقلن الكثير من الأحاديث الشريفة عن رسول(ﷺ) ومنهن، سودة بنت

---

[١] ابن الاثير، أسد الغابة ،ج٧/ ص١٦٢ ؛ ابن حجر، الاصابة، ج٧/ ص٧٢٨.

[٢] البلاذري ، انساب الاشراف،ج١٠/ص٤٨٣؛ يوسف، الحركة التعليمية في عصر النبوة ، ص٢٦٠.

[٣] ميزان الاعتدال،١ج١/ص٣٤.

[٤] نيل الأوطار، ص٥٧.

زمعة روي بأن السيدة سودة بنت زمعة حدثت خمسة أحاديث عن النبي محمد(ﷺ) [١] ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب التي ذكر أنها روت عن النبي(ﷺ) ستون حديثا [٢] في صلاته قبل الفجر، وفرض صلاة الجمعة ، وكيفية صلاته (ﷺ) قاعدًا ، وتيمنه في أغلب أفعاله ، ووضعية نومه (ﷺ) ، وفي نيه الصيام للصائم قبل الفجر ، وصومه يومي الاثنين والخميس، ، وفي غزو مكة ، وفي مكانه أهل بدر والحديبية [٣] ، وفي طلب انجاب الولد ، وكذلك في حداد المرأة وغيرها [٤]. وذكر ابن الجوزي أن جويرية بنت الحارث روت ثلاثة أحاديث لرسول الله (ﷺ) في كيفية تسبيحه واعطائه الصدقة وصوم يوم الجمعة [٥]. أما زينب بنت جحش فذكر لها ابن الجوزي أحد عشر حديثًا [٦] ، في حجاب المرأة ، وحدادها على زوجها ، وفي الطهارة سيما طهر المرأة ، وكذلك اختضاب النبي محمد (ﷺ) ، وفي توريث النساء[٧] ، وكذلك روت عن خروج يأجوج ومأجوج [٨] .

وروت أم حبيبة ذكر انها روت عن النبي محمد(ﷺ) خمسة وستين حديثاً [٩] عن كيفية الصلاة والطهارة والزواج وحداد المرأة ، فحدثت في إجابة المسلم للأذان ، وفي فضل صلاة النوافل ، وبناء المساجد ، وكذلك في فضل شفاعة النبي محمد(ﷺ) لأمته ، وفي تحريم زواج الربيبة ، وفي المرأة المعتدة وعدم تزينها للرجال إلا بعد انقضاء عدتها [١٠] . وروت صفية بنت حيي عشرة أحاديث [١١]، إذ نقلت عن رسول الله (ﷺ) حديثه من أن الشيطان يجري من

---

[١] ابن الجوزي، المجتبى، ص٦٣.

[٢] ابن الجوزي،المجتبى،ص٦٤.

[٣] ابن منده ، معرفة الصحابي،ص٩٤٨-٩٥١.

[٤] مسلم ، صحيح مسلم،ج٢/ص١١٢٧.

[٥] مسلم ، صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠٩٠ .

[٦] المجتبى، ص٦٤.

[٧] البخاري ، صحيح البخاري،ج٥ ص٢٠٤٢؛ الطبراني، المعجم الكبير،ج١٩/ص٢٤٩؛ابن الجوزي، كشف المشكل،ج٤/ص٤٢٠.

[٨] ابن الجوزي، كشف المشكل،ج٤/ص٤٣٨.

[٩] ابن الجوزي، المجتبى ص٦٤.

[١٠] البخاري، صحيح البخاري،ج٢/ص٧٨؛مسلم،صحيح مسلم،ج١/ص٢٦٣؛

[١١] ابن الجوزي،ص٦٥.

ابن آدم مجرى الدم [١]، وقالت في صداقها الذي كان في عتقها وفي علو نسبها الذي يعود إلى النبي موسى وأخيه هارون [٢] ، كما قالت في تسبيح رسول الله (ﷺ) ، وأن جيش يغزو مكة ويخسف به [٣].

وروت ميمونة بنت الحارث عن النبي محمد (ﷺ) ، في إجابة المؤذن وفي فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجده وكذلك صلاة النوافل التي كان رسول الله (ﷺ) يصليها قبل العصر، والصلاة على الميت ، وفي تفضيل الصدقة على الاقارب ، وفي كيفية غسله (ﷺ) [٤]، وفي حق الدين بأحوال المسلمين وغيرها [٥]

أما أم سلمة فقد روت الكثير من الاحاديث عن رسول الله (ﷺ) بلغت ما يقارب ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثًا [٦]، إذ روي عنها روايات مختلفة المواضيع ، ومنها ذكرها اختلاف النسابين في نسب رسول الله (ﷺ) العريق الذي ينتهي إلى عدنان[٧] ، وتناولت أم سلمة الصلاة والطهارة والتفسير، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي جهاد النساء ، والتأكيد على زكاة المال ، وفي استحباب الأضحية واحرام من له اضحية ، وفي تحبيب الصدقة وأحب الأعمال إلى رسول الله (ﷺ) ، وقول النبي (ﷺ) لها إنها من أهل بيته ، ونقلها لحديث الكساء ، وكذلك روت عن وصايا رسول الله (ﷺ) في الجار واثم ايذائه ، وكذلك نقلت أسئلتها لرسول الله (ﷺ) عن كثرة ذكر القرآن الكريم للرجال ، وفي اخراج اليهود من شبه الجزيرة العربية ، ووصيته في أخذ الحذر منهم ، وأنه يجير على المسلمين أدناهم ، في فضل بيت المقدس والخ ...[٨].

---

[١] مسلم ، صحيح مسلم ، ج٤/ ص ١٧١٢.

[٢] الطبراني، المعجم الكبير،ج٢٤/ص٧١ ؛ ابن الجوزي، كشف المشكل ،ج٤/ص٤٤٠.

[٣] الطبراني، المعجم الكبير،ج٢٣ ص٢٢٠؛ ابن الجوزي، المجتبى ،ص٦٤ ؛ كشف المشكل ،ج٤/ ص٤٣٠-٣٣١ .

[٤] البخاري، صحيح البخاري،ص٦٢؛ مسلم، صحيح مسلم،ج١/ص٣٥٧؛ ابن حبان ،صحيح ابن حبان،ج٨/ص١٣٢.

[٥] الطبراني، المعجم الكبير ج٢٣ ص٤٢٢.

[٦] ابن الجوزي، كشف المشكل،ج٣/ص١٢١.

[٧] الطبري، تاريخ الطبري،ج٢/ص٢٧١؛ ابن الجوزي،المنتظم،ج٢/ص١٩٠؛ الذهبي، سير،ج٨/ص١٦.

[٨] الطبراني، المعجم الكبير ج١/ ص٢٥٦؛ ج٣/ص٤٠؛ ج٣/ص٥٢؛ ابن الجوزي، صفوة الصفوة،ج١/ص٣٢٣؛ كشف المشكل،ج٤/ص٤٢١-٤٢٧.

وكانت زينب بنت أبي سلمة ربيبة رسول الله (ﷺ) تروي الحديث عن رسول الله (ﷺ) ، وقد جعلها النبي (ﷺ) هي وأمها أم سلمة من أهل بيته ، فروي عن أمها ام سلمة أنها قالت : " **قلت : يا رسول الله، إي أجر أن انفق على بني أبي سلمة ، إنما هم بني؟ فقال: أنفقي عليهم ،فلك أجر ما انفقت عليهم فَلَكِ أَجْرُ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ** " [١] ، والملاحظ هنا أن لزوج الأم أثر في تربية الأولاد وتنشئتهم التنشئة الدينية سيما وقد جعلهم رسول الله (ﷺ) بمنزلة ابنائه ، فقد روت زينب بنت أم سلمة عن أمها وزوجات رسول الله (ﷺ) ، أم حبيبة وزينب بنت جحش [٢] ، ومن أبرز ماروته زينب بنت أم سلمة عن أمها ، " **أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–كَانَ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ ، فَجَعَلَ الحَسَنَ مِنْ شِقٍّ، وَالحُسَيْنَ مِنْ شِقٍّ ، وَفَاطِمَةَ فِي حَجْرِهِ ، فَقَالَ: " رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُم أَهْلَ البَيْتِ** " [٣].

٢- الفقه الإسلامي

لم يقتصر تفوق النضوج العلمي للمرأة المسلمة بروايتها وتعليمها وتفقهها في الأحاديث النبوية الشريفة ، بل كانت تجادل وتحاور الرجال ، ولربما كان الرجال يرجعون إليهن حين اختلافهم في مسألة ما ، فقد كان كبار الصحابة يرجعون إلى أمهات المؤمنين يستفتونهن في كل ما كان يشكل عليهم من أمور دينهم ودنياهم بحكم ما تعلمنه من رسول الله (ﷺ) ، وقد استدركت فاطمة بنت قيس على عمر وعائشة اللذان رفضا الحديث الذي أوردته فاطمة بنت قيس بشأن انقضاء عدتها ، فقال عمر : " **لا نترك كتاب الله وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم لقول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت لها السكنى والنفقة** " [٤] ، حينها بعثوا يأخذون رأيها في أمر المرأة المعتدة والمطلقة لثلاث ، فأفاضت قريحتها العلمية وفهمها بقولها بيني وبينكم كتاب الله لقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ**

---

[١] البخاري، صحيح البخاري،ج٢/ص١٢٢.

[٢] مسلم، صحيح مسلم،ج١/ص٢٦٣؛ الطبراني، المعجم الكبير ج٢٤ ص٢٧٩.

[٣] الذهبي، سير، ج٤/ص٣٠١.

[٤] مسلم ،صحيح مسلم،ج٢/ص١١١٨.

وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [١] ، ثم قالت : " **هذا لمن كانت له مراجعة فأي أمر يحدث بعد الثلاث ؟ فكيف تقولون لا نفقه لها إذا لم تكن حامل فكيف تحبسونها ؟** " [٢] ، ويبدو أن هذه الحادثة أصبحت مثار للجدل فيما بعد ، هل كانت فتوى أم رفعة لفاطمة التي واجهت مشكلة ولم تجد لها حلاً إلا عند رسول الله (ﷺ) وذلك بعد ن أفتى لها (ﷺ) بانقضاء عدتها بعد ثلاثة أشهر ، ويمثل ذلك حسن تفقه المرأة التي اتهمت بأنها أقل شأنًا في المستوى العقلي نظراً لسوء فهم حديث رسول الله(ﷺ) : " **إنهن ناقصات عقل ودين**" [٣]، إلا أن هذه المكانة العلمية لمثل هكذا نماذج من النساء قد اثبتت مقدرة المرأة العلمية العظيمة للمرأة ، فضلاً عن التميز والتقدير الكبير لرأي المرأة من جانب النبي محمد (ﷺ) و فقهاء المسلمين وعلماءهم.

وبما أن العلماء هم ورثة الأنبياء والمرسلين الذين جاءوا لإرشاد الناس إلى السبيل القويم مستنيرين بالوحي وما نزل به من الكتاب العظيم ونصوصه والاجتهاد في تفسيره ، فقد ورد عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : " **إن العلماء ورثة الأنبياء ، وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا ، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم ، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظا وافرا ، فانظروا علمكم عما تأخذونه** " [٤]. فبالرغم من وجود مسوغات لتغير الأحكام الشريعة من قبل علماء المسلمين ، إلا أننا نجد الاختلاف الكبير في اصدار الأحكام الدينية بشكل واضح وصريح في العصر الأموي نتيجة لبعد الناس عن الشريعة الإسلامية زماناً والتزاماً ، نظراً لفساد الزمان وتغير حال الناس هناك [٥]، حيث ورد في حادثة سلمى بنت سعيد أم سلمة التي كانت زوجة للخليفة هشام بن عبد الملك ، ثم الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وهي التي حلف الوليد بطلاقها ، وقد كانت عنده أختها لأبيها وأمها أم عبد

---

[١] سورة النساء ،آية١٩.

[٢] ابن حزم ،المحلي،ج١٠/ص٢٨٣.

[٣] العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء،ج١/ص٢٥٧.

[٤] الراوندي ،الدعوات، ص٦٣.

[٥] عبد الطائي، أثر فساد الزمان على الاحكام الشرعية،ص١٧-١٩.

الملك سعدة بنت سعد بن خالد ، فاستقدم المدينة ليفتوه بأمرها ، فأحلت له ، وقد ورد أن صدقة بن عبد الله الدمشقي[١] قد استنكر ذلك قائلاً : " **جئت محمد بن المنكدر[٢] وأنا مغضب فقلت: الله ، أنت أحللت للوليد بن يزيد أم سلمة؟ فأجابه أنه احلل ذلك لقول رسول الله(ﷺ) : " لا طلاق لمن لا يملك ولا عتق لمن لا يملك** " [٣]. يمكن القول هنا أن العرب وعلى الرغم من اباحتهم للجمع بين الأختين قبل الإسلام ، ولكن لما جاء الإسلام وافق حكمه حكم الجاهلية في أكثر النساء وخالفه في بعض أحكامه ، لذا قال تعالى : ﴿ **وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [٤].

٣- الرواية التاريخية

ساهمت المرأة المسلمة بشكل وبأخر في خدمة الرواية التاريخية وخاصة في تدوين الأحداث التاريخية التي تخص عصر الرسالة والسيرة النبوية ، ذلك لأنها شاركت مشاركة فعلية في تلك الأحداث ، ومن أبرز تلك النساء ، أم أيمن مولاة رسول الله (ﷺ) التي نقلت رواية خروج رسول الله (ﷺ) مع أمه إلى الأبواء [٥] ، ونقلها لرواية بكاء رسول الله (ﷺ) على وفاة جده عبد المطلب [٦].

---

[١] صدقة بن عبد الله الدمشقي، أَبو معاوية السمين، من أهل الشام قدم الكوفة لسماع الحديث ،فقد كتب عنه الاوزاعي الف وخمسمائة حديث ، إلا أنه هو من رواة الحديث الذين اختلف في سندهم ،إذ عده البعض البعض من الثقات، بينما عده آخرون من الضعفاء ، روي عَن وكيع أنه قال فيه :" مَا كان من حديثه مرفوعًا فهو منكر، وما كان من حديثُه مُرسلاً عَنْ مَكحُول فهو أسهل، وهو ضعيف جدا" ، كانت وفاته مابين سنة (١٦١ -١٧٠هـ/٧٧٧- ٧٨٦م) والأرجح أنها كانت في سنة١٦٦هـ .البخاري، التاريخ الكبير،ج٤/ص٢٩٦؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام،ج٤/ص٤١٤.

[٢] محمد بن المنكدر بن عبد الله التيمي ،القرشي، كنيته أبو عبد الله ،كان محمد من سادات قريش، وعباد أهل المدينة ، ومن القراء التابعين ،وهو خال عائشة زوج الرسول(ﷺ)، فشكى إليها ذات يوم الحاجة ، فأرسلت له عشرة آلاف درهم ، اشترى منها جارية ولدت له محمد وأبو بكر وعمر ، توفى سنة(١٣١هـ/٧٤٧م). ابن سعد،الطبقات،ج١/ص١٨٨؛ البستي، مشاهير علماء الأمصار،ج١/ص١٠٧؛ الذهبي، سير،ج٥/ص٣٥٥.

[٣] البيهقي، السنن الكبرى، ج٧/ص٥٢٣.

[٤] سورة النساء ،آية ٢٣.

[٥] ابن الجوزي ، المنتظم، ج٢/ص٢٧٢.

[٦] ابن الجوزي ، المنتظم، ج٢/ص٢٨٢.

واشتهرت أسماء بنت عميس برواية الحديث عن رسول الله(ﷺ) ، إذ ذكر ابن الجوزي إنها روت ستون حديثاً عن رسول الله (ﷺ) [١]، منها ما تضمن لأحداث هجرة المسلمين إلى الحبشة وفضل هجرة أصحاب السفينة [٢]، وفضلاً عن ذلك نقلت لنا أسماء أخبار وفضائل أهل بيت النبي (عليهم السلام) [٣] ، وقد روى عن أسماء عدد من الصحابة ، ومنهم عمر بن الخطاب وابنها جعفر وحفيدها القاسم وحفيدتها أم عون بن محمد ، وابن اختها عبد الله بن شداد ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير[٤] ، ونقل الذهبي أن الخليفة عمر كان يسألها عن تفسير المنام ، وقد نقل عنها أشياء من ذلك [٥] ، من الملاحظ مما سبق أن أسماء بنت عميس خدمت الرواية التاريخية بشكل كبير ولا عجب في ذلك فقد اردفت لثلاثة من الأزواج كانوا من أبرز الشخصيات الإسلامية التي رافقت رسول الله (ﷺ) وشهدت معه أغلب المشاهد الإسلامية منذ بدء مبعثه رسول الله (ﷺ) بالدين الجديد ، وهم كما مر ذكرهم كلاً من ابن عم رسول الله (ﷺ) جعفر الطيار، والخليفة أبو بكر الصديق ، والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، تلك الشخصيات التي لا يمكن اغفال دورها البطولي والهام في أحداث التاريخ الإسلامي ، حتى إن أسماء نفسها قد شهدت بعلو منزلة تلك الشخصيات حين تفاخر ولداها محمد بن أبي بكر الصديق ، ومحمد بن جعفر الطيار، فقال كل منهما : " **أنا أكرم منك ، وأبي خير من أبيك** " ، فقال لها الإمام علي (عليه السلام) : " **اقضي بينهما** " ، **قالت : " ما رأيت شابا من العرب خيرا من جعفر ، ولا رأيت كهلا خيرا من أبي بكر** " ، **فقال لها الإمام علي (عليه السلام) : " ما تركت لنا شيء ولو قلت غير الذي قلت لمقتك ؛ قالت : إن ثلاثة أنت أخسهم خيارً** " [٦] .

---

[١] ابن الجوزي ، المجتبى من المجتبى ،ص٧٠.

[٢] ابن الجوزي، صفة الصفوة،ج١/ص٣٣٥-٣٣٦؛المزي،تهذيب الكمال،ج٣٥/ص١٢٦؛الذهبي، سير أعلام،ج٨/ص١٦؛

[٣] ابن الجوزي، المجتبى من المجتبى ،ص٧٠.

[٤] الطبراني ، المعجم الكبير، ج٢٢/ص٤١٠؛ابن الاثير، اسد الغابة ،ج٧ / ص١٢، ص٢٧١؛ المزي ، تهذيب الكمال ،ج٣٥/ص١٢٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج٨/ص١٦؛ ابن حجر،الإصابة،ج٨/ص١٥.

[٥] سير أعلام النبلاء ،ج٨/ص١٦.

[٦] سير أعلام النبلاء،ج٢/ص٢٨٦-٢٨٧.

وبرزت أم كلثوم بنت أبي بكر[١] ، وهي تروي الحديث عن أختها عائشة ، أما أبنتها عائشة بنت طلحة بن عبيد الله [٢] فقد اشتهرت بأنها كانت فصيحة أديبة ، عالمة بأخبار العرب وقصصهم ، إذ روي أنها وفدت على هشام بن عبد الملك فقال لها : " **ما أوفدك ؟ قالت: "حبست السماء المطر ومنع السلطان الحق " قال: إنس سأعرفه حقك ، ثم بعثت إلى مشايخ بني أمية. فقال: " إن عائشة عندي فأسمروا عند الليلة فحضروا فما تذاكروا شيئا من أخبار العرب وأشعارها وأيامها إلا أفاضت معهم فيه وما طلع نجم ولا غار إلا سمته فقال لها هشام: أما الأول فلا نكره ، وأما النجوم فمن أين لك ؟ قالت : أخذتها عن خالتي عائشة فأمر لها بمائة ألف درهم وردها إلى المدينة** " [٣] .

---

[١] أم كلثوم بِنت أَبِي بكر الصديق ، القرشية التيمية ،أمها حبيبة بنت خارجة، ولدت أم كلثوم بعد موت أبيها أبو بكر ،تزوجت طلحة بن عبيد الله فولدت له زكرياء ويوسف الذي توفى وهو صغير أو عائشة، وتزوجت بعد وفاة طلحة في معركة الجمل ،تزوجت عبد الرحمن بن عبد الله مخزومي، ، فولدت لَهُ أربعة أولاد، توفيت سنة ٥٠هـ. ابن سعد،الطبقات،ج٨/ص٤٦٢؛المزي،تهذيب الكمال، ج٣٥/ص٣٨٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،ج٢/ص٤٤٩.

[٢] عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ابن عثمان ، وأمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، كانت امرأة جميلة جليلة تحدث الناس عنها بقدرها ، تزوجها ابن خالها عَبد الله بن عبد الرحمن بن أبي الصديق، ، وبعد وفاته تزوجها مصعب بن الزبير، وبعد مقتله تزوجها عمر بن عبيد الله التيمي .ابن سعد،الطبقات،ج٨/ص٤٦٧؛المزي،تهذيب الكمال،ج٣٥/ص٢٣٧؛الذهبي،سير،ج٤/ص٣٦٩.

[١] النويري، نهاية الآرب،ج٤/ص٢٧٩.

المبحث الثالث

نظرة المجتمع العربي الإسلامي إلى النساء المردفات

حث الإسلام على فضائل القيم الاخلاقية وقد وضع الأسس الكفيلة لتنظيم الحياة الاجتماعية ، وذلك بالتأكيد على الزواج الذي يعد وسيلة لتكوين الاسرة والمجتمع ، وبذلك اصبح الزواج الشرعي وسيلة للحد من الانحرافات ، فقد حث القرآن الكريم على الزواج بقوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [١]، وحث القرآن الكريم على الزواج من الجواري[٢] والإماء في حالة عدم المقدرة من الزواج من النساء الحرائر بقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [٣]. وسأذكر بعض التصور المجمل لموضوع الأطروحة وبشكل مختصر دون الدخول في تفرعاتها على سبيل المثال لا الحصر وذلك من خلال توضيح :

أولاً : نظرة المجتمع إلى الزواج المتعاقب للنساء الحرائر

كانت تقاليد الزواج في المجتمع العربي تدل على مكانة المرأة الاجتماعية ، فلم يكن تعدد الزوجات عيباً كبيراً في ذلك المجتمع ، كما لم يكن زواج المرأة من عدة أزواج على التوالي غريباً ، فمن النساء من تزوجت ثلاثة أو أربعة أو خمسة على التوالي[٤] فقد ذكر ابن

---

[١] سورة الروم، آية٢١.

[٢] الجارية وجمعها الجواري، من خلال تتبع المصادر اللغوية المتوفرة لدينا لم نجد ما يشير الى معنى التملك أو الاسترقاق أو العبودية ، إذ أن معنى الجارية جاء في تلك المصادر بمعاني مختلفة ، ومنها السفينة وقد سميت بذلك لجريانها في البحر، لقوله تعالى: ﴿**كما وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ**﴾ ، وكما ملاحظ أن هذه التعاريف لأصل لفظة جارية جاءت بعيدة كل البعد عن ما تتصرف اليه اذهاننا عند ذكر لفظة (جارية) ، ولكن أقرب المعاني اللغوية لها هو مما صرح به ابن منظور: " **هي الفتية من النساء بينة الجراية والجراء والجري** " ، وقد سميت بهذا الاسم لجريانها في قضاء حوائج مولاها أو سيدها ، وهي الفتاة التي تباع ونشترى في سوق النخاسين. سورة الرحمن،آية٢٤؛ الأزدي، المنجد في اللغة، ص٥٩؛ لسان العرب، ج١٤/ص١٤٣؛ ؛ الفيومي، المصباح المنير، ج١/ص٩٧؛ علوان ، طرق الحصول على الجواري،ص٣٨٨.

[٣] سورة النساء،آية٢٥.

[٤] الخربوطلي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص١٣٣.

حبيب في كتابه المحبر (٧٧) حالة للنساء اللواتي تزوجن بأكثر من ثلاثة أزواج تباعاً [١] ، وأوضح الباحث محمد ضيف الله بطانية من خلال دراسته (١٤٠) حالة للنساء في كتب التراجم والطبقات ، فبين إن (٣١) حالة من النساء اللواتي تزوجن أكثر من مرة فشكلت ما يقارب نسبة ٢٢ بالمئة [٢] ، أما الباحث خليل عبد الكريم فعند دراسته لبعض النساء المردفات في صدر الإسلام قام بتصنيفهن تحت مسميات ، المثلثات ، المخمسات [٣] ، فضلاً عن ما ورد في كتب التراجم من حالات تعدد الأزواج للمرأة تباعاً كان أمراً مقبولاً في ذلك الحين فقد كان الرجال يقبلونه وكذلك النساء ، ولتوضيح نظرة المجتمع من زواج المرأة تباعاً ، هو توجيه أحد الآباء لابنه بالزواج من المرأة التي تتمتع بالصفات الحميدة ،وتحذيره من الزواج بالمرأة التي تمتلك الصفات المنبوذة والمكروهة في المجتمع العربي قبل الإسلام ،إذ ذكر إن رجلاً قال : " **أَنَّ رَجلاً أَوْصى ابْنَه فقالَ: لَا تَتَزَوَّجَنَّ حَنَّانَةً وَلَا مَنَّانَة** " [٤]، والحَنَّانَةَ هي المرأة " الَّتِي كانَ لَهَا زَوْجٌ قَبْلُ فَتَذْكُرُه بالحَنِينِ والتَّحَزُّنُ رِقَّة على وُلْدِها إِذا كَانُوا صِغاراً ليَقومَ الزَّوجُ بأَمْرِهم. وَقد مَرَّ هَذَا المَعْنى بعَيْنِه فِي الأَنَّانَة ، وقيلَ : الحَنَّانَةُ الَّتِي! تَحِنُّ إِلَى زَوْجِها الأَوَّل وتعطِفُ عَلَيْهِ؛ وقيلَ: هِيَ الَّتِي تَحِنُّ على ولدِها الَّذِي مِن زَوْجِها المفارق لها " [٥]، وجاء في الحديث النبوي الشريف " **لا تزوجن شهبرة ولا لهبرة ولا نهبرة ولا هيدرة ولا لفوتا . فقال زيد يا رسول الله : ما عرفت مما قلت شيئا، وإني بأمرهن لجاهل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ألستم عربا ! أما الشهبرة فالزرقاء البذية ، وأما اللهبرة فالطويلة المهزولة ، وأما النهبرة فالقصيرة الدميمة ، وأما الهيدرة فالعجوز المدبرة ، واما اللفوت فذات الولد من غيرك** " [٦]، فاللَّفُوتُ مِنَ النِّسَاءِ : " **الَّتِي يَمُوتُ زَوْجُهَا أَو يُطَلِّقُهَا ويَدَعُ عَلَيْهَا صِبْياناً، فَهِيَ تُكثِر التَّلَفُّتَ إِلى صِبْيانها؛ وَقِيلَ: هِيَ الَّتِي لَهَا زَوْجٌ، وَلَهَا وَلَدٌ**

---

[١] ينظر ، المحبر، ص٤٣٥-.٤٥٥.

[٢] ينظر، بطانية ،الحياة الاجتماعية في صدر الإسلام ، ص٤٢-٤٨ .

[٣] ينظر، شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة ، ج٢، ص٣٧٣- ص٣٩٤.

[٤] الزبيدي، تاج العروس،ج٣٤/ص٤٥٧.

[٥] الزبيدي، تاج العروس،ج٣٤/ص٤٥٧-٤٥٨.

[٦] الصدوق، الخصال، ص٣١٦.

مِنْ غَيْرِهِ، فَهِيَ تَلَفَّتُ إلى ولَدها ؛ هِيَ الَّتِي لَهَا وَلَدٌ مِنْ زَوْجٍ آخَرَ، فَهِيَ لَا تَزَالُ تَلْتَفِتُ إليه وتَشْتَغِلُ بِهِ عَنِ الزَّوْجِ " [١]. والى المعنى ذاته أشار الغزالي (ت: ٥٠٥هـ/١١١١م) في كتابه احياء علوم الدين ، حيث ذكر إن للزواج من البكر ثلاث فوائد وهي :

١-أن تحب الزوج وتألفه فيؤثر في معنى الود وقد قال(ﷺ) عليكم بالودود والطباع مجبولة على الأنس بأول مألوف ، وأما التي اختبرت الرجال ومارست الأحوال فربما لا ترضى بعض الأوصاف التي تخالف ما ألفته عليه الزوج .

٢-أن ذلك أكمل في مودته لها فإن الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة ما وذلك يثقل على الطبع مهما يذكر وبعض الطباع في هذا أشد نفوراً.

٣-أنها لا تحن إلى الزوج الأول وأكد الحب ما يقع مع الحبيب الأول غالباً [٢]. وهذا ما لمسناه عند بعض النساء في المجتمع الإسلامي اللواتي رفضن الزواج مرة اخرى بعد فقدان ازواجهن ، ومن أمثلة تلك النسوة ، أم هاني بنت أبي طالب [٣] التي خطبها رسول الله (ﷺ) فقالت له : " **والله لقد كنت احبك في الجاهلية فكيف في الإسلام ! ولكني امرأة مصبية وأكره أن يؤذوك** "، فقال (ﷺ) : " **خير نساء ركبن المطايا نساء قريش: أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج فى ذات يده** " [٤].

وروي أن نائلة بنت الفرافصة الكلبية [٥] أرملة الخليفة عثمان بن عفان رفضت الزواج من معاوية بن أبي سفيان بعد أن سكنت فتنة مقتل زوجها ، إذ حطمت ثنيتها أو أسنانها

---

[١] ابن منظور، لسان العرب،ج٢/ص٨٥.

[٢] احياء علوم الدين،ج٢/ص٤١.

[٣] أم هاني بنت عبد المطلب بن هاشم، اسمها فاختة وقيل هند، بنت عم النبي محمد (ﷺ) الهاشمية ، المكية ، تأخر إسلامها الى يوم الفتح، تزوجها هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي ، الذي هرب عند الفتح إلى نجران ، وولدت لهبيرة، عمرو ، وجعدة ، وهانئ، ويوسف، قيل بأن رسول الله (ﷺ) قد أُسري به من بيتها إلى المسجد الاقصى . ابن سعد،الطبقات،ج١/ص١٦٧؛الذهبي،سير،ج٢/ص٣١١-٣١٢؛

[٤] ابن حبيب،المحبر،ص٣٩٦؛

[٥] نائلة بنت الفرافِصة بن الأحوص من بني كلب، زوجة الخليفة عثمان ابن عفان، اشتهرت بالشعر والخطابة ،وكانت من ذوات الرأي والشجاعة، أصلها من بادية السماوة فتزوجها الخليفة عثمان وأقامت معه في المدينة ، وعند بدء الثورة عليه نصحته أن يأخذ برأي الإمام عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) حينما جاءه وقد حذّره يدعوه قائلاً: " قد أعلمته أني لست بعائد"،

وقالت : " **إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب وإني خفت أن يبلى حزني على عثمان فيطلع مني رجل على ما اطلع عثمان وذلك ما لا يكون أبدا** " [١] ، وكذلك الحال مع زوجة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) الرباب بنت امرئ القيس التي قال لها فيها الإمام الحسين(عليه السلام) : " **لعمرك! إنني لأحب دارا ... تحل بها سُكينة والرباب ، والتي خطبها فقالت : " والله لا اتخذت حموا بعد رسول الله صلى الله عليه ".**

وكذلك ام الدرداء[٢] زوجة أبي الدرداء التي خطبها معاوية بن أبي سفيان فقالت: " **ما كنت لأختار علي أبي الدرداء وقد قال رسول الله صلى الله عليه : " إذا اجتمعت المرأة وزوجاها في الجنة، كانت لآخرهما**". أما هُدبة بن خشرم العذري[٣] التي لما قُدِّم زوجها للقتل أخذاً للثأر رفع رأسه فقال :

إلا أنه لم يسمع نصيحتها ،فدخل المصريون الى دار الخليفة ، وبأيديهم السيوف، فضربوه فألقت نائلة نفسها عليه فصاحت بخادمها رباح، فقتل عثمان، وقعطت اصابع نائلة ، فخرجت تستغيث حت فر القتلة، ثم انصرفت إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فخطبت في الناس، تقول: "**عثمان ذو النورين قتل مظلوما بينكم ...**" ، ومن ثم كتبت إلى معاوية الذي كان في الشام كتاباً فيه وصفت دخول القوم على عثمان، وقد أرسلت مع الكتاب قميص عثمان وهو مضرجا بالدماء وبعض أصابعها المقطوعة أيضاً. الزبيري، نسب قريش،ص١٠٥؛ ابن حبيب،المحبر،ص٣٩٦؛ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٧٢ ؛ابن عساكر، تاريخ مدينةدمشق،ج٧٠/ص١٤٠؛ الزركلي، الأعلام ،ج٧/ص٣٤٣.

[١] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،ج٧٠/ص١٤٠.

[٢] أم الدرداء الكبرى برة بنت أبي حدرد وأسم زوجها سلامة بن عمير بن أبي سلمة الأسلمي ، كانت تعرف بأم الدرداء الكبرى تمييزا لها عن أم الدرداء الصغرى ، واسمها هجيمة أو هميجة بنت حيي ، الأصابية وصاب بطن من حمير، الدمشقية كانت من فضليات النساء، اشتهرت بالعلم والزهد والعمل، وكانت من ذوات الرأي أيضاً، عرضت القرآن الكريم وهي صغيرة على زوجها أبي الدرداء، روت عن زوجها وعن سلمان الفارسي، وعائشة، وكعب بن عاصم الاشعري، وأبي هريرة، كما حدث عنها مجموعة أخرى ،منهم عطاء ، وجبير بن نفير، ومكحول، وسالم بن أبي الجعد وغيرهم، وكانت تلبس برنسا وتصلي في صفوف الرجال وتجلس في حلقات القراء، الى أن أمرها أبو الدرداء بأن تلحق بصفوف النساء، وعاشت معظمة عند بني أمية ، إذ كانت تقيم ستة أشهر في بيت المقدس، وستة أشهر في دمشق ، ومن اخبارها أنه نودي لصلاة المغرب، وكانت وعبد الملك بن مروان في صخرة بيت المقدس، فقامت متوكئة على عبد الملك ، فأدخلها الى المسجد، فجلست مع النساء، ومضى هو إلى المقام ليصلى بالناس. كما كانت أم الدرداء ذات حرمة و قدر عالي حتى إن عبد الملك بن مروان كان كثيراً ما يجلس الى أم الدرداء الصغرى في مؤخرة المجلس . الذهبي،سير،ج٤/ص٢٧٧؛ تاريخ الإسلام،ج٢/ص١٠٢٥؛ الزركلي، الاعلام،ج٨/ص٧٧.

[٣] هدبة بن خشرم بن كرز العذري ، وهو الذي قتل صاحبه زيادة بن زيد العذري ، وذلك أنه في أحد الأيام وهما مقبلان من الشأم فى نفر من قومهما، كانوا يتعاقبون السّوق بالإبل ، فنزل زيادة يسوق بأصحابه ، فرجز شعراً ،ذكر فيه أسم فاطمة ،وكانت لهدبة أخت تسمى فاطمة فظنّ أنّه قال الشعر فيها، فنزل هدبة فساق بالقوم، ورجز شعراً بأخت زيادة، التي

لا تنكحي إن فرَّق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

ضَروبا بلحييه على عظم زوره إذا القوم هموا بالفعال تقنعا

ثم سألها قومها أن يمهلوها قليلا ، فقامت بجذع أنفها ثم أتته قبل أن يقتل وهي مجدوعة ، فقالت: " **أذات زوج ترى؟**" [١].

وأراد عبد الرحمن بن الضحاك والّى المدينة في عهد يزيد بن عبد الملك ، الزواج من فاطمة بنت الحسين (عليها السلام) فأبته ، وقالت: " **ما النكاح من حاجتي وأنا مشبلة مقيمة عَلَى ولدي** " ، ولما ألح فِي أمر الخطبة ، هددها أن لم تجيبه قائلاً : " **والله لئن لَمْ تفعلي لأخذن أكبر ولدك- يعني عَبْد الله بْن حسن بْن حسن بْن عَليّ- فِي شراب ثم لأضربنّه على رؤوس الناس ولأفعلن حَتَّى أفضحك**" ، ولما رأت فاطمة أنه لم يمتنع عنها بعثت إلى خليفته يزيد بن عبد الملك الذي أمر بعزله وتغريمه [٢]، وفي موضع أخر نقل البلاذري صورة النزاع الذي جرى بين زيد بن علي بن الحسين (عليهما السلام) مع ابن عمه عبد الله بن الحسن ابن فاطمة بنت الحسين في أمر الصدقات ، قائلاً : " **فقال حسن لزيد : يا ابن السندية الساحرة. فقال لَهُ زيد: إنها لسندية وما كانت- بحمد الله- ساحرة ولكنها بقية عين التقية ولقد صبرت بعد وفاة سيدها فما تعيب بأنها إِذْ لَمْ تصبر مثل غيرها (كذا) ولكن تذكر ابن الضحاك وأمك تبعث إِلَيْهِ معك بالعلك الأحمر والأصفر والأخضر فتقول لَهُ : فمك فتطرح ذَلِكَ فِيهِ. فأتاها بنوها فأخبروها بقوله ، فقالت: كنتم فتيانا فكنت أداريه فيكم وأمنيه أن أتزوجه حَتَّى كتبت إلى يزيد بن عبد الملك فعزله** " [٣] ، الواضح من نص البلاذري أن هناك تباين في نقل النصوص التاريخية فيما يخص زواج فاطمة

كانت تدعى أمّ القاسم ، فتشاتما وبعد عودتهما الى ديارهما ، بيت هدبة لزيادة فقتله ، وعندما أرا د والي المدينة سعيد بن العاص القصاص منه ، وكان ابن القتيل زيادة صغيراً ، قدم أخو زيادة عبد الرحمن الذي رفض الدية واراد قتل هدبة ، فتم اجراء القصاص وقدم هدبة للقتل فقتل. ينظر المبرد، الكامل في اللغة،ج٤/ص٧١؛ ابن قتيبة الدينوري ،الشعر والشعراء،ج٢/ص٢٨٠-٢٨٤؛ ابن النديم،الفهرست،ج٢/ص٤٠٤.

[١] ابن حبيب،المحبر،ص٣٩٦؛ ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء،ج٢/ص٢٨٤.

[٢] البلاذري ، أنساب الاشراف،ج٢/ص١٩٧-١٩٨.

[٣] البلاذري ، أنساب الاشراف،ج٢/ص١٩٩.

بنت الحسين(عليها السلام) فمرة يذكر أنها رفضت الزواج بموقف صارم حتى أنها كتبت إلى الخليفة ان يمنعه ، ومرة يذكر انها كانت تمنيه أو تعده بالزواج حرصاً منها على معيشة ابنائها ، وعلى كل حال فإن هذه الرواية إن صحت فأنها تمثل نظرة المجتمع تجاه المرأة المردفة ، إذ نقل لنا المؤرخ الصورة التي يرسمها المجتمع تجاه المرأة التي تتزوج بعد فراق زوجها ، وخاصة في حال كان لديها ابناء لدرجة إن ابنائها كانوا يعيرون بذلك .

وفي كثير من الحالات نجد أن بعض النساء كانت تتحرج من أن تردف زوجاً أخر ، بسبب نظرة المجتمع لها ، كما في زواج سبعية بنت الحارث زوجة سعد بن خولة [١] ، التي توفى عنها زوجها في حجة الوداع مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وعندما أرادت أن تتزوج بعدما وضعت حملها بعد خمسة وعشرين يوماً من وفاة زوجها[٢] ، عاب عليها أبو السنابل [٣] ذلك ، وقال لها : " **مالي أراك تجملت للخطاب ، ترجين النكاح ؟ فإنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك اربعة اشهر وعشر**" ، فذهبت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وروت له ذلك فأفتاها بأنها قد حللت حين وضعت حملها ، كما انه لم يمنعها من الزواج أن رغبت فيه ، إذ ورد على لسانها أنها قالت: " **فَأَفْتَانِي بِأَنِّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وَضَعْتُ حَمْلِي، وَأَمَرَنِي**

---

[١] سعد بن خولة بن مالك بن حسل ، وهو من حلفاء بني عامر بن لؤي ، وقيل أنه مولى من الفرس، يكنى بأبو سعيد ، وهو أحد السابقين في دخول الإسلام هاجر الهجرة الثانية الى الحبشة ، وشارك مع رسول الله في أحد ، والخندق ، والحديبية ، توفى في حجة الوداع سنة (١٠ هـ /٦٣١م) في مكة . ينظر ، ابن، سعد ، طبقات ابن سعد ، ج٣/ ص٣١١ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٢/ ص٥٨٦..١٧١

[٢] ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢/ ص ٤٢٧؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣/ ص٣١٢.

[٣] أبو السنابل بن بعكك بن الحارث ، القرشي العبدري ، قيل ان اسمه عمرو أو عامر ، وقيل لبيد ، كما قيل حنة ، من مسلمي الفتح ، كان شاعراً، وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، تزوج سبيعة بنت الحارث فلدت له سنابل بن ابي السنابل ، قيل أنه سكن الكوفة ، توفي في مكة .للمزيد ينظر، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٦/ ص٧؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج ٤/ ص١٦٨٤، المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣٣/ ص ٣٨٥-٣٨٦.

بِالتَّزَوُّجِ إِنْ بَدَا لِي، قد حللت فانكحي من شئت " [١] ، وهي التي روي عنها فقهاء أهل المدينة والكوفة من التابعين حديثها هذا [٢] .

وكذلك في زواج عاتكة بنت زيد بن عمرو التي تزوجت عمر بن الخطاب ، وكانت قبله عند عبد الله بن أبي بكر الذي اشترط عليها ألا تتزوَّج بعده أبداً بعدما اقطعها ارضاً ، وقيل بأنه أعطاها مالاً [٣] ، لذلك أرسل اليها ابن عمها الخليفة عمر بن الخطاب قائلاً : " **أن قد حرمت ما أحل الله لك ، فردي إلى أهله المال الذي أخذته** " [٤] ، فتزوجها عمر بن الخطاب سنة (١٢هـ/٦٣٣م) بعدما أفتاها بأن يعطيها مثل ذلك من المال فتصدَّق به عن زوجها الاول عبد الله بن أبي بكر، ، ولما ابتنى بها عمر وأقام الوليمة ، حضر الأمام علي (عليه السلام) فأستأذن من الخليفة عمر في الحديث مع عاتكة ، فأخذ الإمام علي (عليه السلام) بجانب الخدر، و قَال : يا عاتكة أين قولك :

" **فآليت لا تنفك عيني حزينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا** " [٥]

فبكت عاتكة ، فقَال عمر للإمام علي (عليه السلام) : " **ما دعاك إلى هذا يا أبا حسن ؟ كل النساء يفعلن هذا** " ، فقال على : ولم أردت أن تقول ما لا تفعل؟ وقد قال تعالى: ﴿ **كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ**﴾ [٦]، وهذا شيء كان في نفسى أحببت أن يخرج ، فقال عمر: " **ما حسن الله فهو حسن** " [٧]، وفي الحقيقة أن المجتمع الذي تكثر فيه الحروب ، من المسلمات أن يترتب على أثر تلك الحروب الكثير من النساء اللواتي يترملن في ذلك المجتمع ، فقد كان الزواج الثاني بالنسبة للمرأة أمراً شائعاً ، لكن الاستحياء كان

---

[١] البخاري ، صحيح البخاري ، ج٥ / ص٨٠ ؛ مسلم ، صحيح ، ج٢/ ص١٢٢٢؛ أبي داود ، سنن أبي داود ، ج٢ / ص٢٩٣.

[٢] ابن عبد البر، الاستيعاب ، ج ٤/ ص١٨٥٩؛ ابن الاثير، أسد الغابة ،ج٢/ ص٤٢٧؛ ابن حجر ، الاصابة ، ج٨ / ص ١٧١

[٣] ابن سعد ، الطبقات ، ج٨ ، ص٢٠٨؛ الفاسي ، العقد الثمين ، ج٦، ص٤١٩.

[٤] ابن حجر ، الاصابة ، ج٨ ، ص٢٢٨.

[٥] الفاسي ،العقد الثمين ،ج٦/ص٤١٩.

[٦] سورة الصف ، آية ٣.

[٧] الجاحظ، الرسائل،ج٢/ص١٥١-١٥٢؛ الفاسي ، العقد الثمين ،ج٦/ص٤١٩.

ملازماً للمرأة ، وبما أن للوفاء ارتباط وجداني قوي بالماضي ، لذلك كان عليها الوفاء بالعهد الذي عقدته مع زوجها المتوفي ، لاسيما وأن وفاء المرأة لزوجها المتوفى يدل على مظاهر مكارم الأخلاق عند العرب ، يفهم من موقف عاتكة هذا أنها تحملت مسؤولية اجتماعية من جراء القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تحكم المجتمع آنذاك ، حتى أنه ساء عمر ما رأى من خجلها عند تذكير الإمام علي إياها بنقض ما فارقت عليه زوجها ، إلا أن الملاحظ من قول الإمام علي (عليه السلام) لعاتكة أنه لم يعيب عليها زواجها الثاني ، ولكنه ذكرها بنقضها العهد الذي عاهدت زوجها الأول عليه وخاصة بعدما اقطعها قطعة أرض مقابل أن لا تتزوج بعده .

ثانياً : نظرة المجتمع تجاه الزواج من الجواري والإماء

لم تكن نظرة المجتمع العربي ايجابية تجاه الجواري والاماء ، فكان ينظر لهن على أنهن وسيلة لتحقيق غاية ، وتلك الغاية تختلف تبعاً للسبب الذي من أجله تم الحصول عليهن ، فقد كانت معيشة أغلبهن في كد وعناء ، وخصوصاً قبل الإسلام ففي الأغلب نظر المجتمع نظرة دونية قاسية تجاه الجواري والإماء ، فلم تكن الجارية أو الأمة سوى سلعة تباع وتشترى ، فضلاً عن أتخاذها وسيلة لقضاء الحوائج الخدمية والجسدية [١] ، فكان أغلب أفراد المجتمع العربي يحاولون التقليل من شأن أبناء الجواري والإماء ، وخصوصاً أصحاب البشرة السوداء ، وهم ما كانوا يطلقون عليهم تسمية الأغربة (أغربة العرب) فكانوا ينالون أقسى وأشد أنواع المعاملة دون غيرهم [٢]، كما كانت جميلة الأماء والجواري تلقب من قبل الحرائر بالجرباء [٣] .

وهذه النظرة القاصرة تجاه الجواري والاماء لم تكن في قاموس مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، لأنهم كانوا يتعاملون مع جميع بني البشر بسواسية ، فقد اتخذوا بعضهن زوجات

---

[١] أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني، ج٢٢/ص٢٨٠؛ علوان ، طرق حصول المسلمين على الجواري، ص٢٩٧.

[٢] سموا أغربة العرب لشدة سواد لون بشربتهم وري، .ابن قتيبة الدينوري،المعارف،ص٣٢٥؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١٨/ص٣١٠؛ جواد علي ،المفصل،ج٧/ص٣١١.

[٣] ابن منظور، لسان العرب،ج٤/ص٢٦٠؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١/ص٣٦٠.

، كما اوصوا بحسن معاملتهم .. و بالرغم من إن الإسلام لم يحرم الرق وملك الجواري والإماء ، ولكن الشريعة الإسلامية عملت على نقل النساء من رابطة العبودية إلى رابطة الزوجية ، فأمرت بتزويجهن والبر بهن [١]، قال تعالى: ﴿ **و وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا**﴾ [٣].

وقد فضل الزواج بالجارية أو الأمة المملوكة على الزواج بسليلة الْبيُوت من المشركات حتى ولو كانت جميلة ، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾ [٤]، كما حرم الشرع الإسلامي أن تكون الجارية مشاعاً أو مملوكة لأكثر من رجل ، فجاء الإسلام وجعل للجارية والأمة الكثير من الحقوق الواجبة على مالكها[٥] ، فقد فرض لهن التشريع الإسلامي حقوقا كما فرضت للأزواج ، قال الله عز وجل: ﴿ **قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [٦]، وقد جعل الإسلام الحرص على البر بهن فِي احساسهن وعواطفهن ، كالحرص على البر بهن فِي أرزاقهن ومعيشتهن [٧] ، فنقل عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : " **لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي ، ولا يقولن المملوك ربى وربتي ، وليقل المالك فتاي وفتاتي**

---

[١] ابن عبد ربه ، طبائع النساء،ص٩١.

[٢] سورة النور،آية٣٢.

[٣] سورة النساء،آية٣.

[٤] سورة البقرة ، آية ٢٢١.

[٥] ابن عبد ربه ، طبائع النساء،ص٩١.

[٦] سورة الاحزاب، أية٥٠.

[٧] ابن عبد ربه، طبائع النساء،ص٩١.

، وليقل المملوك سيدي وسيدتي ، فإنكم المملوكون والرب الله عز وجل " [١] . فالإسلام المحمدي قصد من الرق رفع شأن المرقوق وحفظ كرامته ، وهذا ما أتضح من جواب الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) لعبد الملك بن مروان حين عاتبه على زواجه من جارية كانت للحسن بن علي عليهما السلام ، إذ كتب إليه كتاباً جاء فيه " **إنك صرت بعل الإماء** " ، فرد عليه الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بكتاب جاء فيه : " **إن الله رفع بالإسلام الخسيسة ، وأتم به الناقصة ، وأكرم به من اللؤم ، فلا لؤم على مسلم إنما اللؤم لؤم الجاهلية ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله أنكح عبده ونكح أمته** " ، ولما وصل الكتاب إلى عبد الملك قال لمن كان يجالسه : " **أخبروني عن رجل إذا أتى ما يضع الناس لم يزده إلا شرفا ؟ قالوا : ذاك أمير المؤمنين قال : لا والله ما هو ذاك ؟ قالوا : ما نعرف إلا أمير المؤمنين قال : فلا والله ما هو بأمير المؤمنين ولكنه علي بن الحسين** " [٢] . يفهم من ذلك إن هذه النظرة القاصرة تجاه الجواري والاماء لم تكن في قاموس مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) ، لأنهم كانوا يتعاملون مع جميع بني البشر بسواسية ، فقد اتخذوا بعضهن زوجات كما في زواج علي بن الحسين (عليه السلام) ، وإن حال الجواري والإماء في المجتمع الإسلامي لم يكن بالمحمود من الناحية الإنسانية ، إذ تعرض الكثير منهن الى القسوة والتعذيب في التعامل وامتهان الكرامة.

إلا أن وضع الإماء والجواري لم يكن بمستوى واحد من ناحية الوضع الاجتماعي ، إذ إن البعض منهن كن من المحظيات والمقربات عند الكثير من الخلفاء والحكام [٣]، تبعاً لما كانت تتميز به تلك المحظية من الجمال والثقافة الذي تملك به عقل وقلب سيدها [٤]، فهناك

---

[١] أبي داود، سنن أبي داود،ج٢/ص٤٧٢.

[٢] المجلسي، بحار الأنوار،ج٤٦/ص١٠٥.

[٣] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني،ج٨/ص٤٦٢؛ السيوطي، المستظرف من أخبار الجواري،ص١٢-١٦.

[٤] حسن ، دور الجواري والقهرمانات، ص٣.

من الجواري من عرفت بالسرية [١]، ومنهن من عرفت بالقهرمانة [٢]، وهناك من عرفت بالغلمان [٣]، ومنهن من عرفت بالقيان[٤].

وبما أن العصر الأموي شهد عدة تغيرات طرأت على المجتمع العربي الإسلامي ، إذ تغيرت نظرة المجتمع إلى الجواري والإماء وأصبحت أقل حدة ، لذلك أقبل الكثير من العرب على الزواج بهن ، فأصبحن أمهات أولاد لشخصيات معروفة ومشهورة في المجتمع ، تركوا بصمات واضحة في المجتمعات التي عاشوا فيها ، فنقل لنا ابن قتيبة الدينوري عن الأصمعي:" **كان أهل المدينة يكرهون اتّخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم علي بن الحسين والقاسم بن محمد بن أبي بكر وسالم بن عبد الله بن عمر ، ففاقوا أهل المدينة فقها وورعا فرغب الناس في السّراري** " [٥]. ومع ذلك فقد نظرة الدونية والاحتقار موجودة تجاه الجواري وخاصة من قبل خلفاء بني أمية ، والدليل على ذلك هو احتقار معاوية بن أبي سفيان لجواريه وامتهانه لكرامتهن أمام جلسائه[٦] . ونقل ابن عبد ربه في طبائع الإسلام قائلاً : " **دخل زيد بن عَليّ على هِشَام بن عبد الْملك فَقَالَ لَهُ هِشَام بلغنى أَنَّك تحدث نَفسك بالخلافة وَلَا تصلح لَهَا لِأَنَّك ابْن أمة فَقَالَ لَهُ أما قَوْلك إني أحدث نفسى بالخلافة فَلَا يعلم الْغَيْب إِلَّا الله وَأما قَوْلك إنى ابْن أمة فإسماعيل ابْن أمة أخرج الله من صلبه خير**

---

[١] وهي الجارية التي يعزلها سيدها في مكان مستور من البيت ، خشية من غيرة زوجاته . حسن ، دور الجواري والقهرمانات،ص٣٣.

[٢] لون من الوان الجواري عرف في العصر العباسي، وتكون أرفع منزلة وشأناً في شريحة الجواري التي تنتمي اليها، وتستعمل هذه اللفظة إشارة الى الوظيفة التي تخص الامور المالية في البلاط العباسي، بمعنى هي التي تتولى إدارة شؤون القصر العباسي من الناحية المالية. حسن، دور الجواري والقهرمانات ، ص٣٤.

[٣] وهن الجواري الغلمان اللواتي لم تتجاوز اعمارهن العشرين سنة ، فكن يحلقن رؤوسهن كالصبيان ويرتدين ملابس الغلمان حتى يلبين متطلبات دار الخلافة . الجاحظ، الرسائل ،ج٢/ص٩٥؛ البغدادي، تاريخ بغداد،ج٧/ص٣٨؛جواد، سيدات البلاط، ص٢١.

[٤] القينة وجمعها قينات، وهي لفظة تطلق على المغنية من الجواري والإماء ، وذلك الغناء الذي يكون للعامة والخاصة ، وهذه التسمية كانت سائدة في العصر الأموي ولم تكن شائعة في العصر العباسي. ابن طيفور، بغداد في تاريخ الخلافة،ص١٨٧؛ ابن منظور، لسان العرب،ج١٣/ص٣٥٨؛ جواد، سيدات البلاط،ص١٩؛ حسن ، دور الجواري، ص٤٠.

[٥] عيون الأخبار، ج٤/ص١٠.

[٦] الجاحظ، الرسائل،ج٢/ص١٥٥.

الْبشر مُحَمَّدًا وَإِسْحَاق ابْن حرَّة أخرج الله من صلبه القردة والخنازير الرَّغْبَة فِي السراري أَبنَاء الْإِمَاء يتفوقون" [١]. يستثنى من خلفاء بني أمية الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي أحسن معاملة الجواري بعد توليه السلطة ، إذ منع بقاء الجواري في دار الخلافة ، فبعد أن كان من سبقه من الخلفاء يمتلك الكثير من الجواري والإماء ، أخذ عمر يسأل الواحدة منهن بعد الأخرى ، من انت ولمن كنت ، ومن بعث بك ؟ ، فتخبره الجارية بأصلها وكيف أخذت ولمن كانت ، وبعد أن ينتهي من ذلك ، كان يأمر باسترجاعهن إلى أهليهن وحملهن إلى بلادهن [٢].

وقد كان بالرغم من تمتع أبناء الإماء والجواري بمواصفات تؤهلهم إلى تولي المناصب القيادة في الدولة ، إلا أن بني أمية كانوا يحرموهم من ذلك ، وقد علل ابن عبد ربه سبب ذلك بقوله: " **كانت بنو أمية لا تبايع لبني أمهات الأولاد؛ فكان الناس يرون أن ذلك لاستهانة بهم، ولم يكن لذلك، ولكن لما كانوا يرون أن زوال ملكهم على يد ابن أم ولد؛ فلما ولي الناقص ظن الناس أنه الذي يذهب ملك بني أمية على يديه- وكانت أمه بنت يزدجرد بن كسرى- فلم يلبث إلا سبعة أشهر حتى مات ؛ ووثب مكانه مروان بن محمد -وأمه كردية- فكانت الرواية عليه. ولم يكن لعبد الملك ابن أسدّ رأيا ، ولا أذكى عقلا، ولا أشجع قلبا، ولا أسمح نفسا، ولا أسخى كفّا من مسلمة ؛ وإنما تركوه لهذا المعنى**" [٣].

وقد نالت بعض الجواري والإماء منزلة عظيمة من قبل أسيادهن ، فهناك من أعتقت لجمالها أو لثقافتها وخاصة إذا كانت تجيد القراءة والكتابة إذ عد ذلك من ضروب العجب [٤] ، فكان هذا السبب أحد الدوافع القوية التي دفعت بعض الجواري والإماء من تثقيف أنفسهن نيلاً للحرية [٥] ، فكان من الممكن أن تصبح الجارية أو الأمة زوجة لمالكها أو سيدها بعد أن يتم

---

[١] طبائع النساء،ص٩٥.

[٢] ابن عبد الحكم ، سيرة عمر،ص٣٤.

[٣] العقد الفريد،ج٧/ص١٤٣.

[٤] أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني،ج٦/ص٣٠٢.

[٥] الدريسي، الجواري والغلمان في الثقافة الإسلامية ، ص٢١٢.

عتقها [١]، فنتج عن ذلك الاختلاط العرقي بين الدماء العربية وغير العربية ، من فرس وروم وسواهم مما نجم عنه مشاكل اجتماعية كبيرة لا يحمد عقباها أثر بشكل كبير وواضح على الحياة الاجتماعية ، ففي الوقت الذي نقلت تلك الشعوب المختلفة إلى العرب أساليب الحضارة والثقافة، فكان لابد لها أن تجلب شيئاً أخر معها متمم لهما الا وهو تأثر المجتمع بالجواري والإماء ، مما أدى إلى انحلال المجتمع العربي فكان من نتائج ذلك امتزاج الدماء العربية بغير العربية، فبعد أن كان العربي يأنف الزواج من غير العربيات وفقاً لأعراف وتقاليد اخلاقية واجتماعية تربى عليها ، نجد اندفاع العرب نحو الجواري بصورة تثير الكثير من التساؤلات التي أدت إلى تغير المجتمع بشكل مطلق ، فلا نبالغ إن قلنا إن الجواري والإماء كن السبب الأهم في انحطاط المجتمع العربي الإسلامي من الناحية الأخلاقية ، هؤلاء الجواري اللواتي تدفقن على العرب بعد الفتوحات الإسلامية الواسعة ، فكان يؤتى بهن من بلاد فارس ، وكما ذكر البلاذري إن المسلمين غنموا في يوم المدائن جواري من كسرى جيء بهن من الآفاق[٢] ، ويرى الباحث جرجي زيدان أن الرقيق البيض كان يؤتى به من وراء النهر، وأصله من الصقالبة أو الخزر الأتراك من بلاد تركستان ، وكان يتربى أحسنه في خوارزم وسمرقند ، ومن ثم يحمل إلى بلاد الإسلام ، كما كان يؤتى بالرقيق الأبيض من بلاد الأندلس ، وأصلهن من الصقالبة أو من سبي الافرنج وجيليقية ، أما الرقيق الأسود فكان يؤتى به من بلاد السودان إلى بلاد المسلمين عن طريق مصر وبلاد العرب [٣].

وقد ذكر الجاحظ في حجج السودان على البيضان ، وعلى لسان الزنج قولهم للعرب: "**وقد قالت الزِّنج للعرب : من جهلكم أنَّكم رأيتمونا لكم أكفاءً في الجاهلية في نسائكم ، فلمَّا جاء عدل الإسلام رأيتم ذلك فاسداً، وما بنا الرغبة عنكم. مع أن البادية منا ملأى ممن قد تزوَّج ورأس وساد، ومنع الذِّمار، وكنفكم من العدوّ. قال: وقد ضربتم بنا الأمثال وعظَّمتم أمر ملوكنا ، وقدَّمتموهم في كثيرٍ من المواضع على ملوككم. ولو لم تروا الفضل لنا في**

---

[١] ابو العينين ، حكايات الجواري، ص١٠.

[٢] فتوح البلدان، ص٢٥٩.

[٣] تاريخ التمدن الإسلامي، ج٥/ص٢٥.

ذلك " [١]، نجد في هذا النص إشارة إلى التزاوج الذي كان بين العرب والزنوج أو السودان الذين كانوا يجلبون من إفريقيا في أيام الجاهلية ، وفي نفس الوقت يشير إلى انصراف العرب عنه في الإسلام ، ما عدا أهل البادية ، وذلك بسبب إقبالهم على الزواج من الفارسيات و الروميات وبغيرهن على ما يظهر بسبب الفتوحات من جهة , ومن جهة أخرى توسع أسواق النخاسة وارتفاع مستوى الوضع الاقتصادي للعرب في الإسلام عنه في الجاهلية مكن العرب من الاختلاط بالأجنبيات البيض وتفضيلهن على غيرهن [٢].

وفي العصر الأموي بالتحديد ، لا يخفى علينا ما كان للجواري والإماء من كبير الأثر في حياة بعض الخلفاء ، وخاصة إذا كانت الجارية تتمتع بقسط وافر من الجمال ، والثقافة الفنية كالغناء والشعر والعزف وغيره ، أمثال حبابة وسلامة جاريتي الخليفة يزيد بن عبد الملك اللتان استطاعتا أن تخضعا سلطة الخليفة بتصرفهما ، إذ أن الغالب على يزيد كان حبه لجارية كانت تسمى (سلامة القس) التي شتراها يزيد بثلاثة الأف دينار ، فأعجب بها ، وغلبت على أمره ، فاحتالت جدته أم سعيد العثمانية [٣] بشراء جارية أخرى تسمى حبابة قد كانت في نفس يزيد بن عبد الملك قبل سلامة ، فغلبت عليه حبابة ، وقد وهبت سَلَّامة لأم سعيد [٤]. وقد بلغ من سلطة حبابة انها اصبحت تولي وتعزل من تشاء ، حتى أن أخيه مسلمة بن عبد الملك لامه قائلاً: " **تركت الظَّهور وشهود الجمعة الجامعة ، وقعدت في منزلك مع هذه الإماء** " [٥]. وبما أنه استخلف بعد عمر بن عبد العزيز الذي عرف بورعه ونسكه لذلك عزم يزيد على ترك اللهو فأقام لمدة أسبوع على هذا الحال ، فلما كان يوم الجمعة واراد الخليفة الخروج لقته والعود في يدها ، فغنت بيت من الشعر ، فغطى وجهه

---

[١] الرسائل ، ج١/ص١٩٧.

[٢] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،ج٧/ص٣١١-٣١٢.

[٣] أم سعيد بنت سعيد بن عثمان بن عفان كانت زوجة لهشام بن عبد الملك، ثم طلقها، ، فتزوجها العباس بن الوليد بن عبد الملك، ثم طلقها، طلاقها، فتزوجها عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز. ابن سعد، الطبقات،ج٤/ص٢٣١؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،ج٢/ص٢٧٦.

[٤] المسعودي، مروج الذهب،ج٣/ص١٩٦.

[٥] أبو الفرج الأصفهاني،الأغاني،ج١٥/ص٩١.

وقال: " **مه لا تفعلي** " ، ثم غنت : " **وما العيش إلا ما تلذّ وتشتهي** " ، فقال : " **صدقت والله ، فقبح الله من لا مني فيك ، يا غلام مر مسلمة أن يصلّي بالناس**" ، فرجع معها يشرب وتغنيه [١]. ولعل لم يكن أحد من الخلفاء فعل ما فعله يزيد الذي روي أنه لما ماتت حبابة أقام عندها ثلاثة أيام حتى نتنت ،فعاتبه اقاربه حتى أذن بتغسيلها ودفنها ، فوقف على قبرها ، وقال :

فإن تسلُ عنك النفس أو تدع الهوى فباليأس تسلو النفسُ لا بالتجلد

ثم أقام بعدها أياماً قلائل ومات [٢].

أما أبنه الوليد فقد أكثر ولعاً وتهتكاً على ما يظهر في تصرفاته مع الجواري ، إذ روي أنه سكر مع أحدى جواريه ذات مرة ، وقد حانت صلاة الجمعة ليصلي خليفة المسلمين بالناس ، فأرسل الوليد جاريته لتصلي بالمسلمين ، وقد كانت تلك الجارية ملثمة في حالة السكر لا تعي[٣] ، هذا غيض من فيض ما روي من اخبار شدة تأثر الخلفاء بالجواري حتى إن الطبري قال : " **وكان الوليد صاحب بناء واتخاذ للمصانع والضياع ، وكان الناس يلتقون في زمانه، فإنما يسأل بعضهم بعضا عن البناء والمصانع فولي سليمان ، فكان صاحب نكاح وطعام ، فكان الناس يسال بعضهم بعضا عن التزويج و الجوارى** " [٤] ، بمعنى أن الناس كانت تسأل في زمن الوليد عن البناء لأن عصره كان عصر اعمار وبناء ، أما في زمن سليمان بن عبد الملك ، فقد اصبحت الناس تسأل عن تزويج الجواري ، مما يدلل على أن الجيل الجديد قد رغب في امتلاك الجواري ، إذ صار يتم التباهي في حيازتهن ، وخاصة بعد أن رأى عامة الناس إقبال خلفاءهم عليهن ، وكما قيل (الناس على دين ملوكهم) ، فإذا أحب الملك شيئاً ورغب فيه كان له أثره على رجال دولته ومن بعدهم عامة الناس[٥] ، مما

---

[١] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني،ج١٥/ص٩٠.

[٢] المسعودي، مروج الذهب، ج٣/ص١٩٨.

[٣] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني،ج١٥/ص٩١.

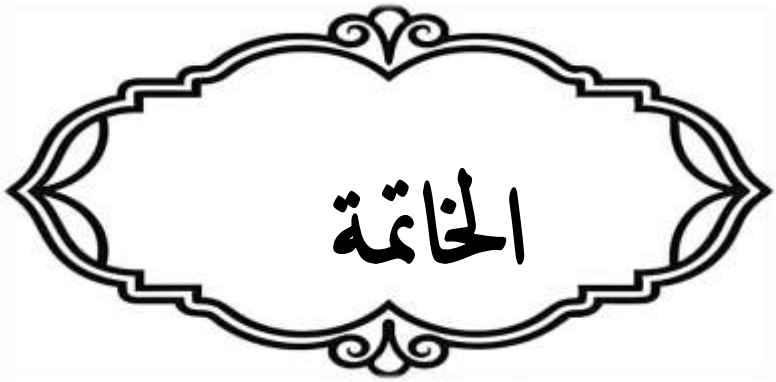
[٤] الطبري، تاريخ الطبري،ج٤/ص٤٩٧.

[٥] زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي،ج٥/ص١٢٤.

يبين لنا أن اقتناء الجواري والإماء قد تفشى أيضاً بين سائر طبقات المجتمع من أشراف وخاصة وعامة [١]. ولا عجب إن وجدنا عري تفكك الحياة العائلية ، فما رأيك بسبيات بعدن عن أهليهن وذويهن وأصبحن ينتقلن من رجل لآخر، فلا زاخر أخلاقي ، ولا رادع نفسي يحول بينهن وبين الفسق والخلاعة الذي انتشر في المجتمع العربي الإسلامي [٢]، وهذا إن دل على شيء دل على انتشار الفسق والفساد والانحطاط الخلقي ليس في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي فحسب ، بل ظهرت سلبياته وآثاره الاجتماعية الخطيرة بشكل ملحوظ جدًا وبارز على المجتمع العربي في عصر الخلافة العباسية في بغداد (١٣٢هـ-٦٥٦هـ/٧٤٩م-١٢٥٨م).

[١] أبو الفرج الأصفهاني،الأغاني،ج٣/ص٢١٣.

[٢] العظم، المجتمع في العصر الأموي، ص١٠٨.


الخاتمة

الخاتمة

أهم الاستنتاجات

إن أهم ما استنتجناه خلال دراستنا جاء على النحو الآتي :

– من خلال سير البحث توصلنا الى أن دراسة التاريخ الاجتماعي يرينا صور مختلفة من الماضي ، كون الإنسان يعيش في حياته متبعاً لما هو مألوف من العادات والتقاليد التي تتناقلها الاجيال عبر مراحل التاريخ المختلفة .

– من خلال تتبعنا للمصادر التاريخية اتضح لنا أن الكثير من الأحداث التاريخية اكتنفها اللغط الغموض ، فتاريخ العرب قبل الإسلام اعتمد بالدرجة الأساس على نقل الأخبار من خلال الشعر ، أما مصادر فترة التاريخ الإسلامي فنجد إن الكثير منها تعرضت للتزيف والخلط والالتباس في النقل ، لاسيما فيما يخص التاريخ الاجتماعي ، كما في اختلاف وتناقض الروايات التاريخية في مسألة زواج السيدة خديجة (عليها السلام) قبل رسول الله (ﷺ) ، وكذلك في زواج بنات رسول الله (ﷺ) رقية وأم كلثوم ، والأمر نفسه بنات الإمام الحسين (عليه السلام) سكينة وفاطمة ، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن التدوين التاريخي بدأ في وقت متأخر عن أغلب احداث صدر الإسلام ، فلم تدون الأحداث التاريخية إلا في منتصف القرن الأول الهجري تقريباً ، ولكن يمكن التوصل الى نتائج مرضية من خلال مقارنة الروايات التاريخية بعضها ببعض ودراسة أحداثها وتفاصيلها بدقة ، فتصبح ذي فائدة للباحثين في دراسة الجانب الاجتماعي ، فضلاً عن فائدتها في مجال دراسة التاريخ الاجتماعي بشكل عام.

– نستنتج من الدراسة إن رسول الله (ﷺ) قد عدد زوجاته ، لم تكن رغبة منه في النساء ، وإنما لحكم ربانية ، ومنها أن اكثر زوجاته كن زوجات شهداء ، فكان ذلك تقديراً منه لتضحيات أزواجهن , ولا يمانهن وتضحياتهن ، ورغبة منه في اعالة ابناءهن وتربيتهم التربية

السليمة ، إذ أصبحت زوجات النبي (ﷺ) وأبنائهن مدارس فقهية في التعريف بآداب الشريعة الإسلامية وأحكامها .

– كشفت الدراسة أن المرأة العربية كانت قبل الإسلام تتمتع بمكانة مرموقة في المجتمع العربي ، فلم تكن نكرة ولا محتقرة بل كانت تمتلك من الحقوق ما يقارب حقوق الرجل ، وخاصة في الزواج فكان يحق لها أن تختار الزوج المناسب ، وخاصة إذا كانت من النساء الاشراف ، فضلاً عن أن أمر زواجها كان بأيديها ، فكانت تتزوج بمن تريد وتتطلق من لا ترغب ، والدليل على ذلك هو زواجها لأكثر من زوج وفقاً لمعايير اجتماعية .

خامساً–توصلت الدراسة عن أن مجموعة من الاسباب ، منها الدينية والاجتماعية والسياسة والاقتصادية هي التي تؤدي بالمرأة إلى أن تصبح مردفة الأزواج ، فكانت منهن المثلثات والمخمسمات ، بالمقابل من ذلك نجد إن القليل من النساء اللواتي لم يتزوجن بعدهم ، عرفن بالوافيات لأزواجهن في المصادر التاريخية .

– من خلال تتبع الأحداث السياسية في موضوع الدراسة لوحظ الدور الرئيسي الذي قامت به المرأة المردفة على وجه الخصوص ، فقد وجدنا مشاركة الكثير منهن في الاحداث السياسية ، فمنهن من شاركت زوجها أو ولدها في الهجرة أو الى أرض الحبشة أو المدينة ، و الكثير منهن كان لهن حضور ومشاركة في البيعة لرسول الله (ﷺ) في مكة ، كما كان لبعضهن الدور الفعال في تأييد أو معارضة بيعة الخليفة في العصر الراشدي ، أما لدورهن في العصر الأموي فقد كان أكثر وضوحاً وبروزًا بالنسبة في أمر استحصال البيعة لأحد ابنائهن أو ازواجهن ، وذلك من خلال ارادفهن للأزواج .

سابعاً– تبين لنا من خلال تتبع اخبار العرب القتالية خلال فترة الدراسة ، أن تشجيع النساء للرجال في أوقات الحرب كان عرفاً عند العرب في الجاهلية و الإسلام ، مما يدل على أن العرب قد تربوا على الأسس والمبادئ القتالية التي كانت لها مكانة كبيرة في ذهنية العربي وتفكيره ، حتى أن العربي الغيور كان يخرج بنسائه في ساحات الوغى سعياً منه لتحقيق النصر ، لما كان لحضور المرأة من أثر ودور فعال في بث روح الحمية والحماس

القتالية في قلوب المتحاربين لتزيدهم استبسالًا وإقدامًا ، مما يدلل على أن دور المرأة لم يكن دوراً ثانوياً بل كان لها أثرها الواضح في تأثيرها على من يحيط بها .

– يظهر من دراستنا لموضوع النساء المردفات مدى أهمية زواج المرأة مرة أخرى ، إذ أن ذلك يعود بالإيجاب على الأسرة ، إذ أن المرأة التي تفقد زوجها وتتزوج مرة أخرى تضمن اعالة ابناءها من قبل زوجها الآخر، إذ يتحمل الزوج الجديد معيشة ابناءها وتربيتهم ، ذلك أن غياب الاب يؤدي بنتائج لا يحمد عقباها بالنسبة للأسرة وبالتالي على المجتمع ككل.

– وبما أن العربي استطاع بأقواله وأفعاله أن ينشئ ابناءه وفق الصورة التي تناسب مبادئه ومفاهيمه ، فالذي يتربى في حجر زوج أمه من المؤكد أن يتأثر بشخصيته وفق تنشئنه الأسرية ، فقصي بن كلاب الجد الرابع للنبي محمد (ﷺ) كان لا يعرف نسبه الحقيقي بسبب زواج أمه من رجل قضاعي عرف عنه السيادة والزعامة في قومه ، لذلك نجد إن قصي الذي تربى وترعرع في حضن زوج أمه ، تأثر بشخصية ذلك الرجل وأبنائه ، حتى أنه عندما عاد الى اهله في مكة ترأس قبيلة قريش ، فله يرجع الفضل في تأسيس الحياة السياسية في مكة .

– تغير الكثير من المفاهيم الدينية في العصر الأموي ، ومنها التلاعب في التشريع الإسلامي وفقاً لميول واهواء الأمويين الشخصية ، فقد تمت الكثير من الزيجات تحت الحيلة والضغط والاكراه من قبل الامويين ، فكثيراً ما كان يتم ارغام الرجل على تطليق زوجته ، وبنفس الوقت ارغام المرأة على الزواج من رجل آخر ، ممن اختاروه لها دون موافقتها ، ويمكن القول أن تغيير الأحكام الشرعية كان نتيجة لفساد الزمان وتغير احوال الناس بابتعادهم عن مبادئ الدين الإسلامي بشكل ملحوظ .

– توصلت الدراسة الى أن من أهم اسباب تقهقر ظاهرة النساء المردفات عند العرب هو تأثر العرب المسلمين بعادات وتقاليد الأمم الأخرى ، ولاسيما بعد انفتاح العرب على بقية الحضارات الأخرى ، إذ اصبح للمرأة افاق واسعة وأدوار كبيرة بعد الفتوحات الإسلامية التي اسهمت بشكل كبير في انفتاح العرب على الشعوب والامم المجاورة ، فضلا عن بروز

المستجدات في الحياة السياسية والاجتماعية ، وخاصةً في العصر الأموي إذ لعبت العديد من النسوة أدوارا مهمة سواء كانت سلبية أم ايجابية.

– توصلت الباحثة من خلال الدراسة إن العصر الأموي شهد عدة تغيرات طرأت على المجتمع العربي الإسلامي ، ومنها اقبال الكثير من العرب على الزواج من غير العربيات بعدما كان العربي يأنف الزواج من غير العربيات ، ولاسيما الزواج من الإماء والجواري اللواتي كان لهن دوراً بارزاً في حياة العرب العامة ، سيما بعد انصياع الخلفاء الأمويين لأهوائهم وملذاتهم ، كما رأينا كيف أصبحت الجارية أو الأمة هي التي تولي وتعزل من شاءت ، وبما أن الناس على دين ملوكهم فكان من الطبيعي أن يقتدي عامة الناس بخلفائهم ، وهذا بدوره أثر بشكل سلبي على المجتمع العربي ، إذ كثر الفساد وعم الفسوق والفجور في المجتمع العربي ولم تكن تخص تلك السلبيات مجتمع العصر الأموي فحسب بل امتدت إلى مجتمع العصر العباسي فقد برزت تلك السلبيات بشكل واضح للعيان وهذا ما أدعو الى دراسته .

أهم التوصيات

في ضوء ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج ، توصي الباحثة بما يأتي:

–توظيف مصادر التراث التاريخي في الدراسات الاجتماعية ، لتكون نافذة لفهم أعمق لمؤسسة الزواج وتحولاتها، فتساعد على قراءة قضايا المرأة في سياق تاريخي أوسع وأكثر توازناً.

–التوسع في دراسة النساء المردفات في مختلف العصور الإسلامية ، وعدم الاقتصار على عصر معين لإبراز أوجه الإستمرار والتغير في الظاهرة .

–إجراء دراسات مقارنة بين أخبار النساء في المصادر التاريخية المتنوعة كالتراجم والأنساب والأدب والمعارف وغيرها للوقوف على أوجه الاتفاق والاختلاف في الروايات التاريخية المختلفة ، مع التركيز على دراسة علم النسب والأنساب .

– تحقيق النصوص التراثية التي تناولت النساء المردفات ، ولاسيما الكتب المفقودة أو التي لم تحقق تحقيقاً علمياً.

–أعداد معجم علمي يجمع أسماء النساء المردفات الواردات في مصادر التراث الإسلامية ، لتوثيق أخبارهن وأنسابهن وأزواجهن ، ولحصر المصادر والمراجع المتعلقة بالمرأة ، ولتيسير الوصول اليها من قبل الباحثين ،وللإفادة منه في الدراسات المستقبلية.

–تشجيع الدراسات التي تربط بين الظواهر التاريخية والواقع المعاصر ، مع مراعاة اختلاف السياقات التاريخية والاجتماعية والقانونية ، بما يسهم في فهم تطور مؤسسة أنماط الزواج والأسرة ، وكذلك دراسة تحولات معدلات الترمل والطلاق ، وهو ما يمكن مقارنته بالمجتمع الحديث لفهم التغير الاجتماعي.

الملاحق

ملحق رقم (١)

المرأة المردفة	عدد الزيجات	الزيجة الأولى	الزيجة الثانية	الزيجة الثالثة	الزيجة الرابعة	الملاحظات
أم خارجة	٨	رجلاً من قبيلة أياد لم تذكر المصادر أسمه	بكر بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قَيس عيلان	عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو(مزيقيا)	بكر بن عبد مناة بن كنانة	ضرب بها المثل لكثرة زواجها(أسرع من زواج أم خارجة)
أم خارجة	٤	مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد	الجشم بن مالك بن كعب بن القَين بن جسر القضاعي	عامر ابن عمرو البهراني القضاعي	عمرو بن تميم	
فاطمة بنت سعد بن سيل النجارية	٢	قصي بن كلاب (الجد الرابع لرسول الله (ﷺ)	ربيعة بن حرام القضاعي			من جدات رسول الله(ﷺ)
سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية	٢	احيحة بن الجلاح	هاشم بن عبد مناف (الجد الثاني لرسول الله(ﷺ)			من جدات رسول الله(ﷺ)
أم قتال بنت عبد الرحمن	٢	عمرو بن أمية	حرب بن أمية			
مليكة بنت خارجة بن سنان بن أبي حارثة	٢	زبان بن سيار الفزاري	منظور بن زبان بن سيار			
آمنة بنت أبان بْن كليب بْن ربيعة بْن عامر	٢	أمية بن عبد شمس	ذكوان الذي استلحقه أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بنسبه وكنّاه (أبا عمرو)			
اسماء بنت مخربة	٢	هشام بن المغيرة	أبو ربيعة بن المغيرة			
سودة بنت زمعة بن قيس العامرية	٢	السكران بن عمرو	النبي محمد (ﷺ)			
هند بنت أمية	٢	عبد الله بن	النبي محمد			

المخزومي (أم سلمة)		عبد الأسد	(ﷺ)			
زينب بنت جحش	٢	زيد بن حارثة	النبي محمد (ﷺ)			
حبيبة بنت ابي سفيان	٢	عبيد الله بْن جحش	النبي محمد (ﷺ)			
أم حبيبة بنت أبي سفيان (صخر بن حرب بن أمية	٢	عبيد الله بْن جحش بْن رئاب بْن يعمر الأسدي	النبي محمد (ﷺ)			
حفصة بنت عمر بن الخطاب	٢	المنذر بن الزبير	النبي محمد (ﷺ)			
جويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية	٢	مسافع بن صفوان المصطلقي	النبي محمد (ﷺ)			
ميمونة بنت الحارث	٢	أبي رهم بن عبد العزى بن عبد ودّ بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤيّ القرشيّ العامريّ	النبي محمد (ﷺ)			وقيل إنها تزوجت حويطب بن عبد العزّى ، و قيل انها تزوجت أخيه فروة
صفية بنت حيي بن أخطب النضرية	٣	سلام بن مشكم	كنانة بن أبي الحقيق	النبي محمد(ﷺ)		من سبايا اليهود
ريحانة بنت زيد بن عمرو بن قنافة	٢	رجلاً من بني النضير يقال له الحكم	النبي محمد(ﷺ)			من بني النضير، وقيل من بني قريضة
خولة بنت قيس بن فهد من بني النجار الأنصارية الخزرجية	٢	الحمزة بن عبد المطلب	حنظلة بن النُّعمان بْن عمرو			قيل إن الذي تزوجها بعد الحمزة ذي النعمان بن عجلان الأنصاري
هند وهي خولة بنت عوف بن زهير بن الحارث	٣	خزيمة بن الحارث	الحارث بن حزن	عميس بن معد بن الحرث		
سلمى بنت عميس الخثعمية	٢	الحمزة بن عبد المطلب	شداد بن الهاد الليثي			

أسماء بنت عميس الخثعمية	٣	جعفر بن أبي طالب	أبو بكر الصديق	الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)		
أروى بنت عبد المطلب	٢	عمير بن وهب	ارطأة بن شرحبيل بن عبد الدار			
صفية بنت عبد المطلب بن هاشم	٢	الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس	العوام بن خويلد			عمة رسول الله(صلى الله عليه وآله)
أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس	٢	الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)	المغيرة بن نوفل			امها زيب بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله)
أم أيمن	٢	عبيد بن زيد الخزرجي	زيد بن الحارثة (ربيب رسول الله(صلى الله عليه وآله)			
أم الحكم بنت أبي سفيان	٢	عياض بن غنم	عبد الله بن عثمان الثقفي			
أم كلثوم بنت عمرو بن جزول الخزاعية	٢	الخليفةعمر بن الخطاب	أبو جهم بن حذافة بن غانم			
قريبة بنت أبي أمية المخزومي	٢	الخليفة عمر بن الخطاب	معاوية بن أبي سفيان			
أم رومان	٢	الحارث بن سخبرة بن جرثومة بن عادية الأوسي	الخليفة أبو بكر الصديق			
خلادة بنت أنَس بن سنان الساعدي	٢	سعد بن الربيع ين عمرو	زيد بن ثابت بن الضحاك من بني النجار			
أم كلثوم بنت عمرو بن جزول الخزاعية		عمر بن الخطاب	ابو جهم بن حذافة بن غانم			
تماضر بنت الأصبغ بن		عبد الرحمن بن عوف	الزبير بن العوام			

عمرو						
قريبة بنت أبي أمية المخزومي		عمر بن الخطاب	معاوية بن أبي سفيان	عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق		
جويرية أو جميلة بنت أبي جهل بن هشام بن المغيرة المخزومية	٢	عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية	أبان بن سعيد بن العاص بن أمية			
الحنفاء بنت أبي جهل بن هشام بن المغيرة المخزومية	٢	سهيل بن عمرو بن عبد شمس	أسامة بن زيد بن حارثة			
فريعة بنت مالك الخدرية	٢	سهل بن رافع بن تيسير الخزرجي	سهل بن بشير			
زينب بنت عثمان بن مظعون	٢	عبد الله بن عمر	المغيرة بن شعبة			
أم سليط بنت عبيد بن زياد النجارية	٢	عَمْرو بْن قيس بْن مالك بْن عدي بن النجار	مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري			
أم حكيم بنت الحارث	٢	عكرمة بْن أبي جهل	خالد بن سعيد بن العاص			قتلت وهي عروس في معركة اجنادين
أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب الأموية	٢	عياض بن غنم بن شداد	عبد الله بن عثمان الثقفي			
وأم كلثوم بنت عمرو بن جزول الخزاعية	٢	عمر بن الخطاب	ابو جهم بن حذافة بن غانم			
قريبة بنت أبي أمية المخزومي	٢	عمر بن الخطاب	معاوية بن أبي سفيان			
جويرية بنت أبي لهب	٢	عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية	أبان بن سعيد بن العاص بن أمية			
الحنفاء بنت أبي	٢	سهيل بن	إسامة بن زيد			

جهل بن هشام بن المغيرة		عمرو بن عبد شمس	بن حارثة			
فاطمة بنت عتبة بن ربيعة	٢	قراظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف	عبد الله بن عامر بن كريز			قيل أن أخوها حذيفة زوجها من مولاه سالم
فريعة بنت مالك الخدرية	٢	سهل بن رافع بن تيسير الخزرجي	سهل بن بشير			
الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف، الكعبي	٢	أبو حثمة بن حذيفة بن غانم بن عامر الكعبي	مرزوق بن حذيفة بن غانم بن عامر الكعبي			
زينب بنت عثمان بن مظعون	٢	عبد الله بن عمر	المغيرة بن شعبة			
خولة بِنت عقبة بن رافع بْن امرئ القيس بن زيد من بني عبد الأشهل	٢	الحارث بن الصمة من بني عمرو بن مبذول من بني النجار	عبد الله بن قتادة بن النعمان بن زيد الأوسي			
سهلة بنت سهل بن عمر بن عبد شمس	٢	أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة	عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف			
فاطمة بنت قيس بن خالد الأكبر	٢	أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي	إسامة بن زيد بن حارثة			
هند بنت سماك بن عتيك بن امرئ القيس، من بني عبد الأشهل	٢	سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس	أوس بن معاذ بن النعمان			أخوة
ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير	٣	هوذة بن علي الحنفي	عبد الله بن جدعان	هشام بن المغيرة		قيل إن رسول الله (ﷺ) أراد خطبتها
نسيبة بنت كعب، وقيل(أم عطية الأنصارية)	٢	زيد بن عاصم	غزية بن عمر المازني			

أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بْنُ عَبْدِ شمس بن عبد مناف بن قصي	٢	عفان بن أبي العاص بن أمية	عقبة بن أبي معيط بن أبي ربيعة بن أمية			
أم كلثوم بنت عقبة بن أبي أبي معيط	٤	زيد بن حارثة	الزبير بن العوام	عبد الرحمن بن عوف	عمرو بن العاص	
تماضر بنت الاصبغ بن عمرو	٢	عبد الرحمن بن عوف	الزبير بن العوام			
ضباعة بنت قراط بن سلمة الخير العامرية	٢	هوذة بن علي الحنفي	عبد الله بن جدعان			
درة بنت أبي لهب	٢	الحارث بن عامر بن عبد مناف	دحية الكلبي			
ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب بن هاشم القرشية	٢	المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك القضاعي (المقداد بن الأسود)	عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف ابن زهرة			
فاطمة بنت قيس بن خالد الأكبر	٢	أبي عمرو بن حفص بن المغيرة بن عبد الله المخزومي	إسامة بن زيد بن حارثة			
حسنة أم شرحبيل	٢	عبد الله بن مطاع الكندي	سفيان بن معمر			
تميمة بنت وهب	٢	رفاعة بن سموال	عبد الرحمن بن الزبير بن العوام			
سهلة بنت سهيل العامرية	٤	أبو حذيفة بن عتبة	عبد الله بن الأسود	شماخ بن سعيد		
أسماء بنت مخربة التميمية	٢	هشام بن المغيرة	ربيعة بن المغيرة			أخوة

		المخزومي				
حمنة بنت جحش الأسدية	٢	مصعب بن عمير	طلحة بن عبيد الله			أخت زينب بنت جحش زوج رسول الله(ﷺ)
الشفاء بنت عبد الله العدوية	٢	أبو حثمة بن حذيفة بن غانم العدوي	مرزوق بن حذيفة بن غانم العدوي			أخوة
أم سليم بنت ملحان بن خالد الأنصارية	٢	مالك بن النضر	أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود			والدة أنس بن مالك
خنساء بنت خدام الأنصارية	٢	لم تذكر المصادر أسم زوجها الأول	أبي لبابة بن عبد المنذر			
ناجية بنت جرم القضاعية	٢	سامة بن لؤيّ ابن غالب	الحارث بن سامة بن لؤي ابن غالب(تزوج زوجة أبيه قبل الإسلام)			زواج المحارم قبل الإسلام
مليكة بنت خارجة بن سنان بن هرم	٢	زبان بن سيار بن منظور	منظور بن زبان بن سيار			زواج المحارم قبل الإسلام
سلمى بنت حفصة	٢	المثنى بن حارثة الشيباني	سعد بن أبي وقاص			
خولة بنت عقبة بن رافع بن امرؤ القيس	٢	الحارث بن الصمة من بني عمرو بن مبذول	عبد الله بن قتادة بن النعمان بن زيد الأوسي			
سهلة بنت سهل بن عمرو بن عبد شمس	٢	أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة	عبد الله بن الأسود بن عمرو من بني مالك بن حسل	عبد الرحمن بن عوف		
هند بنت سهيل العامرية	٤	عبد الرحمن بن عتاب	عبد الله بن عامر بن كريز	عبد الله بن عامر الأموي	الامام الحسن بن علي(عليه السلام)	اختلف في اسمها مع أسم أرينب
هند بنت سماك بن عتيك بن أمرؤ القيس بن زيد بن عبد الأشهل	٢	سعد بن معاذ بن النعمان بن امرؤ القيس	أوس بن معاذ بن النعمان بن امرؤ القيس			أخوة
خولة بنت	٢	الإمام الحسن	عبد الله بن			

منظور بن زبان بن سيار الفزاري		بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)	الزبير بن العوام			
هند بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس	٤	عبد الرحمن بن عتاب	عبد الله بن عامر بن كريز	عبد الله بن عامر الاموي	الإمام الحسن بن علي (عليه السلام)	
فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة	٢	يزيد بن معاوية بن أبي سفيان	مروان بن الحكم			تزوجت أثنين من خلفاء بني أمية
أم سلمة بنت عبد الرحمن	٣	الوليد بن عبد الملك بن مروان	سليمان بن عبد الملك بن مروان	هشام بن عبد الملك بن مروان		تزوجت ثلاثة أخوة من خلفاء بني أمية
أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن الوليد ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم	٣	عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مروان	مسلمة ابن هشام بن عبد الملك بن مروان	أبو العباس السفاح		ثلاثة خلفاء اثنان من خلفاء بني أمية ، والثالث من خلفاء بني العباس
فاطمة بنت عبد الملك بن مروان	٢	عمر بن عبد العزيز	داود بن سليمان بن مروان			
سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان	٢	يزيد بن عبد الملك بن مروان	هشام بن عبد الملك بن مروان			توجت اثنين من خلفاء بني أمية
أم سعيد بنت سعيد بن عثمان بن عفان	٣	هشام بن عبد الملك	العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان	عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز		
ام البهاء بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب	٢	عبد الملك بن مروان الأموي	علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب			
رملة بنت الزبير بن العوام	٢	عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام بن خويلد	خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان			
سكينة بنت الحسين(عليه السلام)	٣	مصعب بن الزبير بن	عبد الله بن عثمان بن	زيد بن عمرو بن		

		العوام	عبد الله بن حكيم بن حزام بن خويلد	عثمان		
أم البهاء(أم أبيها) بنت عبد الله بن جعفر أبي طالب(عليها السلام)	٢	عبد الملك بن مروان الأموي	علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب			
أم كلثوم بنت عبد الله جعفر بن أبي طالب	٢	القاسم بن محمد بن جعفر بن ابي طالب	علي بن عبد الله بن العباس			


المصادر

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : المصادر العربية

-الأبشيهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور أبو الفتح(ت : ٨٥٢هـ/١٤٤٨م).

١-المستطرف في كل فن مستطرف، عالم الكتب ، ط١، بيروت- ١٤١٩ هـ.

-الأصمعي ، الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (ت : ٢١٦هـ/٨٣١م).

٢- الأصمعيات اختيار الأصمعي ،تح، احمد محمد شاكر - عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، ط٧، - مصر-١٩٩٣م.

-الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي (ت: ٢٥٠هـ/٨٦٤م).

٣-أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، تح، رشدي الصالح ملحس ، دار الأندلس ، بيروت-د.ت.

-ابن أبي الحديد عبدالحميد بن هبة الله بن محمد (ت : ٦٥٦هـ/١٢٥٨م).

٤-شرح نهج البلاغة ،تح، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ،١٩٦٢ م.

-ابن أعثم الكوفي ، أحمد بن أعثم الكوفي (ت :٣١٤هـ /٩٢٦م).

٥-الفتوح ، تح ، علي شيري ، ط١، دار الأضواء ، د. م -١٤١١.

-الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ/٩٣٣م).

٦-جمهرة اللغة، تح، رمزي منير بعلبكي ،دار العلم للملايين ،ط١، بيروت-١٩٨٧م.

-ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عزالدين (ت : ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

٧-الكامل في التاريخ، تح ، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت - ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٨- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تح ،علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ، ط١٤١٥،١هـ - ١٩٩٤ م .

-ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري(ت : ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) .

٩-النهاية في غريب الحديث والأثر، تح ، طاهر أحمد الزاوى ، محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت _ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م-

-الأربلي ،علي بن أبي الفتح (ت :٦٩٣هـ/١٢٩٣م).

١٠-كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء ، بيروت -د. م

-الآمدي أبو القاسم الحسن بن بشر(ت : ٣٧٠هـ/٩٨٠م).

١١- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، تح، الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت- ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

-البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت :٢٨٤هـ/٨٩٧م).

١٢-الحماسة ، تح، محمَّد إبراهيم حُوَّر ،أحمد محمد عبيد ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، أبو ظبي - ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.

-البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحُسَين بن علي(ت : ٤٥٨هـ/٥٠٠م).

١٣- السن الكبرى، تح، عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ،ط١، د.م-١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

١٤-معرفة السنن والآثار، تح ، عبد المعطي أمين قلعجي ،ط١، جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق -بيروت) ، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة) ١٤١٢هـ - ١٩٩١م

-البخاري، أبو عبد الله ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت:٢٥٦هـ/٨٦٩م).

١٥- الأدب المفرد ، تح ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية ، ط٣، بيروت- ١٤٠٩ - ١٩٨٩.

١٦-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تح ، محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة ، د.م-٢٠٠٠.

١٧- التاريخ الكبير دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد - الدكن- د.ت.

-البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت : ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م).

١٨- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تح، عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، ط٤، القارة- ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

-البغوي ، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (ت : ٣١٧هـ/٩٢٩م).

١٩-معجم الصحابة ، ط١، مكتبة دار البيان ، الكويت ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٧م.

-البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت : ٥١٠هـ/١١١٦م).

٢٠-معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) حققه وخرج أحاديثه ، محمد عبد الله النمر ،عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش،، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط٤،د.م- ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

-البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م).

٢١- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عالم الكتب ،ط٣،، بيروت- ١٤٠٣ هـ.

-البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت : ٢٧٩هـ/٨٩٢م).

٢٢- أنساب الاشراف، تح، سهيل زكار ، رياض الزركلي، دار الفكر، ط١، بيروت- ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

٢٣- فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت-١٩٨٨ م.

-البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت: نحو ٣٢٠هـ/٩٣٢م).

٢٤-المحاسن والمساوئ، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ،القاهرة- د.ت.

-البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسر وجِردي الخراساني ، أبو بكر (ت : ٤٥٨هـ/٥٠٠)

٢٥- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت-١٤٠٥ هـ.

-الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (ت : ٢٧٩هـ/٨٩٢م) .

٢٦- الجامع الكبير - سنن الترمذي ، تح ، بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي، بيروت- ١٩٩٨م.

- التنوخي، أبو علي ،المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري(ت :٣٨٤ /٩٩٤م).

٢٧- المستجاد من فعلات الأجواد ،تح، محمد كردعلي،ط١،د.م- ١٩٧٠ م.

-الثعالبي ،عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي(ت :٤٢٩هـ/١٠٣٧م) .

٢٨- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف - القاهرة- د.ت

- الثعالبي ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن مخلوف (ت : ٨٧٥هـ/١٤٧٠م).

٢٩- الجواهر الحسان في تفسير القرآن(تفسير الثعالبي)، تح ، الشيخ محمد علي معوض ، الشيخ عادل ، أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي ، ط١، بيروت-١٤١٨ هـ.

-الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، الليثي ، أبو عثمان (ت : ٢٥٥هـ/٨٦٨م).

٣٠- البرصان والعرجان والعميان والحولان، دار الجيل، ط١، بيروت - ١٤١٠هـ.

٣١-الحيوان ، دار الكتب العلمية ، ط٢، بيروت- ١٤٢٤هـ.

٣٢-الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال ، ط٢، بيروت- ١٤٢٣هـ.

-الجوهري ، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز(ت : ٣٢٣هـ/٩٣٤م).

٣٣- السقيفة وفدك ، محمد هادي الأميني ، شركة الكتبي للطباعة والنشر ،ط١،- بيروت - ١٤١٣ - ١٩٩٣ م.

-ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت : ٥٩٧هـ/١٢٠٠م).

٣٤- أخبار النساء ، تح ، نزار رضا، دار مكتبة الحياة، لبنان- ١٩٨٢.

٣٥- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تح، محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت- ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٣٦- صفوة الصفوة ، تح، أحمد بن علي ، دار الحديث، ط١، مصر ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٣٧-صيد الخاطر، حسن المساحي سويدان،ط١، دار القلم ،دمشق٢٠٠٤.
٣٨-غريب الحديث ، تح ، عبد المعطي أمين القلعجي ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت -١٤٠٥ - ١٩٨٥م.
٣٩- المجتبى من المجتبى، تح ، أيمن عبد الجابر البحيري ،دار الآفاق العربية ،ط١، القاهرة-١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
٤٠-كشف المشكل من حديث الصحيحين، تح ،علي حسين البواب ، دار الوطن ، الرياض-ت.
-الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ/١٠٠٢م).
٤١-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح ، أحمد عبد الغفور عطار.
-الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت : ٤٠٥هـ/١٠١٤م).
٤٢-المستدرك على الصحيحين، تح، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ / ١٩٩٠م.
-ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي ، أبو حاتم، الدارمي(ت : ٣٥٤هـ/٩٦٥م).
٤٣-الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (صحيح ابن حبان) ، تح ، مرزوق على إبراهيم ، دار الوفاء ط١، - مصر-١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
٤٤-مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تح، مرزوق على ابراهيم ، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة١٤١١هـ هـ - ١٩٩١ م.
٤٥- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، تح، عزيز بك وجماعة من العلماء ،الكتب الثقافية، ط٣، بيروت- ١٤١٧ هـ.
-أبو حنيفة الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود(ت: ٢٨٢هـ/٨٩٥م) .
٤٦- الأخبار الطوال ، تح ، عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي ، ط١، ١٩٦٠م.
-ابن حبيب ، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي ، بالولاء ، أبو جعفر البغدادي (ت: ٢٤٥هـ/٨٥٩م).
٤٧- المحبر، تح، إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، د.ت. المعارف.
٤٨-المنمق في أخبار قريش، تح ، خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب،ط١، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ مـ.
-ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي(ت :٨٥٢هـ/١٤٤٨م).

٤٩- الإصابة في معرفة الأصحاب ، تح ، عادل أحمد عبد الموجود ، ومحمد معوض دار الكتب العلمية ،ط١، بيروت- ١٤١٥هـ.

٥٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة ،بيروت- ١٣٧٩هـ.

٥١-العجاب في بيان الأسباب ، تح ،عبد الحكيم محمد الأنيس ،ط١، دار ابن الجوزي ، السعودية - ١٩٩٧م .

-ابن حزم الأندلسي ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري(ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م).

٥٢-لسان الميزان، تح ، دائرة المعرف النظامية - الهند ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،ط٢، بيروت - ١٣٩٠هـ /١٩٧١م.

- ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م).

٥٣-المحلي بالآثار، دار الفكر ، د. ط ، بيروت-د.ت.

٥٤-جمهرة أنساب العرب، تح ، لجنة من العلماء ، دار الكتب العلمية ،ط١، بيروت١٤٠٣/١٩٨٣م.

-الحلبي ، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (ت : ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م) .

٥٥-السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت.

- العلامة الحلي ،الحسن بن يوسف بن علي المطهر(ت:٧٣٦هـ/١٣٣٥م).

٥٦- تذكرة الفقهاء ، تح، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ،ط١،قم -١٤١٤هـ.

٥٧-تحرير الاحكام الشرعية، تح ، الشيخ إبراهيم البهادري ، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)،ط١، قم -١٤٢٠هـ.

٥٨- مختلف الشيعة ، تح، مؤسسة النشر الإسلامي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط ٢، قم - ١٤١٣هـ.

٥٩- نهاية الاحكام ، تح ، السيد مهدي الرجائي ، مؤسسة إسماعيليان ،ط٢،قم - إيران-١٤١٠.

- المحقق الحلي ، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن(ت :٦٧٦هـ/١٢٧٧م).

٦٠- المعتبر، تح، عدة من الأفاضل ، إشراف : ناصر مكارم شيرازي ، مؤسسة سيد الشهداء (عليه السلام)، ط١، قم -١٣٦٤هـ.

-الحِميرى ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت : ٩٠٠هـ/١٤٩٤م).

٦١-الروض المعطار في خبر الأقطار، تح ، إحسان عباس مؤسسة ناصر للثقافة ، ط٢، بيروت - ١٩٨٠ م.

-أبو حنيفة الدينوري ، أحمد بن داود تحقيق: عبد المنعم عامر(ت: ٢٨٢هـ/٨٩٥م).

٦٢- الأخبار الطوال، مراجعة، الدكتور جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي ، ط١، القاهرة- ١٩٦٠م.

-أبو حيان التوحيدي ،علي بن محمد بن العباس (ت : نحو:٤٠٠هـ/١٠٠٩م).

٦٣- الإمتاع والمؤانسة ،المكتبة العصرية،ط١، بيروت- ١٤٢٤ هـ.

-ابن أبي الخطاب، محمد بن أبي الخطاب القرشي ، أبو زيد (ت :١٧٠هـ/٧٨٦م) .

٦٤-جمهرة أشعار العرب ، حققه وضبطه وزاد في شرحه ، علي محمد البجادي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة – د.ت .

-الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت : ٤٦٣هـ/١٠٧٠م).

٦٥-تالي تلخيص المتشابه ، تح، مشهور بن حسن آل سلمان , أحمد الشقيرات، دار الصميعي ،ط١، الرياض- ١٤١٧هـ.

-ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، ابن خلدون أبو زيد ، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي(ت:٨٠٨هـ/١٤٠٥م) .

٦٦- مقدمة ابن خلدون ، دار الحياة،ط١، د.م-١٤٣٨/٢٠١٦م.

٦٧-ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح ، خليل شحادة ، دار إحياء التراث العربي ،ط٤، بيروت-د.ت .

-الخالديان أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، (ت: نحو ٣٨٠هـ/٩٩٠م) ، و أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (ت: ٣٧١هـ)

٦٨- حماسة الخالديين = بالأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين،تح، محمد علي دقة، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية- ١٩٩٥

-الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي(ت : ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) .

٦٩- تالي تلخيص المتشابه ،تح، مشهور بن حسن آل سلمان , أحمد الشقيرات ، دار الصميعي ، ط١، الرياض- ١٤١٧.

-ابن الخطيم ، قيس ابن الخطيم(ت : نحو ٦٢٠هـ/١٢٢٣م).

٧٠- ديوان قيس بن الخطيم ، ناصر الدين الأسد ،دار صادر – بيروت-١٩٦٧.

-ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الأربلي (ت : ٦٨١هـ/١٢٨٢م).

٧١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح ، إحسان عباس ، دار صادر، ط١، بيروت-١٩٠٠م

- ابن خياط ، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري(ت : ٢٤٠هـ/٨٥٤م).

٧٢-تاريخ خليفة بن خياط، تح، أكرم ضياء العمري ، دار القلم , مؤسسة الرسالة ، ط ٢، بيروت- ١٣٩٧.

-ابن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ/٨٨٨م).

٧٣-سنن أبي داود ، تح ، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ، ط١، بيروت- د.ت.

- الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي(ت :٢٥٥هـ/٨٦٨م) .

٧٤-مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)،تح، حسين سليم أسد الداراني، دار المغني ، ط١، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

-الدميري ، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري ، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (ت : ٨٠٨هـ/١٤٠٥م).

٧٥-حياة الحيوان الكبرى ، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، بيروت- ١٤٢٤هـ .

-الديار بكري ، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بكري (ت : ٩٦٦هـ/١٥٥٨م).

٧٦-تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر، ط١، بيروت- د.ت.

- الذهبي ،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز(ت : ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) .

٧٧-تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، تح، بشار عوّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط١، د. م -٢٠٠٣ م

٧٨-سيراعلام النبلاء، دار الحديث،القاهرة-١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٧٩-ميزان الاعتدال، تح ، علي محمد البجاوي، دار المعرفة ، ط١، بيروت -١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.

٨٠-الكبائر، دار الندوة الجديدة ، بيروت -د.ت .

-الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت : ٦٦٦هـ/١٢٦٧م).

٨١-مختار الصحاح، تح ، يوسف الشيخ محمد ،المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط٥، بيروت - - ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

-الراغب الأصفهانى ، أبو القاسم الحسين بن محمد(ت : ٥٠٢هـ/١١٠٨م) .

٨٢- المفردات في غريب القرآن ،تح، صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ،ط١، دمشق ،بيروت-١٤١٢هـ.

- الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي (ت : ٢٥٠هـ/٨٦٤م).

٨٣-أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار ، تح، رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس ،ط١، - بيروت.

-الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت : ٣١١هـ/ ٩٢٣م).

٨٤- معاني القرآن واعرابه، تح، عبد الجليل عبده شلبي ،عالم الكتب ،ط١، بيروت- ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨م.

- الزبيري ، مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله الزبيري (ت : ٢٣٦هـ/٨٤٩م).

٨٥-نسب قريش ، تح ، ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، ط ٣، القاهرة -د.ت.

- الزبير بن بكار ، ابن عبد الله القرشي الأسدي المكي (ت : ٢٥٦هـ/٨٦٩م).

٨٦- جمهرة نسب قريش وأخبارها ، تح ، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، ط١ ،١٣٨١ هـ.

٨٧- المنتخب من كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، تح ، سكينة الشهابي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت-١٤٠٣هـ.

- الزمخشري ، جار الله (ت: ٥٨٣هـ/١١٨٧م).

٨٨- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، مؤسسة الأعلمي،ط١، بيروت-١٤١٢ هـ .

-الزوزني ، حسين بن أحمد بن حسين ، أبو عبد الله (ت : ٤٨٦هـ/١٠٩٣م).

٨٩-شرح المعلقات السبع ، ط١، دار احياء التراث العربي، د. م -١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت: ٥٦٢هـ/١١٦٦م).

٩٠-الأنساب، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ،ط١، حيدر آباد - ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م.

- السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت : ٥٨١هـ/١١٨٥م).

٩١- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تح ، عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي ، دار إحياء التراث العربي، ط١ ، بيروت-١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

- ابن سيد الناس محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين(ت : ٧٣٤هـ/١٣٣٣م).

٩٢ -عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تعليق، إبراهيم محمد رمضان ، دار القلم ، ط١، بيروت- ١٤١٤/١٩٩٣.

-السبكي ، عبد الوهاب بن علي(ت : ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) .

٩٣- طبقات الشافعية الكبرى ، تح ، محمود محمد الطناحي ، عبد الفتاح محمد ، دار إحياء الكتب العربية ، ط١، د. م- ١٤٠٩هـ.

٩٤- فتاوي السبكي، دار المعارف، د.م -د.ت.

- السمهودي ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م).

٩٥- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت-١٤١٩.

- السودوني ، أبو الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبغا السودوني الجمالي الحنفي(ت : ٨٧٩هـ/١٤٧٤م).

٩٦-الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (يُنشر لأول مرة على نسخة خطية فريدة بخطِّ الحافظ شمس الدين السَّخاوي (ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، تح، شادي بن محمد بن سالم ،مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، ط١، اليمن- ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م .

-ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء ، البصري، البغدادي(ت : ٢٣٠هـ/٨٤٤م) .

٩٧- الطبقات العلمية، تح ، محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت -١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

- ابن سعيد الأندلسي ، علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد المغربي(ت:٦٨٥هـ/٨٩٨م).

٩٨- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، تح ، نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، عمان - د.ت.

- ابن سلام ، محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (ت : ٢٣٢هـ/٢٣٢م).

٩٩-طبقات فحول الشعراء ، تح ، محمود محمد شاكر، دار المدني ، جدة-د.ت.

- السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت : ٩١١هـ/١٥٠٥م) .

١٠٠- تاريخ الخلفاء، تح، حمدي الدمرداش ، مكتبة نزار مصطفى الباز،ط١، د.م -١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٠٢-حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ،تح، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، مصر- ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

١٠٣-الدرالمنثورفي التفسير بالمأثور، دار الفكر - بيروت-د.ت.

١٠٤- المستظرف من أخبار الجواري ،ط١،نوابغ الفكر، القاهرة- ٢٠١٤م.

-ابن شهر آشوب ، أبي عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني(ت : ٥٨٨ هـ/١١٩٢م).

١٠٥- مناقب آل أبي طالب، تح ، لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف-١٣٧٥ هـ ١٩٥٦ م .

- ابن أبي شيبة ، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي(ت: ٢٣٥هـ/٨٤٩م).

١٠٦-المصنف في الأحاديث والآثار ،تح، كمال يوسف ، الرياض-د.ت.

-الشريف الرضي ، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي(ت:٤٠٦هـ/١٠١٥م).

١٠٧- المجازات النبوية ، تح، طه محمد الزيتي ، منشورات مكتبة بصيرتي ، قم-د.ت.

-الشريف المرتضى ، الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين (ت: ٤٣٦هـ/١٠٤٤م) .

١٠٨-الأمالي ، تحقيق و تصحيح وتعليق ، الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي ، ط١، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ، قم - ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م.

-ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت : ٧٦٤هـ/١٣٦٢م).

١٠٩- فوات الوفيات ، تح ، إحسان عباس ، دار صادر - بيروت،ط١، د.م-١٩٧٤.

- الشعراء الهذليون

١١٠-ديوان الهذليين ، ترتيب وتعليق ، محمّد محمود الشنقيطي، الدار القومية ، القاهرة - ١٣٨٥ هـ /١٩٦٥ م.

-ابن أبي عاصم ،أبو بكر، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت: ٢٨٧هـ/٩٠٠م).

١١١-الآحاد والمثاني ، تح، باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الدراية،ط١، د.م-١٤١١هـ / ١٩٩١م .

-الطبرسي ، أبي علي الفضل بن الحسن(ت : ٥٤٨هـ/١١٥٣م).

١١٢- أعلام الورى بأعلام الهدى ، تح ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث،ط١٤١٧،٢ .

- الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت : ٣٦٠هـ/٨٧٣م).

١١٣-المعجم الكبير، تح ، حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ،ط ٢، القاهرة-د.ت.

١١٤-الأحاديث الطوال، تح، حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، ط٢، مكتبة الزهراء ، الموصل- ١٤٠٤ - ١٩٨٣.

-الطبري الصغير، محمد بن جرير بن رستم الطبري(ت: في قرن الرابع الهجري/القرن العاشر الهجري).

١١٥- دلائل الإمامة ، تح ، قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، ط١، قم -١٤١٣.

-الطبري ، أبو جعفر بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي(ت : ٣١٠هـ/٩٢٢م).

١١٦- تاريخ الرسل والملوك المسمى(تاريخ الطبري)، دار التراث ،ط٢،- بيروت- ١٣٨٧ هـ.

١١٧-جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) ، تح، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

-ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت : ٧٠٩هـ/١٣٠٩م).

١١٨- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ،تح ، عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي،ط١، بيروت-١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

-.الطريحي ، فخر الدين (ت :١٠٨٥هـ/١٦٧٤م).

١١٩-معجم مجمع البحرين،ط١،مؤسسة الأعلمي ، بيروت،٢٠٠٩هـ .
-ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر(ت :٢٨٠ هـ/٨٩٣م).
١٢٠-بلاغات النساء ، تح ، أحمد الألفي ، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول ، القاهرة- ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م.
- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت : ٧٦٤هـ/١٢٨٥م).
١٢١- الوافي بالوفيات ، تح ، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث - بيروت،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
-الشيخ الصدوق ، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت :٣٨١/٩٩١م) .
١٢٢- الأمالي ، تح ، قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، ط١ ، قم-١٤١٧.
١٢٣ -الخصال، تصحيح وتعليق ،علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم-١٤٠٣هـ .
- الطوسي ، أبي جعفر محمد بن الحسن(ت : ٤٦٠هـ/١٠٦٧م).
١٢٤- الأمالي تح، قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة ،ط١،د.ت- ١٤١٤هـ.
١٢٥- التبيان في تفسير القرآن ،تح، أحمد حبيب قصير العاملي ، ط١، المطبعة العلمية مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، النجف الأشرف- ١٤٠٩هـ.
١٢٦-الخصال ، تصحيح، علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، د.م-د.ت.
١٢٧-الاستبصار، تح، السيد حسن الموسوي الخرسان ، دار الكتب الإسلامية ، طهران-د.ت .
-ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني (ت : ٦٦٤هـ/١٢٦٥م).
١٢٨- مقتل الحسين عليه السلام المسمى باللهوف في قتلى الطفوف، أنوار الهدى ،ط١، قم - ١٤١٧هـ.
-عبد المؤمن ، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفي الدين (ت : ٧٣٩هـ/١٣٣٨م).
١٢٩- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دار الجيل، ط ١، بيروت-١٤١٢ هـ.
-ابن أعثم الكوفي، أبي محمد أحمد بن(ت:٣١٤هـ/٩٢٦م).
١٣٠- الفتوح ، علي شيري، دار الأضواء، ط١، بيروت-١٤١١.
-ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠م).
١٣١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تح ، علي محمد البجاوي ، ط١، دار الجيل، بيروت-د.ت.
-ابن العديم، ،عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (ت : ٦٦٠هـ/١٢٦١م).
١٣٢- بغية الطلب في تاريخ حلب ،تح، سهيل زكا ر، دار الفكر،ط١، د. م-د.ت.
-الكلبي ، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت : ٢٠٤هـ/٨١٩م).

١٣٣-نسب معد واليمن الكبير ،تح، الدكتور ناجي حسن ، ط١، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية ،د.م-١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

-الكلاعي ، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (ت : ٦٣٤هـ/١٢٣٦م).

١٣٤- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والثلاثة الخلفاء ، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت-١٤٢٠هـ.

-ابن العبري، غريغوريوس (واسمه في الولادة يوحنا) ابن أهرون (أو هارون) بن توما الملطي، أبو الفرج (ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م).

١٣٥-تاريخ مختصر الدول ،أنطون صالحاني اليسوعي ، ط٣، دار الشرق، بيروت-١٩٩٢م.

-ابن عبد الحكم، عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد المصري(ت:٢١٤هـ/٨٢٩م).

١٣٦-سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تح، أحمد عبيد ،عالم الكتب،ط٦ ،بيروت -١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- ابن عبد ربه ،أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي(ت : ٣٢٨هـ/٩٣٩م).

١٣٧- العقد الفريد ، دار الكتب العلمية ط١،بيروت- ١٤٠٤هـ.

١٣٨- طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار، مكتبة القرآن ، القاهرة-د.ت.

-أبو عبيد البكري ، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي(ت : ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) .

١٣٩- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، دار الكتب العلمية، بيروت - د.ت.

-ابن عبد العزيز، أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري البصري البغدادي(ت :٣٢٣هـ/٩٣٤م).

١٤٠-السقيفة وفدك ، ط٢- ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.

-أبو بكر معمر بن المثنى التميمي(ت:٢٠٩هـ/٨٢٤م).

١٤١- كتاب أيام العرب قبل الاسلام (دراسة مقارنة لملاحم الأيام العربية) ، تح ، عادل جاسم البياتي ، جامعة بغداد ، بغداد -١٩٧٦.

- العلائي ، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي(ت : ٧٦١هـ/١٣٥٩م).

١٤٢- جامع التحصيل في أحكام المراسيل، تح، حمدي عبد المجيد السلفي ،عالم الكتب ط٢، بيروت-، ١٤٠٧ - ١٩٨٦.

-ابن العربي ، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري، الأشبيلي المالكي (ت : ٥٤٣هـ/١١٤٨م).

١٤٣-أحكام القرآن ، تح ، محمد عبد القادر عطا ، ط ٣، دار الكتب العلمية ، بيروت – ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م.

-ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت :٥٧١ هـ/١١٧٥م).

١٤٤-تاريخ مدينة دمشق، تح، عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، د.م – د.ت.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت : نحو ٣٩٥هـ/١٠٠٤م).

١٤٥-جمهرة الأمثال، دار الفكر ، بيروت-د.ت.

– العينى ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين (ت : ٨٥٥هـ/١١٥١م).

١٤٦-عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي – بيروت-د.ت.

-ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت : ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م).

١٤٧-شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح ، محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير، بيروت،ط١ ، – ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.

– الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسى المكي(ت : ٨٣٢ هـ/١٤٢٨م) .

١٤٨-العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تح ، محمد عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت -١٩٩٨م.

-الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (ت: ٢٧٢هـ/٨٨٥م).

١٤٩- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تح ،عبد الملك عبد الله دهيش ، دار خضر ، ط٢، بيروت- ١٤١٤ .

– ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت : ٣٩٥هـ/١٠٠٤م).

١٥٠-الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، محمد علي بيضون ،ط١، د.م-١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

-أبو الفداء، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت : ٧٣٢هـ/١٣٣١م).

١٥١-المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية ، مصر-د.ت.

– أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي(ت : ٣٥٦هـ/٩٦٦م).

١٥٢-الأغاني ، تح ، كاظم المظفر ، ط ٢، مؤسسة دار الكتاب ، قم – ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م.

١٥٣- مقاتل الطالبين ، تح، أحمد صقر ، دار المعرفة، بيروت -د.ت.

- فخر الدين الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(ت : ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) .

١٥٤- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت -١٤٢٠هـ.

- ابن الفوطي ، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف الشيباني (ت : ٧٢٣هـ/١٣٢٣م).

١٥٥- مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تح، محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، ط١، إيران- ١٤١٦هـ.

- الفتال النيسابوري ، محمد بن الفتال النيسابوري (ت : ٥٠٨هـ/١١١٤م).

١٥٦- روضة الواعظين ، تح ، محمد مهدي السيد حسن الخرسان ، منشورات الشريف الرضي، قم- د.ت.

- فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم (ت : ٣٥٢هـ/٩٦٣م).

١٥٧-تفسير فرات الكوفي، تح ، محمد الكاظم، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، ط١، طهران -١٤١٠ - ١٩٩٠ م.

-ابن فهد الحلي، أبو العباس أحمد بن محمد بن فهد الحلى الأسدي (ت:٨٤١هـ/١٤٣٧م).

١٥٨- عدة الداعي ونجاح الساعي ، تح، أحمد الموحدي القمي ، مكتبة وجداني ،قم-د.ت .

-القاضي النعمان ، أبي حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي (ت : ٣٦٣هـ/٩٧٣م).

١٥٩-دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام ، تح ، صف بن علي أصغر فيضي ، دار المعارف ، ط١، القاهرة-١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.

-القالي ، إسماعيل بن القاسم (ت : ٣٥٦هـ/٩٦٦م).

١٦٠-الأمالي ، منشورات المكتب الإسلامي ، د .م - د.ت.

- ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت : ٢٧٦هـ /٨٨٩م).

١٦١- المعارف ، تح ، ثروت عكاشة ، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٩٢م.

١٦٢ -الشعر والشعراء ، دار الحديث ، القاهرة - ١٤٢٣هـ.

١٦٣- عيون الأخبار، دار الكتب العلمية ، بيروت-١٤١٨هـ.

١٦٤-المعاني الكبير في أبيات المعاني، تح، المستشرق د سالم الكرنكوي (ت : ١٣٧٣هـ/١٩٩٣م)، عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني (١٣١٣ - ١٣٨٦هـ) ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ط١، حيدر آباد الدكن بالهند- ١٣٦٨هـ ، ١٩٤٩م ، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.

١٦٥-الشعر والشعراء ، دار الحديث ، القاهرة - ١٤٢٣ هـ

١٦٦- عيون الأخبار، دار الكتب العلمية ، بيروت-١٤١٨هـ.
١٦٧-الإمامة والسياسة ، تح، محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاؤه ، د. م - د.ت.
-القزويني ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، أبو الحسين (ت : ٣٩٥هـ/١٠٠٤م).
١٦٨- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، محمد علي بيضون ط١، ١٤١٨هـ.
- القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت : ٨٢١هـ/١٤١٨م).
١٦٩- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت-د. ت .
١٧٠- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ،تح، إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانين، ط٢، بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
١٧١- مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، ط٢، الكويت- ١٩٨٥.
-الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي(ت : ٥٨٧هـ/١١٩١م).
١٧٢- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، دار الكتب العلمية ، ط ٢، د.م- ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- الكلبي ، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت : ٢٠٤هـ/٨١٩م).
١٧٣- نسب معد واليمن الكبير، تح ، ناجي حسن ، عالم الكتب ، ط١، مكتبة النهضة العربية ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
- الكليني ، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق(ت : ٣٢٩هـ/٩٤٠م).
١٧٤-الكافي ، تح ،علي أكبر الغفاري ، دار الكتب الإسلامية ، ط٥ ، طهران -١٣٦٣ .
-الكلاعي ، سليمان بن موسى(ت :٦٣٤هـ/١٢٣٦م).
١٧٥- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (ﷺ) والثلاثة الخلفاء ، تح ، محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت- ١٤٢٠ / ٢٠٠٠ م.
١٧٦- الكنيسة ، الكتاب المقدس (العهد القديم) ، دار الكتاب المقدس ، د. م -١٩٨٠
١٧٧- الكنيسة ، الكتاب المقدس (العهد الجديد) ، دار الكتاب المقدس ، د .م- ١٩٨٠ .
-ابن كثير ،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(ت : ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
١٧٨-البداية والنهاية، دار الفكر،ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
١٧٩-تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تح ، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ، بيروت - ١٤١٩ هـ.

١٨٠- السيرة النبوية ، تح ، مصطفى عبد الواحد ، ط١، دار المعرفة ، بيروت - ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.

١٨١-التَّكْميل في الجَرْح والتَّعْدِيل ومَعْرِفة الثِّقَات والضُّعفاء والمجَاهِيل ،تح، د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة،ط١، اليمن- ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م .

- المفضل الضبي ، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم (ت : نحو ١٦٨هـ/٧٨٤م).

١٨٢- أمثال العرب ، دار ومكتبة الهلال،ط١، بيروت -د.ت.

-المدائني ، أبي الحسن علي بن محمد(ت :٢٢٥هـ/٨٤٠م).

١٨٣- المردفات من قريش ، رسالة ضمن كتاب نوادر المخطوطات ، المجلد الأول ، تح ، عبد السلام هارون ، مصر-١٩٥١م.

-ابن مالك ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت : ١٧٩هـ/٧٩٥م).

١٨٤- الموطأ ، تح ، محمد مصطفى الأعظمي ، مؤسسة زايد بن سلطان ، ط ١، الإمارات- ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

- ابن ماجة ، وماجة اسم أبيه يزيد ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت : ٢٧٣هـ/٨٨٦م).

١٨٥-سنن ابن ماجه ، تح ، شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، محمد كامل قره بللي ،عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية ، ط١ ، د. م- ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

-المبرد ، محمد بن يزيد المبرد ، أبو العباس (ت : ٢٨٥هـ/٨٩٨م) .

١٨٦-الكامل في اللغة والادب ، تح ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٣ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

١٨٧- نسب عدنان وقحطان، تح،عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الهند-١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م.

-أبو مخنف ، لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي(ت : ١٥٧هـ/٧٧٣م) .

١٨٨- مقتل الحسين ، تح، حسين الغفاري ، المطبعة العلمية ، قم-د.ت. شرح الأزهار

-المرتضى، الإمام أحمد المرتضى(٨٤٠هـ/١٤٣٦م).

١٨٩-شرح الأزهار ، مكتبة غمضان ، صنعاء -د.ت.

-المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت : ٣٤٦هـ/٩٥٧م) .

١٩٠ -التنبيه والاشراف ،تصحيح ، عبد الله إسماعيل الصاوي ، دار الصاوي ، القاهرة ،د-ت.

١٩١- مروج الذهب ومعادن الجوهر ،منشورات دار الهجرة،ط٢، ايران - قم -١٤٠٤ - - ١٩٨٤ م.

- المقدسي ، المطهر بن طاهر(ت : نحو ٣٥٥هـ/٩٦٥م).

١٩٢- البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر- د.ت .

-المرزباني ، أبي عبيد الله محمد بن عمران (ت : ٣٨٤ هـ/٩٩٤م).

١٩٣- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، د.ت -د.م.

١٩٤- معجم الشعراء، تح ، الأستاذ الدكتور ف . كرنكو ، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، ط٢ ، بيروت - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

- المزي ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي (ت : ٧٤٢هـ/١٣٤١م).

١٩٥- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح ، بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ،ط١، بيروت- ١٤٠٠ - ١٩٨٠.

- مغلطاي ،علاء الدين بن قليط (ت : ٧٦٢ هـ/١٣٦٠م).

١٩٦-الإنابة إلى معرفة المختلف فيهم من الصحابة، تح ، قسم التحقيق بدار الحرمين (السيد عزت المرسي، إبراهيم إسماعيل القاضي، مجدي عبد الخالق الشافعي) ، إشراف ، محمد عوض المنقوش، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض - د.ت.

١٩٧- اكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال ،تح، حمد زاهد الكوثري، أبو الوفاء الأفغاني ، لجنة إحياء المعارف النعمانية، ط٣، حيدر آباد الدكن ،الهند- ١٤٠٨هـ.

- المقريزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي ، تقي الدين(ت : ٨٤٥هـ/١٤٤١م).

١٩٨- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، تح، محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

-ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الأفريقى (ت : ٧١١هـ/١٣١١م) .

١٩٩- لسان العرب ، ط ٣ ، دار صادر، بيروت - ١٩٩٣م.

٢٠٠- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تح، روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ط١،سوريا- ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤م.

- ابن منده ، يحيى بن عبد الوهاب بن محمد ابن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدي الأصبهاني ، أبو زكريا (ت : ٥١١هـ/١١١٧م).

٢٠١-معرفة أسامي أرداف النبي صلى الله عليه وسلم ، تح ، يحيى مختار غزاوي ، ط١، المدينة للتوزيع، بيروت- ١٤١٠هـ.

- المجلسي ، محمد باقر(ت :١١١١هـ/١٦٩٩م).

٢٠٢-بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار ، تح ، عبد الرحيم الرباني الشيرازي ، ط ٣، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٠٣- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول (ﷺ) ، تح، علي الآخوندي ، ط١، دار الكتب الإسلامية ، د.م-١٤٠٨هـ.

-الواقدي ، أبو عبد الله ، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني(ت : ٢٠٧هـ/٨٢٢م).

٢٠٤-المغازي، تح ، مارسدن جونس ، دار الأعلمي ، ط٣، - بيروت- ١٤٠٩/١٩٨٩.

- المرزوقي ، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني (ت : ٤٢١ هـ/١٠٣٠م).

٢٠٥- شرح ديوان الحماسة ، تح، غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية، ط١، لبنان- ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣

- المنقري ، نصر بن مزاحم(ت :٢١٢هـ/٨٢٧م) .

٢٠٦- وقعة صفين ، تح ، عبد السلام محمد هارون ، المؤسسة العربية الحديث، ط١٣٨٢، ٢ -د.م/ ١٣٨٢هـ.

-الشيخ المفيد، محمد بن محمد (ت:٤١٣هـ/١٠٢٢م).

٢٠٧-تفسير القرآن المجيد ،تح، السيد محمد علي أيازي، مؤسسة بوستان كتاب قم (مركز الثقافة والمعارف القرآنية)، ط١، قم- ١٤٢٤ .

- الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت: ٥١٨هـ/١١٢٤م).

٢٠٨-مجمع الأمثال ، تح ، محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت - د.ت.

- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت : ٤٣٠هـ/١٠٣٨م).

٢٠٩-معرفة الصحابة، تح، عادل بن يوسف العزازي ،دار الوطن للنشر، الرياض-١٤١٩هـ /١٩٩٨م.

٢١٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مكتبة السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

- أبو نصر البخاري ، أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن ، الكلاباذي (ت : ٣٩٨هـ/١٠٠٧م) .

٢١١-الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، تح، عبد الله الليث، دار المعرفة، ط١، - بيروت- ١٤٠٧.

-ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي (ت : ٤٣٨هـ/١٠٤٦م).

٢١٢-الفهرست، تح، إبراهيم رمضان،دارالمعرفة،ط٢، بيروت - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

- النويري ، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين (ت : ٧٣٣هـ/١٣٣٢م).

٢١٣- نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب والوثائق القومية ، ط١، القاهرة- ١٤٢٣.

- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ/١٠٧٥م).

٢١٤-الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح، صفوان عدنان داوودي، دار القلم , الدار الشامية ،ط١، دمشق- ، بيروت-١٤١٥هـ.

- وكيع ، أبو بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي (ت: ٣٠٦هـ/٩١٨م).

٢١٥-أخبار القضاة ، تح ، عبد العزيز مصطفى المراغي ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط١، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

-هاشم البحراني ، هاشم بن سليمان بن أسماعيل أبو المكارم التوبلاني (ت :١١٠٧هـ/١٥٩٨م) .

٢١٦- حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الاطهار، تح ، الشيخ غلام رضا البروجردي ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، ط١، قم -د.ت.

-.ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، أبو محمد، جمال الدين(ت : ٢١٣هـ/٢٢٨م) .

٢١٧- السيرة النبوية ، تح ، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ الشلبي ، ط ٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي صفوان عدنان داوودي وأولاده ،مصر، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م

-أبو هلال العسكري ،الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت : نحو ٣٩٥هـ/١٠٠٤م).

٢١٧- جمهرة الأمثال ، دار الفكر - بيروت-د.ت.

-الهيثمي ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت : ٨٠٧هـ/١٤٠٤م).

٢١٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تح ، حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي ، القاهرة -١٤١٤ هـ١٩٩٤م.

-اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب ابن واضح اليعقوبي البغدادي (ت :٢٩٢هـ/٩٠٤م).

٢١٩-تاريخ اليعقوبي، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت -١٩٩٩م.

-يوسف البحراني، يوسف بن أحمد (ت :١١٨٦هـ/١٧٧٢م).

٢٢٠-الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين،ط١، قم -١٤٠٩هـ.

-أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (ت : ١٨٢هـ/٧٨٩م).

٢٢١-الخراج ، تح ، طه عبد الرؤوف سعد ، سعد حسن محمد ، المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر -د.ت.

-أبو يوسف ، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي (ت : ٢٧٧هـ/٨٩٠م).

٢٢٢- المعرفة والتاريخ ، أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة ،ط ٢ ، بيروت- ١٤٠١ هـ/١٩٨١م.

-ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت : ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

٢٢٣- معجم البلدان ، ط ٢ ، دار صادر، بيروت – ١٩٩٥ م.

ثالثاً : المراجع الثانوية

- أيوب ، سعيد

١- زوجات النبي (ﷺ) قراءة في تراجم امهات المؤمنين في حركة الدعوة ، دار الهادي ، ط٢، بيروت – ٢٠٠٤ م.

- الأنصاري ، محمد رضا .

٢- من هن زوجات الرسول المصطفى (ﷺ) في الآخرة ، مؤسسة الرسول المصطفى ، ط١، طهران – ١٣٨١هـ.

-الأحمدي، الميانجي.

٣ – مواقف الشيعة، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم-١٤١٦.

-الأمين ، محمود.

٤-شريعة حمورابي ، ط١، دار الوراق ، لندن- ٢٠٠٧م.

- الآلوسي ، محمود شاكر.

٥-بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ،عني بشرحه وتصحيحه وضبطه ، محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت-د.ت.

-بطانية ، محمد ضيف الله.

٦- الحياة الاجتماعية في صدر الإسلام ،ط١، دار ومكتبة الكندي ، د. م- ٢٠١٤ م .

- برو، توفيق.

٧-تاريخ العرب القديم ، ط ٢، دار الفكر المعاصر، بيروت – ١٩٩٦م .

-بهناسي ، سالم.

٨-مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية، ط٢، دار القلم ، الكويت -١٩٨٦م.

-بهيم، محمد جميل.

٩-المرأة في التاريخ والشرائع، مكتبة فلسطين للكتب المصورة، بيروت -١٩٢١م.

-بوتيرو، جان.

١٠-الديانة عند البابليين، ترجمة، وليد الجادر، ط١، مركز الانماء الحضاري، د.م – ٢٠٠٥م.

- بلوط ، علي الرضا قره بلوط – أحمد طوران قره بلوط.

١١- معجم التاريخ ، التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)، دار العقبة ، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

- ترمانيني ، عبد السلام.

١٢- الزواج عند العرب ي الجاهلية والإسلام (دراسة مقارنة)، سلسلة عالم المعرفة ، د.ت – ١٩٩٨م.

- **جاسم ، عطا سلمان.**

١٣- العقيدة العسكرية عند العرب المسلمين ، ط ١، تموز ، دمشق -٢٠١٣م.

-**جواد ، علي.**

١٤-المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ط٤، دار الساقي ،د.م-٢٠٠١م.

-**جمعة ، محمد محمود .**

١٥-النظم الاجتماعية والسياسية للمرأة عند قدماء العرب والأمم السامية ،مطبعة السعادة ،القاهرة-١٩٤٩م.

-**الجميلي ، السيد**

١٦-نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت -١٤١٦هـ.

-**الحوفي ، أحمد محمد.**

١٧-المرأة في الشعر الجاهلي،ط٢، دار الفكر العربي، مصر- د-ت.

-**الخربوطلي ، علي حسني.**

١٨-الحضارة العربية الإسلامية (حضارة السياسة والإدارة والقضاء والحرب والاجتماع والاقتصاد والتربية والتعليم والثقافة والفنون) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١-١٩٦٠م، ط٢-١٩٩٤م.

-**خوري، إيما غريب.**

١٩-المرأة في الكتاب المقدس من حواء الى مريم، تعاونية النور الارثوذكسية ،د. م- د.ت.

-**ديورانت ، ول وايئل.**

٢٠-قصة الحضارة ، الهند وجيرانها، ترجمة ،زكي نجيب محمود، الجزء الثالث من المجلد الأول ، بيروت ، تونس- د-ت.

-**رشيد، عبد الوهاب حميد.**

٢١- حضارة وادي الرافدين ميزوبوتاميا (العقيدة الدينية. الحياة الاجتماعية. الأفكار الفلسفية)، مكتبة فلسطين للكتب المصورة، د .م - د.ت.

- **زيدان ، جرجي.**

٢٢-تاريخ التمدن الإسلامي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافةمصر-٢٠١٣م.

-**زميزم ، سعيد رشيد.**

٢٣- نساء الشيعة مواقف صلبة مبدئية ورسالية ، مؤسسة التاريخ العربي ، ط١، بيروت-٢٠٠٩م.

٢٤-نساء حول الحسين(عليه السلام)، تح ، محمد صادق تاج ، دار الجوادين، ط١، د.م-٢٠١١م.

-**الزركاني ، محمد كاظم عبد الله .**

٢٥-الاسرة المسلمة وأثر المتغيرات الحضارية فيها، سلسلة علوم اجتماعية ،ط١، بغداد ،٢٠١٧م.

-**السيد ، مها محمد.**

٢٦-الآلهة والأساطير اليونانية، مكتبة المهتدين الإسلامية، مصر- د-ت.

-سقال ، ديزيرة.

٢٧- العرب في الجاهلية ، دار الصداقة العربية ، بيروت - د.ت.

-السواح ، فراس .

٢٨-لغز عشتار(الوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة) ، ط١، دار علاء الدين، دمشق -١٩٨٥م

-الشال ، أبوعبد الرحمن سعد السيد.

٢٩-المرأة في القرآن الكريم،ط١، دار عباد الرحمن، د- م - ٢٠١١م.

-شرابي، هشام.

٣٠-مقدمات لدراسة المجتمع العربي ،الدار المتحدة للنشر، ط٣، د.م- ١٩٨٤م.

-شومان، نعيمة.

٣١-المرأة منذ العصر الحجري والمرأة في الإسلام كإنسان،ط١،دار الفارابي، د.م،٢٠١١م.

-الشعراوي، محمد متولي.

٣٢-المرأة في القرآن الكريم، مكتبة الشعراوي الإسلامية ،القاهرة ،١٩٩٨م.

- الشوكاني(١٢٥٥هـ/١٨٣٩م)، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني .

٣٣-نيل الاوطار، ١٩٧٣، دار الجيل - بيروت - ١٩٧٣م.

-الصابوني ، محمد علي الصابوني.

٣٤-صفوة التفاسير، ط١ ، دار الصابوني ، القاهرة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧.

-الطائي، نجاح عطا.

٣٥-نساء النبي وبناته ، دار الهدى لإحياء التراث،ط١، قم -٢٠٠٦م.

- الطباطبائي ، محمد حسين .

٣٦-الميزان في تفسير القران ، ط١، دار الكتاب العربي ، بغداد - ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

- العاملي ،السيد جعفر مرتضى العاملي.

٣٧-الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) ، دار الحديث ، ط١، قم -١٤٢٦هـ .

٣٨- الصحيح من سيرة الإمام علي(عليه السلام)،مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ط١، قم - ١٤١٧هـ.

-العاملي ، زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي (ت : ١٣٣٢هـ/١٩١٣م)

٣٩-الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر-١٣١٢ هـ.

-عبد الكريم، خليل عبد الكريم.

٤٠-شدو الربانية بأحوال مجتمع الصحابة (الجزء الثالث، الصحابة والمجتمع) ، ، ط١، د..م-١٩٩٧م.

-عبد الله ، ضرغام.

٤١-تطور أنظمة الحكم والسياسة في العصور العربية القديمة والإسلامية الوسيطة ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد-٢٠٠٧م.

-عبدة ، سمير.

٤٢-المرأة العربية بين التخلف والتحرر، ط١ ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت-١٩٨٠م.

-عثمان، علي.

٤٣-المرأة العربية عبر التاريخ، دار التضامن، بيروت - ٢٠١٧م.

-العلان ، مروان.

٤٤-المرأة قبل الإسلام المرأة بعده، ط١، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت - ٢٠١٢.

-علي ، إسامة سيد.

٤٥-العرب بين التاريخ والحضارة قبل الإسلام ، الشاهد، ط١، القاهرة -٢٠٢١م.

-عفيفي ، عبد الله.

٤٦-المرأة العربية في جاهليتها واسلامها ، مكتبة الثقافة ، السعودية -١٩٣٢م.

-العظم ، أسمية .

٤٧-المجتمع في العصر الأموي، دار العلم للملايين، ط١،بيروت-١٩٩٦م.

٤٨-المرأة في الشعر الجاهلي ، وزارة المعارف ، بغداد -١٩٦٠م.

-فرويد، سيغموند.

٤٩-الطوطم والتابو، ترجمة بو علي ياسين،ط١، دار الحوار، سوريا-١٩٨٣م.

-كاظم ، شاكر مجيد .

٥٠-التنشئة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام دراسة تاريخية ، البصائر ، ط١، لبنان ٢٠١٤م

٥١-قبيلة خولان بن عمرو ، الرافدين ، ط١، بيروت-٢٠١٤م

-كيال، باسمة .

٥٢- تطور المرأة عبر التاريخ، ط١، مؤسسة عز الدين، لبنان-١٩٨٠

-لوبون ، غوستاف.

٥٣-اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، ط١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر-٢٠١٤م.

-محمود عرفة محمود.

٥٤-العرب قبل الإسلام(أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم ،ط٥، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، د-م- د-ت.

-المقدم ، محمد بن أحمد إسماعيل.

٥٥-المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية ، دار الخلفاء الراشدين ، ط١، فلسطين- ٢٠٠٧م.

-الوهاب ، أحمد عبد.

٥٦-تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام،ط١، دار التوفيق النموذجية ،القاهرة-١٩٨٩م.

-ويستر مارك ، إدوار.

٥٧-موسوعة تاريخ الزواج ، ترجمة ،مصباح الصمد، صلاح صالح، هدى رطل،ط١،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د. م - ٢٠٠١م.

-ويلكن، جورج ،السكندر.

٥٨-الأمومة عند العرب، ترجمة ، بندلي صليبا الجوزي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر - ٢٠١٧م.

- المرعشي (ت:هـ١٤١١ هـ/١٩٩٠م).

٥٩-شرح إحقاق الحق ،تح، السيد محمود المرعشي ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ، ،ط١،قم- ١٤١٧ .

-مؤنس،حسين.

٦٠-أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة-١٩٨٧م.

-مهنا ،عبد الأمير .

٦١- أخبار النساء في كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ،مؤسسة الكتب الثقافية ، ط٦، بيروت - ٢٠٠٧م.

-الهاشمي، علي.

٦٢- المرأة في الشعر الجاهلي، مطبعة الغراف، بغداد-١٩٦٠م.

-الهاشمي ،علي -المأمون، مكي، زينب، المنصور.

٦٣-نساء حول أمير المؤمنين، قسم الشؤون الدينية، ط١، كربلاء-٢٠٢٤م.

-الهاشمي ، رضا جواد.

٦٤-نظام العائلة في العهد البابلي القديم ، شبكة كتب الشيعة ،د. م-د.ت.

-ولدكه، ثيودور.

٦٥-حياة محمد وفقاً للمصادر المشهورة، ، ترجمة وتقديم ،نزار هليل، المركز الاكاديمي للأبحاث،ط١، بيروت.

-وافي ، علي عبد الواحد.

٦٦- الاسرة والمجتمع ،دار احياء الكتاب العربية، ط٢ ، مصر - ١٩٤٨ م.

رابعاً : المجلات والدوريات

-جاسم ،عطا سلمان.

١-المؤاخاة بين النظرية والتطبيق، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، العدد ٢١، ٢٠١٥م.

٢- فلسفة الحكم في العصر الأموي مجلة كلية التربية، العدد الثامن والعشرون.

-السامرائي ،جنان أحمد عبد العزيز.

٣- مظالم المرأة العربية في العصر الجاهلي ، مجلة دراسات في التاريخ والاثار العدد ٧٣ ، كانون الثاني ٢٠٢٠.

-القحطاني ، سميرة بنت سعيد بن محمد.

٤- دور المرأة في الحروب قبل الإسلام من خلال أيام العرب ، مجلة رسالة المشرق -للدراسات الإستشراقية ، مج٢٧، عدد خاص ، القاهرة- ٢٠١١م.

-عبد الجليل، احمد **جاسم.**

٥- النساء المهاجرات جمعا وتحقيقا، مجلة ابحاث البصرة للعلوم الانسانية ،العدد ٤/المجلد ٤٨ كانون الاول سنة ٢٠٢٣م

-علوان، ورود عدنان.

٦-طرق حصول المسلمين على الجواري والإماء ونظرة المجتمع لهن حتى عام ٣٣٤هـ، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة العد٨٥،الجزء الأول، كانون الأول ١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م.

-مطر ، مها صالح.

٧-الصحابية سلمى بنت عميس(رضي الله عنها) دراسة في سيرتها، مجلة التربية للعلوم الإنسانية ،المجلد٥،عدد خاص،الموصل-٢٠٢٥م.

-دليلة، صالحي .

٨-سوسيولوجيا المرأة عبر التاريخ، مجلة مدارات التاريخية ، العدد ١،مجلد٢٠٢١،٣م.

-الراوي ،زياد مظفر سعيد محمد.

٩-مكانة المرأة في التشريع الإسلامي ،مجلة كلية التربية والعلم ، المجلد (١٧)،العدد(٣)،الموصل ،٢٠١٠م.

-مسير، أحمد نومان.

١٠-الطوطمية في ديانة القبائل القديمة قبل الإسلام، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية،العدد٢٠٢٢،٩١م.

بودلي ، ر.ف ، الرسول (حياة محمد)، ترجمة محمد فرج، عبد الحميد جودة السحار، مكتبة مصر-د.ت.

خامساً : الرسائل والأطاريح

- إبراهيم ، مناف عبد الإله.

١-صحابيات الرسول – صلى الله عليه وسلم – دراسة تاريخية تحليلية في فئاتهن و خدماتهن، ،رسالة ماجستير ،جامعة الموصل،٢٠٠٤هـ.

-الجنابي، ثميرة كامل الجنابي .

٢-الصحابية الجليلة ام عمارة نسيبة الانصارية ودورها في خدمة الاسلام ، رسالة ماجستير ،جامعة بغداد-٢٠٠٦م.

-الحسيناوي ، حيدر عبد الحسين عبد السادة.

٣-كشف الاسرار في أولاد خديجة من النبي المختار(ﷺ)، اطروحة دكتوراه غير منشورة ،جامعة كربلاء-٢٠٢١م.

-الحلفي، صبيح نوري خلف.

٤- نساء البيت الاموي ودورهن في الحياة الاجتماعية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة -٢٠١٨م.

-الدليمي، سهى صباح نشمي.

٥-اسهامات المرأة في الاعمال الحربية حتى العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الانبار-٢٠٢٥م.

-الطراونة ، يوسف سليمان جبر.

٦-الزواج والطلاق في صدر الإسلام / دراسة تاريخية في الأبعاد الاجتماعية الاقتصادية والسياسية . الحجاز أنموذجا ، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل-٢٠٠٤م.

-اللباحي ، جواد كاظم جاسم.

٧-أثر السيدة زينب بنت جحش (رضي الله عنها)في الحياة الإسلامية العامة ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ذي قار-٢٠١٨م.

-عويد ، شمخي يابر.

٨- رعاية الأسـرة في الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي(١٣٢هـ/ ٧٥٠م)،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة واسط-٢٠١٤م.

خامساً : المصادر الاجنبية

-SMITH, ROBERTSON KINSHIP AND MARRAGE IN EARLY ARABIA

١-Kinship and marrage in ealy Arabia –cambridge at the university Bress- ١٩٨٥ AU rigkts reserved .

Abstract

This study examines the role of women who had multiple husbands, from the pre-Islamic era to the end of the Umayyad period. It is a historical study that reveals the impact of women who had multiple husbands on society. The study aims to clarify the concept of "multiple husbands" and trace their roles in historical sources, genealogies, and literature. It also identifies prominent female figures known for having multiple husbands throughout history, beginning before the advent of the Prophet Muhammad (peace be upon him), through the early Islamic period, and the Rashidun and Umayyad eras.

The study is divided into four chapters, preceded by an introduction that clarifies the historical roots of the phenomenon of women accompanying their husbands in pre-Islamic civilizations, nations, and religions. The first chapter defines women accompanying their husbands, both linguistically and technically, and explains the main reasons that led women to accompany their husbands. The second chapter clarifies the political role of women accompanying their husbands, specifically their participation in supporting the Islamic call and pledging allegiance to the Prophet Muhammad (peace be upon him), as well as their indirect participation in securing pledges of allegiance to the caliphs of the Rashidun and Umayyad eras. The third chapter discusses the most prominent contributions of women in the military sphere through their presence on the battlefields, serving as a primary motivator for the fighters' valor. Women's support was not limited to moral support; they also actively participated in combat when necessary. The fourth chapter explains the social roles that women accompanying their husbands played in public life. The study concludes with its most important findings and some recommendations related to the topic.

The study concluded that the practice of marrying a woman through marriage was known in pre-Islamic Arab society and continued into the Islamic era. It was often a result of social and natural

circumstances such as widowhood or divorce, and was not considered a frowned-upon phenomenon at the time. However, it gradually declined over time due to several developments in Arab society, most notably the Arabs' increased exposure to other cultures and civilizations, which negatively impacted society in general.

The study also showed that women who married through marriage contributed to strengthening tribal, political, and social ties through these marital bonds. This interaction led to mutual influence among various segments of Arab society. Furthermore, the study shed light on many aspects of social life, particularly in the early Islamic period, which represented the peak of the radical transformations Islam brought to Arab society. The study also focused on the role of women in raising their children and their distinguished role in spreading Islam and its teachings. Numerous examples of women who married through marriage during the Islamic era served Islam significantly. The study concluded that the stories of women who had multiple husbands represent important historical and social material for studying the family and the role of women in Islamic history. These stories reveal the nature of social relations and the status of women in different historical periods. The study of women who had multiple husbands can be considered not only a historical topic, but also one with analytical value that can be linked to contemporary reality. Understanding the social reality of women who had multiple husbands helps in re-evaluating the concept of polygamy for women, especially since most contemporary studies view second or third marriages negatively or with social sensitivity. History shows that a woman having multiple husbands was a means of stability for the woman, the family, and society. This contributes to correcting some stereotypes in Arab society, opening a way to understand how modern societies deal with similar situations in terms of social, psychological, and economic support for women.

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Wasit
College of Education for Humanities
Department of History

Women's Role in Pre - Islamic Arabia until the End of the Umayyad Era (132 AH/749 CE)

Doctoral Dissertation

Submitted by

Ajwan Saeed Mutashar Anad

To the Council of the College of Education for Humanities at Wasit University

As partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy in Islamic History

Supervised by

Assistant Professor Dr.

Sawsan Fadhil Kadhim

١٤٤٨ ٢٠٢٦